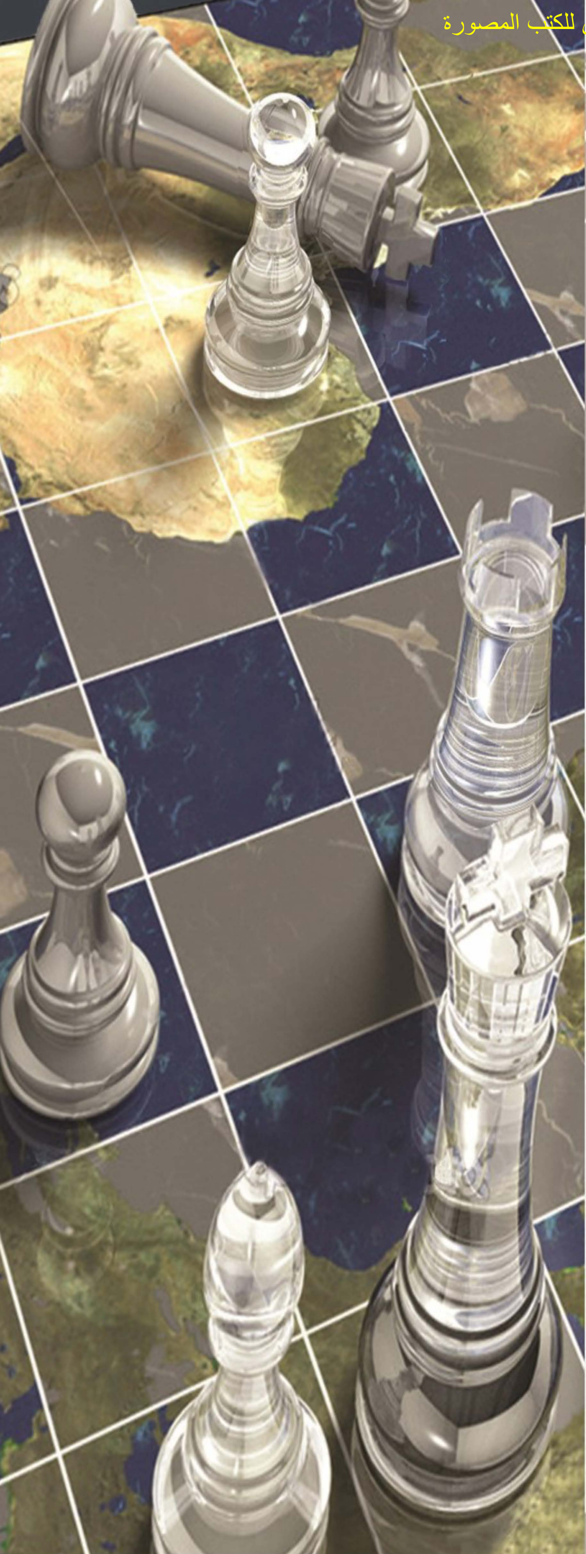


اسم المؤلف

كيف يكسب الضعفاء الحروب

ترجمة
أدهم وهيب مطر

حين ينتصر الضعفاء في الحروب

"نظرية عن النزاعات اللامتكافئة"

حين ينتصر الضعفاء في الحروب

" نظرية عن النزاعات اللامتكافئة "

تأليف

إيفان أريغوين - توفت

ترجمة

أدهم وهيب مطر

تنويه :

إن كل ماورد في هذا الكتاب يعبر عن رأي وأفكار المؤلف

وقد تمت الترجمة بحياد .

اســم الكتاب: حين **ينتصــر الضــعفاء في الحروب "نظرية عن النزاعات اللامتكافئة".**
المؤلف: **إيفان أريغوين – توفت.**
ترجمة: أدهم وهيب مطر.
سنة الطباعة:٢٠١٧.
كمية الطباعة: ألف نسخة.
الترقيم الدولي: ISBN ٩٧٨-٩٩٣٣-٢٢-١١٠-٢

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:
دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:
دار ومؤسسة رسلان
للطباعة والنشر والتوزيع
سوريا ـ دمشق ـ جرمانا
هاتف: ٥٦٢٧٠٦٠ ١١ ٠٠٩٦٣
هاتف:٥٦٣٧٠٦٠ ١١ ٠٠٩٦٣
فاكس: ٥٦٣٢٨٦٠ ١١ ٠٠٩٦٣
ص. ب: ٢٥٩ جرمانا
www.darrislan.com

كيف ينتصر الضعفاء في الحروب:

تُرى كيف ينتصر الضعفاء في الحروب؟ حيث تعتمد احتمالية النصر و الهزيمة في النزالات على التفاعل بين الإستراتيجيات المستخدمة عند كل من الطرفين القوي و الضعيف.

وحيث أن استخدام التحليلات والإحصائيات العميقة تاريخياً لدورة النزاعات بين الأطراف غير متكافئة منذ مائتي عام و حتى الآن, فإن "إيفان أيرغون- توفت" يبين على أنه - و بشكل مستقل عن نوع النظام و تكنولوجيا الأسلحة- أن تفاعل المقاربات الإستراتيجية المتشابهة تدعم العوامل القوية , بينما تدعم المقاربات الإستراتيجية المعاكسة الضعيف.

ولذلك، فإن المقاربة الجديدة لفهم النزاعات غير المتكافئة تسمح لنا لأن نفهم كيف كانت الولايات المتحدة قادرة على كسب حروبها في أفغانستان عام (٢٠٠٢) في شهور قليلة, بينما خسرها الإتحاد السوفييتي بعد عقد من الحروب الشرسة في الفترة الوقعة بين عامي (١٩٧٩- ١٩٨٩).

تستحوذ نظرية أريغوين- توفت "تفاعل الإستراتيجيات" على نتائج ليست مجردة لنظرية العلاقات الدولية فقط بل لصانعي السياسات الذين يتنازعون من خلال الحروب الداخلية والأهلية، وأيضاً من خلال الإرهاب.

عن المؤلف:

إيفان أريغوين – توفت:

أســـتاذ زميل في برنامج الأمن الدولي في أكاديمية "جون.ف.كينيدي" في مدرســـة الحكومات, جامعة هارفارد وقد قام بتأليف عدد هائل من أوراق المؤتمرات و نشـــرت مقالاته في مجلس الأمن الدولي، ودرسّـــت في جامعة "كامبريدج" للعلاقات الدولية، وقد كان مجنداً في الجيش الأميركي حيث خدم في "أوغســـبرغ- ألمانيا" كمحلل للمخابرات العســـكرية من عام ١٩٨٥ وحتى عام١٩٨٧.

مقدمة

هذا كتاب عن القوة, وعن كيفية الفهم المشترك للقوة التي قد تؤدي إلى كارثة.

كما أن مصطلح " النزاعات غير المتكافئة " يقصد به في هذا السياق حصر الموضوع الواسع للتساؤلات المتعددة حوله و ذلك بأقل الكلمات الممكنة – و مع هذا، فهذا المصطلح سيبقى يعاني من نفحة التكبّر الأكاديمي و انفصاله في البرج العاجي.

وفي الحقيقة، فإن الموضوع الحقيقي المتناول هنا هو الوحشية السافرة في الحروب, حيث أن المتلقي الأولي لهذه الوحشية في العادة يكون الجنود، فهم مدربون لتجهيزها، وإن بحدود معينة.

فمن المتوقع أنهم قد يصابوا أو يقتلوا من قبل جنود آخرين مثلهم خلال أداء واجبهم. و لكن في أيامنا هذه, فقد أصبحت الحروب أقل حصراً بالجنود (لكن البعض قد يقول على أن ذلك مجرد أسطورة أكثر من أي وقت مضى) وربما هي تبعات غير مقصودة لمحاولة استخدام اتفاقيات "جنيف"

(والوسائل اللاحقة للقانون الدولي الإنساني) لحماية الأطفال, والمصابين, والمرضى, والمرضى العقليين, والمعاقين, والأطفال الصغار, والنساء اللواتي لا يوجد لديهن تحمّل للأسلحة، وكبار السن, ذلك لكون هؤلاء هم مجرد بشر ضعفاء و ليسوا جنودا, ولكنهم أصبحوا ضحايا بشكل متزايد للهجوم بالسكاكين, وبالبنادق, واللهب, و المعدن الطائر، وكلهم كانوا عبارة عن أهداف لأن المقاتلين اليائسين يجدون أنه من المفيد الاختباء بينهم, والتغلغل في أماكن إقامتهم، بينما كان أعدائهم يفتقرون إما إلى الإرادة أو القدرة على ضربهم من دون رأي واضح، وبذلك يكون الأطفال الصغار أول الضحايا التي تتكور جانباً.

إن النزاعات غير المتكافئة، والتي يكون فيها طرف واحد مالك لقوة هائلة ومع احترام لخصمه, فإن هذه الخصوصية تكون صحيحة. إنها صحيحة لأن الضعيف يائس، إنها صحيحة أيضا لأن القوي لا يستطيع احتمال إساءة المقاومة له: فإذا طالبت قوة ما بالطاعة، فالمقاومة للقوة الهائلة ستقدم دليلاً على الشر أو الجنون, و لكن كلاً من الشرير أو المجنون يحتاجان لأن تتم معاملتهما كبشر أيضا.

تكون الوحشية الحقيقية للحرب مفقودة من معظم التحليلات الاجتماعية للحرب، فهي مفقودة لأننا جاهلون: ومعظمنا لم يختبر بشـــكل مباشـــر ذلك الرعب المحتمل بحيث أن تحليلاته قد أصبحت عمل حياته، إنها مفقودة لأنها ضرورية، ولكي نقترب من واقع موضوعنا الذي يكاد لا يطاق. فبعض القسـوة لا يمكن وصـفها، ولا يوجد هناك ببسـاطة كلمات بأي لغة كانت قادرة على تحمل وزن تجاربها.

وأخيراً, فإن وحشـــية الحرب مفقودة من معظم تحليلات العلوم الاجتماعية لأنها مفيدة: لأنها تسـمح لنا باكتشـاف الأنماط و تصنع التعميمات التي قد تقنع في يوم من الأيام جميع الآخرين لتعديل الكيفية التي يتم من خلالها حل النزاعات، ولتنهي تلك المستمرة و تمنع أن يُصـاغ العنف كله ببعض.

و بهذه الروح أقدم هذا التحليل, وكل العيوب .

كلمة شكر و تقدير من المؤلف :

لقد قرأت العديد من أشكال التقدير و الشكر على مر السنين ولكني طالما كنت أعاني دوما من أنها مفعمة بالعواطف ومملة في آن.

لقد تدربت في جامعة شيكاغو في العقد الأخير من القرن العشرين، وكانت مرحلة مليئة بالتحديات, وثمة من قد يدعوها بالإهمال الحميد المقصود – و مصمماً حتى– ليجعلني قادراً على معرفة وتأطير وخلق أسئلة جيدة بمساعدة بسيطة تتجاوز مواردي، ولكن اثنين من معلميّ و ناصحيّ الشخصيين وهما "جون ميرشيمر" و "استيفان والت" اللذان أدين لهم بالشكر من أجل الاكتفاء الذاتي الفكري كحارس في الجيش حيث يمكنني الآن أن يتم وضعي لوحدي في برية أكاديمية و سوف أجد دوماً طريقي، أنجو و أنفذ مهمتي.

و لكن القدرة على العمل لوحدي لم يغير ميلي للعمل مع الآخرين، و لم يلبد بأي طريقة حبي للتعليم.

كما أدين بالشكر إلى عدد أكبر من الزملاء في جامعة شيكاغو أكثر من الذين أدرجت أسماءهم هنا. و لكن، ولأجل المناقشات الجيدة, المتقدة الثاقبة و الدعم الهائل و أريد أن أشكر خصوصاً كلاً من:

" آن دايفس, شارون موريس, جوردان سينغ, ديفيد مايكل,كيم جيرمين, بريت كلوب, أندي كاييد, سوزان ليبيل, جون مك كورميك, جين ميتزن, دايفيد إيدلستين, و باول كابور" .

شكراً أيضاً لكل من:

"دانييل فيرديير, تشارليز ليبسون, و خصوصاً تشارليز غليسر" على تقديمهم نقداً ذو بصيرة على النسخ الباكرة لهذا العمل, وعلى مساعدتهم في تدريبي على سبيل المثال، و على دعمهم أيضاً.

أدين أيضا بالشكر أيضاً لثلاثة من الرجال الذين هم – برأيي – من المثقفين رفيعي المستوى: "بيتر ديغيسر, بيرناند مانين, و لويد رودولف".

والذين من دون جهودهم الصـــبورة وكرمهم لم أكن لأتعلم أن أكون حذراً حول ما أعتقد أني أعرفه.

كما أشكر أيضاً الصداقة والدعم الحيويين في هذا المشروع الفكري وأدين بالعرفان الخاص لكل من: "توم ريس, تاي (و لين) أبوت, كيتا (و رون) باوير, و مارفين زونيس".

والذين كل بطريقته أو طريقتها الخاصة جعلوا مني رجلاً أفضل هنا في مدرسة كينيدي الحكومية في جامعة هارفارد .

لقد كنت محظوظاً بتوجيه النقد والدعم البارز.

أريد أن أشكر بشكل خاص كلاً من:

"ستيف ميللر, شين لين، جونز,جون جاروفانو,أرمن غريغوريان, و روز مكديرموت".

وأدين بالشكر أيضاً للسيد "آندرو ماك" والذي من دون أصالته و نقده الحاد , ونصائحه, ودعمه ما كان لهذا الكتاب إطلاقا أن يكون ممكناً.

شكرا أيضا لمعهد دراسة السياسات العالمية، ومؤسسة "سميث ريتشاردسون" على دعمهم الكريم.

و أخيراً, أدين لعائلتي :

والدي "ألفريدو" الذي أود شكره على تذكيري بأنه يجب أن أفعل ما أفعله لكوني أنا، بدلاً من اتباع توقعاتي في العلوم الاجتماعية كمهنة.

والدتي "جوانا" والتي أشكرها على حبها المطلق للأفكار وأيضاً بالطبع على إيمانها بي الذي آمل أن يكون قد أتى أُكُله.

زوجة أبي "سوزي" و أختي "كريستين" و "ليزلي" اللواتي أشكرهن على الشغف الملهم في كل ما يعيشونه بحياتهم.

كذلك عمي "باول" الذي أشكره على صبره و الدعم الدائم الذي قدمه لي على مر السنوات العديدة.

و أيضاً حمواي اللذين أشكرهما على تحمّلي و الصفح عني (الآن، ووقتها) لأني لم أختر أن أصبح فيما أنا عليه .

و فوق كل شيء آخر و دائماً، أشكر الثلاثة الأعز علي في هذا العالم, والذين، حتى حياتي من دونهم لم تكن غنية، ولا تستحق لأن تُعاش وهم:
زوجتي "مونيكا" وابني "صامويل" و ابنتي "إنغريد آن".

الاختصارات الدولية :

ARVN	جيش فيتنام
COIN	مكافحة التمرد
DMZ	منطقة منزوعة السلاح
DRV	جمهورية فيتنام الديمقراطية
DRA	جمهورية أفغانستان الديمقراطية
GVN	حكومة فيتنام
KLA	جيش التحرير الكوسوفي
NATO	منظمة الاتفاقية الأطلسية الشمالية (حلف الناتو)
NVA	الجيش الفيتنامي الشمالي
SAM	قذائف أرض – جو
FLN	جبهة التحرير الوطنية
GWS	إستراتيجية حرب العصابات
Viet Cong VC	الجبهة الوطنية التحررية الفيتنامية

الفصل الأول

"فخرج رجل مبارز من جيوش الفلسطينيين اسمه "جلعاد".. وكُلّهم رجال إسرائيل، عندما رَأوا الرجلَ، هَربوا منه.. (سفر صموئيل الأول ١٧)"

لماذا يخسر القوي في مجابهة الضعيف؟

لأننا نتوقع للأطراف[١] القوية أن تهزم الأطراف الضعيفة فيما يتعلق بالحروب، والتقاتل بالأيدي،بل وحتى في منافسات الأعمال و المسابقات الرياضية, فإن حقيقة أن الضعيف يفوز أحياناً هي أمر محير[٢].

(١) "الأطراف" في هذا المحتوى تعني الدول أو تحالفات الدول, على الرغم من أنه و بنفس الطريقة قد تعني حكومات تتصارع ضد المتمردين أو أمة منافسة أو مجموعات أثنية في حروب أهلية. "النزاعات" في هذا التحليل تعني الحروب (١٠٠٠ قتيل معركة في السنة), على الرغم من أنه و أيضا بطريقة مشابهة يمكن أن تطبق في النزاعات التي ليست حروباً, مثل الإرهاب, الحروب التجارية, و الاحتجاجات العمالية. لأن هذا التحليل يركز على تفسير النزاعات غير المتكافئة و قد استثنيت هذه لبضع حروب بحيث تغيرت نسبة القوى بشكل مثير (نحو التكافؤ) بين بداية و نهاية النزاع.

(٢) القوة هي واحدة من أكثر المفاهيم صعوبة في نظرية العلاقات الدولية, هنا أتبع تقليد طويل بتقديم تمثيل قابل للقياس للقوة و الذي أعترف بأنه غير مثالي. ما أعنيه "بالقوي" على سبيل المثال هو الطرف الذي تكون قوته المادية النسبية تتجاوز قوة خصمه أو خصومه بنسبة عالية (انظر أدناه). كما أن وصفي "الضعيف" و "القوي" يحملان معنى فقط في محتوى محدد: فإيطاليا في ١٩٣٤ ضعيفة مقارنة بالإتحاد السوفييتي, و لكنها قوية بالمقارنة مع أثيوبيا. و ما أعنيه "بالقوة المادية" هو النتائج المعطاة للتعداد السكاني للدولة و القوى المسلحة. ومن المماثلات الأخرى لقوة الدولة القابلة للقياس التي اقترحت و استخدمت على مر السنين, و تتضمن إنتاج الحديد و الفولاذ, الإنتاج القومي الإجمالي (GNP) و هكذا... و لكن لا يوجد أي قياس يبدو لأن يكون كافيا لوحده و الإنتاج القومي الإجمالي بشكل عام ربما الأكثر فائدة و لكنه يعاني من مشكلة أن بياناته لم تكن تحفظ قبل عام ١٩٢٠. لمراجعة و تحليل الأدب عن الإجراءات التجريبية و القابلة للقياس للقوة النسبية, انظر ناتر (١٩٩٤: ٢٩-٤٩) وللمزيد عن المقياس التجريبي للقوة بالتحديد انظر باول (١٩٩٤: ٢٢).

القوة النسبية و النظرية الواقعية

للعلاقات الدولية: " القوي يفعل ما يشاء" ...

بالعودة إلى وصف القائد العسكري والخبير الاستراتيجي " ثيوسايدس"[١] للحرب بين أثينا و إسبرطة, فإن الصلة بين القوة و بين نتائج الصراع قد أصبحت المبدأ الجذري (الأصلي) لنظرية العلاقات الدولية الواقعية [٢]. قوة أكثر تعني حروباً رابحة, و قوة أقل تعني الهزيمة فيها.والهزيمة في الحرب تعني الموت أو العبودية. وهذا ليس نفس الشـيء كما يخال لعلماء العلاقات الدولية أو للنخب العسكرية و السياسية بأن القوة المادية الصرفة هي الفيصل الوحيد التي يحدد من يكسب أو من يخسر المعركة, أو الحملة أو الحرب.

وحيث أن العديد من الأشياء – التي تتراوح من العزيمة, التقنية, الإستراتيجية, الحظ, القيادة, و حتى البطولة أو الجبن– يمكن أن تؤدي إلى نتائج غير متوقعة.

و لكن القوة مفيدة لسببين:

١– حيث لأنه في العالم الواقعي،يمكن لوجود ما يكفي من القوة أن يغطي على النقائص في التصنيفات الأخرى.

---

(١) ثيوسايدس : حاكم يوناني وقائد عسكري استراتيجي في الامبراطورية الرومانية.

(٢) استخدامي للمصطلح "النظرية الواقعية للعلاقات الدولية" في هذه المقالة يشير إلى نسخة بسيطة من النظرية الواقعية والتي لها عقيدتان رئيسيتان:

(أ) – لا توجد سلطة أعلى من سلطة الدولة قادرة على تنظيم تفاعلات الدولة.

(ب) – جميع الدول لديها بعض المقدرة على أذية الدول الأخرى.

وكنتيجة لذلك تقوم الدول بزيادة قوتها النسبية بطرق مختلفة تتضمن شراء و صنع الأسلحة و تشكيل حلفاء. القوة في وجهة النظر هذه من المتوقع أن يكون لها عدة إيجابيات للدولة التي تكتسبها, تستطيع أن تردع أي دول أخرى من الهجوم أو تخويفها لإجبارها على تقديم التنازلات, أو هزيمتها في الحروب. وللخلاصة مقنعة للنظرية الواقعية للعلاقات الدولية انظر ميرشيمير (٢٠٠١: الفصل ١–٣). حول حدود القوة فيما يتعلق بالأهداف, انظر والتز (١٩٧٩: ١٨٨–١٩٢).

٢- و لأنه في العالم النظري, تكون القوة قابلة للقياس، و للمقارنة بينما لا يمكن قياس القيادة أو الحظ على سبيل المثال.

وهكذا، فإذا كان صحيحاً أن القوة هي الأهم، إذاً ففي جميع النزاعات غير المتكافئة – النزاعات بين الأطراف المتفاوتة بالقوة – يجب على القوي أن يكسب دوماً بالفعل [(١)].

وبإلقاء نظرة على جميع الحروب غير المتكافئة التي تم خوضـــها منذ عام ١٨٠٠ نجد أن هذا الإدعاء صـــحيح. ومجدداً, فإن مصـــطلحي "القوي" و "الضـــعيف" يحملان فقط المعنى في الصراعات "dyads" .

على الرغم من أنه – و كما هو ملاحظ في الأعلى- فإن هذا قد يتضمن الصراعات بين أطراف فردية أو تحالفات. وعلاوة على ذلك، ففي هذا التحليل، قد جعلت اللغز أكثر حيرة بحيث بجعل القوي أقوى بكثير من الضعيف. إن النزاع غير المتكافئ بكل ما تعنيه الكلمة, على سبيل المثال, يتطلب وجود عدم تكافؤ طفيف، ولنقل بنسبة واحد بالعشرة إلى واحد. و لكن في هذا التحليل, فإن الهدف هو اختبار التفسير المضاد للإدعاء بأن القوة النسبية هي أكثر ما يهم.

ولهذا الســـبب فإن عدم التكافؤ بين القوى قد تم رفعها إلى ١٠/١ و من ثم تم تعديلها في الحساب حيث أن الأطراف القوية – القوى العظمى بالتحديد- غالباً ما يكون لديها التزامات

---

(١)كما عبر عنها الباحث"ميرشيمير": هناك حدود معرفة لفائدة مستويات قياس القوة. بعد كل شيء, حتى دراسة سريعة للتاريخ العسكري سوف تبدي أنه من المستحيل تفسير نتائج العديد من الحملات العسكرية ببساطة بمجرد مقارنة عدد القوات في كل جانب. وعلى الرغم من هذا, فمن الواضح أنه إذا كان لدى أحد الأطراف تفوق عارم في القوات, فإن اللا تكافؤ الواضح على الأغلب سيتنبأ بنصر حاسم" (ميرشيمير, ١٩٨٣: ١٦٨). انظر أيضا ماك (١٩٧٥: ١٠٧).

أمنية قد تعيق وضع جميع مواردها في نزاع واحد.[١]

منذ عام ١٨١٦ كان يقال بأن الأطراف القوية قد كسبت أكثر من ضعفي ما كسبته الأطراف الضـــعيفة. و لكن من الناحية الأخرى,وحيث أنه – في هذا التحليل– تتفوق الأطراف القوية على الأطراف الضـــعيفة بهامش كبير فإنه يبقى محيراً كيف خســـرت الأطراف القوية في حروب عديدة ؟.

تُرى، ما الذي يفسر هذه النتائج غير المتوقعة؟

يبدو هنا، أن عدداً من الأجوبة سيكون معقولاً إلى جانب الحظ السيئ [٢]. فلربما قد خسـرت الأطراف القوية بسـبب أن القائمين عليها كانوا سـريعي التأثر وشـديدي الحسـاسـية بطريقة ما. وربما لأن الأطراف القوية المســـتبدة تنتصـــر في النزاعات غير المتكافئة بينما الأطراف القوية الديمقراطية تخسرها. وربما كانت مترددة أو تحت قيادة سيئة. وربما لأن الأطراف الضعيفة كانت قادرة على امتلاك تقنية عسكرية متطورة بشكل ما, و هذا قد جعل الميزان يميل و يختل التوازن

(١) "القوة" في هذا التحليل ممثل كناتج منصف للقوى المسلحة للأطراف القوية و السكان في بداية النزاع مقابل الناتج البسيط للقوات المسلحة للأطراف الضعيفة والسكان. البيانات لهذا المسح يأتي بشكل أولي من "صغير و غني" (١٩٨٣), و من النسخة المعاد تنقيحها لمجموعة البيانات في ١٩٩٢. بيانات إضافية من لاكواير (١٩٧٦), ومن إيليس (١٩٩٥). للائحة شاملة للحالات المذكورة في التحليل الإحصائي, انظر الملحق.

وفي هذا التحليل, التقنية ممثلة كقوة مضاعفة أو مقسمة, ليس كزيادة بالقوة بحد ذاتها. القوة مأخوذة ببساطة و لكن بما يكفي بمضاعفة السكان و القوى المسلحة. هذا يقود إلى بعض التشوه — مثل الأسلحة النووية و البحرية مقابل أن تميز القوة القارية يهم – و لكن التأثير الناجم عن هذا التشوه على التحليل عموما تأثيراً هامشي.

(٢) الحروب الاستعمارية التي تميز هذه الفترة هي جدلياً حالة خاصة. لكن, إذا كان الأمر كذلك, لا بد لأن تكون خاصة بالطريقة التي تتجاوز التأثيرات المتوقعة للقوة النسبية (أي مازالت تتحدى أسبقية عمود القوى في النظرية الواقعية للعلاقات الدولية). النزعة الكلي هو نفسه سواء لو كانت البيانات مقسمة إلى فترات زمنية من خمسين– عشرة– أو خمس سنين. قسم الطيات الأربعة الممثلة هنا ثمين تحليليا لأنه يمثل بيانات أكثر في كل فترة, و لأنه يقدم النزعة بشكل أكثر وضوحاً. حالات من هذه الفترة ٢٠٠٠–٢٠١٠ (أفغانستان ٢٠٠٢– و العراق ٢٠٠٣) غير متضمنة هنا لأن هذه المرحلة لم تستمر بعد لخمس سنين.

بما يكفي ليجعل الأطراف القوية تفقد اهتمامها بالنصـــر حينما تتجاوز تكاليف النزاع و الاحتلال الفوائد و الغنائم المتوقعة بشكل مفاجئ.

وبالتفكير أكثر حول هذا الأمر، و حيث أن هذه التفسـيرات تظهر بشـكل متفاوت في فترات تاريخية مختلفة, فإنه من المفيد معرفة ما إذا كان توزع نتائج هذه النزاعات ثابتة بمرور الوقت على الرغم من أنها ليســـت كذلك. وإذا كان ســـجل جميع النزاعات غير المتكافئة منذ عام ١٨١٦ مقسم على فترات زمنية منفصلة فهناك توجه واضح يظهر بأن الأطراف القوية كانت تخسر النزاعات غير المتكافئة أكثر و أكثر مع مرور الوقت.

كانت الأطراف القوية منذ عام ١٨٠٠ وحتى عام ١٨٤٩ قد انتصــرت بنســبة ٨٨,٢% من جميع النزاعات غير المتكافئة ولكن هذه النسبة انخفضت بعض الشيء إلى ٩٧,٥% خلال فترة الخمسين سنة التالية. و لكن بدءاً من عام ١٩٩٠ فإن عدد النزاعات غير المتكافئة التي انتصرت فيها الأطراف القوية بدأت بالهبوط بشــكل واضــح حيث انخفضــت إلى ٦٥,١% خلال عام ١٩٤٩.

وخلال فترة الخمسين سنة الأخيرة – منذ عام ١٩٥٠ و حتى عام ١٩٩٩ –كانت الأطراف القوية قد انتصرت فقط بنسبة ٤٨,٨% من جميع النزاعات غير المتكافئة و من ثم يبرز هنا لغزان محيران .

تقودنا النظرية الواقعية للعلاقات الدولية من ناحية لأن نتوقع أنه في أي نزاع ذو طرفين, كلما زادت نسبة القوة لصالح أحد الطرفين كلما كان انتصاره أسرع و أكثر حسماً.

ولكن من ناحية أخرى, فإن الولايات القوية قد خسرت ما يقارب نسبة ٣٠% من جميع النزاعات بحيث كانوا قد أضعفوا خصومهم بعامل واحد من أصل خمسة عوامل على الأقل [١]. بالإضافة إلى أنها قد خسرت حروباً كهذه بشكل متكرر أكثر عبر الزمن.

إذاً، ما الذي يفسر هذا النزعة ؟ ثمة طريقة جيدة للبدء بتفسير ذلك، وهي بالتفكير حول ما هي الاختلافات في بداية القرن التاسع عشر والتي قد صبت في مصلحة الأطراف القوية بشكل كبير مقارنة مع الأطراف القوية في نهاية القرن العشرين. ومجدداً فأن عدداً من التفسيرات المحتملة تخطر على البال. فلربما الأطراف القوية السابقة كانت قد انتصرت بسبب تميزها التقني: كالقوة المدفعية, الأسلحة النارية وقوات البحرية، ولا بد أنها كانت قوة مضاعفة هائلة. ولربما كانت هزيمة الأطراف القوية قد تركزت في الفترة الأخيرة التي تعود لارتفاع التصميم الوطني كمعيار للسياسات الداخلية؟.

من الممكن للمقاومة الوطنية للحكم الأوروبي قد جعلت الغزو والاحتلال كبير الكلفة. وقد نلاحظ أيضا أنه وبعد الحرب العالمية الأولى وخصوصاً الحرب العالمية الثانية, إن عدد الأطراف القوية المستبدة قد هبط. وبعد عام ١٩٩١ انهار الإتحاد السوفييتي ولم يعد طرفاً استبدادياً في السياسات الداخلية. إذا كانت الأطراف الاستبدادية تحارب في النزاعات غير المتكافئة بشكل أفضل من الأطراف القوية الديمقراطية, إذا فربما فسرت طبيعة الطرف هذه النزعة.

إن نقطة التخمين هذه قد تكون لمنفعة مهمة من ملاحظة هذا الاتجاه، وبشكل مستقل عن حقيقة أنه وحتى فترة قريبة بقي لغزاً : إن نظرية مثالية عن نتائج النزاعات غير المتكافئة يجب أن

(١) من بين أولئك الذين يستشهد بهم مارك كاتزينباخ و تابر (١٩٦٥). ومؤخرا "باول" كرس كتابا للسؤال عن لماذا يبدأ الضعيف الحروب ضد القوي, إن عتبة تحليل باول للا تكافؤ كانت بنسبة القوة ٢:١ حيث القوة كانت تقاس بمعنى آخر بمصطلحات تقليدية. للإطلاع على تعريف باول للا تكافؤ. انظر باول (١٩٩٤: ٢٠).

تكون قادرة على أن تحسب لكل من حقيقة فشل الطرف القوي والنزعة نحو زيادة فشل الطرف القوي مع مرور الوقت.

إن أي تفسير للنزعة - الذي قد لا يفسر فشل الطرف القوي - سيكون أقل إقناعا من تلك التفسيرات التي تستطيع.

وأيضا فإن أي حسابات لفشل الطرف القوي المتناقضة مع النزعة سوف تكون أقل إقناعا من تلك التي تستطيع تفسير الاثنين معا.

و بالمختصر, تكمن المشكلة بتوقعاتنا المبالغة عن نظرية العلاقات الدولية التي تظهر لأن تكون صحيحة بشكل جزئي فقط، وفقط في المجموع الكلي. عندما تقسم البيانات الكلية إلى فترات زمنية منفصلة, فإن الارتباط المتوقع بين القوة و النصر يصبح أقل فائدة بشكل واضح لأن يكون دليلاً و موجهاً للسياسة.

التفسيرات المنافسة للنزاعات غير المتكافئة:

كما هو ملاحظ من قبل "أندرو ج. ر. مارك"، منذ أكثر من ربع قرن مضى (ماك, ١٩٥٧:١٧٦) فإن ثمة عدد قليل من علماء العلاقات الدولية لديهم تفسيرات متقدمة تركز بشكل خاص على موضوع النزاعات غير المتكافئة.[١]

و باستثناء عملي الخاص وعمل "ماك" لم يطور أي من علماء العلاقات الدولية شرحاً عاماً لنتائج النزاعات غير المتكافئة" أريغوين- توفت,٢٠٠١".

---

(١) هذه الثلاثة تكاد تستنفذ الاحتمالات, ولكنها تعرض أقوى تفسير عام لكلا النتائج الغير متوقعة و النزعة. تفسيرات ثلاثة أخرى جديرة بالذكر هي : (أ) البنية الاجتماعية, (ب) ارتفاع الحس القومي, و (ج) ثنائي قطبية الحرب الباردة. حجة البنية الاجتماعية تصل السمات الأساسية للبنية الاجتماعية المعطاة لمجتمع ما بالفعالية العسكرية القادرة على الاستجابة. في وجهة النظر هذه, سبب خسارة دول مثل الولايات المتحدة والسوفييت للصراعات الجديدة بالاحترام ضد الفيتناميين الشماليين و المجاهدين هو أن مجتمعاتهم لم تكن كفوؤة بإنتاج الجيوش كما كانت لدى الفيتناميين الشماليين و المجاهدين. عن أهمية البنية الاجتماعية وظهور الجدال القومي هو أن فترة بعد الحرب العالمية الثانية بالتحديد كانت عصرا بحد ذاته للقوميات.

في هذا الكتاب سـأناقش على أنه – و بالرغم من أن القوة النسـبية مهمة – فإن التفاعل بين استراتيجيات الأطراف أكثر أهمية من مقدار القوة التي يمتلكونها في بداية النزاع.

قد تبدو أطروحة تفاعل الإستراتيجيات هذه معقولة كبداية للقراء ولكن قبل أن يكون بالإمكان تقدير قوتها التوضيحية, يجب يمكن للقارئ توضيح واكتشاف التفسيرات المنافسة. وكما هو مذكور في الأعلى، فإنه من الجيد التفكير حول هذه التفسيرات فيما يتعلق بنوعية شرح كلاً من النتائج واتجاهات الألغاز.

يقدم هذا القسم أربع أطروحات منافسة لهزيمة الأطراف القوية في الصراعات غير المتكافئة و النزعة نحو تزايد هزائم الأطراف القوية. البعض منها, مثل أطروحة انتشار السلاح أو حجة التأثر (الحساسية) الاجتماعية الديمقراطية هي الأقوى في تفسير هذا النزعة, ولكنها تقدم تفسيرات مريبة للأسباب التي تجعل الأطراف القوية تخسر.

ثمة أطروحات أخرى مثل حجة ماك لمصالح اللا تكافؤ تعتبر جيدة في تفسير هزيمة الأطراف القوية ولكن لا يمكن الاعتماد عليها في هذا النزعة. ثمة نظرية عامة معقولة لنتائج النزاعات غير المتكافئة يجب أن تكون قادرة على تفسير حقيقة هزيمة الأطراف القوية بشكل متناسق مع الاتجاه الملاحظ والعكس بالعكس. وما يتبع هو مقدمة لهذه الأطروحات المنافسة.[١]

في القسم الثاني, سوف يتم تقليص كل من هذه التفسيرات وتحويلها إلى مقترحات قابلة للاختبار و التي سيتم مقارنتها لاحقا بدراسات حالة تاريخية — البعض منها رسمية والبعض بطريقة غير رسمية – مع تلك المشتقة من تفسيري الخاص.

لقد بدأنا نرى التصميم الذاتي كضرورة لا يمكن تأجيلها بسبب التغييرات البنيوية المفروضة عليهم

(١) كما سبق شرحه في المقدمة.

من قبل القوى الاستعمارية التي قد بدأت بتحطيم نسيجها الاجتماعي بشكل لا يمكن إصلاحه. ولذلك، فإن منطق تلك الحجة هو أن القوميين أكثر عندا و أكثر إرادة للمخاطرة بالموت في السعي للحصول على حكم ذاتي أكثر من الناس المدفوعين بمخاوف أو اهتمامات أخرى. ومن ناحية أخرى فإن الثنائية القطبية تكمن في أن الحرب الباردة بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة قد تدخلت في أغلب الأحيان لكي تواجه المصالح الملموسة للقوات المتفوقة الأخرى.

كل بررت هذه التدخلات بواسطة منطق "الدمينو", والتي ضخمت لاحقا المناوشات في منازعات ذات أهمية حيوية في المعاناة والكفاح بين الغرب والعالم القومي. وبمعنى آخر, فإن ثنائية القطبية توحي الانخفاض بكل النزاعات المركزية الإضافية إلى حروب توكيلية صرفة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي.

وهذه طريقة أخرى للقول بأنه وبسبب الدعم المستمر للولايات المتحدة والسوفييت وبسبب التدخل هناك بشكل فعال، لم يكن هناك نزاعات غير متكافئة خلال الحرب الباردة.

طبيعة الطرف في الصراع:

إن إحدى الطرق لشرح كيف يخسر طرف قوي في حرب ضد طرف قوي هي عن طريق المجادلة حول أن الأطراف المستبدة تخوض حروبها بشكل أفضل من الأطراف الديمقراطية(١).

ولكن لو هذا صحيح, إذاً فإن عزل الاختلافات الأساسية في الوسائل التي يخوض بها كل نوع من الأطراف معاركه قد تفسر لماذا تكسب الأطراف القوية أحياناً الحروب غير المتكافئة بسرعة

(١) أجل، ثمة مقدمة شاملة إلى التساؤل حول نوع النظام و الفعالية العسكرية, انظر ديسخ (٢٠٠٢: ٥-٤٧). من أجل نظرة متشائمة حول الفعالية العسكرية لنوع الأنظمة الديمقراطية, انظر, مثلا, والتز (١٩٦٧), لي ماي و سميث (١٩٦٨: vii-viii), بلوفارب و تنهام (١٩٨٩), و خصوصاً ايكليه (١٩٩١: xiv).(١١) ماك يقلل من حساب الجدال بأن نوع النظام يهم في النزاعات الغير متكافئة. انظر ماك (١٩٧٥: ١٨٨-١٨٩).

بينما تخســـر في أوقات أخرى , أو قد "تنتصـــر" ولكن بكلفة بعيدة كل البعد عن تخميناتهم الأولية.

ومن ناحية ثانية، فإذا كانت النظم المســتبدة تحارب بشــكل أفضــل من النظم الديمقراطية, وإذا كان عدد الأطراف القوية المستبدة أقل بمرور الوقت, فإن هذا التفسير قد يشرح كل من حقيقة هزيمة الأطراف القوية (الأطراف القوية الديمقراطية تخســـر النزاعات الغير متكافئة) و الاتجاه بأنه (أطراف مستبدة قاسية أقل تعني انتصارات أقل للأطراف القوية).

وهنا، اعتبر أن الأنظمة المستبدة معرّفة بعدة سمات رئيسية:

أولاً: السـلطة لصـنع السـياسـة المحلية والخارجية مقيدة بشـخص واحد أو بمجموعة صـغيرة من الأشخاص.

ثانياً: الأنظمة المستبدة تحافظ على التحكم بشـكل صـارم على حصـول العامة على المعلومات حول تبعات السياسات المحلية والخارجية.

وأخيراً: محاولات العامة لانتقاد أو تغيير السياسـات المحلية أو الخارجية غالباً يُعاقب بطرق مختلفة مثل الموت, التعذيب أو السجن لفترات غير محددة.

نظرياً، لدى هذه السمات أربع تطبيقات مهمة لفعالية خوض الحروب:

الأولى: الأنظمة المســـتبدة يجب أن تكون قادرة على تحريك الموارد بشـــكل أكثر فاعلية من الأنظمة الديمقراطية لأنها تتحكم بفهم العامة لشرعية الحرب, وكيف يتم خوضها من قبل الطرفان والنتائج من معارك محددة.

الثانية: على أرض المعركة، تكون الأنظمة المســـتبدة قادرة على أن تجبر جنودها على القتال وذلك عبر تهديدهم بالإعدام بتهمة "الجبن" و "الخيانة".

حيث أن " الجبن " معرف على أنه أي تردد من إشغال العدو دون العبء بالظروف الموضوعية.

الثالثة: الجنود المستبدين قد لا يتقيدوا بقوانين الحرب فيما يتعلق بالجنود الغير معنيين بالنزاع أو أسرى حرب أو مدنيين في مناطق الصدام. وبدلاً من أن يكون عليهم توفير الطعام و المعونة الطبية لجند العدو المأسورين، على سبيل المثال, قد يتم إعطاء الأمر لجنود الأنظمة المستبدة بقتلهم, و بهذا يتم المحافظة على الموارد.

وأخيراً: فقلّة المسؤولية اتجاه العامة التي تتحمل التكلفة قد تسمح للأنظمة المستبدة للمحافظة على عدد مصابي و قتلى الصراع في السعي لتحقيق أهداف عسكرية أعلى من التي تستطيع فعله الأنظمة الديمقراطية. وفي قضية عادلة بديهياً, فإن التصرف العادل للجنود الجريئين بغض النظر عن قوانين الحرب واللاحساسية حيال أعداد المصابين التي تجعل الأنظمة المستبدة أكثر فاعلية في المعارك من الأنظمة الديمقراطية.

إذاً فالنزعة نحو زيادة هزائم الأطراف القوية يجب أن يفسر بانخفاض المشاركة من الأطراف القوية المستبدة في النزاعات الغير متكافئة.

وهذا يبدو مقنعاً مبدئياً: فالحل التقدمي للدول المستبدة بعد عام ١٩١٨ كما في (النمسا – هنغاريا, الإمبراطورية الروسية, الإمبراطورية العثمانية) وبعد ١٩٤٥ (الرايخ الثالث, إيطاليا الفاشية, و إمبراطورية اليابان), وبعد عام ١٩٩١ (الإتحاد السوفييتي) توحي بأن عدداً أقل من الأطراف القوية المستبدة كانت مشتركة في نزاعات غير متكافئة.

مشاكل الجدال:

ولكن يوجد هناك عدد من المشاكل في كل من المنطق في حجة طبيعة- الطرف والدليل المستخدم لدعم هذا المنطق:

– **أولاً**: لكونه, وحتى افتراض أنه يوجد اختلافات حقيقية في مقدرات كل من الأطراف المستبدة و الأطراف الديمقراطية في الحرب, فلماذا إذاً نفترض على أن نوع النظام هو الذي

يبقى مستمراً في الحرب؟ حيث تصبح معظم الأنظمة الديمقراطية محافظة أكثر في زمن الحرب, وتحد من العديد من الحريات المدنية والتي تحددها كدولة ديمقراطية (أي يفكر بالحالة الأكثر شهرة بقدر اليابانيين الأمريكيين في الولايات المتحدة بعد كانون الأول ١٩٤١).

في حين قد تصبح الأنظمة المستبدة أكثر تحرراً بسبب الضغط, ويُعتبر إعادة تأهيل "ستالين" للكنيسة الأرثوذوكسية خلال الحرب العالمية الثانية مثالاً كلاسيكياً على ذلك.

لا يحتاج التهديد لأن يكون موجوداً للحصول على هذا التأثير: فالولايات المتحدة تجاوزت القانون الوطني الأميركي – والذي سمح بحرية أعظم للولايات بالتدخل بشؤون مواطنيها الخاصة – وذلك بعد الصحوة على وقع هجمات تنظيم القاعدة في الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١.

– **ثانياً**: تحكّم الأنظمة المستبدة بالمعلومات المتعلقة بعدالة الحرب التي تخدم فقط مصالح النظام الذي يرغب بخوض حرب كان ليعتبرها العامة غير عادلة لولا هذا التحكم. لذا فالجدال يفترض بشكل عام بأن العامة في الأنظمة المستبدة كانت لتعتبر أن حروب حكومتهم غير عادلة,

حينما لا توجد طريقة بديهية لمعرفة ما إذا كان هذا محتمل. علاوة على ذلك, فحتى افتراض تحرك الموارد الكامل,والرقابة الصارمة على المعلومات ضرورة لتحقيق هذه الكفاءة التي قد تفرض تقييدات قوية على الكمية الكلية للموارد المتوفرة للتحريك أولاً: الاقتصاديات الحاكمة في الأنظمة المستبدة تقليدياً تكون ذات سمعة سيئة فيما يتعلق بالكفاءة. وهذا هو الموضوع الأوحد في عدد من المقارنات مؤخراً بين الأنظمة المستبدة والديمقراطية في الحرب. وتبعاً لهذا المنطق المعقول جداً, فإن الدول الديمقراطية – باعتبار أن كل الأشياء الأخرى متساوية – ستكون نسبياً أكثر فاعلية في خوض وكسب الحروب من الأنظمة المستبدة[(١)].

---

(١) انظر ليك (١٩٩٢), ريتر و ستام (١٩٩٨: ٢٥٩). و على الجدال المناقض بأن نوع لانظام لا يهم, انظر ديتش (٢٠٠٢).

يعتبر استخدام الإجراءات القسرية المتطرفة لتحفيز الجنود أمراً منطقياً محتملاً. فالأنظمة التي تلجأ لهذه الطرق قد تحقق فائدة تكتيكية في الظروف النادرة, ولكن هكذا نظام قد يحفز الجنود فقط لأن ينفذوا أعمالاً يعلمون مســـبقاً أنها مكلفة جداً أو حتى عقيمة. أما بالنســـبة للجنود غير الملتزمين فإن هذا قد يشـــير إلى أن قادتهم لا يهتمون إطلاقا بحياتهم, وهذا بالنهاية يقلل من فعاليتهم في القتال.

وهكذا فقد يفر الجنود في أي فرصة سانحة ويتوقفوا عن العمل من دون التهديد بعقوبات قاسية. وقد يلجئوا حتى إلى قتل قادتهم. وهكذا فإن الأذى المنظم للجنود الغير مقاتلين — إســـتراتيجية مشار لها هنا بالبربرية – أيضاً لها عوائق. ولشيء واحد وهو أنه من الصعب فعلياً قتل السجناء أو الجنود الغير مقاتلين من دون أن يعلم المعارضـون بالأمر. وبمجرد أن يفعلوا ذلك, فسـيقاتلون بشـكل أقوى, ليتجنبوا الاسـتسـلام مهما كانت الكلفة (هم أيضـاً قد يبدؤون بأعمال انتقامية نوعية).

وهنا تبرز مشكلة أخرى وهي اللجوء الدائم إلى أن البربرية تخرب الجنود للقيام بالمهام التقليدية(١) وهنا يسـجل "ريتشـارد رودز" الشـكوى من قبل قائد المناطق الشـرقية "جوهانز بلاسـكويتز" من "الزيادات" في "إنساتزغروبن" "لهنريتش هيملر" في "بولندا" في مذكرة للقائد الأعلى:

"إنه من المضلل كلياً أن يتم ذبح عشرات الآلاف من اليهود والبولنديين كما يحصل الآن, لأجل

(١) انظر, مثلاً, ستانيسلاس آندريسكي, الذي يجادل بأن أميركا اللاتينية كان لديها بعض الحروب الداخلية بسبب أن دولها لديها جنود مختصين بالظلم الداخلي (من تعذيب و قتل و اغتصاب و هكذا) (آندريسكي, ١٩٦٨). المنطق هو نفسه: الجنود المستخدمين لممارسة البربرية سوف يكونون غير فعالين كجنود القتال النظاميين و يضعون الدولة التي تواجه التخديد من قبل دولة تستخدم جنود قتال نظاميين تحت خطورة متزايدة. هذا المنطق مدعوم بدراسة عن التفكك العسكري من قبل بروس واطسون الذي يجادل بأنه عندما, على سبيل المثال, قامت فصيلة من الجيش الأميركي قسم المشاة العشرين بقتل مدنيين في قرية مي لاي في ١٩٦٨, لم يكونوا يتصرفون كجنود, و لكن كعصابات عنيفة. انظر واطسن (١٩٩٧: ١٥١).

هذا سوف لن تحطم فكرة دولة "بولندية" في عيون مجموعة السكان ولن تتخلص من اليهود"..

وهكذا، فإن الضرر الأسوأ المؤثر على الألمان، والذي قد تشكل كنتيجة للظروف الحالية, على كل, هو الوحشية الهائلة والفساد الأخلاقي الذي ينتشر بسرعة بين القوة البشرية الألمانية الثمينة كوباء. (روديس, ٢٠٠٢: ٩-١٠) وهذا هو السبب في أن الأنظمة المستبدة التي تلجأ إلى هذه الإستراتيجية بشكل ثابت تقريباً تطور جيوش "قوى خاصة" أو "الجنود المظليين" ليقوموا بالعمل حتى من دون "الإنساتزغرابن" وقد كان قلق "هلمر" أن بعض الممارسات مثل القتل غير المسموح من قبل وحدات "الإس إس" الخاصة

(المكلفة بوظائف أخرى) قد تخرب الانضباط، وهكذا سيكون تأثير المهمة مختلفاً (رودس,٢٠٠٢).

وأخيراً، فإن نسبة الخسائر والإصابات البشرية في القتال المقبولة لقيمة الأهداف العسكرية يجب أن تعتمد منطقياً على أعداد المقاتلين النسبية, وليس نوع نظامهم؛ فنظام مستبد صغير لم يكن ليكسب الحرب عبر بيع حياة جنوده بشكل رخيص من أجل أهداف أي نوع نظام آخر كان ليهتم بها بشكل أقل. وعلى جانب البرهان, الجدال المتعلق بطبيعة الطرف من الصعب دعمه في صيغته العامة لأن الأنظمة المستبدة لا تكسب الحروب بشكل أكثر من الأنظمة الديمقراطية. هذا يبدو أنه يحد من قوة هذا التفسير لحساب النتائج الغير متوقعة للنزاعات الغير متكافئة. إجمالاً, على الرغم من أن الجدال المتعلق بطبيعة الطرف قد يقدم نظرة مهمة في أسباب فشل الطرف القوي. لوحده من غير المحتمل لأن يعتبر كتفسير عام معقول للأسباب التي تجعل الأطراف القوية تخسر في النزاعات الغير متكافئة.

انتشار الأسلحة

هناك تفسير ثانٍ لفشل الطرف القوي يبدأ بملاحظة النزعة التي تصاعدت بعد الحرب العالمية الثانية. فخلال الحرب, جاهدت قوات الحلفاء وقوات المحور (ألمانيا و إيطاليا واليابان) لكي يهزم

كل واحد منها الآخر في دول العالم النامية. وعبر آسيا و أفريقيا بالتحديد كلا الطرفين المتحاربين قام بشـــحن وتخزين وتوزيع أســـلحة متطورة صـــغيرة الحجم نوعاً ما بالإضـــافة إلى الذخائر التي تشـــمل: البنادق النصـــف آلية ومدافع الهاون المحمولة والقنابل اليدوية والمدافع الآلية. أما في فترة بعد الحرب: فقد بقيت هذه الأســـلحة في دول العالم النامي مع عددٍ جدير بالاعتبار من الجنود الأصـــليين الخبراء في اســـتخدامها بالطريقة الفعالة. كمثال متضـــمن وعندما عادت القوات الاستعمارية إلى مستعمراتها السابقة بعد الحرب, فإنها قد وُوجِهت بشراسة من قبل هؤلاء الجنود ذوو التدريب الجيد والجنود المسلحين (١). لذا فإن التأثير الصافي كان زيادة في تكاليف الإخضاع والاحتلال مقارنة بالمكاســـب المتوقعة وعوامل قوية أخرى لخســـارة الحرب مقارنة بعوامل ضـــعيفة لمجرد أن القوات الاستعمارية فشلت في توقع هذه التكاليف الضخمة.

لذلك, فإن منطق مناقشـــة نشـــر الأســـلحة هو أن تكنولوجيا التســـليح تعادل القوة والســـيادة, وكنتيجة لهذه الحقيقة: فالعوامل " الضعيفة " لم تكن بمقدار الضعف المتوقع. كما صاغها "إليوت كوهين":

"إن التزايد الضـــخم في كمية ونوع الأســـلحة الموجودة في أيدي أمم العالم الثالث متزامنة مع الكفاءة التنظيمية المتنامية في التعامل مع مثل هذه الأســـلحة , تحول العديد من القوات المتكافئة لتصبح أكثر تكافؤاً عن ذي قبل ." (كتاب كوهين, ١٩٨٤ ص ١٦٢) والدليل التجريبي يظهر ليدعم هذا المنطق لأن الارتفاع الحاد في العوامل القوية يفشل في الصراعات التضادية و المتعلقة

---

(١) أمثلة تتضـــمن الهاكابلاهب عند الفيليبينيين و شـــيوعيي مالايان في مالايا. لحســـاب تمرد عند الهاكابلاهب في الفيليبين من المنظور المتمرد, انظر بوميري (١٩٦٤). لحســـاب طوارئ المانية و الرد البريطاني لها, انظر طومبســـون (١٩٦٦), ستابس (١٩٨٩) ورماكريشنا (٢٠٠٢).

بالزيادة في كميات الأسلحة الصغيرة في الدول النامية في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية.[١].

بعض الإشكالات التي تتعلق بهذا الجدال:

هناك ثلاث إشكالات في تفسير منطق نشر الأسلحة:

- أولاً: الجدل حيث يفترض أن تكاليف الإخضاع أو الاحتلال قد ارتفعت بشكل نسبي إلى المكاسب أو المنافع المحققة, أو أن المكاسب بقيت ثابتة.
- ثانياً: إن تملك تكنولوجيا سلاح ما لا تضمن بأي طريقة تعزيز الفعالية الحربية.[٢]
- ثالثاً: حتى أن افتراض تعزيز الفعالية الحربية بطريقة يمكن نسبها فقط لنشر الأسلحة من خلال الارتفاع المطلق في فعاليتها قد يكون واحداً مما قد يتفوق على التكنولوجيا المتعلقة بمقدرة العوامل القوية.

إن الحرب الباردة التي بدأت بسرعة بعد ختام الحرب العالمية الثانية في دول أوروبا المتغيرة والحاملة في ذهنها للقيمة أو المكاسب الإحتلالية لدول العالم النامية, خصوصاً بعد غزو كوريا الجنوبية من قبل كوريا الشمالية في ١٩٥٠, فهنا قد هيمن على حسابات الدول القوية للمنافع فهم جديد للروابط بين القيم.

وفي سياق إستراتيجية الولايات المتحدة الجديدة تجاه الاحتواء الاشتراكي, فإن منطق الهيمنة يمكن أن يحول داخلياً دولة قليلة القيمة (مثل كوريا الشمالية في ذلك الوقت) إلى مصلحة أمنية

---

(١) لمعالجة شاملة و حديثة للعلاقة بين السلاح, نقل السلاح و نتائج النزاع. انظر كرافت (١٩٩٩: ٩٢-٩٣), وخصوصاً الصفحة ١٢١. كرافت يلخص بسرعة فرضيات على العلاقات المقترحة بين الأسلحة و النتائج, و القيام بتحليل إحصائي متطور عليها. يتضمن ذلك عند كرافت " نقل السلاح الذي يحصل خلال حرب ما, لا يمكن أن يتنبأ بنتائج الحرب (المنتصرين, الفترة الزمنية, أو الخسائر و الإصابات البشرية) لأي أهمية إحصائية مقبولة عامة " (كرافت, ١٩٩٩:١٢١).

(٢) هذا قد يفسر الاستنتاج التجريبي المميز, بأن الوفرة المتزايدة من السلاح لدى طرف ما يزيد من احتمالية هزيمته في الحرب (كرافت , ١٩٩٩: ٧٣).

حيوية للولايات المتحدة. ونفس المنطق كان بالنسبة للإتحاد السوفييتي, لذلك، فحتى لو أن التكاليف الكلية للاحتلال أو السيطرة أو لضمان الاستقرار في دول نائية من الدول النامية كان يتصاعد فكذلك كانت الأرباح المتوقعة.

لاشك في أن تكنولوجيا التسليح يمكن أن تزيد من فعالية الصراع العسكري. ولكن منطقياً يمكن أيضاً أن تضعفه.

إن العديد من الاختراعات العسكرية التقنية الأساسية و المتراوحة ما بين المدفع الرشاش وصولاً إلى الدبابة, قد قللت الفعالية الحربية, حتى تم الدمج الصحيح بين الإستراتيجية والتقنية عندها فقط يكون استعمالها الفعال قد بدأ بالظهور.(١) وذلك هو السبب في ملاحظة "كوهين" سابقاً, لأنه كان حريصاً على تحديد أن " الكفاءة التنظيمية المتنامية في التعامل مع مثل هذه الأسلحة " هي عنصر أساسي لأي أمل في تعزيز الفعالية العسكرية.

وأكثر من ذلك، فإنه ليس هنالك من سبب لافتراض أن أنظمة التسليح المدمجة بقوة مع المبدأ و التدريب والتكتيك والإستراتيجية لأي من القوى الصناعية يمكن أن نشبهها بالأعمال العسكرية الظاهرة من خلال السياقات التاريخية والجغرافية و الاجتماعية.(٢).

---

(١) مينشيمر على سبيل المثال يلاحظ أن نظريته تطبق فقط على حرب ذات نطاق مسلح واسع, ولهذا فقط للدول التي جغرافيتها تخدم هكذا حروب (لا يوجد أي محاولة لقياس التوزع في منطقة كهذه كنسبة من الكل)

(انظر مينشيمر, ١٩٨٣: ١٥). و هكذا التقنية نفسها (و المذهب المرتبط بها) و التي تسمح للدول لأن تحقق نتائج حاسمة في مجموعة جغرافية واحدة, قد يثبت أنه بلا فائدة بالنسبة لدول أخرى. (على هذه النقطة, انظر أيضا بوسين, ٢٠٠٣).

(٢) العوامل الثقافية قد تعيق تبني التقنيات الغير أصيلة. روزن لاحظ أنه بعد الحرب العالمية الثانية, رجال الأعمال اليابانيين حاولوا أن يضاعفوا من نجاح الصناعة الأميركية عبر تبني لكثير من ممارسات الأعمال التجارية, فقط ليتم تركهم بسبب اختلاف الثقافة (انظر روزن ١٦:١٩٩٥) . أخيرا, يجادل كريس باركر بأنه ليست كل الدول الضعيفة ناجحة بتساوي فيما يتعلق باستيعاب التكنولوجيا العسكرية الغير أصلية, إلى درجة أن الاستيعاب و الفعالية العسكرية هي نفس الشيء (أو على الأقل القيام بالتغطية) و من ثم أي شيء يعيق الاستيعاب يجب أن يعيق التأثير و الفاعلية (باركر, ١٩٩٩).

هنالك خطر على وجه الخصـــوص وهو أن امتلاك تكنولوجيا تســـليحية غير مســـبوقة أو غير معروفة يمكن أن يأتي بنقلة سـابقة لأوانها أو غير مناسـبة في الإسـتراتيجية بالإضـافة إلى نتائجها الكارثية.[1]

وفي نهاية كتاب "حكم الناس العاديين" "Command of the Commons" يظهر المؤلف "باري بوزين" على أنه حتى الأشـــياء الأكثر اتحاداً في المبدأ والتكنولوجيا والتكتيك يمكن أن تؤدي إلى ميزات غير منتجة, على ســـبيل المثال: الولايات المتحدة – فهي ليســـت الدولة الوحيدة بين الدول العظمى المتطورة في مثل هذا المجال– فإنها تعد بشـــكل خاص قوية في مجال رفع القوة النارية وأسـاليب المناورات العسـكرية، وكما أنها تحوز على الأفضـلية في حرب المناطق المفتوحة, ولكنها تكون أضـعف في حروب المناطق المغلقة وبشـكل خاص في مناوشـات المناطق المدنية (كتاب بوســين طبعة ٢٠٠٣). ولكن حتى الافتراض أن انتشـــار الأســـلحة قد رفع من القدرات المطلقة للقوات المسلحة في دول العالم الثالث, قد يكون من الأشياء الصعب مناقشتها أو إثباتها نسبياً مقارنة بالتطور الكبير الذي حافظت عليه الدول الصناعية الكبرى.

قد تكون العناصر الضعيفة قد ملكت أسلحة مدمرة قوية نوعاً ما, ولكن العناصر العالمية القوية تملك حوامات حربية وأجهزة الرؤية الليلية ومقدرات اتصال متطورة جداً.

وباختصـار، فإن انتشـار الأسـلحة يوفر بشـكل واضـح شـرحاً جذرياُ للنزعة تجاه زيادة حالات الفشل عند القوى العاملة القوية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.

---

(١) عادة, تسعى الأطراف إلى تسهيل استراتيجيتها المتبناة. وعندما يحصل العكس, فإن كارثة قد تنتج عن حدوثه (انظر اي.حي. جونسون, ١٩٧٣: ٥٠, و كارناو, ١٩٨٣: ١٨٢,٦١٠).وربما يحذر أكثر فلاسفة القرن شهرة فيما يتعلق بحروب العصابات حذر ضد تصاعد قبل أوانه لمواجهة تقليدية, و معارضيه, شيء قد أصبح يدعوه "المليشياوية "Guerrillaism" (البقاء على الدفاع الإستراتيجي لفترة طويلة) (انظر هاميلتون, ١٩٩٨: ٢٨, و باريت و شاي, ١٩٦٢: ٣٥).

إنها فعلاً ضعيفة عندما تعتمد على أن تشرح النتائج الغير متوقعة.

وهكذا، فإن انتشار الأسلحة بحد ذاته سوف لن يشكل شرحاً عاماً صحيحاً لتفسير نتائج الاشتباكات الغير متساوية.

اختلاف المصالح :

هنالك تفسير ثالث لفشل الأطراف القوية في الصراعات اللامتساوية قدمه "أندرو جي آر ماكس".

وهنا يمكن تحليل تفسير ماكس لكيفية أن الدول الضعيفة قد فازت بالحرب من خلال تكوينها من ثلاث عناصر:

١- القوى النسبية تفسر مصالح نسبية.

٢- المصالح النسبية تفسر مدى ضعف الأنظمة السياسية النسبي.

٣- مدى ضعف الأنظمة السياسية النسبي يشرح لماذا خسرت القوى العظمى.

لذا، فتبعاً لمنطق هذه المناقشة: سيكون لدى القوى العظمى منفعة أقل في نتيجة المعركة, لأن نجاتها ليست على المحك, بينما القوى الضعيفة لديها مصلحة عظمى في نتيجة المعركة لأن نجاتها على هي التي المحك, "كتاب سنايدر آند دايزنج طبعة ١٩٧٧, ماك ١٩٧٥ ص. ١٨١ "

يقدم "ماك" المصطلح لمدى ضعف الأنظمة السياسية لكي يصف احتمالية أن القادة في الأنظمة الديمقراطية أو طبقة النخبة المتنافسة في الأنظمة الديكتاتورية سوف تقدم بالقوة قائداً قوياً لكي توقف الحرب قبل أن تحقق مبتغياتها المبدئية "كتاب ماك ١٩٧٧ ص.١٨٠-١٨٢".

إن ضعف مصلحة الدول العظمى تتضمن مدى ضعف الأنظمة السياسية, و عظمة مصلحة الدول الصغرى تتضمن مدى ضعف احتمالات سقوطها. يجادل "ماك" أن أسباب الضعف

هذه عند القوى العظمى تفسر لماذا خسرت هذه القوى العظمى أمام الدول الصغرى (ماك ١٩٧٥ ص.١٩٤-١٩٥) إن التماطل والتداعيات في ميدان الحرب سوف يشجع في النهاية العوام القلق أو النخبة الجشعة لكي تجبر القوى العظمى على مغادرة المعركة. لذا فإن مناقشة "ماك" تقلل إلى حد الإدعاء أن القوى النسبية تفسر سبب خسارة القوى العظمى في الحروب اللا متكافئة.

إن الحروب اللا متكافئة تفسر سبب المصالح اللا متكافئة (القوى العظمى تفسر المصلحة الضئيلة) والتي تتنوع بشكل كبير مع النتائج (مدى الضعف الكبير يعادل الاحتمالية الضعيفة للنصر) إن اختلاف المصالح يمثل الميكانيكية السببية الأساسية وإن مناقشة "ماك" في هذا الصدد تمثل نظرية المصالح اللا متساوية. كما أن "ماك" يطبق هذا المنطق على حالة الولايات المتحدة عندما تدخلت في فيتنام حيث أنها أبدت شرحاً قوياً على أن نتائج الحرب اللا متوقعة كما يقول "ماك" قد أظهرت السبب في خسارتها لأن لديها قليل لتخسره مقارنة بفيتنام الشمالية. إن الولايات المتحدة على طول الزمان قد فشلت في إجبار فيتنام الشمالية وقد أجبرت نهاية من قبل الشعب الأمريكي الغاضب والمحبط على ان تنسحب قبل أن تنجز هدفها السياسي الأساسي وهو : فيتنام جنوبية غير شيوعية مستقلة و فعالة.

إشكالات تتعلق بهذا الجدال:

إن أطروحة المصالح المختلفة لها على الأقل ثلاثة نقاط ضعف:

- **أولاً**: القوة النسبية هي مؤشر ضعيف للمصالح النسبية أو الحل بالسلم أو الحرب. ففي وقت السلم, قد تتصرف دولة قوية وكأن نجاتها على المحك بينما هي ليست كذلك. فالدولة وقادتها و مواطنيها يتخيلون أنها سيكونون "القادة في العالم الحر", وعلى سبيل المثال, قد تحسب ذلك عقلانيا. على الرغم من أن هزيمة حليف في حرب أهلية بعيدة قد يكون مادياً غير مهم,

- على بقاءها كقائدة للعالم الحر يعتمد على النتائج المناسـبة. وهذه الحسـابات هي غالباً تكونون مكثفة بمنطق "الدومينو".

ومن حيث أن تسلسلات المصالح التي لا قيمة لها بشكل منفرد متصلة بحيث خسارة تراكمها تشكل تهديدا ماديا لبقائها.فكلا من بقاء الهوية و علاقات" الدومينو" على سبيل المثال,أثرت بقرار الولايات المتحدة للتدخل في الحرب الأهلية في فيتنام[١] في وقت الحرب و بمجرد أن تتدخل الأطراف القوية في صراع- حتى لو تم الاعتراف بأنها مبدئيا خارجة عن مصالحهم. وهذا كان صحيحاً في حسابات السوفييت في أفغانستان و كما في حسابات الولايات المتحدة في فيتنام (٢).

- ثانياً: إن ضعف العملية السياسية, و التي استخدمها "ماك" لتفسير انتصار الأطراف الضعيفة, تفترض مساحة للوقت, فجدال "ماك" يفترض بدلاً من أن يشرح مقدرة الطرف الضعيف لتجنب الهزيمة و يفرض التكلفة على الخصم القوي. وهذا يدعونا للتساؤل : لماذا تنتهي بعض النزاعات غير المتكافئة بسرعة بينما تطول أخرى .
- ثالثاً: إذا كانت أطروحة اختلاف المصالح صحيحة, فيجب أن يكون هناك قليل أو لا يكون أي تفاوت مع مرور الوقت في توزع نتائج النزاعات غير المتكافئة عندما تكون القوة النسبية محمولة بشكل ثابت, حيث الأطراف الضعيفة ينتصرون في النزاعات غير المتكافئة وبشكل متزايد في المجمل, كما في أطروحة "ماك" لاختلاف المصالح ليست خطأ بقدر ما هي غير مكتملة. وأكثر ضعفها يكون حينما يتم تفسير فشل الأطراف القوية كناتج للضعف السياسي.

---

(١) انظر, على سبيل المثال, هيرينغ (١٩٨٦: ٧٠) و كارنو (١٩٨٣: ١٦٩- ١٧٠,٣٧٣-٣٧٧-٣٧٨,٣٩٩,٤٢٣).

(٢) على حسابات السوفييت في أفغانستان , انظر ماغنوس و نابي (١٩٩٨: ٢٢٢).

الحساسية الاجتماعية الديمقراطية:

هناك أطروحة مغايرة لأطروحة طبيعة الطرف وهي تستحق مناقشة موجزة بحد ذاتها هو أنه في نوع محدد من النزاعات غير المتكافئة, والحروب الصغيرة, ونوع النظام يهم كثيراً لتشكيل شرح عام قوي لكل من التوجه و هزيمة الطرف القوي. وفي "كيف تخسر الديمقراطيات الحروب الصغيرة فإن "جيل ميرون" يجادل أنه جوهرياً, لا تستطيع الأطراف الديمقراطية القوية كسب الحروب الصغيرة لأن الدول مقيدة بالمجتمع لتجنب التضحية –كلا في صيغة الثابت أو الخسائر والإصابات البشرية الواقعة – اللازمة للكسب:

أما أطروحتي، فهي أن الديمقراطيات تفشل في الحروب الصغيرة لأنها تجد أنه من الصعوبة بمكان تصعيد درجة العنف و الوحشية إلى أن يصبح بالإمكان تأمين النصر. وهي مقيدة بالبنية الاجتماعية الداخلية و بالتحديد بمذاهب بعض أكثر مواطنيهم تحدثاً. أما في دول أخرى ليست عرضة لخسارة الحروب الصغيرة. وعندما يفشلون في هكذا حروب،يكون غالباً لأسباب واقعية(ميروم,٢٠٠٣).[1] .

ولكن "ميروم" يضيف أنه : "جوهريا ما يمنع الديمقراطيات الحديثة من كسب الحروب الصغيرة هو الخلاف بين الدولة و مجتمعها حول الوسيلة و قضايا الأخلاق التي تهم الحياة الإنسانية و الكرامة و"تحقيق توازن معين بين... الجاهزية لتحمل كلفة الحرب و الجاهزية لانتزاع عدد خسائر مؤلم من الآخرين هو شرط مسبق للنجاح في الحرب" (ميروم, ٢٠٠٣: ١٩)

---

(١) يدرك ماك هذا الضعف و يقترح أن استراتيجية القتال الفدائي (Guerrilla) تشرح المدة الأطول للنزاعات الغير متكافئة. (ماك, ١٩٧٥: ١٩٥). و لكن هذا الجدال يعادني من مشكلتين :

(أ) الأطراف الضعيفة لا تدافع دوماً مع حروب العصابات (هذا يحد من عمومية نظرية ماك), و (ب) بعض المدافعين باستخدام إستراتيجية القتال الفدائي (Guerrilla) يهزمون بسرعة (هذا يحد من القدرة التوضيحية لنظريته).

يخفض الجدال إلى الافتراض بأنه في الحروب الصغيرة, عدم الحساسية للخسائر الصديقة والإرادة لتضخيم العنف ضد المعارضة ضرورية للنصر, و الديمقراطيات الحديثة مقيدة بنيويا في كل من التصنيفين. العلاقة المحددة بين المجتمع و الدولة تجعل الأطراف القوية الديمقراطية أيضا شديدة الحساسية لكسب الحروب الصغيرة.

إشكالات تتعلق بالجدال:

كما في أطروحة اختلاف المصالح, فهذه الأطروحة معقولة ومدعومة بعناية وبأدلة هي حالات تاريخية. و لكنها ككل, تعاني من معظم جميع المشاكل كأطروحة طبيعة الطرف. وهناك أيضاً ثلاث إشكاليات إضافية:

- أولاً : مثل "ماك, ميروم" يحد من كونه توضيحياً. ويحد نفسه بالنزاعات غير المتكافئة بين الأطراف و التي فيها يطبق الطرف الضعيف دائماً إستراتيجية حرب العصابات. حيث يذهب "ميروم" أبعد من ذلك: النزاعات غير المتكافئة التي يكون فيها الطرف القوي دائما ديمقراطي, في حين يستخدم الطرف الضعيف في الحروب الصغيرة دائماً إستراتيجية حرب العصابات. يتبع "ميروم" أيضاً "ماك" في الإدعاء أنه بالنسبة للأطراف القوية الديمقراطية فإن الحروب الصغيرة هي بديهيا غير وجودية(ميروم,٢٠٠٣: ٢١)

قد يبدو هذا صحيحاً بموضوعية خصوصاً في الإدراك المتأخر. ولكن بالكاد يمكن لشخص أن يفكر بمثال حيث بدأت فيها الدولة الديمقراطية حرباً صغيرة لم تطلبها (و لا زعمائها أو مواطنيها في بعض الاعتقادات الواقعية) كانت لها الأهمية الحيوية لبقائها, و لو عن طريق منطق "الدومينو".

وهذا بنفسه ليس متطلباً لهذا الحد أبداً لكل من الأطروحتين, لأن كلا النوعين من النزاعات غير المتكافئة تستمر لأن تبقى مشاكل مهمة في السياسات الخارجية لكل من الأطراف القوية و الضعيفة. و لكن لجدال الحساسية الاجتماعية الديمقراطية, فثمة إشكالاً ثانياً هو أنه لدينا أمثلة مهمة عن أطراف ديمقراطية قوية بدأت استراتيجيات وحشية و مازالت تخسر حروباً صغيرة. (كالفرنسيين في إندوتشينا, (١٩٥٤- ١٩٦٤) والولايات المتحدة في فيتنام (١٩٦٥- ١٩٧٥) وأيضاً تفعل الأنظمة المستبدة نفس الشيء، و تخسر الحروب الصغيرة (مثل النازيين في يوغوسلافيا, ١٩٤٣, والإتحاد السوفييتي في أفغانستان, ١٩٧٩-١٩٨٩). وتوجه الأمثلة عن النظم المستبدة انتباهنا إلى مشكلة ثالثة في جدال "ميروم" وهي أنها توحي بأن آلية النجاح في الحروب الصغيرة تنخفض إلى النية لاستهداف غير المعنيين بالنزاع [١] من جهة العدو بشكل متعمد ومنظم. ومجدداً فإن النجاح المؤرخ باستخدام هذه الإستراتيجية مختلف في أفضل الأحوال. في حين أن "ميروم" يخطئ بافتراض أنه – و بسبب الطرف القوي- يحمل قسوة احتياطية إضافية, وتصرفاته على أرض المعركة قد تبقى توصف بأنها معاقة. وعندما يترك الطرف القوي أرض المعركة تصبح الإعاقة القوة الاعتيادية. [٢] كما أن هناك شيئاً آخر عن هذا الجدال: بحثي

(١) إنها أيضاً تضع الكثير من وزن الأسباب على أكتاف الأطراف القوية. ماذا إذا كان الإدعاء من قبل الضعفاء أنهم ينوون المقاومة حتى الموت كان أكثر من مجرد حملة دعائية؟ إلى حد أن حلول كهذه – ممثلة بالفيتناميين الجنوبيين خلال حروبهم مع فرنسا و الولايات المتحدة في إندوتشينا- حقيقية, ها يضع الأطراف القوية في مواضع إما بأنها يجب أن تلجأ للإبادة البشرية, أو الانسحاب. من المنطقي أكثر في هكذا حالات أن تبدو على الأقل معتنية بالعوامل في الطرف الأضعف كما هي في الأقوى.

(٢) من غير المحتمل أن يكون ميرون لوحده هنا. فثمة مثال يركز على حالة تدخل الولايات المتحدة في فيتنام هي "أسطورة الهزيمة الحتمية للولايات المتحدة في فيتنام" ل س. ديل واطسون, و التي يجادل بها واطسن أنه لو كانت الولايات المتحدة أقل تقيداً و معوقات كانت لتكسب (والطون ٢٠٠٥: ٥) المشكلة بهذا الجدال وهو نفسه نقطة ضعف في جدال ميروم. أنها تتجاهل عن عمد معوقات الطرف التي لا علاقة لها بضغط المجتمع الحضاري (مثل "لنفعل كل ما نستطيع من دون البدء بحرب عالمية أخرى").

الخاص يقترح أنه في وحشية فترة بعد الحرب العالمية الثانية كانت الإستراتيجية معقولة في كسب حروب صغيرة و لكن في خسارة تبعات السلام.

و لكن يبدو أن "ميروم" يحكم إمكانية أن تحمل الأطراف القوية الديمقراطية قسـوة في الاحتياط ليس لأن مجتمعاتهم تعيقهم و لكن لأنهم يشعرون بشكل صحيح بأن الاستخدام المفيد لمزيد من القسـوة قد تكون إما هامشـية أو حتى سـلبية [1] أكثر من ذلك الدول الديمقراطية التي تواجد التمرد تملك خياراً آخر بجانب تصـعيد القسـوة (البربرية)- خيار كان تاريخياً ناجحاً و من المصالحات النادرة. فقد اختبرت بريطانيا النجاح بخيارها في طوارئ "مالاين" في ١٩٤٨, وحيث دعمت الولايات المتحدة بنجاح جهود إعادة تشـكيل "الماغسـاسـاي" الروماني لتجاوز "الهكابلاهاب" في "الفلبين" في عام ١٩٥٢.

ثمة إشـكال أخير في جدلية الحسـاسـية الاجتماعية الديمقراطية وهي أنها ليسـت مختبرة بشـكل جيد. فتحليل "ميروم" يجمع بمهارة التهديدات النظرية التهديدات السـياسـية و تهديدات نظرية اللعبة لتشـرح ما افترضـه "ماك" على سبيل المثال : الأطراف القوية الديمقراطية معرضـة سياسـياً للانتكاس في ساحة المعركة .

و لكن تحليل "ميروم" يتجاهل نسـب نجاح و فشـل الدول المستبدة والدول الأقل معوقات من قبل:

---

(١) هذا الجدال يعود إلى أول الحروب الصـغيرة في العصـر الحديث –بالفعل الحرب من المصـطلح بحد ذاته, حرب العصـابات, ناتج. قوى نابليون بونابرت في إسـبانيا قد تم مضـايقتهم و هوجموا من قبل محاربي العصـابات الأسـبان من ١٨٠٧ إلى ١٨١٤ و ردوا على هذه الهجمات بردود انتقامية قاسـية تضـمنت التعذيب, القتل الجماعي, الاغتصـاب والدمار الواسع للممتلكات و هذه بدت أنها لا تقوم إلا بتحريض مقاومة أكثر و خلق سلسلة من الردود الانتقامية التي لم تنتهي حتى غادر الفرنسـيون إسـبانيا في ١٨١٤. الصـلة بين الهمجية و المقاومة الاجتماعية المتزايدة و التي قبل إقناع الفرنسيين بفرنسا, وضع ولينغتون أكثر القيود صرامة على تصرف فرقه العسكرية في البلدات الفرنسية (انظر فريمونت-بارنز, ٢٠٠٣: ٥٣-٥٨, ٦٧, ٩٠)

١– استقلالية الدولة على المجتمع للقوى العسكرية.

٢– التفضيل العام للإجراءات اللا حربية من قبل المجتمع.

٣– أو عبر قدرة المجتمع عبر ممثلين مؤثرين على تغيير السياسة الخارجية أو الإستراتيجية الحربية.

وبوضع هذه المشاكل جانباً, فقد عبر "ميروم" عن الضعف السياسي للأطراف الصغيرة الديمقراطية, والتي تقدم شرحاً مفيداً عن لماذا تختار الدول الديمقراطية هذه الإستراتيجيات, و لما تتمسك بالإستراتيجيات الناجحة حتى بعد تلقيهم لمؤشرات واضحة بأن إستراتيجيتهم للنصر في الواقع فاشلة.

التفاعل الإستراتيجي

إن تفسيري الشخصي لنجاح الطرف الضعيف في الصراعات غير المتكافئة هو عام بشكل أكبر. وبرأيي فإنه رغم القوة النسبية, وطبيعة الفاعل, وانتشار الأسلحة, والمصالح غير المتناظرة, كل هذه لها أهمية, فإن أفضل توقع لنتيجة صراع غير متكافئ هو التفاعل الإستراتيجي. ووفق هذه الأطروحة فإن استخدام تفاعل الاستراتيجيات خلال أي صراع يتوقع نتيجة هذا الصراع أفضل من أي تفسيرات متنافسة.

إذا كان لنا أن نعتقد أن الإستراتيجيات هي معقدة لكن بنفس الوقت خطط عمل منفصلة بحيث تتضمن افتراضات عن قيم الأهداف والمبادئ القيادية والتكتيكية وقواعد الالتحام,فإن تفاعلات مختلفة ستولد منهجية مختلفة النتائج مستقلة عن القوة النسبية للعامل المشرك.

في الفصل الثاني، سأناقش أنه لأهداف نظرية بناء عالم مطبقي الاستراتيجيات الحقيقيين – فالحرب الخاطفة, الاستنزاف, عمق الدفاع, حرب العصابات, الإرهاب وما إلى ذلك– يمكن أن يقلص إلى منهجين مثاليين من الاستراتيجيات: مباشرة وغير مباشرة.

إن أطروحتي المركزية هي أنه عندما يقوم مطبقي الاستراتيجيات باستخدام مثل هذه المناهج (مباشرة- مباشرة, غير مباشرة – غير مباشرة) فإن القوة النسبية ستشرح النتيجة: المطبقين الأقوياء سينتصرون بسرعة وبشكل حاسم.

وعندما يقوم المطبقون باستخدام مناهج إستراتيجية معاكسة (مباشرة – غير مباشرة, غير مباشرة – مباشرة) فإن المطبقين الضعفاء هم أكثر ميلاً للفوز, حتى لو كان كل شي نعرفه عن القوة يقول العكس. وتفسيري للخيار الاستراتيجي والتركيز على مبدأ "كينيث والتز" للتنشئة الاجتماعية للدولة: وفي فكرة أن مطبقي الإستراتيجية يقلدون السياسات الناجحة لمطبقين آخرين، وتفادي السياسات الفاشلة (والتز, ١٩٧٩: ١٢٧).

اعتقد أن هذا النوع من التنشئة الاجتماعية يتعلق بالمناطق, حيث أنه بعد الحرب العالمة الثانية قلد العالم المتطور والمطور تماماً مناحي مختلفة من النجاح. وعندما جاءت هذه المناحي لتتفاعل بمنهجية, كما حدث بعد الحرب العالمية الثانية, أصبح المطبقون الضعفاء يفوزون أكثر.

لماذا ندرس نتائج الصراع غير المتكافئ؟

يعتبر حل مشكلة كيف يفوز الضعفاء في الحروب مهماً لعدة أسباب:

أولاً: بخصوص السياسة الخارجية للولايات المتحدة في العقود القادمة, كالكثير من مشاكل الصراع غير المتكافئ –ككارثة الإرهاب, والضرورة, والشرعية, وتكلفة التدخل العسكري في الصراعات العرقية والحروب المدنية – ستبقى مدعاة للقلق, خصوصاً بسبب مستقبل الولايات المتحدة المتوقع والذي سيكون عاملاً أقوى بالنسبة لأي من خصومه المحتملين.الحروب الحديثة في العرق, الكويت, أفغانستان, ومرة أخرى في العراق, موضحة تماماً بهذا الخصوص.

والحروب الأخيرة في العراق وكوسوفو وأفغانستان ومرة أخرى في العراق هي توضيحية في هذا الاعتبار فكلها كانت صراعات غير متكافئة حيث كانت فيها الولايات المتحدة غالباً تقود تحالفاً من الدول تهاجم دولة أو كيان معادي أضعف بكثير. في حرب الخليج الأولى (١٩٩٠)، التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة أطلق هجوماً تقليدياً ضد القوات المسلحة العراقية التي كانت تدافع عن الكويت (ولاحقاً العراق) ومع دفاع تقليدي. لكن العراق ارتبكت بسرعة وأعلنت قوات التحالف انتصارها وغادرت وكانت بذلك قد حققت أهدافها السياسية المعلنة بإخراج العراق من الكويت.

أما في كوسوفو، فقد قامت الولايات المتحدة عام ١٩٩٩ وتحت رعاية الناتو بضرب القوات المدعومة من صربيا في كوسوفو من الجو، وذلك أملاً بإيقاف عمليات السلب المدعمة جيداً بالوثائق ضد الألبان العرقيين هناك.

وهكذا، فإن إستراتيجية الهجوم التقليدية الغير الملائمة هذه لم يتم التصدي لها مباشرة من قبل طائرات التصدي الصربية أو صواريخ الأرض جو، وهي أيضاً لم تمنع القوات الصربية الدعم من تحصيل أهدافها في إخلاء كوسوفو من الألبان العرقيين والقضاء على جيش تحرير كوسوفو كقوة عسكرية. وفي ذات السياق، فإن الميزات الثلاث الجديرة بالملاحظة لهذه الحرب كانت:

(١) إن حلف الناتو كان قادراً على تبرير التدخل حتى ولو أنه لم يهدد أي من دوله الأعضاء بشكل مباشر من الصرب في كوسوفو لكنه في جوهره فقد انتهك الناتو القانون الدولي لكي يدعم المبادئ الإنسانية.

(٢) عاد اللاجئون الألبان.

(٣) اعتبر عدة مراقبين عملية القوى المتحالفة كنجاح باهر للفعالية المطلقة للقوة الجوية.

في أفغانســتان عام ٢٠٠٢ ضــربت القوات الأمريكية طالبان بإســتراتيجية توفير الدعم الجوي واللوجســتي والمدفعية لآخر أعداء طالبان المحليين الباقين الحلف الشــمالي. وبشــكل أســاســي وضـعت الحرب الحلف الشـمالي في حفرة الهجوم ضـد طالبان التي تملك دفاعاً تقليدياً. في حين أن معظم المحللين توقعوا تكراراً للتجربة السوفيتية عام ١٩٧٩ متضمنة الفشل.

لكن طالبان – والتي بقيت حوالي العقد تظلم الشـعب الأفغاني وترشـي الأعداء الكامنين بأموال المخدرات – كانت في حالة لا تسمح لها بإنشاء ميليشيات دفاع ذات قاعدة شعبية كما فعلت بوجه الســـوفييت في الثمانينيات. كان القرار الأمريكي يقضـــي بأن لا يتم ارتكاب مواجهات مســـلحة كبيرة بهدف منع طالبان من تجميع المتحفظين دينياً لكي لا يؤدي ذلك لطرد غير المسلمين من أفغانستان. ولذلك، فإن طالبان خسروا الحرب، ورحلوا إلى شمال غرب باكستان. وحيث أصـــبحوا اليوم يســـببون عطباً مباشـــراً لأمريكا وللقوات الحكومية وينتظرون ويتدربون ليأخذوا زمام التحكم بأفغانستان حالما تصبح قوات الدعم الأمريكية أضعف هناك.

وأخيراً، فإن الهجوم الثاني الذي تزعمته أمريكا على العراق كان بطريقة مشـابهة للحرب الهولندية (١٨٩٩– ١٩٠٢) ومثل تلك الحرب والتي كانت شــهرتها مسـبوقة عالمياً باشـتراك جيش آخر بقوته العسـكرية كما في الحملات العسـكرية التقليدية. وبعد عدة نكسـات، انتهت تلك الحرب سريعاً وبنصر ساحق. ولكن كما في الحرب الهولندية، فقد رفض الخاسرون الاستسلام واستبدلوا خيار الحرب التقليدية بحرب عصـابات كإسـتراتيجية دفاعية. ولكن هذه النتيجة زادت صـعوبتها على أمريكا وقوات التحالف. فهذه القوى التي لم تصـــمم، أو تدرب أو تجهز لمهام عســـكرية مديدة. و قد استمرت معاناة المصابين اليومية من الأعداء غير المرئيين وربما نتيجة لذلك ازدادت

الرغبة بتوجيه عقوبة انتقامية لغير المتدربين. من جهة أخرى، يشرح هذا الكتاب كل الشروط التي سوف تحقق النصر لأمريكا في مثل هذه المعارك ولماذا سوف تخسر بشكل أكيد هذا القتال لبناء الديمقراطية في أفغانستان والعراق ما دامت تتبع إستراتيجيتها الحالية (التجنيد بإفراط والمزج الخاطئ لقوى الجيوش).

ثانياً: على الرغم من أن الصراعات غير المتكافئة هي الأنواع الأكثر شيوعاً من الصراعات إلاّ أنها تعتبر من أقل الدراسات من قبل باحثي العلاقات الدولية . فإذا كان هناك صراعاً ديناميكياً فريداً من نوعه للصراعات غير المتكافئة، أو إذا كان التركيز التحليلي مركزاً على الصراعات غير المتناظرة فإن ذلك سوف يمكننا من إحراز وجهة نظر ذو قيمة باتجاه الصراعات المتناظرة أكثر، ثم شرح عام لنتائج الصراعات غير المتناظرة ليس فقط مرغوباً، ولكن بشكل ضروري من أجل تقليل احتمالية الصراعات غير الضرورية، أو من أجل زيادة احتمالية لنجاح أمريكا عندما تعتمد على قوة الجيوش لتحرز تقدماً في أهدافها العسكرية (١).

ثالثاً: التساؤل كله حول لماذا يكسب الضعيف الحرب هو مذهل بحد ذاته. كما في المنافسة بين "ديفيد و"جلعاد", و"هانيبال" والروم في "كاناي", "هنري .ف. "و الأرستقراطيين الفرنسيين في

(١) انظر بوول (١٩٩٤:٤) وماك (١٩٧٥:١٧٦). استقصائي لجميع الحروب من عام ١٨١٦ حتى الآن شرحت توزع أنواع الصراعات كالتالي: الصراعات الغير متناظرة= ٥٢(١٤%)، صراعات غير متناظرة محتملة=١٤١(٣٧%)، صراعات متناظرة=٢٨(٧%) بيانات مفقودة ١٥٦(٤١%) العدد الكامل للحروب المسجلة منذ ١٨٠٠ كان ٣٧٧ من الصراعات الغير متناظرة المحتملة. سنجر وسمول " الحروب فائقة التنظيم" (عدد الحروب الاستعمارية ٣٠٠ – ٤٥٤) البيانات المفقودة تتضمن معظم سنجر وسمول "حروب حضارية" عددها (٦٠٠-٩٨٢). إذا كانت الصراعات الغير متناظرة المحتملة أضيفت إلى الصراعات الفعلية أصبحت تشكل ٥١% من توزع جميع أنواع الحروب من ١٨٠٠. حتى بدون إضافة الصراعات الغير متناظرة المحتملة، على أية حال الصراعات الغير متناظرة هي أكثر شيوعاً بمرتين من الصراعات المتناظرة.

"أجينكورت". والهجوم الألماني نحو داخل الإتحاد السوفييتي في شهر تموز عام ١٩٤١, و حتى بطولة العالم للمصارعة في الأوزان الثقيلة بين "محمد علي كلاي" و "جورج فورمان" في دواة "زائير" في إفريقيا, والتي يتم تذكرها خصوصاً بشكل رئيسي لأن نتائجها لم تكن متوقعة. ومؤخراً, شهدنا هزيمة قوات الولايات المتحدة الخاصة غير المتوقعة في الصومال، والقوى الفيدرالية الروسية في الشيشان, والقوى الإسرائيلية في لبنان, وطالبان في أفغانستان. وتفسير كيف ولما حصلت هذه النتائج الغير متوقعة هو بجد ذاته مسعى يستحق العمل لأجله. هو جهد قد ينتهي بإضافات لفهمنا للقوة في نظرية العلاقات الدولية, وأيضاً كدليل لصانعي السياسات الأمريكيين التي تكافح للرد على الإرهاب العالمي.

و **أخيراً**, فإن نظرية نتائج النزاعات غير المتكافئة قد تساعدنا لفهم كيف ولماذا ترد الدول الضعيفة على الدول القوية، والمقوّاة في النظام الدولي (إلمان, ١٩٩٥, والت, ٢٠٠٢, ناي، ٢٠٠٤) إنه سؤال مهم لأنه إذا لم تتصرف الولايات المتحدة – والتي هي القوة العالمية الحالية– بحكمة ومع المعوقات, قد تحفز الحلفاء المؤازرين، والتي بالنهاية، تغمرها أو تلغي مزاياها الاقتصادية, والسياسية والعسكرية.

وهكذا، من أجل جميع هذه الأسباب, فإن تطوير نظرية عن نتائج النزاعات غير المتكافئة هو أمر حيوي.

مخطط الكتاب

لقد تم ترتيب بقية فصول الكتاب على الشكل التالي:

سيناقش الفصل الثاني فرضية التفاعل الاستراتيجي بشكل تفصيلي أكثر ويعرف مفاتيح الفصل, ويقلل من شـــرح المقترحات القابلة للاختبار, ويبحث في نتائج التحليلات لجميع الحروب غير المتكافئة التي دارت خلال الفترة الواقعة منذ عام ١٨١٦ وحتى عام ١٩٩٨ وســـتدعم هذه التحليلات الإحصائية فرضية التفاعل الاستراتيجي.

سيحتوي الفصل الثالث وحتى السابع على الحالات الدراسية التاريخية للصراعات غير المتكافئة للكتاب. وقد اختيرت الحالة الدراسية الخامسة لأكثر من سبب:

أولاً: كل حالة تُدرس هي انبثاق من إحدى أربعة تحاليل زمنية لفترة تاريخية رئيســـية من الزمن: (١٨١٦ – ١٨٤٩) (١٨٥٠ - ١٨٩٩) (١٩٠٠ – ١٩٤٩) و(١٩٥٠ – ١٩٩٩).

وقد ســاعدنا هذا للوصــول الى أثر النتائج خلال النزاعات التاريخية الكبرى. كما ســاعدنا في تناسب حدسي أفضل بين البيانات الإحصائية الخام والحقائق لكل صراع.

ثانياً: تتضـــمن الحالات اختلافاً على المتغيرات العادية الرئيســـية, مثل نوع النظام, انتشـــار الأســـلحة, والتفاعل الاســـتراتيجي. وفي النهاية فإن كلا القضـــيتين ســـتتضـــمنان تفاعلات الإســـتراتيجية المتعددة, ولذلك بالرغم من ان خمس قضـــايا تاريخية فقط مجربة ســـوية قد أمنت مجموعة من ١٦ اختباراً لفرضية التفاعلات الإستراتيجية.

الفصـــــل الثالث: يعالج النزاع بين الإمبراطورية الروســـية و "الميردين" في "القوقاز"من عام ١٨٣٠وحتى عام ١٨٥٩. حيث انتصر الروس في هذه الحرب التي دامت ٢٩ عاماً من الصراع.

الفصل الرابع: سيتفحص الحرب بين الإمبراطورية البريطانية وجمهورية البوير المتحدة لمقاطعة وسط

جنوب إفريقيا ومقاطعة شمالي شـــرقي جنوب إفريقيا عام ١٩٠٢. حيث انتصـــر البريطانيون في هذه الحرب ذات الثلاث ســـنوات, والتي كانت ذات الكلفة الأكبر لكافة مســـتعمراتها خلال التاريخ.

الفصـــل الخامس: يتفحص الصـــراع بين الفاشـــية الايطالية وإثيوبيا من عام ١٩٣٥ حتى عام ١٩٤٠.حيث اسـتخدم الايطاليون غاز "الخردل" المحرم دولياً لكي ينتصـروا في هذه الحرب بعد مواجهتهم بجيش أكثر عدة وعدداً وسلاحاً من القوات الأثيوبية.

الفصل السادس: سيتفحص الصراع بين الاتحاد السوفيتي والمجاهدين الأفغان المجاهدين منذ عام ١٩٧٩ وحتى عام ١٩٨٩.حيث خسر السوفيت هذه الحرب الوحشية التي دامت حوالي عقد من الزمن، وكانت هذه الحرب قد قتلت وشـــردت أكثر من نصـــف المواطنين المدنيين الأفغان. وأدت إلى الموافقة على تأسيس أكثر حركة دينية محافظة في التاريخ: وهي حركة "طالبان".

الفصـــل الســـابع: ســيحلل أكثر الصــراعات المعقدة في عصــر الحرب العالمية الثانية: التدخل الأمريكي في الحرب الأهلية الفيتنامية.

الفصل الثامن: سيحتوي على ملخص لمجادلات الكتاب, وملخصه, والصلة للعلاقات الدولية والسياسات الأجنبية (بالأخص السياسية الأجنبية للولايات المتحدة)

الفصل الثاني

شرح نتائج الصراع اللا متناسب

"أنا عفريت ســـريع . مقاتل بالفكر, أنا علمي, أنا فني, أنا اخطط إســـتراتيجيتي. هو ثور وأنا مصارع الثيران..."

محمد علي زائير ١٩٧٤"

"آخذاً بالحساب العملي فالمنطقة التي أردنا أن نسلمها... بدأت بحساب الأميال المكعبة:

ســـتون، ثمانون وربما مائة وأربعون ألف ميل مربع. كيف يمكن للأتراك أن يدافعوا عن كل هذا؟ لاشـــك أن ذلك ســـيكون مع خط من الخنادق, فلو أتينا كجيش مع راياته, وعلى افتراض أننا "وربما كنا" أثراً, فكرة, شـــيئاً غير ملموس, بدون مقدمة أو مؤخرة الجيش, نتســـرب كالغاز؟ كانت الجيوش كالنباتات, ثابتة الجذور, تتغذى عبر السوق الطويلة إلى الرأس.

قد نكون ضـــباباً يطير حيثما كنا, ولكن ممالكنا موجودة في ذهن أي إنســـان، و لما كنا لا نريد شيئاً مادياً لنعيش, لذلك فنحن نقدم عرضاً غير مادي للقتل ! لقد بدا بأن الجندي النظامي قد يكون عاجزاً بدون هدف, وذلك بســـبب ما كان يبحث فيه, ويســـتعبد فقط ما يمكنه أن يوجه بندقيته نحوه، حسب الأوامر".

" توماس إليوت لورانس"

وهكذا، فإن المصالح, في صراع المصالح, للقتال, ترتبط مع الصراع بثلاثة أشياء:

١- تقييم للثروات الجاهزة مباشرة للقتال, ولها علاقة بعدو محتمل.

٢- خطة لاستعمال تلك الموارد لهدف معين "إستراتيجية".

٣- تقييم للثروات المتوافرة بشكل كامن عندما تبدأ المعركة "المتعلقة بعدو مرتقب".

وكما تبين في الفصل الأول, فإن الحكمة التقليدية المتعلقة بنتائج الصراع هي بشكل عام مستقاة من المقارنات بشكل فاعل بالنسبة للقوات المسلحة, القدرة الاقتصادية والسكان في بداية العداوات.

وبشكل عام، فإن الجهة الفاعلة بأكبر قدر من هذه الثروات من المتوقع أن تفوز وتكسب الحصص لصالح قوتها, ومع ذلك, فإن هذه الحكمة التقليدية هي مشكلة بحد ذاتها:

أولاً: إن الاعتماد عليها للإيضاح يترك نتائج الصراع بدون شرح.

ثانياً: كافتراض ضمني للسياسة , قد يكون له نتائج كارثية.

وفي هذا الفصل, نشير إلى أنه - بالإضافة إلى معرفة الثروات المتوافرة لكل مشارك - فإن إيضاح النتائج يحتاج إلى تقييم نتائج تفاعل إستراتيجية كل فاعل. ونحن نناقش بأن استراتيجيات الفاعل يمكن تصنيفها في واحد من منهجين رئيسيين, مباشر وغير مباشر, ونتائج الصراع اللا متناسب تعتمد على أي من نموذجي التفاعل المثالي الذي تسوده. فإذا كان الفاعلون الأقوياء والضعفاء يستخدمون إستراتيجية تمثل المنهج الاستراتيجي ذاته مباشر ضد مباشر, أو غير مباشر ضد غير مباشر فإن الفاعلين الأقوياء سيفوزون كما تقترح الحكمة التقليدية.

ومع ذلك فإن الفاعلين الأقوياء والضعفاء يستخدمون استراتيجيات تمثل المنهج الاستراتيجي المعاكس: مباشر ضد غير مباشر أو غير مباشر ضد مباشر. و من المرجح أن يفوز الفاعلون الضعفاء على عكس ما تسمح به الحكمة التقليدية هذه هي نظرية التفاعل الاستراتيجي.

شرح نتائج الصراع اللامتناسب

إن فرضية التفاعل الاستراتيجي تجعل نقطة بدايتها النظرية الأولية عن مصالح القوي, المتناسب الذي نادى به "أندرو ماك" ففي نموذج "ماك" تحدد القوة النسبية مصالح نسبية. وينجم عن ذلك صراع يكون فيه اللاعب الضعيف أكثر تحفزاً للقتال من اللاعب القوي, والمصالح النسبية, بدورها, تحدد عدم حصانة سياسية نسبية، لأن اللاعبين الأقوياء هم بالضرورة أكثر تحفزا للقتال والفوز من اللاعبين الضعفاء. و لن يتركوا القتال بدون تحقيق أهدافهم العسكرية والسياسية. وأخيرا يناقش "ماك" فكرة أنه في الحرب الطويلة سيكون اللاعب القوي مجبر على تركها بسبب اللاحصانة السياسية. وذلك بغض النظر عما إذاكان نظام الحكم فاشستيي أو ديمقراطي. وهذا يبين لماذا يفوز الضعيف.

إن فرضية التفاعل الاستراتيجي هي نظرية عامة نسبية في الصراع اللا متناسب وهي تحسن نظرية "ماك" الأولية في ثلاث جوانب:

– أولاً: تحدد المصالح النسبية عدم حصانة سياسية نسبية. ولكن في فرضية التفاعل الاستراتيجي لا يمكن بالنسبية أن تحقق النسبية بالقوة النسبية. وأنا أعتقد أن مصالح اللاعب أكثر تعقيداً من أن يتم تقليلها بشكل مفيد إلى الصيغة البسيطة لـــ "ماك" فهناك دول عديدة، على سبيل المثال، حصلت على منفعة من نتيجة فتح أو احتلال للأراضي. وكانت هذه المنفعة أعظم من أن تتضمنها قوتها النسبية. لكن مصالح الدولة غالبًا تتغير عندما ينطلق أوار الحرب.

– ثانياً: إن نظام حكم اللاعب ذو أهمية كبيرة إنه يؤثر في تكاليف ومخاطر تبني استراتيجيات معينة. وهذه الاستراتيجيات تتغير فيما بعد احتمال النصر أو الخسارة.

– ثالثاً: وهو الأهم، فإن فرضـية التفاعل الاسـتراتيجي تبين لماذا تنتهي بعض الصـراعات اللا متناسبة سريعا بينما يطول سواها.(١)

المصالح و اللا حصانة

قد تعتبر المصالح تفويضاً لاحتمال التضامن الوطني .كما في أي اتفاق واسع ضمن مجتمع معين و بين النخبة والناس. ولكن من جهة ثانية، فقد عارض العديد في الأمريكيين تتدخل الولايات المتحدة في الحرب في أوروبة منذ عام ١٩٤٥ وأثناء الحرب العالمية الثانية. لأنها اعتبرت حرباً في سبيل المصالح العليا لكل اللاعبين : وهي البقاء .

وكان ذلك قبل الهجوم الياباني على ميناء "بيرل هاربور" الأمريكي . ولذلك، فإن البقاء أو على الأقل الدفاع عن النفس يعتبر مقبولاً عالمياً كسبب مشروع للذهاب إلى الحرب.

تعتبر معظم المصـالح التي تكون تحت تصـرف القوة غير سـامية. و هذه طريقة أخرى للقول بأن هناك إجماع ضـئيل ضـمن حكومة محلية ما إلى المخاطرة و تضـحية الحرب. وكل جهود تبذل للحرب لا حصـانة لها بالنسـبة للمعارضـة السـياسـية المحلية. وذلك عندما لا تسـير الأمور في طريقها الصحيح.

إن اللاعب ذو المصـالح الكبيرة في المعركة, سيصـاب في الشـعور بالإحباط في أرض المعركة, في حين أن اللاعب ذو المصالح الضئيلة لن يهزم، و هذا ما نعنيه بعدم الحصانة السياسية.

ولذلك، فإن النتيجة الطبيعية لعدم الحصـانة السـياسـية هو ما نسـميه بالرخصـة السـياسـية أو الرخصـة العادلة و عندما تكون المصـالح سـامية (البقاء) فإن الحكومة تضـع حدوداً قليلة على كمية الثروات المستخرجة و المعبئة للحرب, و طرق استخدامها.

---

(١) يعزو "ماك " الحروب الطويلة الأمد إلى اسـتخدام اللاعبين الضـعفاء لإسـتراتيجية حرب العصـابات ولكنه يميز إسـتراتيجية حرب العصـابات بأنها قديمة جدا و لذلك لا يمكنها لوحدها أن تبين عدم خسـارة اللاعبين الأقوياء , كما كانت تفعل في الماضي بعد الحرب العالمية الثانية.

و يمكن اختصـــــار أو تعليق الحقوق المـدنيـة كمـا يمكن تجـاهـل قوانين العكســـيـة (ماك١٩٧٥\١٨٦-١٨٧) و لعل تجربة الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية تعطينا مثالاً واضـــحاً. لقد تم ســـجن الأمريكيين اليابانيين خلال الحرب في تجاوز مباشـــر لميثاق الولايات المتحدة.

كما تم استهداف المدنيين اليابانيين بشكل متعمد من قبل حملات القذف بالقنابل الأمريكية. وكلما كانت الجزر الرئيسـية اليابانية تصبح ضـمن مدى القاذفات الأمريكية الإسـتراتيجية كانت تقوم بقصفها (١).

وبالمختصر، فإن مصـالح اللاعب وعدم حصـانته السياسية تتغير بشكل عكسي. فكلما كانت مصـالح اللاعب السـامية في قضـايا السباق كلما قلت حصـانته وصـار مجبراً على مغادرة الصـراع قبل القرار العسكري. وكلما تدنت مصالح اللاعب كلما أصبحت أكثر تعرضاً للهجوم.

إن افتراض بأن لاعبـاً واحـداً هو أكثر اهتمـامـاً بالنتيجـة من غيره، يجعـل ذلـك اللاعـب في خطره.فكلما كانت المصـــالح قليلة كان قادراً على الفوز أكثر، ونتيجة الصــراع المثالي تكون في صـالح اللاعب ذي المصـالح القليلة، وهو نصـر سـريع و نهائي. فحكومة اللاعب القوي لا تكاد تبدأ بالتفكير بفائدة الصراع إلا و يكون قد تم حله. ومن المثير للشـك بشـكل كبير, على سـبيل المثال، أن الولايات المتحدة كان لها مصـــلحة كبيرة في طريق المتمردين المدعوين من كوبا على جزيرة "جرانادا الكاريبية" الصـغيرة في عام ١٩٨٣. وما كان للولايات المتحدة من بقاء حســب منطق "دومينو" المريب أو حسب التدخل.فقد كانت تعتبر نفسها كمدافعة عن العالم الحر.و

---

(١) كان ذلك صحيحا على الرغم من أنه في الوقت الذي كانت به قاذفات القنابل الأمريكية واقعة ضمن مجال الجزر الرئيسية اليابانية لن تحدث أي حالة غير موثقة لتهديد بقاء الولايات المتحدة .

لكن الصراع في "جرانادا" انتهت سريعاً. و لم يكن هناك وقت لجماهير الولايات المتحدة لتنظر في الحاجة إلى التدخل. كما لم يكن بإمكانها معارضة ذلك التدخل . فسرعان ما أصبح انتصار الولايات المتحدة حقيقة واقعة و السلاح كان نتيجة مثالية للاعب ذو المصالح الضئيلة في الصراع الذي يسبق القتال، في حين كانت النتيجة الأسوأ ستكون حرباً طويلة الأمد.

وفي الحرب سيكون هناك وقتاً لوجهات النظر في الحاجة إلى للجوء إلى السلاح, وقيمة الأهداف التي يتم السعي إليها بالقوة. وهناك وقت للأخذ بعين الاعتبار قيم تطبيق القوة وتكاليف الفرصة. فاللجان والاجتماعات المدينة التي تنعقد والصحافة ستستكشف كل جوانب الصراع. في حين ستدعى النخبة السياسية لتبرير تكاليف ما يسمى بالدعوة إلى جاذبية الفردوس.

يدعو هذا التعبير اللطيف إلى الذهن سبب أكثر دقة وهو أن التأجيل يؤذي اللاعبين الأقوياء وخصوصاً اللاعبين الأقوياء الديمقراطيين. وفي الأزمنة القديمة كانت عدة ثقافات تعتبر أن الصراعات الشخصية كانت إلهية، وكان هذا يعني بأنه عندما يوجد طرفان مظلومان يمكنهما تسوية خلافاتهما بوحي شخصي. في حين أنه من المفترض أن يشير النصر في الصراع إلى إرادة قوة عظيمة وخيرة عالمة بكل شيء. وقد كان ذلك الصراع يعتبر مشروعاً. ولكن هذا العرف بتجربة الصراع, لم يختف بشكل مطلق من الوعي والإدراك الأمريكي الشمالي والأوروبي ولأن كان ذلك صحيحاً فمدة الحرب تصبح مقياس لشرعيتها. وخصوصاً الحرب اللا متناسبة التي يكون فيها نصر اللاعب القوي متوقع وبسرعة.

الحساسية السياسية و مدة الصراع:

إذا كانت الحرب الأخرى, عادلة فلن تطول؟ أو بطريقة أخرى, إن إرث المحاكمة بالصراع يتضمن مصدر النسبية. والحصانة السياسية للاعبين الأقوياء ذات تأثير قوي في تعزيز مصالح اللاعب. كما أن لهذا الإرث تأثير واضح في التلازم القوي للنتائج والشرعية على حد سواء خصوصاً عندما يكون هناك تزاوج غير متلائم في القوة المادية النسبية.

وفي الصراع اللا متناسب، ثمة توقع قوي بأن أي حرب ستنتهي بسرعة – كما حدث في مثال "جرانادا"– ولكن بعض الحروب اللا متناسبة تطول أكثر مما كان متوقعاً قبل القتال. وإذا كانت القوة تتضمن معنى النصر, وكان الكثير من استخدام القوة يتضمن نصراً حاسماً وسريعاً, فكيف نفسر عدم حدوث هذا النصر السريع والحاسم دائماً؟

وجوابي هو: إنها الإستراتيجية. ذلك لكون تفاعل بعض الاستراتيجيات يجعل الطريق ممهداً للقوة كي تقرر النتيجة في حين أن تفاعل استراتيجيات أخرى يسبب حروب طويلة.

و هكذا تختصر القوة التأثير المتوقع في النتيجة.

عدم الحصانة السياسية و نموذج نظام الحكم:

في النظرية الأولية في الصراع اللامتناسب لـ"ماك" نراه يناقش فكرة تقييد عدم الحصانة السياسية للاعبين الأقوياء في النظامين الفاشستي والديمقراطي لأن كلا منهما يتعاقب على استعمال الموارد في الحروب.

وبحسب كلمات "ماك": "بالرغم من أن هذه النقاط الواضحة فإن رأيي الأساسي هو أن الحروب المحدودة بطبيعتها ستحدث قيوداً محلية في حال استمرارها. وهذا الرأي ليس مشكوكاً به، ولكن بحسب هذا النقاش، فإن السياسة تحت أي نظام سياسي لها علاقة بالصراع حول توزيع الموارد.

وفي الحكومات المغلقة أو المركزية , فإن هذه الصراعات ستكون مقتصرة على النخبة الحاكمة، ولكن ليس بالضرورة. (ماك ١٩٧٥\١٨٩). إنه جدال ضعيف فمناقشة "ماك" السابقة لهذا التعليق تدعم الادعاء بأن بالتوازن يؤثر في سلوك اللاعبين. و من هنا، فإن ذلك سيؤثر في نتائج الصراع، وكما تمت الإشارة إليها الحروب، فهناك أسباب للافتراض بأن التعاقب على الموارد لن يصمد، وأن نموذج نظام الحكم سيؤثر في نتائج الصراع . ولكن كيف يتم ذلك تماماً؟

وفي هذا المجال، فإنني أرى بأن الأنظمة الفاشستية لديها ميزة في نوع معين من الحروب. وهي الحرب التي يحاول بها المناوئون للنظام استخدام إستراتيجية الدفاع غير المباشر مثل الإرهاب, حرب العصابات أو مقاومة اللا عنف . وفي حرب كهذه فإن الثمن ومخاطر استخدام الإجراءات الأقسى تكون أدنى للأنظمة الفاشستية في حين أن الفوائد التي لا تتغير مع نظام الحكم تبقى عالية بشكل محتمل.[١]

إن الأنظمة الفاشستية تتمتع بميزتين على الأنظمة الديمقراطية :

أولاً: الأنظمة الفاشستية لديها تحكم بالمعلومات التي تصل إلى جماهيرها المحلية, فالحروب يمكن أن تجعل بشكل يجعلها ضرورية لقضية عادلة ونفس التحكم بالمعلومات يمكن أن يجعل الطبيعة الحقيقية للعنف غامضة بالنسبة للجماهير الدولية. أضف إلى ذلك فإن الدليل على البربرية يصل إلى تصرفات الخصم الفاشستي، أو الجماهير ضمن الدولة. وبشكل يمكن تبريره كانتقام محدود لوحشية أرتكبها الخصم.

ثانياً: وحتى عندما تصبح الجماهير المحلية مدركة للبربرية, فإنها لا تكون في وضع يمكنها فيه تغير سياسة الدولة أو إستراتيجيتها. وكما يتبين في الفصل الخامس فإن غزو ايطاليا لأثيوبيا تم دعمه من قبل تلك الميزتين.

ومع ذلك فإنه في أنواع أخرى من الحروب والتفاعلات الإستراتيجية الأخرى، هناك ثمة دليل صغير يدعم إدعاء الأنظمة الفاشستية بأنها تحارب أفضل أو تفوز أكثر من الأنظمة الديمقراطية في أغلب الأحيان. وعلى العكس فباستثناء الحروب الطويلة، فإن الدول الديمقراطية تظهر بأنها

---

(١) أقول بشكل محتمل :"لأنه بالرغم من أن الأمر منطقي فإن استراتيجيات الدفاع غير المباشر يمكن التغلب عليها بسهولة بنهب المدنيين و اللا محاربين أكثر من استراتيجيات الدفاع التقليدية .كما أن الدعم التجريبي للبربرية و فعاليتها المتزايدة هو أمر غير حاسما أفضل للنتائج غير المثمرة لاستعمال البربرية في الصراعات اللا متناسبة (أنظر أرجوين توفت ٢٠٠٣)

تكسب الحروب أكثر من الدول الفاشستية، وهكذا, فإن السؤال المناسب في هذا التحليل هو: "هل تقاتل الأنظمة الفاشستية بشكل أكثر فعالية من الأنظمة الديمقراطية ؟.

أو بالأحرى: "تحت أية ظروف تقاتل الأنظمة الفاشـــســـتية بشـــكل أكثر فعالية من الأنظمة الديمقراطية"؟

عدم الحصانة و خسارة اللاعب القوي :

سـيخسـر اللاعبون الأقوياء الصـراعات اللا متناسـبة الطويلة الأمد في أغلب الأحيان , كما إن وصف "ماك" لعملية ترك اللاعب القوي للمعركة بشكل نهائي هي كالتالي:

عندما تكون هناك حرب في العاصـــمة بدون انتقام مرئي ضـــد الخصـــم, الذي لا يقوم بتهديد مباشـر, فإن هذه الحرب سـتتعرض لنقد متزايد طالما أن إصـابات المعارك تتزايد والتكاليف المالية تتصاعد.

كما إن تزايد الضرائب قد يكون ضرورياً لتغطية نفقات الحرب, وقد يكون هناك حاجة لإدخال نظام تمهيدي. والتضـخم المالي سـيصـبح مؤكداً بالنتيجة. وهذه التكاليف تبدو كجزء من الثمن الضروري عندما يكون أمن الأمة مهدد بشكل مباشر, وعندما لا تكون هذه هي الحالة, يختفي أي أســاس للإجماع. وفي حرب محدودة، فإنه من غير الواضـح لتلك الجماعات المتأثرة بمصــالح متضادة لما تكون التضحيات ضرورية.

في حين تتناول فرضـية "ميروم" هذا الجدال بشـكل أوسـع. فالعلاقة الأسـاسـية هي بين الإرادة المتوقعة والتكاليف . وكما أشـار "ماك" وغيره إلى أن الصـراعات اللا متناسـبة هي التي, بشـكل عام, سـيمتص فيها اللاعب الأقوى التكاليف غير المتوقعة. وفي نفس الوقت وبشـكل متناقض سـيكون أكثر حســاســية للتكاليف المتزايدة بشــكل غير متوقع. و هذا بســبب أن النخبة, والجماهير في دولة اللاعبين الأقوى يكون لديها توقع نصــر ســريع وحاســم. لذلك فإن الحرب الطويلة الأمد تعتبر حرباً مكلفة بشكل غير متوقع.

و مرة أخرى، فإن اللغز الأساسي يبرز في التساؤل لما لا تنتهي الحروب اللا متناسبة بسرعة؟

فرضية التفاعل الاستراتيجي

إن أساس فرضية التفاعل الاستراتيجي هو وجود نموذجين للتفاعل الاستراتيجي وهما:

- نموذج الاتجاه المتماثل.
- نموذج الاتجاه المتعاكس .

و هما يقرران احتمالية فوز أو خسارة اللاعب القوي، و هذا القسم يستكشف منطق هذا الجدل.

الإستراتيجية

الإستراتيجية بالتعريف هي خطط اللاعب لاستعمال القوات المسلحة من أجل تحقيق أهداف عسكرية و سياسية. وهكذا، فإن الاستراتيجيات تمزج مفاهيم اللاعب النقدية – بشكل نادر– عن القيم النسبية لتلك الأهداف. ولذلك، فإن الإستراتيجية بهذا المعنى يجب تميزها عن مصطلحين مترابطين جداً: الإستراتيجية العظمى، و التكتيك.

تشير الإستراتيجية العظمى إلى إجمالية موارد اللاعب الموجهة نحو أهداف عسكرية و سياسية واقتصادية وسواها. في حين أن التكتيك يشير إلى فن خوض المعارك واستعمال أسلحة متنوعة للقوات المسلحة مثل المشاة القوات المدرعة و المدفعية على الأرض، وفي مواقع مفضلة بالنسبة لها[١]. كما أن كلا من الإستراتيجية العظمى, و الإستراتيجية, و التكتيك تصف نقاطاً مختلفة في سلسلة متصلة من وسائل لاعب معين نحو نهاية فردية والتي تتلخص في إخضاع غيره لإرادته هو.

(١) هذا التعريف هو إعادة صياغة لأحد التعاريف المقتبسة من قاموس ليتريه بقلم كارنيه ١٩٩٤\٧٧٠.

و فيما يلي دراسة لاستراتيجيات النموذج المثالي و هي مفيدة كنقطة بداية للتحليل :

السياسة التكتيكية المتبعة	استراتيجيات الهجوم (اللاعب القوي)	استراتيجيات الدفاع (اللاعب الضعيف)
الطريقة	هجوم تقليدي	دفاع تقليدي
الأسلوب (بالنتيجة)	إستراتيجية همجية	إستراتيجية حرب العصابات

و لدى كلا اللاعبين اختيارات إستراتيجية أخرى بالإضافة إلى تلك الموجودة في القائمة هنا. فعلى الجانب غير المباشر, مثلاً, قد يختار اللاعبون الأقوياء القلب والعقل، هجومي نتيجة الاسترضاء على اختيار الهمجية، وقد يختار اللاعبون الضعفاء مقاومة اللا عنف أو الإرهاب بدلاً من حرب العصابات. وعلاوة على ذلك فإن الهمجية يمكن استعمالها بشكل دفاعي وحرب العصابات بشكل هجومي. على الرغم من أنه في كلتا الحالتين سيتم الاعتماد على ممثلين عن منهج الإستراتيجية غير المباشرة و في هذا التحليل سوف يفترض:

- أولاً: مبادرة لاعبين أقوياء بصراع غير متناسب.(١)
- ثانياً: إستراتيجية العاصمة, النموذج المثالي هو الفوز بالحرب أكثر منه استراتيجيات إنهاء الحرب(٢).

(١) إن اللاعبين الأقوياء هم غالباً و ليس دائما يبادرون بالصراعات اللا متناسبة ويعد بول عشرين صراع بادر به اللاعب الضعيف من سنة ٣٩٤ قبل الميلاد و حتى ١٩٩٣(بول ١٩٩٣\٣-٤) . و نذكر منها أحد عشر صراعاً.

(٢) في ثمانية صراعات لا متناسبة ٤,١% كانت النتيجة متأثرة بإستراتيجية إنهاء الحرب أو التراضي. وتتضمن استراتيجيات التراضي استعمال الرشاوى, عروض العفو العام, المشاركة في القوة, إصلاحات سياسية. ولا تحتاج إلى قوات مسلحة لتنفيذ ذلك. و الأمثلة على تلك الصراعات التي انتهت بسياسة التراضي تتضمن حرب موريد ١٨٣٠-٥٩ حرب السيمينول ١٨٥٥- ٥٨ حرب المالايو ١٩٤٨-٥٧ الصراع البريطاني القبرصي ١٩٥٤-٥٩ , صراع الفيليبين- مورو ١٩٧٢-٨٠ و في حالة المالايو على سبيل المثال أنظر (راما كريشنا ٢٠٠٢) بين القوات والقيم ينشأ من مطبوعات إستراتيجية الحرب النووية كما في استهداف مضاد القوة (أي مهاجمة قوات العدو) وذلك ضد القيم (مهاجمة مدن و سكان العدو).

الهمجية

الهمجية هي الأذى النظامي أو المتعمد لغير المحاربين (مثل الاغتصاب, القتل, التعذيب) وذلك من أجل تحقيق أهداف عسكرية و سياسية[١]. و على خلاف الاستراتيجيات الأخرى فإن الهمجية قد تم استخدامها لاستهداف إرادة و قدرة الخصم على القتال و في الحملة الإستراتيجية للقذف بالقنابل فعندما يكون الهدف هو إرادة الخصم, يسعى اللاعب القوي لإجبار خصمه الأضعف على تغير سلوكه[٢] . و ذلك عن طريق إنزال الألم به بتدمير أثمن ما يملك . وفي حملة مضادة للتمرد[٣] , عندما يكون الهدف إرادة الخصم قد يحاول المحارب القوي ردع ما يمكن أن يكونوا متمردين بسياسة الانتقام ضد غير المحارب لكن اللاعبين الأقوياء في حالة مكافحة التمرد يمكن أن يستهدفوا القدرة الفيزيولوجية للاعب الضعيف ليدعم المقاومة لإنجاز سياسة معسكر الاعتقال .[٤] و تاريخياً، فإن أكثر أشكال الهمجية عموماً هي ثلاثة:

---

(١) أنظر , على سبيل المثال , والتس ٢٠٠٠\١٥١ إن الأسلحة الكيماوية و البيولوجية قد تم تضمينها بشكل تقليدي في هذا التصنيف و ذلك لأنها غير مميزة بشكل متأصل و التدمير المتعمد للبيئة الطبيعية للمدافع هو انتهاك لقوانين الحرب (ويتم ذلك عبر إزالة الأحراج وتجفيف المستنقعات...إلخ) أنظر بيري و مايلز ١٩٩٩\١٣٢-١٣٥.

(٢) إن العمل الكلاسيكي هو مجموعة تحديات: شيلينج ١٩٦٦\١- ٤ أنظر بيب ١٩٩٠\١٠٣-١٤٦ وبيب ١٩٩٦. وفي النظرية فمن الممكن استخدام القوة الجوية الاستراتيجية لاستهداف قدرة الخصم على القتال. وذلك باستعمال القوات الجوية لتدمير أو قطع خط إمدادات العدو, تدمير نقاط الاتصال (نقاط اتصال السكك الحديدية, الجسور, المطارات) أو مصانع الأسلحة. و لو كان ذلك ممكناً فعله بدون قتل غير المحاربين, فإن ذلك كان يعتبر إستراتيجية هجوم مباشر. و لكن عملياً فإن الأخذ في الحسبان بأن التقدم في إحكام الذخائر الحربية – القوة الجوية الإستراتيجية هي سلاح غير ماض وغير المحاربين يقتلون بشكل غير متناسب مع الحاجة العسكرية لتدمير الأهداف والحملة الجوية الإستراتيجية للناتو في كوسوفو في عام ١٩٩٩ هي حالة وثيقة الصلة بالموضوع (أنظر اللجنة الدولية المستقلة في كوسوفو ٢٠٠٠\٩٢- ٩٤ و دالدير و أوهانلون ٢٠٠٠)

(٣) مثل هذه الإجراءات الانتقامية تتضمن إعدام مدنيين مختارين بشكل عشوائي ثأرا لقتل جندي محتل (أنظر آسبريه١٩٩٤\١٠٨ و أريغوين توفت ٢٠٠٣).

(٤) إن عقلية المتمرد وشبكات الدعم تعتمد على مشاركة غير المحاربين المؤيدين ومعسكرات الاعتقال تعطل هذه الشبكات (أنظر هاملتون ١٩٩٨- ٥٩ و كريس ١٩٩٢\٤١-٤٢).

١- قتل غير المحاربين.

٢- قتل المدنيين (وسجناء الحرب أو المدنيين خلال عمليات الصراع).

٣- معسكرات الاعتقال[١].

و منذ عام ١٩٣٩ لم يعد للقصف الاستراتيجي للأهداف قيمة عسكرية [٢].

الدفاع التقليدي:

الدفاع التقليدي هو استخدام القوات المسلحة لإحباط محاولة الخصم للاستيلاء أو تدمير الأشياء القيمة مثل الأرض, والسكان, والموارد الإستراتيجية.

ومثل استراتيجيات الهجوم التقليدي, فإن استراتيجيات الدفاع التقليدي تستهدف القوات المسلحة

---

(١) لقد استخدم البريطانيون معسكرات الاعتقال كإستراتيجية مضادة للتمرد خلال الحرب الجنوب أفريقية. وعلى الرغم من أن البريطانيين كانوا غير متعمدين فإن ٢٨٠٠٠ امرأة و طفل من البوير ماتوا في تلك المعسكرات . وأكثر من ذلك كان هناك إجمالي إصابات من كلا الطرفين. وحول استعمال معسكرات الاعتقال كإستراتيجية ضد التمرد (أنظر أليس ١٩٧٦\١١١) و حول اســـتعمالهم ونتائج الحرب في أفريقيا الجنوبية أنظر (دوويت ١٩٠٢\١٩٢-١٩٣ باكينهام ١٩٧٩ الفصل ٢٩ \٦٠٧-٦٠٨ و كيربس ١٩٩٢).

(٢) إن قصف الحلفاء لمدينة دريسدين بالقنابل كان الحل كمثال شائع (أنظر شافير ١٩٨٥\٩٧-٩٨) وحول موضوع القصف الاستراتيجي كإجبار ضد ألمانيا النازية (أنظر باب ١٩٩٦\٢٦٠-٢٦٢) وحسب نقاش باب فإن القصف الاستراتيجي الذي يستهدف غير المحاربين يعتبر همجياً . و عندما تستخدم القوة الجوية لاستهداف قوات العدو, فإن ذلك يعتبر إستراتيجية هجوم تقليدي. و الهجوم على الأساس والصناعة يكون صعب الحل. إن غير المحاربين ليسوا أهدافا مدروسة لكن أولئك الذين يستخدمون هذه الإستراتيجية يعرفون سلفا أن غير المحاربين سيقتلون في مثل هذه الهجمات.

للخصم والهدف هو تدمير القدرة الهجومية للخصم بتدمير قواته المسلحة المتقدمة أو القريبة.

والأمثلة تتضمن استراتيجيات[١] الأهداف المحدودة جداً, والدفاع الساكن, والدفاع المتقدم, والدفاع في العمق, و الدفاع المتحرك[٢].

حرب العصابات

إستراتيجية حرب العصابات هي تنظيم له حصة من المجتمع بهدف فرض تكاليف على الخصم، وذلك باستخدام قوات مسلحة مدربة لتجنب المواجهة المباشرة[٣]. و هذه التكاليف تتضمن فقدان الجنود, المؤن، البنية تحتية, هدوء البال, و أهم شيء الوقت[٤].

وعلى الرغم من أن حرب العصابات تستهدف بشكل أساسي مقاومة القوات المسلحة وموارد

(١) مثال عن إستراتيجية الأهداف الدفاعية المحدودة هو هجوم اليابان على أسطول الباسيفيك للولايات المتحدة في بيرل هاربر ١٩٤١ و مثال على الاستخدام الهجومي لإستراتيجية الأهداف المحدودة هو هجوم مصر على إسرائيل في تشرين الأول ١٩٧٣

(٢) لوصف مختصر أنظر (ميرشيمر ١٩٨٣ \ ٤٨-٥٠).

(٣) وفي إستراتيجية حرب العصابات الثورية بقيادة ماو تسي تونج , فإن حرب العصابات تتطور نحو مواجهة تقليدية تامة. و في هذا التحليل فإن مثل هذا التطور يعتبر تغيراً في الإستراتيجية من المنهج الاستراتيجي غير المباشر إلى المباشر. والإستراتيجية المتعلقة بذلك هي الإرهاب و هو غالبا ذو أهداف سياسية مماثلة لحرب العصابات. و منطق الإرهاب يعكس صورة القصف الاستراتيجي القهري. و هناك ظاهرة مدنية هي أن الإرهاب يمكن استبداله. إما لإنزال الألم لغير المحاربين حتى يضغطوا على حكومتهم لتوافق على المطالب السياسية، أو سحب الشرعية عن الحكومة كوسيلة لاستبدالها. و هذا يتضمن أن الإستراتيجية ستكون أكثر فعالية عندما يكون للمواطنين قول في سياسات الحكومة. وعن الإرهاب كإستراتيجية للعصيان أنظر (ميراري ١٩٩٣) وعن قصف القنابل المتعاطفة.كإستراتيجية "أنظر باب ٢٠٠٣).

(٤) حول هذه النقطة بشكل خاص أنظر (ساموبل هامتينجتون) و ملاحظاته في (هوف مان ١٩٨١\٧) و أنظر أيضا كوهين (١٩٨٤\١٥٧).

دعمها إلا أن هدفها تدمير إرادة المهاجم[1] ليست قدرته حيث تتطلب حرب العصابات ضمان عنصرين أساسيين :

١- ملاذ طبيعي مثل المستنقعات, الجبال, الغابات الكثيفة أو الأدغال. وملاذ سياسي مثل مناطق حدودية ضعيف التنظيم أو مناطق حدودية لدول متعاطفة.

٢- وجود سكان مؤيدين لتزويد المقاتلين بالمعلومات, والمؤن, والاستبدالات.مع وجود طريقة ملائمة لانسحاب العصابات.

ويمكن ذكر مثال شديد الوضوح على ذلك، والذي يعتبر الأكثر تأثيراً، الحرب التي قادها الزعيم الثائر الصيني "ماو تسي تونج":

في حرب العصابات عليك اختيار التكتيك الذي يجعلك تبدو قادماً من الشرق واهجم من الغرب, وتجنب الهجوم المتواصل, وهاجم الثغرات. أهجم وانسحب, وتسبب بضربة موجعة, ابحث عن قرار مضيء. وعندما ينشغل رجال العصابات بشكل أبعد وأقوى، فأنهم ينسحبون عندما يتقدم العدو, ويزعجونه عندما يتوقف, و يضربونه عندما يكون مرهقاً, ويلاحقونه عندما ينسحب.

وفي إستراتيجية العصابات, فإن الخلفية و الجوانب والبقع غير المحصنة الأخرى هي نقاط حيوية,وهناك يجب إزعاجه, ومهاجمته, وتشتيته, وإرهاقه, ومن ثم إبادته. (تسي- تونج ١٩٦١\٤٦).

إن إستراتيجية حرب العصابات ليست من أجل الوصول إلى هزيمة سريعة لمقاومة القوات. (هاميلتون ١٩٩٨-٢٧) وعلاوة على ذلك, فإن رجال العمليات لا يستطيعون التوقف أو

---

(١) مقدمات عامة عن إستراتيجية حرب العصابات أنظر (لاكيور ١٩٧٦، إليس ١٩٧٥، أسبري ١٩٩٤، جوز ١٩٩٦). وحول الاختلافات الكوبية والصينية لإستراتيجية حرب العصابات أنظر (سيتونج ١٩٦١ و كاتزينباخ وهانرا هان ١٩٥٥\٣٢١-٣٤٠ جيفارا ١٩٦١ ديب ريه ١٩٦٨).

الدفاع عن مناطق خاصـــة – ما عدا المناطق الأســـاســـية المعزولة– ذلك لأنهم لا يوفرون أماناً لعائلاتهم عندما يخوضون العمليات، أو عندما يكونون مسرحين بانتظار مهمات جديدة.

ولذلك، فإن حرب العصـابات تعتبر إسـتراتيجية تتطلب عدم وضـع الأشـياء الأسـاسـية الثمينة, مباشرة في يدي الخصم مثل: المزارع, الأسرة, المواقع الثقافية و الدينية, و المدن.

وبشـــكل منطقي, فإن التكاليف المهمة لتبني إســـتراتيجية حرب العصـــابات تعتمد على الهدف وكبح جماح الخصم[1] . و عندما لا تمارس القوات الغازية أو المحتلة تقييداً في استعمال القوة , أو عندما تكون أهدافها السياسية هي التدمير أكثر من القهر أو الإكراه لشعب اللاعب الضعيف, فإن إستراتيجية حرب العصابات يمكن أن تصبح إستراتيجية دفاعية مكلفة بشكل محظور[2].

التفاعل الاستراتيجي

إن كل إستراتيجية لها إستراتيجية مضادة مثالية. واللاعبون القادرون على التنبؤ بإستراتيجية الخصم سلفاً يمكنهم تحسين فرص النصر لديهم. أو على الأقل تكبيد الخصم خسارة عالية غير متوقع, وذلك باختيار و تنفيذ تلك الإستراتيجية المضادة و المثالية . إن "ماو تسي تونغ" على سبيل المثال, يناقش بأن الهزيمة هي نتيجة غير متغيرة عندما تكون القوات الأصلية تقاتل بأسلحة رديئة ضد أعدائها وحسب شروط الأخير[3].

---

(١) في آذار ١٩٠٠ اســتولى البريطانيون على العاصــمة الأولى للبوير, بلوم فونتين. فاجتمع قادة البوير الناجون ليقرروا هل يستسـلمون أم يتابعون القتال. و كانوا منقسـمين لكن قلب التوازن لمصـلحة اسـتمرار حرب العصـابات كان إيمانا للمدنية البريطانية. وقد وجد البوير إيمانهم لا مبرر له (أنظر دويت ١٩٠٢/١٩٢–١٩٣)

(٢) قضــية أن يكون الدفاع الغير مباشــر ذو فعالية ضــد لاعب قوي متحجر القلب, تم رفعها من قبل جين شــارب وآخرين, وخصوصاً بالنسبة لمقاومة اللا عنف أنظر (ماكارثي وشارك ١٩٩٧ وشارك ٢٠٠٣) كما أن حالة كوسوفو من ١٩٩٨إلى ١٩٩٩ تقترح بأن مقاومة اللا عنف ضــد خصــم مصــمم على الإبادة الجماعية ســتثبت فعاليتها فقط عندما تحرض على التدخل الخارجي المسلح. أنظر اللجنة الدولية المستقلة في كوسوفو ٢٠٠٠).

(٣) مقتبس من ماك (١٩٧٥/١٧٦ التوكيد في النسخة الأصلية).

وهذه الحقيقة التي يطرحها "ماو" تبين أنه عندما يقاتل الضعيف القوي, فإن تفاعل بعض الاستراتيجيات سيكون في صالح الضعيف وبعضها الآخر في صالح القوي.

وبناءاً على هذه النظرة الثاقبة لـ "ماو", أرى بأن العالم ذو استراتيجيات واستراتيجيات مضادة كامنة ويمكن تمييزها بين منهجين استراتيجيين مثاليين مباشر وغير مباشر(١) .

إن المناهج الإستراتيجية المباشرة كمثال: الهجوم والدفاع التقليديين, واللذين يستهدفان القوات المسلحة للخصم بهدف التدمير أو الاستيلاء على قدرة الخصم الفيزيولوجية على القتال وبالتالي، تدمير إرادته، وهذه المناهج تبرز صراع جندي ضد جندي مع قواعد منظمة بالنسبة لسلوكهم والمفهوم المشترك لما يعتبر نصر أو هزيمة. أما المناهج الإستراتيجية, غير المباشرة, كالهمجية وإستراتيجية حرب العصابات, فهي غالباً تستهدف تدمير إرادة المقاومة عند الخصم وبالتالي قدرته الطبيعية(٢).

تستهدف الهمجية إرادة الخصم بالقتل و التعذيب و سجن اللامحاربين.

كما إن إستراتيجية حرب العصابات تهاجم إرادة الخصم باستهداف جنود العدو. وكذلك المدنيين الذين يمكن أن يصبحوا أهدافاً أيضاً وهذا الفقد المتزايد المستمر للجنود، والمؤن، والعتاد مع فرصة ضئيلة لحلٍ سريع, الهدف منه تحقيق توازن للقوى السياسية في أرض اللاعب الأقوى. وإن تفاعلات المنهج المتشابه (مباشر- مباشر) أو القوي. (مباشر- غير مباشر) والتي تتضمن الهزيمة للاعبين الضعفاء، وذلك لأنه لا يوجد نية لتسوية الخلاف أو تغير ميزة قوة اللاعب القوي. وباستثناء معجزة في أرض المعركة فهناك تفاعلات يجب حلها بالنسبة إلى القوة المطبقة.

وعلى العكس، فإن تفاعلات المنهج المعاكس (مباشر - ضد غير مباشر، أو غير مباشر- ضد مباشر) تتضمن النصر للاعبين الضعفاء، لأن الضعفاء يرفضون الانشغال حيث يكون للاعب

---

(١) هذا الاختزال للاستراتيجيات إلى اتجاهين خاصين بشكل مشترك مؤسس في مطبوعات الدراسات الإستراتيجية. أنظر (كورفيزر و تشايدز ١٩٩٤/٣٧٨)و(ليدل هارد ١٩٩٧/٣٦١-٣٦٤)و أنظر أيضاً (كولتانك ١٩٧٦).

(٢) لتعريف مماثل أنظر (باب ١٩٩٠/١٠٦-١٠٧) إذا كانت القوة المجبرة هي مصدر الإرادة و القدرة الفيزيولوجية, فعندها أي من المنهجين يمكن أن يفوز. قدرة الخصم إلى الصفر تجعل إرادته للقتال معدومة . وإنقاص إرادته للقتال للصفر تجعل قدرته معدومة .

القوي ميزة القوة (حسب شروط الأخير)[١]

و لذلك فهم يميلون إلى تطويل الفترة. و الوقت يكون مفيدا لهم[٢] .

و عندما يتسبب التفاعل الاستراتيجي في تأجيل غير متوقع بين التزام القوى المسلحة و بلوغ الأهداف السياسية والعسكرية , فإن اللاعبين الأقوياء يميلون إلى فقد الصراعات اللا متناسبة لسببين:

أولاً: على الرغم من أن كل اللا محاربين يميلون إلى توقعات ضخمة للنصر (بليني ١٩٨٨) فإن اللاعبين الأقوياء في الصراعات اللا متناسبة هم سريعوا التأثر بشكل خاص بتلك المشكلة (أنظر ماك ١٩٧٥/١٨١-١٨٢ و هيرينك ١٩٨٦/١٤٤-١٤٥) وإذا كانت القوة تتضمن النصر, فإن ميزة القوة الغالبة تتضمن نصراً سريعاً وشاملاً. وكما كانت الحرب ضد الخصم تطول, فإن المبالغات في النجاح تجبر النخبة العسكرية المتزايدة على تصعيد استعمال القوة لتناسب التوقعات. ومن هنا، فإن زيادة التكلفة للصراع - التي كان من المتوقع أن تكون بسيطة- تؤدي إلى الكذب ومظهر العجز المتزايد. و في كلا الطريقتين بالنسبة للاعب القوي الديمقراطي، فإن الضغط المحلي لإنهاء الصراع من المتوقع أن يتزايد. و تطول بذلك الحرب على الأرض بقدر ما تزداد الفرص لتخلي اللاعب القوي عن الحرب بغض النظر عن حالة الشؤون العامة للأرض.

ثانياً: تتطلب من اللاعبين الأقوياء تجنب التكاليف المتزايدة مثل إعلان الحرب, تعبئة المدخرات, زيادة الضرائب, أو تحمل الإصابات الإضافية. وقد تؤدي هذه الرغبة لدى اللاعب القوي لأن تغريه باستعمال الهمجية، لأنه يؤمن بأنها ستكون إستراتيجية للاقتصاد بالنفقات من أجل النصر

---

(١) في إستراتيجية حرب العصابات القوات المسلحة للمهاجم يتم تجنبها فيزيولوجيا أو التورط معها حسب شروط مقبولة. و في حصار أو حملة قصف إستراتيجية ضد دفاع مباشر في حرب محدودة , فإن القوة التدميرية للاعب القوي قد تنحرف لأن مثل هذه الهجمات تضع بشكل متغير السكان المدنيين بين المهاجمين و النخبة السياسية.

(٢) و عن أهمية مدة الصراع كثمن للصراع أنظر ميرشيمر ١٩٨٣-٢٤ و كادزيمباخ و هانراهان ١٩٥٥-٣٢٤-٣٢٦.

[1] .ولكن في زمن ما بعد الحرب العالمية الثانية، أصبحت الهمجية إستراتيجية صعبة التطبيق حتى النهاية وبشكل فعال, فإن الهمجية وهي ذات فعالية عسكرية تتطلب قوات خاصة مدربة ومجهزة لإتمام مهمتها المطلوبة. وهي تتطلب, فوق كل شيء, دقة في التطبيق. وحتى النازيون وجدوا أن هذه المطالب كانت أبعد من إمكانياتهم في الحرب العالمية الثانية. فكانت النتيجة حركة ارتجاعية للمقاومة والتي زادت من تكاليف الاحتلال النازي في الأراضي المغزوة التي كانوا يديرونها [2]و حتى عندما تكون الهمجية فعالة عسكرياً فهي تكون محفوفة بالمخاطر . فاللاعبون الأقوياء الديمقراطيون يرون أن هناك إمكانية لاكتشاف سياسي محلي و وجود معارضة [3].

---

(١) ألكسندر داونز يناقش بشكل مقنع أن كلا الدولتين الديموقراطية و الفاشستية من المحتمل.خدم البربرية في هذه الظروف لأن كلا الدولتين تؤمن بأنها إستراتيجية لتوفير التكاليف (أنظر داونز ٢٠٠٣) إن بحثي يبين أن الهمجية نادرا ما تكون مؤثرة عسكريا (إنها تميل أن تكون غير مثمرة) و هي غير مثمرة سياسياً . أنظر أريكون توفت ٢٠٠٣ .

(٢) إن النازيين فعلوا الأفضل بتطوير القوات القادرة على مواصلة الهمجية أكثر مما فعلوا في الوصول إلى تمكن وشمولية في تطبيق الهمجية و اليد. من القلائل والشهود غير الملقنين الذين نجوا , على سبيل المثال, قبور القتل الجماعية القاسية في آينساتز كروبين , نشروا أقوالاً عن تلك الأعمال الوحشية. وبذلك زادوا من تكاليف الإدارة المدنية والعمليات العسكرية في الأراضي المحتلة و الهمجية النازية تثير مشكلة للفرضية التي في متناول اليد .

و مع ذلك فعلى خلاف أكثر أنواع الهمجية التي تعامل العقليين, الإجبار والقهر (أي وسيلة لنهاية). إن حجم الهمجية النازية (التي استهدفت المرضى العقليين, المعاقين, اليهود, اللوطيين في روما) لم تكن موجهة للإكراه ولكن للتدمير بشكل مطلق للجماعات المستهدفة.

لقد كانت إستراتيجية بل نهاية بحد ذاتها للنوع. والمثير من هذه الجرائم (ضد اليهود في بولندا و الشرق الأدنى)كانت مبررة بأنها إجراءات مضادة للتمرد و كان ذلك في وقت لم يكن فيه شيء من هذا النوع.

و مع ذلك فإن حصة حقيقية أصغر من الهمجية النازية , في يوغسلافيا المحتلة , كانت مقصودة بأن تخدم مصلحة مقاومة التمرد في الأراضي المحتلة حول خلق الـ أينزاتس كروبن و تحديات الشعب المدرب لجريمة جماعية للمدنيين أنظر (بارتوف ١٩٩٢ و خصوصا روديس ٢٠٠٢). حول استعمال النازيين للبربرية كاستراتيجية مضادة للأخيرة في يوغسلافيا أنظر (هين ١٩٧٩).

(٣) يؤكد "ماك" بشكل صحيح أن الهمجية يتم الحكم عليها بالنسبة إلى القوة النسبية للاعبين فاللاعبون الضعفاء يمكن مساهمتهم في حين يجب شنق اللاعبين الأقوياء (أنظر ماك ١٩٧٥\١٨٦-١٨٧).

أما اللاعبون لكل من نموذجين الحكم اللذين لا ينتميان للقوى النووية, فإنهم يتحملون مخاطر التدخل الخارجي.

التفاعل الاستراتيجي: شرح الاتجاه

هذا ليس كتاباً عن كيف ولماذا يختار اللاعبون استراتيجياتهم، كما أنني لست في صدد عرض شرح عام للأسباب التي يغير بسببها بعض اللاعبين استراتيجياتهم أثناء الحرب، بينما لا يفعل ذلك الآخرون (١)

بالأحرى, فإنني أتناول استراتيجيات اللاعب كما هي عليه ثم أرسم بتفصيل عواقب التفاعل الاستراتيجي على النتائج . و بقول ذلك فإن شرحي للاتجاه نحو تزايد فشل اللاعب القوي منبعث من توقيت التغير الأكبر في النتائج لصالح اللاعبين الضعفاء (١٩٥٠\٩٩) .

ولكن بحسب منطق "كينيث والتس" و نقاشه بأن اللا قوة نظام تفاعل تنافسي يجعلون هذا النظام متناسباً مع الاستراتيجيات والسياسات المتماثلة, و كما يناقش "والتس" : " إن قدر كل دولة يعتمد على استجاباتها لما تفعله الدول الأخرى. و إمكانية أن الصراع ستقوده قوة إلى منافسة في فنون أدوات القوة. و المنافسة تنتج ميل نحو التماثل بين المتنافسين (والتس١٩٧٩\١٢٧).

يعني "والتس" ما يدعى "التأهيل الاجتماعي" لأن الدول تقلد بعضها في النجاحات و تتجنب ما يمثل فشلاً . و عبر الزمن، فإن ذلك يعني أن اللاعبين سيميلون إلى التقارب حول دمج ناجح للأسلحة, المبدأ, التدريب, الإستراتيجية و التكتيك. و يقاس النجاح بما يتم به الفوز في الحرب الكبيرة الأخيرة .

---

(١) في ٧٧,٥% من الصراعات اللا متناسبة لا يغير أحد من اللاعبين استراتيجياته. فالفائزون والخاسرون يبقون على نفس الإستراتيجية التي بدؤوا بها الحرب .

و أنا أناقش بأن التأهيل الاجتماعي مهم بشـــكل إقليمي. وبعد الحرب العالمية الثانية ظهرت نماذج مختلفة للنجاح في أوروبا و آسـيا، ففي أوروبا تم قياس النجاح في الحرب بقدرة الدولة على إنتاج و نشر قوات مسلحة متحدة وذات آليات واسعة. وذلك لتدمير القوات المسلحة للخصم في مناطق مفتوحة بشكل نسبي, و أيضاً الاستيلاء على الأشياء القيمة بدون حاجة إلى معارك إبادة مكلفة: بالحرب الخاطفة, و هذا النموذج تم تقليده من قبل الولايات المتحدة(١) و حلفائها الأوروبيين و الإتحاد السوفييتي(٢) . و في آسيا كان النجاح يقاس بإمكانية مؤازرة الصراع الطويل ضد عدو متفوق تقنياً في أراضي مغلقة نسبياً "إستراتيجية حرب العصابات".

إن صراع "ماو" الطويل للإخضاع النهائي للصين كان هزيمة. وقد قلده عن قصد متمردو الجزائر والفيتناميون والمتمردون الكوبيون والشيوعيين في مالايو، وإلى حد كبير مجاهدي أفغانستان (٣).

وهكذا، فإن نموذج الحرب الخاطفة هو منهج اســتراتيجي مباشـــر في حســـن أن نموذج حرب العصابات نموذج غير مباشر. و عندما كان يتداخل النوعان بشكل منظم –كما حدث في

---

(١) أنظر كوهين ١٩٨٤ \ ١٧٩ . حول هذه النقطة.

(٢) من الصـحيح أن القوى الاسـتعمارية الأوروبية الرئيسـية – فرنسـا و بريطانيا –كان كل منها يملك قوات مسـلحة استعمارية متخصصة و واسعة قبل الحرب العالمية الثانية و في الحربين العالميتين الأولى و الثانية كانت الطبيعة الاستعمارية لهذين الجيشـين يشـار إليها أحيانا كأسـباب لفشـل قواتهما البرية في الحرب خصـوصـا في الأدوار الأولى . ولكن , بعد الحرب , و خلال الفترة التي حاولت فيها بريطانيا اعتماد مقياس الحرب الخاطفة لتحســين أداء قواتها لقيادة عمليات مضـادة للتمرد . في حين لا يزال أكثر من ذلك في الولايات المتحدة و الإتحاد السـوفييتي يتم الانتقاص منه بالمقارنة إلى ما كان هناك قبل الحرب العالمية الثانية .

(٣) حول حرب العصـابات الثورية لـــ ماو أنظر كيدزنباخ و هانراهان ١٩٥٥\٣٢٢. و هاملتون ١٩٩٨\١٨. وقد أثبتت الفكرة القومية ضـرورتها و لكن عدم كفايتها لتفسـير نجاح نموذج إسـتراتيجية حرب العصـابات ضـد الدول التي كانت تملك قوات للحرب الخاطفة . و إن كلا من إسـتراتيجية حرب العصـابات بدون قومية و قومية بلا إسـتراتيجية حرب عصابات ستخسر في هجوم المنهج المباشر للاعب القوي.

الحرب العالمية الثانية – فإن اللاعب الأقوى كان يخسر في غالب الأحيان, والحقيقة هي أنه في ٧٨% من الصراعات اللا متناسبة لا يغير اللاعبون الخاسرون استراتيجياتهم. وهذا يبين أن اللاعبين يكونون على شفا إما صراعاً مسلحاً أو هزيمة. و أنهما ليسوا أحراراً بشكل مطلق ليختاروا الإستراتيجية المثالية, و هذا الأمر صحيح لسببين هما:

أولاً: لأن القوات والتجهيزات والتدريب وكلها متماسكة ليست أشياء لا يمكن استبدالها وكل منهج استراتيجي يمكن تسهيله بأنواع معينة من القوى والتقنيات وإضعافها من قبل الآخرين. وعلاوة على ذلك فإن التطور ومقاضاة إستراتيجية اللاعب أو الإستراتيجية المضادة يمكن إحباطها بالمصالح التنظيمية المطوقة أو الأعراف.

ثانياً: يعطي اللاعبون الأولوية للتهديدات.

فإذا عرفت الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتي نفسيهما كتهديد أساسي, فإن كلاهما يكون قد حسب بأن المنطقة المحتملة للصراع المباشر ستكون قلب أوروبة. و بتبني تجهيزات مندمجة ومبادئ واستراتيجيات مفضلة لكسب ذلك النوع من الحرب يكون لذلك معنا. لكن طبيعة التهديدات يمكن أن تتغير أسرع من استراتيجيات التغير, وإن عقوداً من الإعداد للفوز بنوع من الحرب يمكن أن يصبح مسؤولية مشلولة عندما يواجه بنوع مختلف تماماً من الحروب في مناطق ومناخ مختلف. وهذا يبين لماذا خسر اللاعبون الأقوياء – و أغلبهم أوروبيون – صراعات عديدة في آسيا في الفترة التالية للحرب العالمية الثانية, كما أنه يبين لماذا لا يكون عمل الولايات المتحدة جيداً باستمرار في حروبها ضد الإرهاب.

فرضيات رئيسية: التفاعل الاستراتيجي و نتائج الصراع:

يستكشف هذا القسم منطق أربع تفاعلات للطرقة الإستراتيجية المتميزة. كما أنه سيشرح كيف أن الفرضية المستقاة من كل تفاعل يمكن إنقاصها بشكل مفيد إلى فرضية فردية متوقعة لتفاعلات المنهج الاستراتيجي للنتائج في الصراعات اللا متناسبة

الهجوم المباشر ضد الدفاع المباشر:

يقوم كلا اللاعبين في هذا التفاعل بافتراضات متماثلة حول أولوية الأشياء القيمة التي يتقاتلون عليها.

ولذلك فإن كلاهما يمكن توقع موافقته على مضمون الخسارة المفجعة في الحرب, قوانين الحرب, الاستيلاء على عاصمة. ولأنه لا شيء يتوسط بين القوة المادية النسبية ونتائجها فإن اللاعبين الأقوياء يجب أن يفوزوا بسرعة و بشكل حاسم.

الفرضية الأولى :

عندما يهاجم لاعبون أقوياء باستعمال منهج استراتيجي مباشر, و يدافع لاعبون أقوياء باستعمال المنهج الاستراتيجي المباشر, فكل هذه الأشياء – لكونها متساوية– تؤدي إلى فوز اللاعبين الأقوياء بسرعة و بشكل حاسم.

الهجوم المباشر ضد الدفاع غير المباشر

على خلاف الاستراتيجيات المباشرة, التي تتعلق باستعمال القوات المدربة والمجهزة للقتال كوحدات منظمة ضد قوات أخرى مجهزة ومدربة بشكل مماثل فإن استراتيجيات الدفاع غير المباشر مثل:

"الإرهاب, استراتيجيات حرب العصابات, مقاومة اللا عنف" تعتمد على قوات يصعب تميزها من غير المحاربين عندما لا يكون هناك صراع فعلي.

وكنتيجة مماثلة فإن قوات الطرف المهاجم تميل إلى القتل هنا. في حين تتمحور التأثيرات المتوقعة للتفاعل الاستراتيجي حول نتائج الصراع (الفائزون المتوقعون في الخلايا) أو إيذاء الغير المحاربين أثناء العمليات التي تحاول تحفيز مقاومة الطرف الضعيف.

ومن أكثر الأمور أهمية أن استراتيجيات الدفاع غير المباشر [1] تضحي بأشياء ثمينة من أجل الوقت أنظر (كادزينباخ وهانراهان ١٩٥٥\٣٢٥-٣٢٦) .[2]

و هي بالضرورة تأخذ وقتاً لاتخاذ قرار طالما أن اللاعبين الضعيفين يتابعون الحصول على وسيلة للوصول إلى ملاذ ودعم اجتماعي وفي الصراعات اللا متناسبة يكون التأجيل في صالح الضعيف.

الفرضية الثانية:

عندما يهاجم لاعبون أقوياء بمنهج استراتيجي مباشر و يدافع لاعبون ضعفاء بمنهج غير مباشر , فكل الأشياء – بما أنها متساوية– لابد أن يفوز اللاعبون الضعفاء .

الهجوم غير المباشر ضد الدفاع المباشر:

لأن القوة السائدة موجودة للاعب القوي تتضمن النجاح ضد خصم ضعيف يحاول الدفاع التقليدي فإن الاستراتيجية الهجومية غير المباشرة في هذا السياق تستهدف إرادة المدافع للمقاومة, و يسبق وصول القوات الجوية الاستراتيجية والمدفعية البعيدة المدى كما هو في صواريخ V١ V٢ في الحرب العالمية الثانية, فإن القوات المحاصرة والحصار كانت وسائل أساسية لإجبار الخصوم بهذه الطريقة.

(١) أنظر دوهيت ١٩٢١ و ميتشيل ١٩٢٥ حول فعالية القوى الجوية الاستراتيجية في حرب الخليج الأولى أنظر طبعة ٢٠٠١ . و يبقى هنا خلاف صحي حول ما إذا كانت الحملة الجوية ١٩٩٩ ضد حكومة سلوبودان ميلوسوفيتش تعتبر كحالة ناجحة للإكراه باستخدام القوة الجوية. و لنقاش حول ذلك أنظر دالدر و أوهينلون ٢٠٠٠ . و لنقاش فعالية القوة الجوية أنظر ستيكلر ٢٠٠٣ \ ١٢٤-١٥٧ .

(٢) إن حملات القصف الاستراتيجية تبدأ عادة بنية تجنب المدنيين – و غالباً إلى نقطة و ضع الملاحين والطاقم الجوي في خطر متزايد مثال عند الطيران بشكل منخفض. لكن في معظم الحالات هناك حملات تتصاعد حتى يمكن تقبل ببساطة إصابات المدنيين < كما في قصف الولايات المتحدة لشمال فيتنام خلال حملة الرعد المتدحرج.

فإن حملات القصف الاستراتيجي [١] و إقرار عقوبات اقتصادية [٢] هي الأشكال الأكثر شيوعا للهجوم الغير مباشر ضد الدفاع المباشر عندما يكون المهاجم هو اللاعب الأقوى [٣].

كما أن منطق هذا التفاعل يمكن أن يسلك أي طريق كان .

و من جهة أخرى و كما تخيل بعض منظرين القوى الجوية المبكرة مثل "دوهيت و ميتشـيل" فإن تهديد مهاجمة المراكز السكانية للخصم وصناعاته – بتجاوز الجيوش المطوقة أفضل من مهاجمتها مباشرة حكومتهم. وجبر الخصم على تغير سلوكه[٤].

كما يمكن أن يحول شعب ما ليكون الطرف المدافع ضد حكومتهم. و هو بذلك يجعل من

---

(١) لقد أظهر روبرت باب بأن القصـف الاسـتراتيجي أو اسـتراتيجيات العقوبات نادرا ما تكون مفيدة < وهي تفيد ضد استراتيجيات اقتصادية. المباشر مثل: إستراتيجية حرب العصابات . أنظر باب ١٩٩٦ الفصل السادس. و أنظر أيضا كلوت فيلتار ١٩٨٩ و إذا كان باب محقا و القوة الجوية التكتيكية فعالة كوسيلة لقهر الخصم , فإن الدعم الجوي التكتيكي الذي يقبل التدمير الملازم يتقبل أن التدمير الملازم يجب أن يصبح أكثر شـيوعا و أن دفاع الدروع البشـرية أو خطوط المواصلات ستصبح مقاييس مضادة شائعة بشكل متزايد .

(٢) أنظر باب ١٩٩٧\٩٠-١٣٦ إن باب يأخذ نظرة معاصرة لخلاف قديم حول فعالية العقوبات الاقتصادية لتحقيق أهداف سياسية غير اقتصادية . و هو يستنتج بأن مثل هذه العقوبات من المرجح أن تكون فعالة فقط في ظروف نادرة.

(٣) انظر الحاشية السابقة.

(٤) عندما يكون اللاعب الأضعف هو المباشر. الإرهاب و التمرد هي الأشكال المباشر. شيوعاً للهجوم غير المباشر للدفاع المباشر. و أفترض أن اللاعبين الأقوياء هم المهاجمون لأنه:

أ- أنا أبني و أختبر نتائج الصراع اللا متناسب .

ب- إن هجوم القوي على الضعيف هو النموذج الذي كان أكثر شيوعا على الإطلاق.

العقلانية أن يجبروا قادتهم على الاستسلام والتخلص من مزيد من الأذى للمواطنين[١]. و من جانب آخر فأن إيذاء و موت الأبرياء – و خصوصاً الأطفال – يمكن أنه يزيد المقاومة بين المواطنين الذين كانوا سابقاً ضد الحرب أو حياديين. و قد يجعلهم أقرب إلى حكومتهم بدلاً أن يبعدهم عنها[٢]. وحكومة الطرف المدافع قد تبدد الثروات الأساسية بشكل واسع لتحميها من التدمير المستقبلي من الجو. و كما يجيب "باب" فإن دول الأمة الحديثة ماهرة في إعادة توزيع أعباء الحصار والعقوبات الاقتصادية بعيداً عن مصادر قوة الدفاع (باب ١٩٩٧\٩٣-١٠٩)[٣] وفوق كل شيء أتوقع أن اللاعبين الأقوياء سيخسرون هذه التفاعلات لأنهم يستنفذون الوقت،

(١) و قد يصبح المد الدقيق مقصوداً كما في حالة قصف النيران على "دريسدين" و "طوكيو" والقصف الذري على هيروشيما وناغازاكي إن توضيحاً دقيقاً لقوانين الحرب قد يجعل من الحملة الجوية الاستراتيجية التي تقبل بالدمار المتلازم (موت و إيذاء المدنيين) كجريمة حرب. إن هذه القضية الدقيقة: فقوانين الحرب تسمح بالدمار المتلازم طالما أن الدمار متناسب مع الضرورة العسكرية لتدمير الهدف. و لكن هناك قوة جوية استراتيجية ليس لها فائدة عسكرية . و قد تم تأسيس ذلك بتعزيزات دمار القنابل المقصود.و التالي تلك التعزيزات ستشكل جريمة حرب و سيمكن اعتبارها مقصودة.وهمجيا رغم أن تعبير الدمار متلازم بالتعريف غير المقصود . و هذا الأمر صحيح لأنه بالرغم من حالات الوفاة و الأذى الخاصة المسببة من هجمات لم تكن مقصودة و قد تم تقبل هذه الحالات بشكل عام و اعتبرت نظامية.

(٢) هاري تيرتيلدوف يستكشف عكس الواقعية حول ماذا كان سيحدث لو حاول غاندي تطبيق استراتيجية مقاومة اللاعنف ضد الرايخ الثالث لهتلر بدل من البريطانيين كإستراتيجية دفاع غير مباشرة المماثلة لإستراتيجية حرب العصابات والإرهاب , والاعتبار التخيلي لتيرتلدوف هو أن مقاومة غاندي كانت سيتم سحقها و أن غاندي ونهرو سيتم إعدامهما أنظر (تيرتلدوف ٢٠٠١\٢٣١-٢٦٢).

(٣) لقد شبه ماوتسي تونغ مرة العلاقة بين المتمردين والمواطنين في حرب الشعب بأنها مثل تشبيه المقاتلين إلى السمك والناس إلى البحر, إن حركة ضد التمرد الفعالة ستحتاج إلى تبديل الأراضي (جعل البحر يرشح) أو قتل و إبعاد وسجن الناس (تجفيف البحر). و كلا الأمرين سيعتبر همجية. أنظر (ماوتسي تونغ ١٩٦٨\٢٨٤) هذا التفاعل يمكن تمثيله كأفضل ما يكون بإستراتيجية الاحتلال.كوسوفو من ١٩٩٨ إلى ١٩٩٩. و ذلك قبل تدخل الناتو في عملية قوة الحلفاء و بالاندماج بين القوات البرلمانية الصربية فإن القوات المسلحة النظامية ليوغسلافيا التي هندست عسكرياً طيران الألبان بفعالية حتى أنهم دمروا أي فرصة لجيش تحرير كوسوفو أن يصبح تمرداً فعالاً ضمن كوسوفو .

و يميلون إلى الهمجية[١]. وبعد الحرب العالمية الثانية تألق الشعور القومي وأصبحت الهمجية غير مثمرة سياسياً و عسكرياً .

الهجوم غير المباشر ضد الدفاع غير المباشر

تستلزم استراتيجيات الدفاع غير المباشر مستوى معين من كبح الحريات من طرف المهاجمين. وعندما يستخدم اللاعبون الأقوياء لأجله إستراتيجية تتجاهل مثل هذا الكبح للحريات فإنه من المرجح للاعبين الضعفاء أن يفوزوا. في حين تعتمد إستراتيجية حرب العصابات مباشرة على شبكة من الدعم الاجتماعي للاستخبارات, وعلى الدعم المتعلق بتحركات الجنود و تغير المواقع. في حين أن الهمجية تنفع كإستراتيجية لمقاومة التمرد بمهاجمة العناصر الأساسية لإستراتيجية حرب العصابات – التي لا تتعاكس والدعم الاجتماعي – فإنها تدمر القدرة القتالية للخصم.

الفرضية الرابعة:

عندما يستخدم اللاعبون الأقوياء الهمجية لمهاجمة لاعبين ضعفاء يدافعون بإستراتيجية حرب العصابات فكل الأشياء ستكون متساوية لذا لابد أن يفوز اللاعبون الأقوياء.

إن كلا من فرضيات نتيجة التفاعل الأربعة يوصف التفاعل كمنهج متماثل أو تفاعلات إستراتيجية لمنهج متعاكس. و يتبع ذلك أن التفاعلات الأربع يمكن اختبارها كفرضية فردية .

---

(١)كما تم التنويه إليه , فإن مشكلة الهمجية ليست في أنها لا تكسب الحروب و لكن بأنها فقط تكسب في ظروف خاصة (يمكن تطبيقها لبعض القوات الخاصة و في سياق ضد التمرد) و الهمجية هي دائما تنتج في حال ضياع السلام. و هذا اتجاه تاريخي لا يتضح حتى عودة القوات الاستعمارية إلى مستعمراتها بعد الحرب العالمية الثانية, القتل, التعذيب, و القسوة يمكنها أن تعيق المقاومة و تروع الدعم الاجتماعي السابق للحرب العالمية الأولى. و لكن بعد الحرب العالمية الثانية عنيت الطرق ذاتها بزيادة المقاومة و من هنا كانت زيادة تكاليف الغزو و خصوصا الاحتلال. اللاعبون الأقوياء بإرادتهم أو بقدرتهم على أتباع الهمجية حتى النهاية بشكل متطرف لا زالوا يستطيعون كسب الحروب و لكن ليس كسب السلام (كالجزائر تحت قيادة الجنرال ماسو).

الفرضية الخامسة:

من المرجح أن يفوز اللاعبون الأقوياء في تفاعلات منهج متماثل و يخسروا تفاعلات منهج متعاكس .

فرضيات بديلة

كما تم التنويه عليه في الفصل الأول , هناك ثلاث شروح بديلة لفشل اللاعب القوي في الصراعات اللا متناسبة والاتجاه نحو الفشل المتزايد عبر الزمن. و كلا من هذه الشروح يعمم اقتراحات قابلة للاختبار. فمثلاً، إن منطق جدال نشر الأسلحة يتضمن بشكل واضح أن الأسلحة تكون أفضل للاعب الضعيف والتي تجعل من المرجح فشل اللاعب القوي المهم. وبدوره يتضمن أن الأسلحة بحد ذاتها هي عنصر قوة مهم.

وبالتوسع, فإن الصراعات كانت أقل تناسباً مما كانت تبدو (الضعفاء كانوا أقل ضعفاً في حال التسلح الأفضل).

وإذا كان ذلك صحيحاً بالنسبة للقوي. فسيكون الشر كبيراً لتقنية القوي. ولكن شهد العالم النامي بعد الحرب العالمية الثانية فشل الكثير من اللاعبين الأقوياء.

الفرضية السادسة:

كلما كان اللاعب الضعيف أفضل تسليحاً كان من المرجح أن اللاعب القوي سيخسر الصراع اللا متناسب.

أولاً: قد يقدم نقاش طبيعة اللاعب طروحات قابلة للاختبار.

الفرضية ٧ : ١

اللاعبون الأقوياء الفاشستيون يكسبون الحروب اللا متناسبة في أغلب الأحيان أكثر من اللاعبين الأقوياء الديمقراطيين .

الفرضية ٧ : ٢

إن اللاعبين الأقوياء الفاشستيين يكسبون الحروب اللا متناسبة التي يستخدم فيها اللاعب الضعيف إستراتيجية غير مباشرة في أغلب الأحيان أكثر مما يفعل اللاعبون الأقوياءالديمقراطيون.

ولذلك، فإن الأهمية التي تعطيها فرضية اللا تناسق تكمن في شرح بديل لنتائج الصراع اللا متناسب في حالتين :

أولاً: إنها تعتبر أن القوة المتناسبة توضح عدم حصانة سياسية متناسبة(القوة و عدم الحصانة تختلف مباشرة).

ثانياً: إنها تعتبر أن نموذج الحكم لا يؤثر . لذلك فهي تقود إلى فكرتين قابلتين متناسبتين .

الفرضية الثامنة: إن القوة المادية النسبية توضح المصالح النسبية في نتيجة صراع لا متناسب.

الفرضية التاسعة: إن اللاعبين الأقوياء الديمقراطيين و الفاشستيين يشاركون بشكل متساو في عدم الحصانة السياسية في صراع لا متناسب طويل الأمد. وتقييمات الفرضيات الخامسة والسادسة والثامنة سيتم تضمينها في القسم النهائي لكل دراسة لحالة تاريخية و تقييمات هذه الحرب ستظهر في النتيجة النهائية في الكتاب..

اختبار كمي لفرضية التفاعل الاستراتيجي

حتى لو كانت فرضية التفاعل الاستراتيجي جديرة بالتصديق و سليمة منطقيا قبل أن يتم إعلانها كنظرية، فإنها بحاجة لاختبار . و ها أنا ذا اختبر فرضية التفاعل الاستراتيجي في تحليل كمي لمئتين واثنين من حالات الصراع اللا متناسب والتي حدثت منذ عام ١٨١٦ و حتى عام ٢٠٠٣

. و الهدف من ذلك هو تحديد ما إذا كانت هناك علاقة متبادلة هامة إحصائيا بين التفاعل الاستراتيجي و نتائج الصراع اللا متناسب و لكني أيضاً اختبر النقاشات المتبادلة مثل نقاش أن الضعيف كان يفوز في الحروب بعد الحرب العالمية الثانية لأنه كان يحصل على مساعدة من القوى العظمى .

الترميز و الحالات

إن أفضـــل طريقة لترميز الحالات هي فحص تاريخ كل حرب في مجموعة معطيات (العلاقات المتلازمة في الحرب).

و قد كان يتم ترميز الصــراع على أنه صــراع لا متكافئ إذا كان النتائج مشـطورة بين السـكان والقوات المسلحة للاعب ويتجاوز الإنتاج البسيط للسكان و القوات المسلحة للخصم بنسبة واحد أو أكثر. فإذا كان اللاعب القوي يستخدم قوات مسلحة ليحاول تدمير قوات اللاعب الضعيف أو السيطرة على الأشياء القيمة "وليس تدميرها" فقد كان ذلك يرمز كهجوم تقليدي. و إذا كان اللاعب الضـعيف يسـتمر بالمقاومة المسـلحة ضـد قوات اللاعب القوي في محاولة لمقاومة هجماته , فقد كان ذلك يعتبر دفاعاً تقليدياً. و قد كان ترميز الهمجية و يبقى اللاعبين الأقوياء الذين كانوا يستهدفون اللا محاربين بشكل نظامي. و الذين يستخدمون الأسلحة غير المميزة. أو يتقبلون فكرة الأذى المتلازم في حملة قصـف إسـتراتيجية بعد تعزيزات التدمير بالقنابل لا تلقي أي شك على الضرورة العسكرية للحملة ككل. و اللاعب الضعيف كان يرمز له بأنه يستخدم إستراتيجية حرب العصابات إذا كان يسعى لفرض تكاليف على اللاعب القوي ذو القوة المســـلحة في حين يتجنب المعارك الضـــارية و كل صـــراع ثنائي كان يتم ترميزه بأحد التفاعلات الاستراتيجية الأربعة (مباشر, مباشر – مباشر , غير مباشر – غير مباشر , غير مباشر – غير مباشر , مباشر) [١]

---

(١) إن معظم الحروب اللا متناسبة تحتوي على تفاعل استراتيجي بارز من البداية إلى النهاية . ولكن القليل منها كما في الحروب في جنوب إفريقيا و تدخل الولايات المتحدة في فيتنام , يحتوي نتائج متعددة أو تفاعلات متزامنة متعددة على التوالي و في صراعات التفاعل المتعدد النتائج تتغير الاستراتيجيات , و لكن في توالي مؤقت فإن التغير الاستراتيجي

قبل أن يتم إنزاله إلى أحد نماذج التفاعل الاثنين (المنهج المتماثل أو المنهج المتعاكس) [١] كما أن المتغير الرئيسي للتحليل هو التفاعل الاستراتيجي البدائي مقارنة بنتيجة حصيلة الصراع. و إذا كان التفاعل استراتيجي يسبب تغيرا في نتيجة الصراع, فإن التغير في قيمة التفاعل الاستراتيجي يكون عبر عالم الوقائع. يجب أن ترتبط بتغير متماثل في النتائج و إن المتغير البدائي كان يتم ترميزه إذا خسر اللاعب القوي أو إذا انتصر[٢].

إن اللاعبين الضعفاء يفوزون بنسبة ٢٢,١% في المنهج المتماثل و ٧٤,٤% في تفاعلات المنهج المعاكس و هذه العلاقة هي متميزة إحصائياً (بير سون تشي سكواريد). في حين أن تحليل تأثير الدعم الخارجي لعدم الحرب بالنسبة للاعب الضعيف لا تحبط نظرية التفاعل الاستراتيجي . و حتى عندما لا يستلم اللاعبون أي دعم, فإنهم يبقون من المرجح أن يفوزوا في تفاعلات المنهج المعاكس أكثر من تفاعلات المنهج المتماثل (بير سون تشي سكواريد).

لجانب واحد يتبعه بسرعة تغير آخر و صراعات التفاعل المتزامنة المتعددة هي تلك التي فيها لاعب فردي أو لاعب و حلفائه يناضل لتحقيق استراتيجيات مختلفة ضد الخصم ذاته و ضمن مسرح فردي للعمليات. و التوزيع التجريبي لنماذج الصراع هو كما يلي :

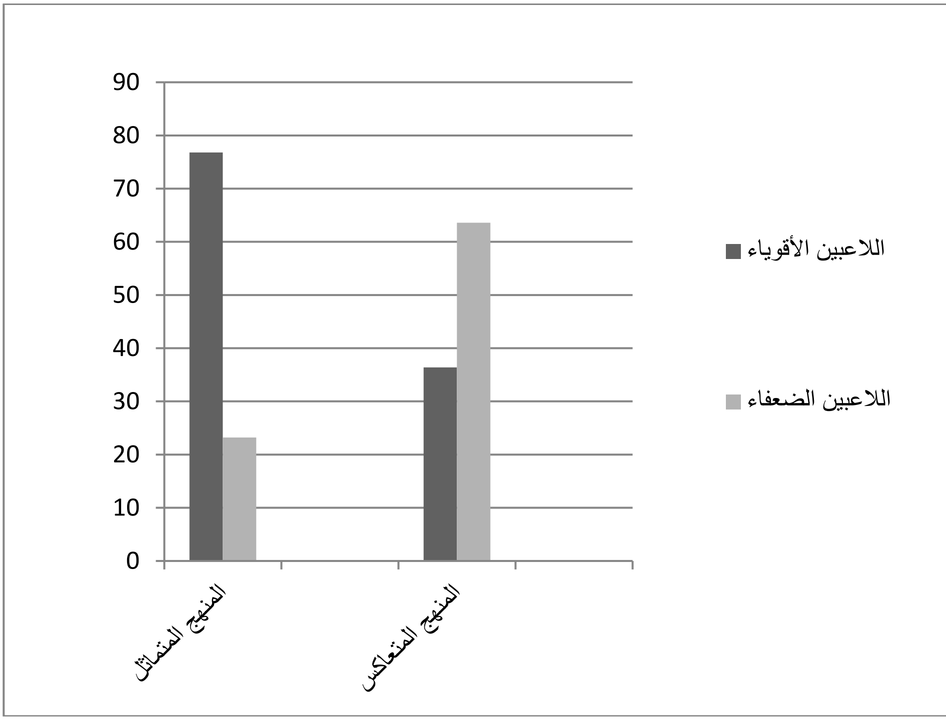
فردي / ١٣٤ (٧٧,٥%) متعدد النتائج / ٢٩ (١٦,٨%) متعدد النتائج بشكل متزامن / ١٠ (٥,٨%) و في هذا التحليل , فإن نتائج الصراع يتم شرحها عن طريق نتائج التفاعل الاستراتيجي.

(١) و في التحليل الرئيسي فإن الحروب القليلة نسبيا و ذات التفاعلات المتعددة قد تم إضعافها إلى تفاعلات فردية و في التفاعلات المتعددة النتائج فإن التفاعل النهائي كان يستخدم ليمثل الصراع الكلي : لقد تم ترميز حرب جنوب إفريقيا كمنهج متماثل لأنها انتهت بتفاعل غير مباشر – غير مباشر

(٢) و في الصراعات المتزامنة المتعددة , فإن التفاعلات تقسم على نحو متناسب فتدخل الولايات المتحدة في فيتنام تم ترميزه على أنه منهج معاكس لأنه بالرغم من أن بعض التفاعلات كان من نوع المنهج المتماثل , فبالتوازن , فقد تقرر الصراع من قبل تفاعل مباشر – غير مباشر. و النتيجة الرئيسية لهذه الإضعاف هو اختبار أقسى لنظرية التفاعل الاستراتيجي – لأن التفاعلات المنهارة تزيد من تأثير القوة المادية النسبية على النتائج .

التفاعل الاستراتيجي و نتائج الصراع

إن الجداول المتقاطعة رسخت فكرة أن التفاعل الاستراتيجي و نتائج الصراع لا تتناسب إذا كانتا مرتبطتين معاً لأن هذه العلاقة تعتبر هامة إحصـائيا " أنظر الرسـم التوضـيحي رقم /١/ لذا فإن النتائج تدعم الفرضية الخامسة.(١)



الرسم التوضيحي رقم (١)

لقد فاز اللاعبون الأقوياء بنسـبة ٧٦,٨% من تفاعلات المنهج المتماثل , و فاز اللاعبون الضـعفاء بنسـبة ٦٣,٦% من المنهج المعاكس . لذلك كان من المرجح للاعبين الأقوياء أن يفوزوا عندما يقومون بتقليل الأقوياء من التفاعل الاستراتيجي في المنهج المعاكس.

---

(١) إن إحراج الشاه و الصراعات المستمرة كان يتم ترميزها كخسارات للاعب القوي . بير سون تشبديل:ريد "١"

و لأن اللاعبين الأقوياء لديهم قدرة مادية على التكيف مع الهزيمة أكثر من اللاعبين الضعفاء. فالتفاعل[٤٦] يعرض اللاعب القوي بشكل أكبر من هزائم اللاعب الضعيف و قد اختبرت أيضاً هذه النظرية باستعمال التفاعلات الاستراتيجية (أكثر من نتائج الصراع)كمتغير مستقل،و كذلك في عدم انهيار المعطيات التي تم تحليلها هنا .

اختبار توضيح بديل: الدعم الخارجي للاعبين الأقوياء

كم من تلك الانتصارات للاعب الضعيف كانت بسبب الدعم الخارجي [٤٧] ومنطقياً فإن اللاعبين الضعفاء قد جذبوا الدعم الخارجي بشكل ضعيف عند الصراع مع لاعبين ضعفاء . في حين أن اللاعبين الضعفاء قد يجذبون بعض الدعم, في غالب الأحيان [٤٨].

يمكن للاعبين الضعفاء أن يفوزوا في الصراعات اللا متناسبة بسبب الدعم الخارجي أكثر من مجرد استخدامهم للإستراتيجية المعاكسة المفضلة. في حين أن المقارنة بين المتغيرات العادية الرئيسية هي التي تتحكم بالدعم الخارجي للاعب الضعيف.

تحليل العلاقات بين التفاعل الاستراتيجي و نتائج التفاعل (كما هي ضد نتائج الحرب) . هذا التحليل يعطي نتائج بحث مدهشة

(٤٧) لقد تلقت الولايات الكورية.دعماً من تركيا بما في ذلك الوحدات الكورية. و ذلك خلال سياق الدعم . كما تلقت دعما من استراليا خلال الحرب الفيتنامية و في هذا السياق , فإن الدعم كان لإحداث تأثير مادي في توازن القوى المتواجد للاعب القوي . و لإقرار سياسة الولايات المتحدة و جعلها شرعية .

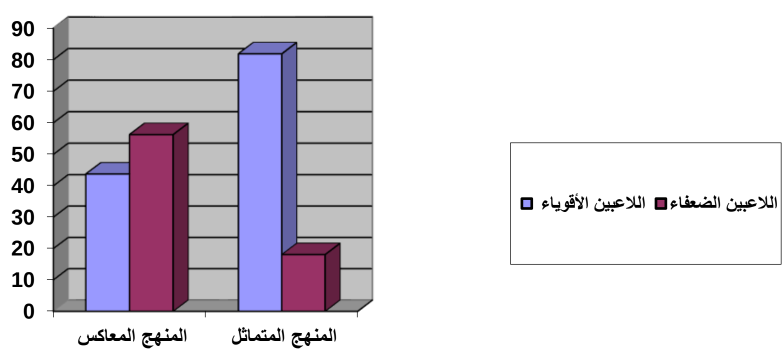
(٤٨) – لم يكن هناك حالات كافية للإدعاء الإحصائي.الإيجابي لجعل نتائج البحث متميزة بشكل إحصائي . و كنتيجة , يمكن تقرير فقط العلاقة بين التفاعل الاستراتيجي و النتائج عندما لا يستلم اللاعب الضعيف أي دعم خارجي .

ويمكن تلخيص النتائج في الرسم التوضيحي /٢/ في حين أن الجدولين التوضيحيين /١/ و /٢/ متشابهين كثيراً، و الحقيقة أن كون اللاعبين الضعفاء أسوأ قليلا يتضمن الدعم الخارجي. لكن نتائج البحث الرئيسية تتضمن أنه حتى عندما لا يستلمون أي دعم, فإن اللاعبين الضعفاء يكونون أوفر حظاً للفوز بثلاث مرات بتفاعلات المنهج المعاكس أكثر من تفاعلات المنهج المتماثل. و بشكل أساسي فإن تأثيرات التفاعل الاستراتيجي يسوء بتأثيرات الدعم الخارجي للاعبين الضعفاء.

التفاعل الاستراتيجي و استمرار الصراع

إن الآلية العرضية الرئيسية لنظرية التفاعل الاستراتيجي هي : الوقت .

فتفاعلات المنهج المتماثل تنتهي بسرعة في حين أن تفاعلات المنهج المتعاكس لا بد أن تطول (واللاعبون الضعفاء يميلون إلى كسب الحروب الطويلة) .



الرسم التوضيحي رقم /٢/

و لأن تحليل الاستمرارية المتوسطة لتفاعلات المنهج المتماثل والمتعاكس تدعم هذا الإدعاء في الاستمرارية العادية فإن نسبة تفاعلات المنهج المتعاكس كانت ٢,٢٧% عاماً و تفاعلات المنهج المتماثل كانت ١,٥٧% عاماً (١,٦٦ عاما كان العادي الإجمالي) .

و بلغة الاتجاه عام ١٩٤٩ ,فإن كلاً من تفاعلات المنهج المعاكس و نجاحات اللاعب الضعيف قد زاد عملها الإضافي:

منذ عام ١٨٠٠ إلى عام ١٤٤٩ بمقدار ٥,٩% للتفاعلات في (٣٤) من الصراعات اللا متناسبة كانت في المنهج المعاكس .

و من عام ١٨٥٠ إلى عام ١٨٩٩ بمقدار ١٠,١% من الصراعات في (٦٤) صراعاً لا متناسب كانت متعاكسة

و من عام ١٩٠٠ إلى عام ١٩٤٩ ,فإن ١٦,١% من (٣١) صراعاً متناسبا كانت متعاكسة. و من عام ١٩٥٠ إلى عام ١٩٩٩ , في ٢١ % في (٣٨) صراعاً لا متناسبا كانت متعاكسة.

وباختصار، فإن تحليل المعطيات يدعم ثلاث فرضيات رئيسية تتعلق بالتفاعل الاستراتيجي نحو نتائج الصراع اللا متناسب :

- أولاً : اللاعبون الأقوياء من الأرجح أن يخسروا التفاعلات الاستراتيجية ذات المنهج المعاكس .
- ثانياً : صراعات التفاعل المعاكس – المعاكس , تستمر أكثر من تفاعلات المنهج المتماثل .
- ثالثاً : تكرار تفاعلات الاتجاه المعاكس قد تزيد في التناسب التقريبي لهزيمة اللاعب القوي الإضافية .

و هذا التحليل محدود لأن المعطيات مفقودة: كما أن العديد من الحروب الاستعمارية و المدنية لم تسجل كمية القوات الملتزمة ولا اللاعبين المستخدمين في الإستراتيجية، و رغم أن نقاط الضعف هذه تتوازن مع الضوابط الإحصائية فإن المعطيات التامة كانت ستدعم فقط العلاقة المتبادلة بين المتغيرات و ليس السببية .

و من هنا، فإن تحليل المعطيات رغم أنه قد يرخص قضية التفاعل الاستراتيجي , فإن هذه الفرضية يمكن إثباتها من خلال الاتحاد مع مقارنة دقيقة للحالات التاريخية. فإن اللاعبين في صراع المصالح يأتي كل منهم إلى ذلك الصراع بذرائع, وخطة لاستخدام الموارد الخمسة.والمساعدة من الحلفاء أو الأسلحة التي ستنتشر في وقت قريب، ومن غير الوارد أن تكون الأشياء الأخرى كلها متساوية, لأن وفرة الموارد هي شيء جيد للحصول عليه في الحرب. و لكن إذا كانت فرضية التفاعل الاستراتيجي صحيحة , فإن تفاعل خطة كل لاعب لاستخدام الموارد عظيمة كانت أو هزيلة – يتحول إلى شيء أكثر أهمية .

كيف تم تنظيم الفصول المتبقية :

إن المتبقي من هذا الكتاب قد تم التعامل فيه مع تحليل نظامي لدراسات الحالات التاريخية الخمس و كل دراسة حالة لها نفس البنية:

الخلفية: بما في ذلك الجغرافيا و المناخ.مصالح اللاعب السابقة للقتال: كيف يتم خوض الحرب ونتيجة الحرب .

المتنافس : كيف كانت القوة و نموذج نظام الحكم لكل لاعب يؤثر في مصالحه و إستراتيجيته و كيف كانت تعمل التقنية العسكرية المقارنة ؟.

و هل كان هناك جانب بدون إحصائية سياسية و إن كانت كذلك , فكيف ساهمت تلك الإحصائية في نتائج الحرب (٤٩).

---

(٤٩) – إن تناسب خسائر اللاعب القوي مقارنة بالنسبة المئوية المتزايدة لتفاعلات المنهج المعاكس هي في فترة الخمسين سنة النهائية أكثر منها في فترات أخرى و هذا يوحي بأن العوامل الأخرى – مثل نموذج المضاد للاستعمار , ارتفاع الشعور القومي , و انتشار أنظمة التجارة الحرة , و تدخل القوى العظمى خلال الحرب الباردة – تشرح بعض جوانب هذا الاتجاه .

و مع ذلك , فإن المعطيات تبين بوضوح أن فرضية التفاعل الاستراتيجي تبقى المتميز الطارئ الأكثر أهمية .

الفصل الثالث
روسيا في القوقاز
حرب "الموريد"
(١٨٣٠-١٨٥٩)

يعتبر رجال القوقاز العظيمة، أقوياء بطبيعتهم، كالمصانع التي يحميها الجيش ويدافع عنها . إلا أن الرجل المستهتر يحاول أن يكبر على معقل قوتها، في حين يرى القائد الحكيم ضرورة اللجوء إلى الفنون العسكرية، ووضع خطط موازية، متقدما في الخنادق والألغام، ولذلك يسيطر على المكان (فالمينوف بادلي ١٩٠٨) .

فعندما تدخل في معركة،فحتى لو كنت المنتصر، و تستمر لفترة طويلة فإن القوات الخاصة بك تصبح مملة وغير حادة؛ وإذا حاصرت قلعة لفترة طويلة، فإن قوتك تصبح متعبة ثم سمعت من العمليات العسكرية بأنها كانت خرقاء ولكن على وجه السرعة، لكنني لم أر واحدا كان ماهرا واستغرقت وقتاً طويلاً.

إنها ليست مهمة مفيدة للأمة لمواصلة العملية العسكرية لفترة طويلة "صن تزو" (١٩٨٨). بدأت روسيا محاولة ليّ مرفق القوقاز بشكل حثيث نحو مائتي سنة مضت. وبما أن العديد من الدراسات المعاصرة المشتركة بين السياسة تبدأ بالتحذيرات عن حساسية نتائجها لفترات معينة من التاريخ [١] على ما يبدو فمن المفيد أن نقول لماذا أعتقد أن دراسة متأنية بعيدا عن الصراع لا تزال مفيدة.بل وملائمة و من الواضح أن هناك ثمة أشياء كثيرة عن المكان والزمان التي تبدو فريدة من نوعها على حد سواء. فطابع الحرب كان من مائتي سنة.

روسيا في القوقاز:

بعيداً عن المنطق المختلف عن منطقة الحرب العالمية الثانية ففي زمن السؤال الممتد من زمن الثورة الفرنسية إلى الحرب الأهلية الأمريكية يبرز اختلافان بشكل خاص :

---

(١) – على سبيل المثال، نظريته في السياسة الدولية، كان كينيث الفالز يقيد القوة التفسيرية بهيكلية واقعية لمرحلة ما بعد الفترة الزمنية ويستفاليا، وتقليدية في الردع، وجون ميرشيمر يقيد القوة التفسيرية بحجته لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية والفترة الزمنية . (الفالز انظر (١٩٧٩)، وميرشيمر (١٩٨٣).

- أولاً: شعور عميق من الشرف، الواجب، والمجد المرتبط بالحرب كان مصدراً رئيسياً لدوافع كل من الضــباط والجنود.وكانت هذه الأشــياء تنمو بقوة دافع الرغبة في المخاطرة وتقديم التضحيات وعلى وجه الخصوص، شجاعتهم في المعركة.ومن المعتقد ان الشجاعة في المعركة كانت بدورها

و بشكل واسع أنها تؤثر على نتائج النزاع وهكذا فعلت.

- ثانياً: التكاليف الباهظة لحرب الموريدين من حيث الوقت (٣٠ سنة) ويعيش فيها (أكثر من نصف مليون رجل) بشكل ما حول الأخطار المسبقة وحول معنى النصر في الحرب وإنجاز التكلفة النسبية لتحقيق هدف سياسي بوسائل عسكرية.

كان لاستيلاء روسيا على القوقاز بعض المزايا الإستراتيجية الجديدة على حفظ الاستقرار على الحدود الجنوبية.

كانت المنطقة مكلفة ليتم السيطرة عليها وتجاوز الصعوبات حتى العصر الصناعي (الذي بزغ قدر كبير منه في روســيا في وقت لاحق في مكان آخر) وثروتها النفطية التي تقع بالأراضي البور.

وإذا وضعنا هذه الخلافات جانباً، فلا تزال أوجه تشابه كفاية خلال فترة الحرب الموريدية لجعلها أكبر لهذا الغرض كما لا يزال هناك نظام مع أنواع أنظمة يوصف بأنه ديمقراطي أو استبدادي.

كانت تكنولوجيا الأسلحة مختلفةً عن اليوم لكن الإستراتيجية متشابهة والتفاعل بين هذه الأسلحة التكنولوجية والإستراتيجية كانت متماثلةً أيضاً، والأهم من ذلك، فالتفاعل الإستراتيجي ما كان يهم في القرن التاسع عشر وكذلك عند فوزه "بعل" في "كاتاي" في عام ٢١٦ ق.م أو كنصر الجنرال الأمريكي "نورمان شوارزكوف " في عاصفة الصحراء في الكويت عام ١٩٩١.

مسرح القوقاز:

كانت الفكرة في أن الفضاء الإرهابي الإقليمي يمتد من قزوين إلى البحر الأسود ويشكل القلعة الطبيعية متمثلة بالمعلقين على هذا الكفاح وعلى كل من الطرفين. كما فعل نابليون من قبلهم حين عبر عن أن الذي لا يسير ضمن المسيرة لا يستطيع فعل شيء ضدي فأنا لا أقارن نفسي بدول ذات السيادة، فأنا شمائل أفكاري عادية (بلانش ١٩٦٠ – ١٢٩)

.

وفي الواقع، كانت جبال داغستان بمثابة نوع من المحافظة على إبقاءه الداخلي، وهي في الواقع آخر سد عائق للكسب في حين أن التلال والغابات الكثيفة في الشيشان كانت بمثابة نوع من الجدار الخارجي للخندق وكحواجز عصية على الغزو (بديلي، ١٩٠٨: الخامس والثلاثون).

إن عدم وجود طرق وكثافة الغابات في الشيشان وقلة الطوارئ كانت تضعف سلاح الفرسان وفي الوقت نفسه فإن الكشف عن خط المسيرة كان يبدو وكأنها لا نهاية لها من أجل مهاجمة المعاقل الجبلية لهزيمة الروس , وحيث طرح خبراء الألغام والمدفعية الثقيلة

مسحوق الرصاص وتتطلب ذلك قدراً كبيراً من قطع الميدان والموارد السوقية وهذه بدورها تتطلب إجراءات أمنية مشددة حيث كان الروس يعانون من البطء في التكيف على الرغم من التأثيرات المختلفة أمام الحرس المتقدم وراء الخطوط الخلفية وعلى كلا الجانبين

عند التخلي عن المدفعية والإمدادات يصبح التنقل أسهل، ولكن عند الوصول إلى المعاقل الجبلية سيكون من المستحيل عليهم التمسك بمواقفهم، وستضعف قوتهم لكن روسيا تكيفت مع صعوبات تضاريس القوقاز بطريقتين:

- أولاً: من خلال قطع الأشجار .
- وثانياً: عن طريق بناء الطرق والحصون و يقول المعلقون من نواح كثيرة مقنعة أن الشيشان و داغستان سقطتا على الفأس ولكن ليست بحد السيف، فإستراتيجية تغيير التضاريس نتيجة منطقية و إستراتيجية مكافحة التدمير التي استخدمها "يرمولوف"كقطع الأشجار وإزالة الغابات . وهذا ما قامت به الإستراتيجية الأمريكية في وقت لاحق من تجريد ورق الشجر لمناطق كبيرة من جنوب و شمال فيتنام فضلاً عما فعله الرئيس العراقي السابق "صدام حسين" في تخفيف مياه المستنقعات في جنوب العراق لاحتواء و تدمير الميليشيات الشيعية المتمردة التي كانت هناك بعد كل مزاياها الدفاعية من جبال وغابات فهي لم تشكل لها مصدراً للقوة بشكل واضح وصريح بل على العكس تماماً فهي تبرهن أن صعوبات التضاريس والمناخ قد فاقمت الأوضاع، وبذلك يزداد تأثير كل من العرق واللغة والتفاصيل الأخرى(بدلي-١٩٠٨) .

ووفقاً (لبدلي) فإن "الموريدين" ســـوف يفوزون طالما كانوا قادرين على الحفاظ على جبهة سياسية موحدة على أن انشقاق التحالف سيؤدي في النهاية إلى تهلكتهم، فإذا كان هذا صحيحاً فإن تضاريس الشيشان وداغستان قد قدما عرضاً شاملاً للميزة العسكرية، ولكن بدون الميزة السياسية كخلفية غزو روسيا للقوقاز والذي وقع على ثلاث مراحل :

- **المرحلة الأولى** : وقعت أثناء حكم "بطرس الأكبر" ومباشـــرة بعد أعقاب نجاحه في الحرب مع السـويد في عام١٧٢١م والاسـتفادة من الغزو الأفغاني لبلاد الفرس، قاد بطرس الأكبر بنفسه حملة الجنوب وحقق نجاحه في نقل سيادة مختلف المناطق الإدارية من سلطة الفرس إلى روسيا . وفي هذه المرحلة ظهر هناك نزاع عسكري صغير جداً وذلك بعد صـد النزاع الذي حصـل والذي يمكن أن نتنبأ بما يلي في كل من غابات الشـيشـان وغابات وجبال داغستان حيث كانت روسيا قد شهدت صعوبات (غامر١٩٩٤\٢\) ولكن نجاح روسـيا في هذه المرحلة كان يرجع في الحقيقة إلى أن نزاعها كان في المقام الأول وليس مع أيا من الشيشـان أو الأفكار \الاثنية الرئيسية لقبيلة داغستان\ القديمة وانجازها في غضـون اشـهر قليلة لكن فرحة الروس بالنصـر قد تضـاءلت ليلاحظ كيف أن الفرس سـروا بشـكل عظيم بأنهم يمكن أن يضـعوا أيديهم على الروس ولكن هذا القلق كان غير نافع، وفي التحليـل الأخير تمـامـا - الأرض المســتقلـة عن قطـاعين الطرق (اساد١٩٣١\٢١٣) .
- **المرحلة الثانية** :وقعت أثناء حكم "كاترين الأكبر" في عام ١٦٩٣م فهي التي أنشئت غابات "الموزليك في قلب (كابارديا) وبعد١٤عاماً من النضال الشاق

كانت(كاباردياُ) تفتح وتحتل من قبل فوج جديد من "الكوزازك المزدوك "القوقازي في حين كانت حروب أخرى تدور من خلال التوســـع في عهد "كاترين" احتلت "جورجيا" لفترة قصيرة ثم تم التخلي عنها، لكن التدخل الروسي في القوقاز بقي غير متحمس لذلك، حتى قبل موتها ولكن عندما قام البربر بنهب "تفليس" كانوا قد اســـتفزوها لتعلن الحرب على الفرس حيث كان الروس قد هزموا الفرس في كل مكان، لكن "كاترين" ماتت أثناء الحرب فقام ابنها – وريثها- "بول" بســـحب القوات الروســـية من القوقاز ليتخلى عن كل الممتلكات الروسـية هناك، ومع ذلك و بعد وفاته في عام ١٨٠٠م فإن ابنه "الكسـندر" وافق على عروض التنازل عن السـيادة الجورجية لصـالح روسـيا بعد وفاة العاهل الجورجي، إلا انه توفي عام ١٨٠٠ م – و إيذاناً ببدء الروس لمدة ســـنتين من محاولة لقهر القوقاز- فإن ضـم جورجيا كان مثل ضـم "منشـوريا" في وقت لاحق من قبل اليابان وذلك في عام ١٨٩١م حيث حرضت مجموعة من الالتزامات العسكرية المتصاعدة، والتي كانت تتضمن توسـيع نطاق المنطقة العتيدة من أجل الحفاظ على ما لدينا لنا – توسـيع نطاق الحصـول على المزيد من الإيرادات ولكن كان علينا أن ننفق من الموارد لتوسيع نطاق الملكية الواهية، ولذلك علينا أن نتوسع ثانية للحفاظ على ما لدينا .

كانت الفترة الممتدة من عام ١٨٠٠م وحتى عام ١٨١٥م وقتاً صـعباً بالنسـبة لروسـيا في القوقاز وبصفة خاصة في الغرب، وحيث كانت روسيا تحكم القانون فإن ضم جورجيا كان من الصعب تحقيقه بشكل عملي للإمبراطورية الروسية التي واجهت الحرب ضد العثمانيين وضـد الفرس وفضـلا عن ذلك غزو نابليون فرنسـا أثناء هذا الوقت، ولا حتى هزيمة نابليون كانت قادرة على تحويل الاهتمام المتواصل إلى الجنوب .

المرحلة الثالثة والأخيرة :كانت تبدأ من منطقة القوقاز وبقسوة وعنف، وظلت هكذا حتى عام ١٨١٦م واستمرت حتى إلقاء القبض على (شامل) في عام ١٨٥٩م لكن هذه الحرب جاءت في نهاية المطاف لاستيعاب كامل اهتمام الإمبراطورية الروسية مع حياة العديد من الموهوبين ومن أحب الشعراء ومئات الآلاف من الجنود العبيد وفي هذه المرحلة الثالثة كانت هناك محاولات الغزو التي تشكل المحور الرئيسي لهذا الفصل في التمهيد لحرب "يرمولوف – فيلمينو–الهمجية" وذلك عندما انضم "ميخائيل يرمولوف " لجيش الجنوب في عام ١٨١٦م حيث كان اسمه أسطورة في صفوف الجنود الروس ولم يقتصر الأمر على هذا الأسد الروسي العملاق والتبجيل الروسي العام لاندفاعه وشجاعته في العديد من الاتفاقات مع نابليون حيث كان قد منح صليب "سان جورج" وهو في سن السادسة عشر، وكما تمت ترقيته إلى رتبة عقيد في الجيش بعد معركة "استر لتيز " في عام ١٨٠٥ م لكنه ظل يتذكر وللأبد كما كان من القادة محبوبين من قبل الجنود فهو قادهم (بدلي١٩٠٨\٩٥\ ) إلى نصر كبير، وحيث كرس "يرمولوف" نفسه للقيصر ولدارة ولمجد روسيا، في حين تلخص "بدلي" هدفه على هذا النحو حيث كانت فكرة "يرمولوف" الرئيسية هي أن كل القوقاز يجب أن يصبح جزء لا يتجزأ من الإمبراطورية الروسية وكذلك أي وجود مناطق مستقلة أو شبه مستقلة أو أي نوع من التجمعات سواء كانت مسيحية أو مسلمة أو وثنية .

كانت المناطق أو الجبال و السهول تتعارض مع المعارض في كرامة و شرف سيده "القيصر" وسلامة ورفاهية شعبه (بدلي في ١٩٠٨\٩٩–١٠٠) كما هي إستراتيجيته

لانجاز هذه النهاية، فقد كان من الصـــعب على "يرمولوف" أولاً و أخيراً أن يأتي ويفعل بناء على ما يعتبره مثاليا لإستراتيجيته مكافحة الهمجية فالفكرة كانت في تقسيم المنطقة لزعيمهم وذلك إلى مناطق اصـــغر للهجوم على كل منها و تدمير الأجزاء - المناطق المقســـمة- من قبل الجنرالات الروس الذين يقرروا و بنظام قاس و شـــديد الانتقام من المواطنين الأصليين الذين لا بد من كسرهم وتدمير قراهم ومحاصيلهم وردم آبارهم و قطع أشجار البساتين وتقليل الكروم كما ويجب أن يقدموا بجهنم بحسب الجنرالات وليس يجب أن يعطى للعثمانيين دور و ليس يجب في أي وقت مضى ان يسأل أي من المقاتلين عن أي شـــي ء كما أن الحملة يجب أن تقدم بوثيقة دون مزيد من التأخير (بلانش ١٩٦٠\١٢٣) .

كانت إستراتيجية " يرمولوف " بسيطة للحصـول على اتقاء الداخل - فالجبال كانت معاقل الداغستان- وكانت الأولوية الضرورية إخضاع الشيشان، ولهذا الهدف بدأ "يرمولوف "ببناء قلعة تدعى "غرو زني" وتعني حرفياً "الخطر" واســتخدم "يرمولوف " غروزني كقاعدة لمجموعة عملياته من الغارات على جماعات الشيشان ، وهذه الغارات كما هو ملاحظ أعلاه كانت تهدف لغزو الشـيشـان قبل تدميرها لتصـبح جزءا من سـلطة القيصر أو لجعل الشيشانين يعانون ويموتون وهذا يعني كل رجل و امرأة و طفل .

ولفترة من الزمن، فقد بدا أن "يرمولوف" قد نجح في خطته — حيث قطع الأشـجار وبنى الطرق و اســتكمل الطريق الممتد من بحر قزوين إلى البحر الأسـود، و دمر القرى و الحصون الجبلية حيث أصبحت مجرد أنقاض، وواجه القبائل قبيلة بعد قبيلة لإخضاعهم

لروســيا، ولذلك، فقد بدا عظيماً بقوة عزمه . و بنهاية شــهر حزيران من عام ١٨٢٠ أعلن خضوع داغستان للقيصر والتي بدأت كانت قد بدأت في العام الماضي، و اكتملت الآن، فهذا البلد فخور و مولع بالحروب، وحتى الآن لم يقصر و قد سقط " يرمولوف " في القدم المقدسـة الخاصـة بالجلالة الإمبراطورية كما أشـار إليه "بدلي ١٩٠٨\١٣٨" و إن كانت قليلاً هو ما كان يمكن له أن يفكر فيه في وقت تقديمه لإثبات سابق النجاح يتلوه نجاح حتى عام ١٨٢٤ حيث بدأ "يرمولوف" ينتبه لإشــاعة التعصــب الديني مخضــعا داغستان وقيادتها الدينية و قد شهدت الشيشان انتفاضة عضوية في كانون الأول ١٨٢٥ بعد موت "الكســندر الأول" على غير المتوقع و كان "يرمولوف" يفكر أن أخاه القيصــر "قســطنطين " قد قبل التاج و قســم قيادته إلى "القســطنطينية" ولكن " يرمولوف "كان مجهولاً على كل حال، حيث رفض "قســـطنطين" أن يأخذ التاج، ولذلك مرره إلى ابن "نيكولاس" " القيصـر" في حين أن التزام "يرمولوف" للقسـطنطينية قد أيقظ "نيكولاس" و لكن عدم السـماح له بالاستمرار في القيادة لعام آخر و انضـمام "نيكولاس" قد سـجلت نهاية لسـيرة "يرمولوف" الذي طرد واضـطر لأن يتسـول من القوقاز تراثه لمناضـلة القوقاز وتوحيد الشـــعوب. و من جهته ثانية، فقد قام "دفالمينوف "باختراع فيالق القوقاز، و في سـلسـلة من الحصـون التي كانت حاسمة لقواعد الاحتلال في وقت لاحق في الشـيشـان و داغستان .

و من جهة أخرى فإن إستراتيجية الهمجية المباشرة قد عهدت الطريق لظهور جهة المعارضة من "الموريد" و الشامل و التي لم يذكر أن كان لها مثيل على مر التاريخ من الشعب

القوقازي في صلب جهة القتال و جهة المعارضة الروسية السيادية ومصالح روسيا خلال حرب "الموريد" الإمبراطورية الروسية المترامية الأطراف حيث كان من حكم "بطرسبرغ "قبل سنتين متتاليتين القياصرة "نيكولاس الأول" من ١٨٢٦ إلى ١٨٥٥ و"الكسندر الثاني" من ١٨٥٥ إلى ١٨٥٩ و إن كانت يميل إلى الفردية فإن القيصرية تمثل عكس الفلسفات السياسية و الاجتماعية التي تسعى للإصلاح .

كان القياصرة ككل يتقاسمون نزعة السلطة المطلقة العلمانية و الدينية خلال حكمهم لمصالح روسيا العظمى والتي وضعت بنظام خاص حكومي وحيث السلطة التي كانت الميزة الكبرى في روسيا والتي تكمن في نظام الحكم، على أن السلطة الاستبدادية التي، إلى جانب وجود العبودية، قد مكنتها من ملء صفوف الجيوش في البلاد، ولكن الأهم من ذلك، لتأمين طريق الفتوحات ولشبكة واسعة من تسوية الأراضي القوقازية. (بديلي ١٩٠٨:٢٣٦).

كانت الحيازة العسكرية ووضع الخطط الجديرة أمراً بالغ الأهمية، لأنه في كثير من وسائل روسيا فقد كان النظام يشكل الأساس للحكم منذ القرون الوسطى. إلا أقلية ضئيلة من مواطنيها كانوا يعرفون القراءة والكتابة، والنظام العبودي والرق.

و في الواقع، فإن روسيا في ذلك الوقت لم تكن تمارس النفوذ الأجنبي أو العسكري كما يجب . فلم يكن هناك مركزية واسعة النطاق لجمع ونشر التقارير عن وقوع خسائر بشرية وأخيراً، لم تكن روسيا الاجتماعية والنخب السياسية والقوقاز تشارك في هذه الحملات، بل وإنه يمكن القول إنهم غالبا ما كانوا رومانسيين ولا أكثر وضوحاً، والدليل على ذلك

أن هناك حاجة إلى أكثر من الرومانسية كقصائد "ميخائيل" وقصص القوقاز "لرمنوتف " كان نوع العظمة الروسي الذي هو تعريف مطلق للغاشية "السلطوية" في حين كانت مصالح روسيا في القوقاز بسيطة لإخضاع وضم و تحويل و تهدئة هذه المصالح التي لم تتغير بشكل مؤثر منذ عهد القيصر " بطرس الأكبر" و لم تتغير خلال مجرى الحرب .

اهتمامات الموريد

في عام ١٨١٦ كان يمكن وصف خصوم روسيا في القوقاز على أنهم أفضل القبائل المستقلة و كل منها قاوم الاندفاع الروسي بشكل منفرد على الرغم من أن معظم المناطق المسيحية في نهاية المطاف قد تمت رشوتها أو أجبرت على القسم بيمين الولاء لروسيا ومناطق المسلمين عموماً وقد تم التعامل معها في روسيا بوسائل عسكرية (غامير١٩٩٤) بغض النظر عن العقيدة أو اللغة أو الولاء أو مهما يكن هذه المناطق بشكل عام كانت تحكم من قبل الأسر الحاكمة بشكل وراثي وبمصطلحات قيصرية فكانت أنظمة (غاشمة متسلطة) وعليه، يجب أن يضاف على أنه و لغاية حلول الفترة الموريدية لم تكن هناك قبيلة واحدة من العائلة المالكة تتمتع بقدر من السلطة مقارنة بسلطة قياصرة روسيا وبدلاً من ذلك فقد

كان الحكام يتبعون سـلطة مقيدة بقوانين قديمة تدعى "اداتس" والتي – من بين الأمور الأخرى– حددت مكافأة مناسـبة و عقوبات قواعد سـلوك الجنسـيين، كما أن " الاداتس"تلك قد أسست لممارسات مختلفة و لضغينة الدم والثأر من جديد وذلك حتى حلول الفترة "الموريدية" التي قامت بتوحيد المقاومة للاندفاع الروسي – و لو انه كان

مستحيلاً بعد عام ١٨٣٠ - فالمناطق غير المسيحية و الخانات في الشيشان وداغستان كانت تحت سيطرة مطلقة للحاكم الذي كان مثل القيصر يدعي العلمانية والسلطة الدينية "كغازي محمد " الذين عين إماماً لداغستان في عام ١٨٣٠ وعقيدته سميت بالموريدية (انظر أدناه) وعند وقوع المعركة التي سميت معركة "كريمي" في تشرين الأول/اكتوبر من عام ١٨٣٢ كان "غازي محمد " لا يزال على قيد الحياة في هذه المعركة، كما لو كانت معجزة، وعلى الأخص يعد أن جرح على يد أعدائه وبعمق . وفي تشرين الثاني/نوفمبر من ذات العام ١٨٣٢ صرح به "حمزة بيك" به إماماً ثانياً لداغستان، والذي قام - مثل سلفه- بنشر العقيدة "الموريدية" و وقد عززت أفعاله العسكرية بالتخوم الرئيسية المساعدة بين القبائل القوقازية المتذبذبة - حتى حمزة بيك الذي لاقى اللوم الكبير لغدره وإسقاطه "غازي محمد"في معركة "كريمي"- تمت إزاحته بتهمة الخيانة وذلك في شهر أيلول/سبتمبر ١٨٣٤ حيث تم تعيين " شامل" إماماً ثالثاً لداغستان و كانت البطولة في أن يبقى ممسكا بالسلطة لخمسة وعشرين عاما لم تكن مبالغة في بمصطلحات السلطة المطلقة لقيادة "شامل" لكونها عادلت بسرعة سلطة القيصر نيكولاس الأول الذي كان يمثل خصمه الرئيسي قبل حلول الفترة "الموريدية".

قاتلت القبائل القوقازية ضد الروس بتكتيك بارع، لكن ارتباطات الاستراتيجيا كانت غير منسقة باهتماماتها في مثل هذه الهجمات، بل كانت للكسب أو الشهرة الشخصية .وبعد حلول الفترة "الموريدية" نظم "شامل" الموريدين في نظام الحرب "السفسطائية" على أساس نظام العشرات فالعشرة الأكبر يكون لديهم نواباً من أشهر القادة والأتباع المخلصين

للجنرالات، والذين يقود كل منهم مئة منظم من الذين يضـــمنون ولائهم، والذين بدورهم يتوددون إلى نواب أقل شـاناً أو مرشـدين تكتيكيين مهرة برتبة "قباطنة" فالرجال المتطوعين والضباط – على حد سواء — كانت تحركهم العاطفة والحرقة لتحرير أراضيهم من الكفرة ! فعندما يربط المصطلح نفسه المعنى العلماني والديني غير المسلم بدلاً من أن يكون الكسب والشـهرة هدفاً للارتباطات، فقد أصـبحت نتاجات لخدمة الله، وكانت هذه مصـطلحات هذه الخدمة تعرف من قبل إمام " الموردين" الناطق بلسـان "الله "فقد كانت الخمر مسـكراً غامضـاً وقوة مطلقة – حتى بعد أن صـارت للروس مرادفاً للمقاومة — إلاّ أنها كانت بتغير متنوع، كان هنالك "الموردية" وبعض أصـــحاب الطريقة من الذين لم يحملوا الأســـلحة للموردين من الذين قاتلو الحرب المقدســة بتعصـــب ولهؤلاء الذين اسـتمروا هناك لم يكن هنالك تفسير آخر لتعاليم النبي إذا كان العيش بسلام يعني الخضوع لقانون الكفر، وعلى هذا فإنه لا سلام . بينما ارتأى بعض أتباع الطريقة أن تحقق العنف وتواجه القوة لكسب بعض الملاذ الروحي الداخلي، ولكن هذا لم يكن ضـــمن العقيدة التي جاءت بســهولة إلى القبائل القوقازية المتقدمة، ذلك لأن أغلبهم قد فسروا أن هذه المسألة والطريقة أيضاً يجب أن تعدل و تتكيف لتلبية المزيد من الميول القتالية لمعسكرات القرآن التي وعدت بالانتصار على العدو الكافر (بلانج-١٩٦٠-\٥٨-٥٩) وهذا التحليل الرائع يذكر بالفلســـفة الدينية "للموردين" التي لم تطلب المقاومة المســـلمة، ولذلك لم يتم تواصـــل "الموريدية" في داغســتان ولا انبعاثها في عام ١٩٢٠ والذي يفســر معالجة الحل للقبائل القوقازية لمقاومة الامبريالية الروسية وعلى أنه التغيير الخاص للحربية بنجاح الأمة والذين جعلوا "الموريدية"

القوة الكاملة، و أصبحت القوة هي التي صنعت السياسة و جعلت الوحدة ممكنة، وكرست مفاهيم التضحية بالنفس في حين كان انضمام "شامل"علامة فارقة للتحويل بمعادلة القوى المضادة لروسيا و تحويل للمصالح من الشهرة و المجد و الغنيمة إلى طرد الكفرة الروس من منطقة القوقاز و تأسيس حكومة رجال الدين التي تحكم الأراضي من البحر الأسود إلى بحر قزوين .

حرب الموريد :

كان تعداد سكان الإمبراطورية الروسية في عام ١٨١٦ حسب الإحصاء المعطى من قبل" سنكر وسمول ما يقارب واحداً وخمسين مليون نسمة منهم ثمان مائة ألف يحملون السلاح (سنكر وسمول ١٩٨٣) في حين أعطى "غامير" الرقم الكلي المخصص لمنطقة القوقاز وهو (٣٠,٠٠٠ نسمة) وذلك عام ١٨٣٠ وقد تصاعد هذا العدد إلى نحو (٢٠٠,٠٠٠ نسمة) وذلك في عام ١٨٥٠ (غامير ٢٤/١٩٩٤) في الوقت الذي لا يعين فيه "غامير" فترة زمنية هنا، لكنه يفترض أنها تعني (أثناء العام ١٨٣٠).

كما ويلاحظ أيضاً أن أكثر من ٨٠% من هذه القوات كانت من وحدات الجيش النظامي (انظر أدناه) ولاحظ عدم وجود أي تغير في القوة النسبية بالإضافة إلى التحول الكبير في عدد الجنود الروس ليكونوا جاهزين للقتال.

وبالفعل تشير الوقائع إلى مقترحات (ماك) بأن هناك صلة بين القوة النسبية والمصالح النسبية الضعيفة وذلك في أحسن الأحوال. كانت قبائل القوقاز تعني الشيشان وداغستان فقط كما سيتضح أدناه حيث أنه في هذين المجالين تتشكل منطقة جغرافية، وخلال هذه المرحلة من الصراع غير المتشابهة، والتي نحن مهتمين فيها.

لا يوجد هناك تعداد سكاني مقنع (مُرضي) ولا تعداد مقنع للقوات المسلحة ولا بيانات لقبائل القوقاز بالرغم من أن "غامير" يقيم العدد بنحو (٢٠٠,٠٠٠ نسمة وأربعين أو خمسين ألفاً) على التوالي فإن "غامير (١٩٩٤، ٢٢)" وبناءاً عليه فليس ثمة خلاف فيما يتعلق بتناسب القوة المادية بين هاتين الجهتين حيث أنه من الواضح أن روسيا هي القوة الفاعلة والموريدين كانوا الطرف الضعيف.

أظهرت حرب الموريدين تداخلات إستراتيجية مختلفة:

التداخل الأول : أنه منذ عام ١٨٢٧ وحتى الآن، كان مجمل الموريدين يتبعون أسلوب حرب العصابات (GWS) بشكل مستمر.

التداخل الثاني: بدأ من عام ١٨٤٥ إلى عام ١٨٥٥ وهو يتزامن مع انضمام (فورون زو فوَ فريتاج) إلى القيادة، حيث أن بداية هذه الفترة أظهرت الإستراتيجية الهجومية المباشرة للروس ضد مقاتلي عصابات الموريد (GWS) رغم أنها انتهت بعودة القوات الروسية إلى الهمجية.

التداخل الثالث : والذي بدا من عام ١٨٥٥ وحتى عام ١٨٥٩ وتزامن مع انضمام كلا من (بريتنسكي ويفدوميكوف) إلى قيادة الجيش وبحلول هذا الوقت، فإن الإستراتيجية الرئيسية للقوات الروسية قد تحولت إلى الهجمات المباشرة تارة واستمالة الطرف الآخر تارة أخرى، في حين بدأت ولاية (باسكي فيتش) بعدم التيقن، وحيث أنه ورث بدايات الثورات التي كانت تعتمد على حرب العصابات (GWS) الوحشية والهجوم التقليدي ضد مقاتلي القومية الدينية والتي كانت للمرة الأولى قد أظهرت من أن روسيا عليها أن تهزم، فبداية

ولايته كانت هكذا ولكن مع كل ما يبدو فإن غزو داغستان يتزامن مع ارتفاع النزعة "الموريدية" لسنوات من عام ١٨٢٧ وحتى ١٨٣٠ والتي كانت قد مرت بهدوء وكانت كافية لإنهاء الصراع.

على الرغم من أنه – و أثناء طيلة هذه الفترة كلها– كان أئمة الموريدين الكبار حكماء ومجتمعين بقوة وأيضاً أتباعهم وذلك في جميع أنحاء القوقاز وخلال عام ١٨٣١م أيضاً، إلا أن "محمد غازي" الإمام الأول في داغستان كان قد حشد مجموعة ضخمة من القوات المخصصة والتي بدأت بغارات على القبائل المتحالفة مع روسيا.

ولكن، على الرغم من أن "الموريديين" كانوا قد حققوا بعض النجاحات، إلاّ أنه ثبت أن تلك المحاولات قد فشلت.

كان الإمام "محمد غازي" رجلاً متعلماً ومبجلاً، لكنه ببساطة كان يفتقر إلى الشخصية القيادية وإلى الإستراتيجية والمهارات اللازمة لاستغلال والحفاظ على انتصارات الحلفاء. وما يظهر من حسابات المعارك خلال هذه الفترة المبكرة هو فكرة أهمية سمعة التحالف لجنب الدعم.

كان لدى القوقاز – منذ عام ١٨٣٠ – المزيد من الحلفاء حول العالم فالنجاحات تعني كسب الحلفاء والفشل يعني العزلة، ولكن فشل "محمد غازي" النهائي جاء بالدفاع البطولي – حتى الموت– عن منطقة "جيرمي" والتي فقد فيها حياته .

وعلى الرغم من استشهاده، فإن "شامل" الذي كان تلميذه ورئيس هيئة الأركان تمكن من الفرار. وهكذا، فقد كانت القوات الروسية ترد على هذا التهديد الديني في داغستان

والشيشان وتجدد همجيتها بالنار والسيف، كما وزرعت بالكراهية ورويت بالدماء والآثار ما زالت ظاهرةً بعد سبعين عاماً (بدلي ١٩٠٨/٢٧٥) مما أدى الى الأثر النهائي لهذه السياسات، وهو لضمان بقاء "الموريديين".

لم تكن روسيا حينذاك قد اكتسبت القدرة بعد على مواصلة الوحشية على النطاق الذي يلحق الضرر بالموريدين، وحيث كان " شامل" قد شفي بشكل تام من جروحه في وقت قصير، في حين كانت الغارات الروسية الانتقامية كفيلة لاستعداد الجمهور لسماع رسالته.

ومنذ عام ١٨٣٠ وحتى عام ١٨٣٧ فقد أصبح "الموريديين" أكثر قوة، وتوحدت القبائل أكثر وأكثر وهدموا بذلك صورة روسيا التي لا تقهر عسكرياً، وحتى الانتصارات العسكرية الروسية فقط قد أصبحت تعزيزاً لقبضة "شامل" (بدلي ١٩٠٨/٣٠٥٦٣٠٤) وعلى الأخص بعد أن تحداها مراراً وتكراراً.

كانت استراتيجية روسيا المبتكرة هي قتل الجميع وتدمير كل شيء، ولكن النتائج جاءت عكسية.

عادت الحملة من جديد، لكن ذلك كلف "فورنزوف" ثمناً باهظاً . فبعد الوصول لقلعة "شامل" فقط فوجئ بأمور لم يكن يحسبها بشكل سليم، فقد فوجئ بحجم الخراب، وقد كان الموقف بالنسبة "لفورنزوف" واضحاً له: وقد تلخص في أن العزلة التي شاهدها لم تكن سوى تكتيكاً، فقد كانت الجبال المحاطة من كل الجوانب مليئة بأعداء فطنين ومعززين.

وقد أدرك أنه لكي يستعيد السلطة فإنه يحتاج إلى معجزة، ولذلك، فإنه سرعان ما أعطى أمراً بالانسحاب وبدأ بالتراجع.

وبشكل لا يصدق غالباً، فقد كان انسحاب "فورنزوف" توسلاً من نفس الالتزام الأعمى للأمثلة التي كانت تقريباً قد دمرت ذلك الامتداد الهش.

ومرة أخرى ،أصـــبحت الأعمدة منفصـــلة من جديد، فالموريدون الأذكياء قطعوا الطريق وزادوا من العزلة للشريط، عندما كثرت المصائب، ونفذ الطعام والذخيرة، قام "فورنزوف" بإرسال خمس رُسل لطلب المساعدة من الجنرال "فورتيج "، وبشكل مدهش، فإن الرُّسل الخمسة وصلوا إلى القيادة وقد أُرسلت المعونة معهم بدون تأخير من أجل التخفيف على "فورنزوف" المحاصـر .وحســب " غامير"فقد مُني "فورتزوف" بخسـائر في الأرواح قدرت بأكثر من (٩٨٤)قتيلاً - والـذي كـان من بينهم ثلاثـة من القـادة - و٢٧٥٣جريحاً و١٧٩مفقوداً و٣ مدافع ومبلغاً كبيراً من النقود بالعملة المعدنية وكذلك جميع حقائب الحملة (غامير ١٩١٤: ١٥٦).كانت رؤية الجنرال "فريتج" قد أنقذت حملة "فرونزوف" الذي أقرّ بها بعد إعلانه المبكر لطلب المساعدة، إلاّ أنه شـرع بعد ذلك بتنظيم المزيد من التدمير المنهجي "لشـــامل" وما تبعها من احتلال القوقاز، على مدى العقد المقبل، وهذا ينطوي بحد ذاته على تعقيدات أكثر أو أقل فتكاً من إزالة الغابات في الشيشان.

كان عام ١٨٤٥ علامة فارقة على ذروة سلطة "الموريد" وفي عام ١٨٤٦ حاول "شامل" القيام بهجوم عسـكري تقليدي ضـد مواقع روسـية في "كابريدايا" آملاً من أن شـعب "كابريديا" سـينهض عفوياً لدعم "الموريدين" ثم تابع ضـربته الجريئة مسـتكملاً بضـرب الاتصالات الروسية بشكل قاسٍ بينما ترك "الموريدين" لبسط سيطرة مستمرة على الفضاء الجغرافي بين بحر قزوين والبحر الأسود.

ولكن النتيجة كانت فشل "شامل" بالتأكيد، ويعود السبب الأساسي في ذلك إلى شجاعة وإصرار "فريتج " والذي أدى تماماً إلى عواقب الفشل الإستراتيجي.

وهكذا، فقد استغل الروس ذلك الوضع، وعلى الفور، انطلقت القوات لغزو "لشامل" وفرسان الموريدين مع الجماعات المختلطة - غير المتلائمة- وقوات القوقاز وبين تشكيلات الجيش النظامي، فقد عزل "شامل" من قبل دهاة الاستخبارات الأذكياء.

لم يدرك أن القوة التي تهدف إليه كانت ضعيفة، فقد تبين أن دعم "الكابريديان" كان مشكوكاً فيه لأنهم كانوا ينتظرون ليرى نتائج هذه الحرب قبل إعلان دعمهم، وبعد مقاومة غير متوقعة من قلعة "الكابريديان" واجه "شامل" احتمال وجود مصائد بين القلعة العتيدة وقوة الإغاثة .

ولذلك، ومع الكثير من الاحترام "لفريتج" فقد انسحب، بعد الوفاء بوعده للمحاكمة المنهجية والمدروسة لغزو القوقاز.

في عام ١٨٣٩ نجا "شامل" ثانية بعد مطاردة مؤكدة بعد أن حاصره الروس وهزموا قواته. وبعد خسائر مخيفة من الجانبين في مدينة "أخالجو" قبل عام ١٨٤٠ حيث تم الهجوم أكثر من مرة . ومنذ عام ١٨٤٠ وحتى عام ١٨٤٢ فقد أصبح "مريدين" "شامل" أنفسهم يتقدمون بحذر شديد و يخشون الأفواج الروسية والطرق، فقد كان "شامل"خلال هذه الفترة يتجنب المعارك الضارية مختاراً بدلاً منها الهجوم المتفرق فقط واستخدام العنف أو عزل بعض القوات، والانسحاب قبل وصول القوات المساعدة، وظل الأمر كذلك طيلة الفترة الواقعة من عام ١٨٤٣ إلى عام ١٨٤٤ حيث لم يكن "شامل" و الروس الذي

يرغبون بأي مبادرة عسكرية (باديلي ١٩٠٨: ٣٦٤) فحسب "باسكي فيتش" فقد كانوا يفضلون خططاً إستراتيجية دفاعية، وتميل إلى لعب دور "شامل" .ومع ذلك فإن "الموريدين" لم يكونوا فقط وحدهم من يتعلمون الدروس المهمة، ومن الجانب الروسي أيضاً فقد كان هناك مجموعة من صغار الضباط الروس الموهوبين الذين تعلموا كيفية القتال وكيفية عدم القتال مع "الموريدين".

في عام ١٨٤٥ تم استبدال "باسكفيتش" بالكونت "خورونزف".

المقطع الثاني: الهجوم التقليدي لحرب العصابات GWS

كان للوصول الجديد والسريع – من غرفة عمليات حرب القيصر نيكولاس– لتعزيزات جديدة واستحالة خطة المعركة الطموحة لمتطلبات "فونزوف" قد أقنعته بحماقة إستراتيجية القيصر: فقد كان الهجوم يهدف إلى أسر أو قتل "شامل" نفسه.

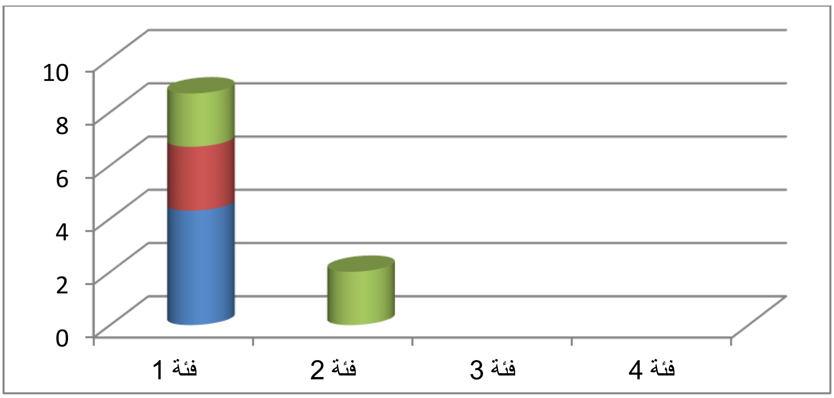
لكنه، ومع ذلك، فقد كان خادماً مخلصاً لتحدي إرادة سيده .ومع الشعور المحتم بالموت فقد كان "فرونزوف" يشرح كيفية أسر "شامل" في قلب داغستان قائلاً :

" إذا كان الله لا يرضى أن يبارك لنا النجاح، فنحن سنكون أوفياء، ولا يجوز إلقاء اللوم، ويمكننا بعد ذلك تغييره في وقت لاحق إلى حد ما، إلى النظام المنهجي الذي سوف يؤتي ثماره، وإن كان بالطبع ليس كما الانتصار على "شامل" نفسه (فورنوزف كما نقل من باديلي ١٩٠٨ :٣٨٧).

كانت السيطرة على "شامل" قبل هذا الوقت يتطلب سيطرة كاملة إستراتيجياً وتكتيكياً لمتطلبات الدفاع ضد مثل هذه المغامرات: ذلك لأن الإستراتيجية كانت ثانية إستراتيجية GWS في تجنب المواجهة المباشــرة مع العدو، والتخلي عن التحصــينات حتى إذا كان ذلك ضرورياً لتجنب الاتصال، ومن ثم الهجوم على الجيوش المنسحبة عندما تضعف نقل الإمدادات والمعنويات، وحين يضعفهم الصقيع ولذلك، فإن فرصته ستأتي متأخرة، حين كانت الطبيعة حليفه الأكبر، لكنها لم تفعل فعلها، وعلى الرغم من ذلك، فقد كان الغزاة سيعانون الإرهاق مع الكد والضعف الحرمان وعدم التشجيع .

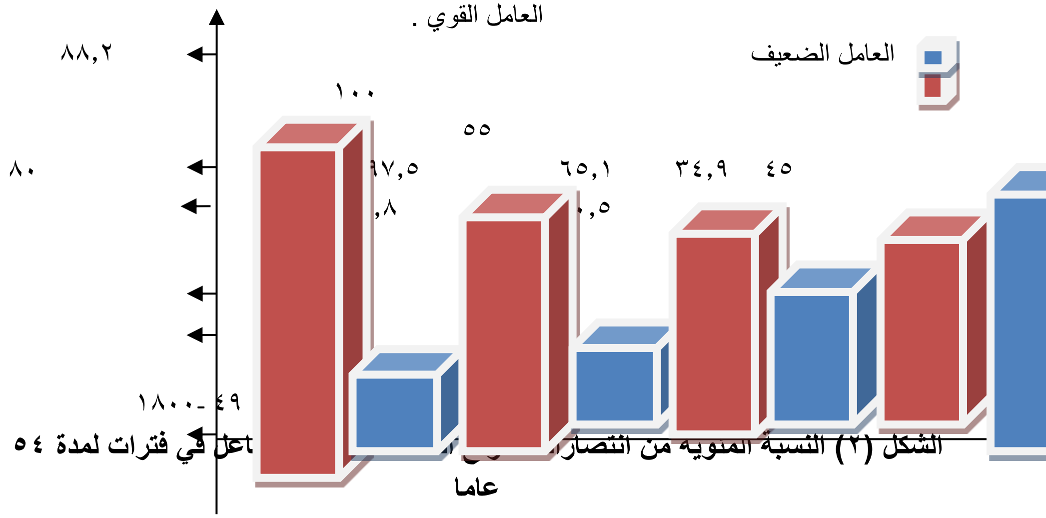
فئة (١) – العامل القوي بنسبة ٨٠%

فئة (٢) – العامل الضعيف ٢٢,٨ %



في الفترة بين ١٨٠٠ ـ ١٩٩٨

الشكل (١) النسبة المئوية من انتصارات النزاع اللا متناظر بنوع الفاعل



تفاعل التوفيق مقابل حرب العصابات GWS :

في هذه الفترة الأخيرة منذ عام ١٨٤٥ إلى عام ١٨٥٩ فإن مسيرات أخرى من الأسماء الشهيرة بين قادة روسيا في القوقاز: "باراتنسكي، فورنزوف" كانت قد مددت على تقويض قوة "شامل" بطريقتين:

- الأولى : أنه تسارع لإزالة الغابات في الشيشان .
- ثانياً : تركيز التنمية والتطوير لسلاح المدفعية الروسية.

كان تطهير الغابات والطرق الواسعة لجعل طريق الشاشات الثقيلة تصل بسهولة، والتي كانت آنذاك قد أوقعت خسائر مخيفة، بعد قصف معاقل "الموريدين" على الأرض الواحد تلو الآخر.

وعلاوة على ذلك، فقد حاصر الروس الموارد الغذائية "لشامل" وكذلك طرق الخيول والذخائر، والبارود وطرق الدعم من الطرف الشيشاني الذي قدم دعماً لوجستياً

"لفورنزوف"والذي زاد من ضعف "شامل" الذي أصبح بدون إمدادات كافية، ولذلك، فقد أصبح هجوم "الموريدين" أكثر صعوبة بكثير بسبب تلك الأضرار و القحط الذي أصابهم لفقدان الإمدادات .

ثم بعد ذلك، فقد تم زيادة الدعم للقوات الروسية المحاصرة، لكن ثمة خلل حدث في روسيا في ذلك الوقت، والذي غير مجرى الأحداث قليلاً أولاً، ثم بعد ذلك حدث الطوفان. فقد كان "بارتنسكي" قد حلّ في نهاية المطاف مكان "فورنزوف" وأضاف الضربة الأخيرة وذلك قبل الشروع في سياسة لم يسبق لها مثيل.

الرحمة (الاعتدال):

كانت هذه السياسة غير متوقعة "للموريديين" وهذا أهم ما أثبت عجزها عن الاستجابة فثمة ثلاثة أمور أدت لهزيمة قوات "شامل" للجيش الروسي بقيادة الأمير "بارتنسكي" الذي كان القائد الأعلى بدلاً من "فرونزوف "المريض، وقبل كل شيء، فقد كانت قضية "شامل"قد فقدت الاهتمامات الداخلية للإرهاب الذي كان دائماً السلاح الأقوى "لشامل" والتي كانت حتى القوى المرشدة في الحرب الآسيوية.

لقد كانت رحمة "بارتنسكي" تثبت بقوة السلاح، فقد كانت القبائل تخشى مدافع الروس، وليس الانتقام الروسي، وعلى الأخص بعد أن اكتشفوا أن عددها كان مرعباً في المعركة، لكن الشهامة بالنتيجة كانت على المحك .ولذلك، فقد آثروا التخلي عن الآلاف من أتباعهم تاركين "شامل" ومن بقي من "الموريدين" في عزلة، وتقلصت بذلك مع انسحاب كل يوم على نحو أبعد، وإلى الجبال المرتفعة (بلانش ١٩٦٠: ٣٩٠ – ٣٩١).*

كانت إستراتيجية الاعتدال التي اتبعها "باراتسنكي" غير تقليدية من وجهة النظر الروسية، وأثبتت فعاليتها على الرغم أن قوات "شامل" قد فقدت عدداً أقل من القوات المشاركة من الروس، وقدرتهم على تفكيك هذه الخسائر باستمرار روسيا التي يمكنها دائماً الاعتماد على الموارد بشكل أبعد من متناول "شامل" وحيث كانت موارد "شامل" البشرية والمادية باستمرار- وبشكل متزايد- تدخل ضمن قبضة روسيا، وهي حقيقة لا يمكن نكرانها .وبمعنى آخر، فقد استطاعت روسيا - بكل معنى الكلمة - أن تحول ميزة أنها أدت في نهاية المطاف إلى هزيمة "شامل" ومن المرجح جداً وبعبارة أخرى، إن الشيشانين لم يسبق أن عانوا لعقود من الغارات العقابية، ولم يتمكن الروس من قطع الأشجار، مع عدم مسّ الغابات،وكان يمكن أن يكون صعباً في أي وقت مضى لجلب المدفعية الثقيلة لتؤثر على الجبال.وأخيراً، فإن اعتدال "بارتنسكي" قد اتخذ لضعف "كمايارمولوف" الذي قد حذر سابقاً.

*** – هذا الشرط لا غنى عنه لفعالية حرب العصابات GWS التي هي درجة قوية من التنظيم الاجتماعي التي تجعل من الإكراه والرشوة غير فعالة، اقتراحات القبائل المرتدة التي لم تخضع للقومية التي أصبحت تعرف بالحرب العالمية الإيجابية للمناقشة العامة للعلاقة القومية للمقاومة المسلحة.**

مكاسب روسيا:

سقطت القلعة الأخيرة "للمريدين" "جونيب" في ٢٥ آب من عام ١٨٥٩ واستسلم "شامل" لكنه فعل ذلك لأنه فقط – بهذه الطريقة- ليحمي سلامة عائلته (ابيضت ١٩٦٠: ٤٠٨، غامير ١٩٩٤:٢٨٦)

وهكذا فقد استطاع الروس في النهاية التغلب على القوقاز بعد ما يقارب من ستين عاماً من القتال المكلف.

وهكذا، فخلال منهاج إستراتيجية الصراع الروسي العسكري، فقد كان يعتمد اعتماداً كلياً على الفلسفة العامة من عمليات القيادة هناك، وكذلك حكم القيصر وخاصة في سان بطرسبرغ، بعد حروب نابليون. كان القائد الأول للجبهة الجنوبية "ميخائيل بارمولوف" قد عرّف الهمجية على أنها : إستراتيجية تتطلب استخدام وسائل الحرب المحظورة في الحروب الأوربية مثل قتل غير المقاتلين، التعذيب، الاغتصاب ونهب الآبار والمحاصيل والثروة الحيوانية، وبالطبع هذه الأمور تحدث في كل حرب .لكن "بارمولوف" جعلهم سياسيين. فقد كانت هذه السياسة متبناة من قبل "باسكيفيتش" وأعيدت فيما بعد من قبل "فورونزوف "ومع ذلك، ففي كل حالة تأثير، كانت الهمجية قد أثبتت امتزاجها، على المدى القصير بالميزة العسكرية التي اكتسبت على الروس مقابل التكلفة السياسية.

و في نهاية المطاف، فقد جعلت الهمجية أنه من المستحيل الضغط على القبائل القوقازية، وإذا تعذر ذلك قسراً، لا يمكن إلا أن تكون قد دمرت، وذلك فقط بالتكلفة الهائلة بالأرواح، وحيث أن التفاعلات الثلاثة تتزامن مع الثروات من كل جانب وتشرح أكثر من أي عامل آخر نتيجة الحرب الهمجية.

كان "بارمولوف" قد عمل بصفته عسكرياً، ولذلك، كان بالإمكان الإعلان عن إخضاع القبائل في عام ١٨٢٥ حيث كانت روسيا تستخدم الإستراتيجية غير المباشرة في حين كانت القبائل تقابلها بإستراتيجية غير مباشرة، ولكن مع ذلك روسيا، لم تطور ضرورة الوصول اللوجستي لجعل الهمجية حاسمة، ونتيجة لذلك فإن همجية "بارمولوف وباسكيفتش" لم تطلق العنان ضد قبائل القوقاز – فالعزل والتدمير تركت كجمرة ملتهبة.

كان " الموريدون " و"محمد الغازي، وحمزة بيك، وشامل" بالنسبة للروس كالجمرات الساقطة من الجحيم والذين تقريباً نجحوا في طرد الكفار الروس من مسرح القوقاز.

كما كانت النجاحات الكبرى للمريدين تعتبر خلال الفترة التي تشتد فيها المعارضة الإستراتيجية.

في الوقت الذي كانت فيه روسيا قد استخدمت إستراتيجية مباشرة والموريدين قاوموا بإستراتيجية غير مباشرة . ومع ذلك فإن الروس لم يستسلموا. وتحوّلت- مرة ثانية- الإستراتيجيات إلى إستراتيجية مباشرة للتوافق بينهما، فالموريدين لم يكن لهم إجابات أخرى أكثر من إستراتيجيتهم غير المباشرة الخاصة عبر حرب العصابات GWS .

كانت إستراتيجية التوافق "لبارتيسكي" تستحق الذكر بصفة خاصة لسببين اثنين :

- السبب الأول: وخلافاً لجميع الاستراتيجيات السابقة – والتي كان هدفها كان أكثر من إنهاء الحرب وأكثر من الفوز عليهم – فإن "بارتنسكي" كان القائد الأول في معالجة أعدائه المقاتلين، والرجال بدلاً من قطاع الطرق (العصابات) والوحوش.وقد سعى لإقناع الناس بدلاً من تدمير الحيوانات، وعامل السجناء وفق المعايير الأوربية، وألغى التعذيب والاغتصاب، ووفر الغذاء والكساء للنساء والأطفال من هزيمة خصومة .

- السبب الثاني : هذه السياسة كانت مستحيلة في ظل القيصر "نيكولاس" الأول على النقيض من جده "الكسـندر الثاني" وهو الإصـلاح والإيمان الأكيد بقوة العطف للعدو المهزوم.

تحليل:

سيقود شرح النتائج المتنافسة لحرب الموريد إلى أن الإمبراطورية الروسية قد انتصرت في معظم تلك الحرب بسبب استخدامها لأساليب مثالية ممثلة بنتائج صراع غير متكافئ خلال الخمسين سنة الأولى من فترة ٢٠٠ سنة من الدراسة التي تضم عناصر الكتاب التحليلية تماشياً مع روح العصر الذي كان ينظر – على نطاق واسع – كالصراع الذي يحرض الأمم المتحضرة ضد الوحوش الجامحين، وعلى هذا النحو فقد لوحظت أعداداً قليلة من القيود بالكمية والنوعية (الهمجية).

قبل المقارنة بين المزايا التفسـيرية النسـبية لصـفة الفاعل، وانتشـار الأسـلحة وتقليل عدم تناسق المصالح للنتائج هناك نقطتان إضافيتان ينبغي أن تؤسس :

- أولاً : يبدو أن القوة النسـبية قد تجاوزت الآثار لكل الحجج المتنافسـة، متضـمنة حتى التفاعل الاسـتراتيجي وذلك لكونها ميزة سـاحقة للإمبراطورية الروسـية. و الأهم من ذلك دعمها الثابت لحل توظيف هذه الموارد لأجل غير محدود يوفر شـرحاً بديهياً ومرضـياً لنتائج الحرب.

ثانياً: هذه التكلفة القصـوى للحسـاسـية تكون فقط ممكنة بحقيقة مطلقة للحاكم والأمين وتوزيع الظروف على حد سـواء عبر زمان ومكان محددين، الأمر الذي يجعل من هذه القضية اختباراً صعباً من المنافسة على تقليل نتائج صراع غير متكافئ.

لقد قيل بأن هناك الكثير من الدروس المستفادة من الطريقة التي خاضت بها الحرب مستقلة عن نتائجها.

يفسر التفاعل الاستراتيجي انتصار الإمبراطورية الروسية من حيث التكلفة أكثر من ذلك بكثير في الوقت المناسب، والدماء أكثر من أي قوة عظمى أخرى كان يمكن أن تكون على استعداد للدفع في الظروف المماثلة كنموذج للنظام الذي أثبت حيوية كلا الفاعلين القوي والضعيف، كما أن انتشار الأسلحة قد لعب دوراً غير متوقع، في حين أن القيادة والتضاريس والمناخ تعتبر من العناصر المهمة أيضاً في تفسير عوامل الحرب ونتائجها. وليس من المصلحة عدم التماثل في شرح أكثر لاستخدام هذه الحرب.

وهكذا، فإن تقييم مزايا النسبية التفسيرية المتنافسة لتعليلات الصراع غير المتكافئ يتطلب الإجابة عن أربعة أسئلة أساسية:

أولاً: ما هي مصالح الأطراف الفاعلة قبل النزاع وكيف يتم شرحها بشكل أفضل؟ ثانياً: ما هو نوع النظام الفاعل وكيف تؤثر الإستراتيجية والقيادة ؟

ثالثاً: ما هو الدور الذي يلعبه انتشار الأسلحة العسكرية في نتائج الصراع ؟

أخيراً: ما هي الاستراتيجيات المستخدمة من كل جانب ؟وما هو المنطقي لاختيارها، أو التغيير ؟

وكيف لها أن تؤثر على النتيجة النهائية للحرب ؟

مصالح الفاعل:

لم تفسر مصالح روسيا علاقة القدرة المادية لهؤلاء الموريدين.

ويبدو ان مصالح روسيا قد تم تسويتها في إطار الجغرافيا في أواخر القرن التاسع عشر، وببساطة لا بد لها من أن تستمر بالقوة الدافعة بعد ذلك باعتبارها إمبراطورية وحيث أن مصالحها يجب أن توصف بأنها الأفضل كالتوسع، وإن كان أقل وضوحاً لأن واقع قياصرة روسيا كانوا قادة علمانيين ودينيين على حد سواء، وهذا يعني أن قادة المعارضة لإرادة القيصر كانوا مع الله، وخاصة عندما تأتي المعارضة من غير المسيحيين.

يصبح الوجود الجديد للمقاومة عندئذٍ مبرراً للحرب، ولذلك، فقد كان "الموريديون" قد قاتلوا من أجل بقائهم، ولكن أيضاً كان هدفهم الإيجابي يتمثل – من وجهة نظرهم- في طرد الروس من القوقاز.

أما الهدف السلبي،فيُشرح بنسبية القدرة المادية لكن ليس الهدف الإيجابي.

أنواع النظام:

الإستراتيجية والضعف

كما ذكر أعلاه، فإن نوع النظام الروسي كان فريداً، وعلى الأخص حكم الإمبراطورية الإقطاعية من قبل الحاكم المستبد وكيف تؤثر ضعف الإستراتيجية والسياسة الروسية على ذلك ؟

لكن الآثار المترتبة على الإستراتيجية مختلطة من جهة، ولذلك، فإن المناقشات بين أهل النخبة السياسية في روسيا تدور حول سؤالين:

- متى تخضع القبائل ؟
- عدد الرجال ؟

كانت المسألة الإستراتيجية – إلى حد كبير– تترك لقادة الجبهة الجنوبية "يارمولوف، باسفيتش، فورتزوف، وبارتنسكي " ولكن على أية حال، فسلطوية روسيا لم تحتج لتشاور الرأي العام الروسي قبل تخصيص الموارد للمعركة، كما أنها لن تكون مسئولة عن الفشل والتأخير أو الهمجية.

ومن جانب آخر، لم تؤثر التفصيلات الشخصية من القياصرة في الإستراتيجية في الحالتين :

أولاً: قام "نيكولاس" بإرسال "فوروتزوف" إلى القوقاز مع تعزيزات ضخمة وخطة محددة وجدول زمني لاستخدامهم.

ثانياً: بعد موت" نيكولاس" كان ابنه "الكسندر الثاني" يدرك بوضوح من أن الهمجية لن تكون رأياً إستراتيجياً فأعرب عن تأييده التام لاستخدام "بارتنسكي" للرشاوى والتنازلات من أجل تسريح ما تبقى الأمر الذي ساعد بصيغة الضعف السياسي، ونوع النظام الروسي يمنع هذا النوع من الفعالية وفقاً لمصلحة اللا تماثل في الحجة، ولذلك، ينبغي توقع رؤية أنه – حتى الأنظمة السلطوية تخضع لقيود المفاضلة عند المشاركة في النزاعات التي طال أمدها– بحيث تكون النتيجة العملية لدرجة التماثل من الضعف السياسي التي من المتوقع في تكبر في ظل الأنظمة الديمقراطية، ولكن، لأنها هنا، فإن روسيا في الواقع كانت متورطة في صراعات خطيرة محتملة خلال حرب "الموريد" وليس من المتوقع أن تسبب

ضعفاً. فقد كانت معركتها الأولى مع الفرس في عام ١٨٢٦ فقط قبل مجيء "الموريديين". كان الفرس الذين شـــنوا غزوهم من جهة الجنوب قد هددوا بالاســـتيلاء على "جورجيا" باســـتخدام القتال بعبارة تقليدية، لكن بطء الفرس كان يؤدي المرة تلو الأخرى إلى الهزيمة على يد تشـكيلات روسـية صـغيرة .وكمصـدر محتمل عن الضـعف الروسـي، فقد كانت حرب القرم (١٨٥٣ – ١٨٥٦) قد أثرت على سـير أعمال حرب "الموريديين" بطريقتين :

الأولى : وهي الأكثر وضوحاً، تكمن في حشد القوات للتخفيف.

فقد كانت القوات قد نقلت إلى القوقاز فور انتهاء الحرب، و هذا يعني ســـريعاً، تدفق أعداد كبيرة من القوات الجديدة لروسيا .

الثانية : والأكثر أهمية فلازالت نتيجة حرب "القرم" تحمل الأمل في الإغاثة، أو تقـديم الـدعم من بريطـانيا أو من العثمـانيين – يحاول كلا من غـامير و بـدلي أن يبرهن أن هـذه ضربة قوية لاعتبارات معنويات شاملة ومقنعة بأن الحرب ضد روسيا كانت معكوسة، وفي نهاية الأمر ستضطر القوات بالإذعان و الاستسلام.

و باختصـار، فإننا لا نرى آلية للمفاضـلة في هذه القضـية، و لا يوجد في الواقع شـعور بالضـعف السـياسـي و أيضـاً، ففي روسـيا - حتى للحرب الدائرة في القوقاز – فقد كان سلوك الجنود الروس هناك - بشكل عام- و من جهة الديمقراطية الاجتماعية "لميروم" فإن الاحتشام كان حجة لتلقي الدعم المختلط و على جانب الآخر، لا يمكن مقارنتها بالنظام الديمقراطي - وعدد قليل منها تسلطي – و يمكن أن تدعم مثل هذه التكاليف لكي تهزم

قوات "شامل" .و من جهة أخرى فان السبب المباشر لسقوط "شامل"لم تكن الوحشية التي كانت مثبتة من قبل ولكن لم تثبت بشــكل حاســم، فقد كان انتشــار الأســلحة التكنولوجية العســكرية قد لعبت دوراً بسـيطاً نسـبياً في المنحدر وفي معركة "الموريد" و في أول تفاعلات الحرب التكنولوجيا العسكرية الروسية، و بما فيها الأسلحة النارية و المدفعية و حتى الملابس أكثر ضـعفا على التكليف في حرب الشـيشــان أو داغسـتان. و بهذا المعنى، فإن تكنولوجيتهم كانت متفوقة أكثر من خصــــومهم، وكانت أقل تقدماً، و بعد ذلك، ومع مرور الزمن، فإن هذا الوضع قد تحسن إلى أن التكنولوجيا العسكرية و الروسية قد تســاوت مع خصــــومهم، في حين كان ســــلاح المدفعية البعيدة هو الأفضــــل من بينها،وجميع المعلقين قد توافقوا على أن سلاح المدفعية قد أثبت أن التكنولوجيا العسكرية كانت حاسمة، لكن فعالية المدفعية توقفت على ظروف محددة للغاية .وعلى صــــعيد الإستراتيجية و العقيدة (بدلي ١٩٠٨)*

---

* علما بأن هزيمة روسيا لم تضعف سلطة القيصر أو تغيير النظام. انظر بدلي ٢٣٦: ١٩٠٨ مرة أخرى.

و على سبيل المثال فإن حملات الروس عموما قدُ شّنت من داخل الحصون أو من التلال المنخفضـة للسـهول الغربية من النهر بالإضـافة لكون سـلاح المدفعية كان مجدياً في حرب "الموريد" و- التي كانت في الواقع، ولفترة فائدتها ضــد الروس في هذه الحصــون — والتي كانت تتطلب قدرا كبيراً من الحراسة .

لمواجهة تشـكيلات فرسـان القوقاز، والتي كانت تعمل في بيئتها المثالية، كان لا بد من وجود القدرة على التقدم بها ضـد الحصـون وذلك بواسـطة التلغيم والأنفاق تحت مواقع العدو وحيث لا تمتلك جبال الموريدين ولا الغابات التي تملكها الشيشان تلك القدرات .

فعندما حاول "الموريدين" اسـتخدام المدفعية الروسـية – التي اسـتولوا عليها ضـد الروس — فقد ووجهوا بعدة مصـاعب كارثية .فقد كانت الصـعوبة الأولى في عدم وجود المهارات اللازمة والكافية لاسـتخدام التكنولوجيا المتطورة، والتي سـببت في تفويت إصـابتهم لأهدافهم، ولكن الأهم من ذلك كله كان في إصـرار "شـاميرز" على إشـراك المدافع مرة أخرى في الاشتباك، وبذلك فقد تحولت المعركة إلى كارثة كلّفت (الموريدين) خسائر فادحة جداً.

ومن جانبهم، فقد كان الروس غير قادرين على استخدام سلاح المدفعية بشكل فعّال إلا بعد إزالتهم لغابات الشيشـان، وقد ارتضـوا بقبول معدلات الإصـابات العالية بين قواتهم وذلك من أجل التقدم ووضـع المدافع والأسـلحة لتدمير تحصـينات "الموريدين". (بلانش ١٩٦٠، ٩٠)

التدخل الإستراتيجي:

إذا كانت القوة النسبية لا تفسر المصالح النسبية كما أن نوع النظام يفسّر قابليته للانتقاء من الناحية السياسية (وفي هذه الحالة يكون مغيباً) فما هو الأفضل لتفسير نتائج حروب الموريدين ؟

أنا أزعم أنه التدخل الاستراتيجي! .

ولكن، ومع أهمية (ســـكافيت) ونظراً إلى التفاوت في الموارد المادية بين الطرفين الفاعلين، ونظراً لثبات وديمومة مصالحهم مع مرور الوقت، فإنه من اللافت للنظر أن حرب الموريدين قد استمرت تسعة وعشرين عاماً.

وكما كان واضحاً في هذه الحالة، فقد كان هناك ثلاثة أسباب استغرقت وقتاً طويلاً لتفريق (الموريدين):

- **السبب الأول**: وهو أن التضاريس والمناخ قد جعلت العمليات الروسية الهجومية صعبة جداً حتى مع وجود افتراض أفضل القيادة والتدريب والمعدات العسكرية.
- **الســبب الثاني**: هو أنه كانت هناك مشــكلة الغطرســة الروســية وعدم الكفاءة وكلاهما ساهمتا في نظرة استخفاف الروس بعدوهم (خصومهم).
- **الســـبب الثالث**: والأهم من ذلك كله هو (مقاتلي الموريد) كانوا قد تحولوا إلى الهجوم بشكل منتظم والتضحية بالحصون لكسب بعض الوقت.

وهكذا، فعندما يحاكم "يرمولوف" بإســـتراتيجية الهمجية القوقازيين (قبائل القوقازيين) بعد فوز روســـيا وانتصـــارها، وعندما جاء بعده (باســـكي فيتش) و (فوروزوف) فقد تحولت الإســـتراتيجية الروســـية إلى إســـتراتيجية الهجوم المباشـــر. ولذلك، فاز "الموريدين" عليهم وانتصروا.

ومن ثم – وبشــكل نهائي- فعندما جاء (برتينســكي) تحولت الإســتراتيجية الروســية إلى إستراتيجية الاسترضاء والاستمالة. وعندها فاز الروس أيضاً، وكانت الإستراتجية النهائية هي التدخل

(نفس النهج السابق) لإنهاء الحرب.

و بالنتيجة :

كانت الحرب صــراعاً غير متكافئ بين الإمبراطورية الروســية و تحالف قبائل القوقاز تحت راية المصالح الروسية، وكانت تنتصر أكثر من التوقع من قبل مصلحة الاتفاق غير المتكافئ في حين كانت روســيا تريد أن تقهر و تضــم القوقاز، وهي كانت مســتعدة لاتفاق مئات الآلاف من الأرواح، في حين كان ملايين الروس قد ظلوا - ولأكثر من نصـــف قرن — يكافحون لإنجاز هذا الهدف ولحيازة روسيا - المشكوك بها- لجورجيا أثبتت بكونها واحد من سببين في رفض روسيا لتتخلى — تتنازل- عن حملتها الصليبية في القوقاز . وحتى بعد قرار "كاترين" لتترك ممتلكات روســـيا - حتى الأرض المراح - و رغبة "بول" أن تتنازل عنها تماماً كحليف، كما كانت مســاهمة جورجيا لدعم الحرب طفيفة وغير حاسمة، إلا أنها أعطت الروس مصـــالح إســـتراتيجية هائلة، كما فعلت بين القوة المســـلمة الأخرى و الإمبراطورية العثمانية و الخصــوم الروس في التقدم نحو موانئ جورجيا على البحر الأســود أيضــاً وقد ســاهمت في إمداد الســفن و التعزيزات والإمدادات العســكرية من "اوديســا و "ســيفا ســتوبول" وبســبب المصــلحة الإســتراتيجية الحقيقية الوحيدة فقد كذبت روســيا لتحمي جورجيا، ولكن، فمن المستحيل القول مع ذلك أن الاستيلاء على جورجيا نفسها مادياً أو استراتيجيا يعتبر منفعة للإمبراطورية الروسية ضمن أي نسبه معقولة لموارد روسيا، فقد كانت تنفق على ضمان إخضاع جورجيا والقوقاز حيث كانت مصالح "الموريد" مبنية - حسب معتقداتهم الدينية والسياسية- على الاستقلال عن روسيا، ولإنجاز هذا الهدف، فإن "الموريد"كانوا مستعدين لأن يقاتلوا حتى النهاية و قد فعلوا ذلك.

وخلاصة القول أن نظرية القوة المادية النسبية تشرح المصالح الشعبية في نتائج أي صراع غير متكافئ ولما تدعم الحرب "الموريد" القوة النسبية التي برهنت على ضعف التنبؤ للمصالح النسبية في هذه القضية على الأقل من الجانب الروسي . إذاً، هل شرحت المصالح النسبية المعرضة للهجوم سياسياً فروسيا لم تكن ببساطة عرضة للهجوم السياسي وفقا لمصلحة الاتفاق غير المتكافئ ولذلك فقد كان ينبغي لمجالها أن يجعلها في موقف ضعيف سياسياً لعدم وجود تهديد جدي من القوقاز، ولذلك يمكن اعتبار أن حساسية روسيا السلطوية تجاه "الموريد "المناضلين قد ضعفها سياسياً من هذه الناحية ومع ذلك، فخلال الحرب "الموريدية" كانت روسيا قد واجهت اثنين من النزاعات القتالية الخطيرة المحتملة، ولم تسبب الضعف المتوقع للنظام القوي الفاعل، ولذلك فقد تطورت الأمور إلى نحو أكثر من المسموح به، وهو لمصلحة التماثل في التساؤلات التي برزت حول طبيعة الاتفاق الفاعل، ولذلك فإن أفضل شرح لنتائج حرب "الموريد" من التفاعل الاستراتيجي ونوع النظام، قد حالف كلا الجانبين.(١)

ولكن حظوظ كل جانب كانت متنوعة بشكل ملحوظ خلال الحرب ثلاثية التفاعلات في حين أن نوع النظام لم يكن له اثر يذكر على الاستراتيجيات المختارة او المقاضاة من قبل أي من الجانبين.

فمن الجانب الروسي، ما يمكن قوله هو أن "نيكولاس" عادة ما قدم بصورة مباشرة في التخطيط الاستراتيجي، وكثيراً ما كان لها آثار ضارة، ولكن ينبغي أيضاً أن يضاف إلى ذلك أن الجدارة كانت – بصعوبة – هي الأساس لاقتراح قيادة الجبهة الجنوبية .

وعلى العكس من ذلك، فإن الضباط الروس – مع الأفكار غير الشهية سياسيا أو امتداد الديون أو معاناة القلوب المكسورة – غالباً ما كانوا ينتهون بقيادة القوقاز.

و على جانب "الموربد" فهناك ما يمكن قوله حول سـلطة "شـامل" لفترة تتجاوز كل الانقسامات العرقية و الإقليمية لإباحة قوة متطورة و فعالة .

وخلافا للجيش الروسـي، فإن قيادة الجيش "الموريدي" كانت تقوم حصـراً على أسـاس الجدارة , ولكن

عندما نسـتطيع تقدير الاختلاف بين الجانبين فإن ذلك لن يكون مبنياً على أنواع النظام الذي يكون نفسـه، كما أن انتشـار الأسـلحة تقريباً قد لعبت دوراً في حرب "الموريديين" لكن تأثيرها المحدود كان على

---

(١) – والسـبب الآخر هو بسـيط وهو في النزعات الطائفية: كيف تجرؤ هؤلاء "الجهلة المتوحشـين" مقاومة إرادة قيصر العظيم الأبيض؟ لغة كل المعلقين ومصادرها يجعل من وجهة النظر هذه من القوقازيين واضحة : فهي على الدوام تشير إلى المتوحشين، ووصفت التصرفات بأنها ماكرة، ووصفها الأوروبيون بأنها شجاعة أو باهرة وهذه المقاومة تجاهلت القيصر لذلك وصفت بإهانة الحضارة نفسها.

العكس، فما هو معلن بالمنطق من اتفاق انتشار الأسلحة هو امتلاك قطعة مدفعية حديثة من قبل الموريد يقودهم للتخلي عن مزاياه النسبية بتقلبها و جديتها تضعفهم الفرضية أفضل تسليحا ضعيفا هو الفاعل و الأرجح أن الفاعل القوي يخسر أي صراع غير متكافئ لذلك لا يؤيد حرب الموريد و بصيغة التفاعل الاستراتيجي للحرب التي لعبت بحد ذاتها ثلاثة تفاعلات خلال الفترة الأولى لتفاعل الإستراتيجية بنفس النهج الذي اتبعه الروس ضد استراتيجيات الموريد والتي أدت إلى أن الروس فازو عسكريا وكفى بالنتائج السياسية من التفاعل الأول الذي يقود المخاطرة من مقاتلي الموريد خلال النصف الثاني من التفاعل الاستراتيجي حيث كان الروس ينتهجون إستراتيجية الهجوم الهمجي و الموريدون يتابعون نهجهم، الأمر الذي أدى إلى فوز "الموريدون" .

ولكن خلال التفاعل الأخير انتقل التفاعل الاستراتيجي لنفس النهج ثانية حيث سعى الروس للتوفيق – بشكل غير مباشر– لوضع إستراتيجية "للموريد" ثانية، فقد فاز الروس ونفي "شامل" مع توضيح هام بعد ذلك حسب الفرضية الخامسة وحيث كانت الأطراف الفاعلة قوية لكسب المزيد من نفس النهج والتدخلات، و فقدان النهج المعاكس الثابت غير المحدود للموارد عن طريق التدخل الاستراتيجي.

و في المقابل، فإن التكاليف الإمبراطورية الروسية في الوقت و الحياة و الثروة هو أفضل تفسير للتدخل الاستراتيجي.

وباختصار، فإذا أردنا أن نشرح لماذا فازت روسيا في حرب "الموريد" لا يمكننا الاعتماد على القوة النسبية وحدها، ومن الواضح أن القوة النسبية مهمة، ولكن ما يهم أكثر هو التدخل الاستراتيجي.

الفصل الرابع
بريطانيا في وسط جنوب إفريقيا
وشمال شرق إفريقيا
حرب الشمال الإفريقي (١٨٩٩-١٩٠٢)

"لقد كانوا مُحتلّين, ولذلك،فأنت لا تحتاج إلاّ إلى قوة همجية غير مدعاة للفخر, عندما تمتلكها, فإن قوتك عبارة عن ازدياد مفاجئ من ضعف الآخرين.

لقد اختطفوا كل شـــيء قادرين على أخذه في ســـبيل ما جاؤوا من أجله. لقد كانت ســـرقة مع عنف, وزادت خطورة القتل على نطاق واســـع, وهجم الرجال عليها كالعميان – بكل ما في الكلمة من معنى– كالذين يهاجمون بعضـــهم في الظلام. واحتلال أرض هؤلاء الذين لديهم بشـرة مختلفة، أو لديهم تسـطح بسـيط في أنوفهم أكثر من أنوفنا, إنه ليس شـــيئاً جيداً عندما تفكر بذلك كثيراً. ولكن ما يمحو تلك الفكرة هو العلم فقط. فالعلم يعود إلى الماضـــي: ليس تظاهراً بالعاطفة،بل تظاهراً بالعلم: فالإيمان لا يكون أنانياً بالعلم، إنه شـيء تدعو إليه، و تنحني أمامه, وتقدم له التضحية "..

"كونراد,قلب

الظلام(١٩٨٥)"

كانت الحرب التي دارت بين الإمبراطورية البريطانية وحكومات جنوب وشمال شرقي إفريقيا – والتي بدأت في الحادي عشـر من تشـرين الأول من عام ١٨٩٩– تدعى حينها حرب مواطني جنوب إفريقيا ذوي البشرة البيضاء الإنكليز, أو تدعى – لفترة بسيطة من الزمن– حرب مواطني إفريقيا ذوي البشـــرة البيضــــاء,ولكن المؤرخين يطلقون عليها الآن "حرب الشمال الأفريقي" إقراراً لأهمية مشاركة الأفارقة السود في هذه الحرب.

مسرح أحداث الشمال الأفريقي

تعود الاهتمامات الأوربية في الشـمال الإفريقي في أصـولها إلى تطور العلاقات التجارية مع الهند وآســيا. فقد كانت ذات علاقة مع الاهتمامات الاقتصــادية الأســاســية والأمنية الأوربية– مدينة الخليج– والتي تأسـست على أيدي الشـركة الهولندية الشرق هندية في عام ١٦٥٢.

ولكن، خسـر الهولنديون بعد ذلك المدينة، ثم أعاد الانكليز اسـتعمارها حتى نهاية الحروب النابولونية الفرنســـية عام ١٨١٥ وفي ذلك الوقت اســـتطاعت بريطانيا ان تثبت مكانها بشكل نهائي وقاطع.

رأت بريطانيا في تأسيس مستعمرة هناك حماية لها ولمصالحها الأمنية, بينما في الوقت نفسه تهدئ وضــع البطالة والاضــطرابات الأهلية. وفي عام ١٨٢٠ وصــل إلى مدينة الخليج في أفريقيا ٤٠٠٠ مواطن بريطاني:

ولكن مهاجري القرن التاسع عشر البريطانيين على أية حال لم يندمجوا مع المواطنين البيض الأفارقة كما حصل فيما مضى مع الفرنسيين "البروتستانت" ووصول الألمان.

لقد جاؤوا من مجتمع مدني متصنع من بريطانيا وقد نزعوا إلى التوطين في مدن شمال

إفريقيا, وفي المدن الكبيرة التي أصبحت بشكل عام تتكلم الإنكليزية.(سميث, ١٩٩٦-١٥-١٦)".

بيد أن هذا الانشقاق المدني- القروي زاد من الاختلافات العرقية واللغوية و، في نهاية الأمر، فقد وضع هذا الانشقاق الأساس لانشقاقين "

- فعلى الصعيد نفسه،كان المهاجرون الذين وصلوا إلى إفريقيا على قناعة تامة بتفوقهم العرقي على المواطنين المحليين من أصل أوربي (سميث,١٦:١٩٩٦).

- وفي الوقت نفسه، فإن المواطنين من أصل أوربي قد ساورتهم الشكوك في أن هؤلاء الغرباء(الأجانب) في جنوب أفريقيا كانوا غير مهتمين في مشاركة القوة والممتلكات في جنوب أفريقيا, بل كانوا مهتمين فقط في الاستيلاء عليها لوحدهم فقط. وقد كان ذلك صحيحاً إلى حد ما، وخاصة بعد حظر مجلس النواب البريطاني العبودية في المستعمرة عام ١٨٣٤.

كانت العبودية – منذ وجودها- آنذاك مصدر انتعاش للاقتصاد الريفي- فالأكثرية من المواطنين ذو الأصل الهولندي كانوا ساخطين بشدة من هذا التحول المفاجئ في طريقة حياتهم. ولذلك فإن القيام بإلغاء العبودية إلى هذا الحد قد حثّ على هجرة جماعية داخل الجنوب الأفريقي- هجرة معروفة الآن بالرحلة المضنية العظيمة بين عامي ١٨٣٥-١٨٣٧. حيث استقلت آلاف من العائلات الأفارقة ذو الأصل الهولندي حاملين جميع ممتلكاتهم، مع خطورة شديدة على حياتهم (عدد كثير منهم قُتل وهُجموا على الطريق بشراسة من قبل قبائل افريقية بالغة القوة مثل قبائل الكوثا و الزولو) ثم انتقلوا داخل

البلاد, مشـــكلين في النهاية جمهورية المواطنين الأفارقة من أصـــل هولندي على الجانب الشـرقي في الجنوب الأفريقي على المحيط الهندي, في وسـط جنوب أفريقيا و أقصـى شمال شرق أفريقيا.

كانت تلك أياماً صـعبة بالنسـبة للمواطنين من أصـل هولندي,والذين واجهوا عدداً هائلاً من القبائل الأفريقية العدوانية على طول الطريق. ومن وجهة نظر الأفارقة، فأن تلك الأيام كانت ذات صـــورة ســـاكنة وحالكة الظلمة. فالمواطنين البيض الذين نزحوا عن أراضـــي أجدادهم, كانوا أكثر بكثير من الذين قُتلوا واستعبدوا كلما ساروا إلى الإمام.

جرت الأعمال الوحشية على كلا الطرفين، فبالرغم من أن المواطنين الأصليين الأفارقة كانوا – بشـكل ثابت– يشـردون ويطردون من أراضـيهم. إلاّ أنه في عام ١٨٣٨ فقد اسـتطاع الجنرال "بريتوريس" من أصل هولندي أن يتغلب على قائد قبيلة "زولو" القائد "دينغان" في معركة "نهر الدم(بلود ريفير)" وبذلك، بدأ المواطنون الأصـــليون الهولنديين يتمركزون في الجانب الشرقي من شمال إفريقيا.

ولكن، على أية حال، فبعد مضـي خمس سـنوات، وفي عام ١٨٤٣ بالتحديد، اسـتولت بريطانيا على الجانب الشـرقي من شمال إفريقيا، التي كانت تدعى "ترانســورانغيا"(لتنضـم بعد ذلك إلى مقاطعة وسط جنوب إفريقيا).

وبعد عدة نزاعات دموية بين المواطنين الأصـــليين الهولنديين النازحين والتاج (بريطانيا) وافقت بريطانيا في نهاية الأمر على الاستقلال المشروط للجمهوريتين الداخليتين المحكومتين من قبل المواطنين الأفارقة الأصـليين من أصـل هولندي, وهما مقاطعة شمالي شـرقي إفريقيا (١٨٥٢) ومقاطعة وسط جنوب إفريقيا(١٨٥٤).

مرت قرابة ثلاثة عقود من السلام النسبي بعد ذلك، وفي عام ١٨٧٠ اكتشف الماس في مدينة "كيمبيرلي" والتي تقع بين مقاطعة وسط شمال إفريقيا ومستعمرة الخليج وبعد ذلك – وبشكل سريع وغير شرعي– استولت بريطانيا على المدينة.

أدى جنون الماس في عام ١٨٧٠–١٨٧١ إلى تدفق ملحوظ من الأجانب – والذي تضمن أيضاً المدعو حينها "سيسل رهودز" — والذين تغلغلوا إلى داخل المجتمعات الريفية والقروية لمقاطعة وسط شمال افريقية.

ولكن إدمان الشراب والكحول، والمقامرة من قبل حفاري و منقبي المناجم كان صدمة مبكرة للفلاحين الأصليين ذوي الأصل الهولندي المحافظين, والورعين والكادحين، والذين يشكلون الغالبية العظمى داخل الجمهوريتين.

وهكذا، فقد زادت خطورة هذا التوتر بعد إعلان السير "ثيوفيلوس شيبستون" بتصريح رسمي بضم مقاطعة شمالي شرقي إفريقيا إلى مستعمرة التاج البريطاني في عام ١٨٧٧.

سبب هذا الاستيلاء – بشكل قوي– إلى امتعاض السكان الأصليين من أصل هولندي، والذين أشاروا إلى هذه الحركة بأنها خرق واضح لمعاهدة "ساند ريفير" عام ١٨٥٢ التي نصت بشكل واضح بضمان بريطانيا لسلطتهم الشرعية.

كان وضع الخلافات ومرارتها جانباً قد ألمح إلى أحقية السلطة الشرعية البريطانية في شمال إفريقيا في مسؤولية الأمن الأوربي في داخل سلطاتها المعلنة.

وهكذا، فقد نجحت تلك القوات البريطانية في أنجاز ما لم يستطع فعله السكان الأصليين الهولنديين الذين كانوا ضعفاء جداً ليحققوه بأنفسهم في مقاطعة شمالي شرقي جنوب إفريقيا . كما أن ضم الأراضي التي قامت به بريطانيا ربما أزال حريتهم الدينية، ولكن في

نهاية العام ١٨٧٩ كانت بريطانيا قد استطاعت تأمين مقاطعة شمالي شرقي جنوب إفريقيا وأهم وأقوى جيرانها الأفارقة.

وكان هذا التطور الحاسم قد حرر المواطنون الهولنديون لمحاولة استعادة استقلالهم خلال السنة المقبلة.(سميث,١٩٩٦-٢٨)

في عام ١٨٧٩ دمر البريطانيون القوة العسكرية لقبائل "الزولو" .

كانت قبيلة "الزولو" آخر قبيلة افريقية رئيسية تقاوم الاستعمار الأبيض في جنوب إفريقيا.

ومع إزالة التهديد الوحيد لبقاء المواطنين الهولنديين، فقد كانت الساحة معدة وجاهزة للمواجهة بين السكان الأصليين الهولنديين والبريطانيين. وبالرغم من التصريح الرسمي "لشيبستون" بضم المقاطعة فقد كان قد وعد سكان مقاطعة شمالي شرقي جنوب إفريقيا بحكومة منفصلة ذاتية لها قوانينها ومجلسها التشريعي, ولكن بعد العام ١٨٧٩ كانت تلك المقاطعة تُحكم مباشرة عن طريق التاج البريطاني في وبطريقة فاشية خرقاء.

وهكذا، فأثناء ازدياد المقاومة في مقاطعة شمالي شرقي جنوب إفريقيا و التهديد باندلاع عصيان مفتوح, كان رئيس المقاطعة(كروجر) ينتظر نتائج الانتخابات العامة في بريطانيا. ولكن، نصبت الانتخابات "كلادستون" و المتقدمين على السلطة، و انتظر (كروجر) لتغيير السياسة تبعا لخطاب "كلادستون" عن سياسة بريطانيا في جنوب إفريقيا.

قال (كلادستون) عن مقاطعة شمالي شرقي جنوب إفريقيا :

"لقد اخترنا الموقف الأكثر رعونة, وقد رغبت بالقول - بشكل جنوني- بأننا قد وضعنا أنفسنا في مأزق غريب بالمواجهة مع المواطنين الأحرار للمملكة التي ستجبر المواطنين

الأحرار للجمهورية لكي تخضعهم ليقبلوا التبعية التي هم بدورهم يرفضونها.(سميث,١٩٦٦-٢٩)".

ولكن عندما كان في السلطة، فقد كان العائق الذي وقف بوجه (كلادستون) هو كيف له أن يضع مستقبل الإتحاد الإفريقي الجنوبي بأيدي الجهلة من أمثال (كروغر) و أزلامه؟

وفي هذا السياق, فقد رفض (كلادستون) منح مقاطعة شمالي شرقي إفريقيا استقلالها الذاتي، وسرعان ما أصبحت المنطقة بكاملها في ثورة عارمة. وتوجت حرب الثلاثة شهور بهزيمة بريطانيا الذليلة في معركة "تل ماجوبابريطانيا,ع والعشرين من شهر شباط من عام ١٨٨١.

وهكذا، فإن المعركة, التي شارك فيها بعض المئات من الجنود وحيث هزمت بريطانيا ,و تضمن ذلك موت "كولي" نفسه - والتي اعتبر موته حوالي ثلث نتيجة الحرب - سرعان ما اكتسبت أهمية رمزية عظيمة . مثل الفشل للتخفيف عن الجنرال (جوردن) في الخرطوم , والذي جاء لكي يعتبر كوصمة عار للشرف الوطني الذي أشار إليه المحافظون على أنه مثال في سوء الإدارة التحرري .

ولذلك، فقد أصبح تذكر معركة "تل ماجوبا " يثير الحزن والبكاء الشديد لإثارة الحماسة الجماعية و التي كان الكثير من الجنود البريطانيين يبدؤون العمل بها في عام ١٨٩٩ (سميث ٣١-٣٢-١٩٩٦).

وهكذا، فمع حلول عام ١٨٨٤ أي بعد ثلاث سنوات على المعركة، وسنتان قبل اكتشاف الذهب أصبحت مقاطعة شمال شرق إفريقيا مستقلة بموجب اتفاقيات لندن رسمياً وتحمل اسم الجمهورية الإفريقية الجنوبية . وكل سلطات الممالك والدول المستقلة تعطي

الحق لتقرير السياسة الخارجية و"التوسع إلى ما بعد الحدود الحالية "إلى الجمهورية نفسها.

ثم جاء اكتشاف الذهب في "ويتووترزراند" في عام ١٨٨٦ الذي تلاه سباق البحث عن الذهب والذي كان له ثلاث تأثيرات مهمة:

- أولاً : أدى إلى تدفق جديد و هائل للأجانب الذي بدل نوعية السكان و الاقتصاد بجمهوريات "البوير" .
- ثانياً: إن اكتشاف الذهب خلق (لكروغر) مشكلة أخرى في إبقاء سيطرة "البوير" على الدولة . بينما في الوقت نفسه يزوده اكتشاف الذهب بفرصة ثمينة لاستعمال العائدات لدعم الأمن و الاستقلال بشراء الأسلحة و إبقاء احتكار الدولة على صناعة الديناميت (سميث,١٩٩٦:٥٤).

إن هذه المشكلة التي كادت في أن تصبح – بالنسبة للبريطانيين- السبب الأساسي للحرب ودلالات حدوثها، كانت حول مسألة الامتياز, فعلى سبيل المثال، خصصت مقاطعة شمالي شرقي جنوب إفريقيا الامتياز للمواطنين الأصليين من أصل هولندي بواسطة المتطلبات القانونية للإقامة، وهذا يعني أن أكثرية السكان في المقاطعة لم يسمح لهم بالتصويت، وكذلك في الاحتجاج على الحرمان من الامتياز. ولذلك، فحتى الملكة فكتوريا نفسها أرسلت طلباً في ذلك، وهذا سمح لبريطانيا لاستغلال الموقف، والحطّ من كرامة السكان الأصليين الهولنديين على أنهم مستبدين وفاسدين وذلك في الصحافة البريطانية المحلية.

وقد منح "كروغر" أيضاً تنازلاً عن سكة حديدية لشركة هولندية (احتكار آخر).

لقد اتخذ كلا القرارين لحسم الموقف أثناء التفاعل للحرب التالية.

- ثالثاً: خلق الذهب والماس ثروات غنية وقوية، وقوة وجهت الاهتمام بالمنطقة. إن حكومة المحافظين(الفلاحين)- التي تعتبر بالمعايير البريطانية فاسدة تحت قيادة "كروجر" — فقد كانت عائقاً ثابتاً في جانب راسمأليي المنطقة العظماء, مثل "ســـيســـيل رودرز" و"الفريدبيت" الذين كانوا خجولين من اســـتخدام نفوذهم لتقويض "كروجر " وقد تتوج تدخلهم في النهاية في الإخفاق التام لهجوم "جيمسن".

في الثامن والعشـرين من شـهر كانون الأول ١٨٩٥ عبر الدكتاتور "ليندار سـتار جيمسـن "و ٥٠٠من كبار الشـخصـيات الحدود إلى مقاطعة شمالي شـرقي جنوبي إفريقيا في محاولة لإثارة تمرد الأجانب في "جوهانسـبيرغ" لتقديم الحجة للتدخل البريطاني في المقاطعة. ولكن لم يحدث أي تمرد ومهاجمو"جيمسـن"هزموا واجبروا على الاستسلام بشكل ذليل في معركة "دورنكوب" .

كان هناك ثلاثة تأثيرات رئيسية لهجوم "جيمسن":

- أولاً : قدمت حافزاً قوياً إلى تطوير القومية للسكان الأصليين من أصل هولندي والتي كانت قد أثيرت في معركة "تل ماجوبا".
- ثانياً: أكدت في عقول "كروجر" و "ســـتين" أن بريطانيا كانت وراء المحاولات لاسترداد السيادة على مقاطعة شمالي شرقي جنوب إفريقيا.
- ثالثاً : الحرب،"فكروجر" يسـتعد - وبجدية — للتجهز للحرب, وخصـوصـاً بناء الحصون والاستثمارات في أفضل وأحدث المعدات الحربية.

عشية الحرب، المصالح البريطانية:

تجلت الاهتمامات البريطانية بمصير جنوب إفريقيا بشكل رئيسي بشخصين :

- الأول والأشهر "ألفرد ميلنر".
- والثاني "جوزيف تشامبرلين" وزير المستعمرات.

وكان "ميلنر" بصفته المفوض البريطاني الأعلى يعتبر رجل الإمبراطورية في المنطقة بينما اعتبر "تشامبرلين" كوزير للمستعمرات، وكان مسئولاً عن تقديم التقارير للملكة والوزارات، والبرلمان في كل ما يتعلق بشؤون الإمبراطورية الإستعمارية. تم إقناع "ميلنر" بالضرورة المطلقة لإظهار القوة العسكرية، وذلك لإجبار المستوطنين الهولنديين على ترك السيادة، وبشكل أساسي على تقبل التبعية، وبعدها الالتزام بكل التنازلات التي قبلها المستوطنون الهولنديون تحت مثل هذا الإكراه (باكنهام، ١٩٧٩: ٧٧) مقتنعاً بأن فرض التبعية بالقوة هي الوسيلة الوحيدة لضمان السيطرة البريطانية على الجمهوريتين [٣] فقد كان "ميلنر" قلقاً على فرصة السلام، والذي سينذر بالخطر أكثر من تنازلات "كروجر" التي ستقود إلى التسوية، الأمر الذي سيلحق العار "بميلنر" و بكل بريطاني جنوب إفريقي. وقد كتب "ميلنر" في ٢٣ تموز :

"ثمة شعور بالإحباط لا يوصف، فأنا لا أرى بشائر أي خير قادم من الصراع الطويل ضد سـوء الحكم في جمهورية جنوب إفريقيا. مما سـيخدع الرأي العام البريطاني عاجل أم آجلاً. (باكنهام ١٩٧٩:٨٢)

يوضح هذا المقال أهمية النخب السياسية الأساسية المرتكزة على قوة الرأي العام البريطاني (٤)

---

(٣) تضمن مفهوم ميلنر للسيطرة نوايا محددة جيدة. أقتنع أن كروجر وأتباعه مفارقة تاريخية من الجيد التخلص منها، وأن إدارة ميلنر سترفع المستوى الحضاري للشعوب التي تعيش في تلك الجمهوريات سواءً كانوا من المستوطنين الهولنديين أو البريطانيين

(٤) وهنا إعادة باكنهام لصـياغته اعتبار ميلنر لخطر تقويض الرأي العام البريطاني (الضـرورات القاسـية) لسـياسـات بريطانيا في جنوب أفريقيا (فوق الجميع، الاستقامة المنزلقة، استهزاء رودس الشـهير) للرأي العام البريطاني يجب أن لا يسمح له بتقويض التسوية لا أصوات للأشخاص، أصحاب البزات الملونة في كرانسفال مهما كان الثمن هناك مجموعة واحدة من القوانين التي يعتبرها اليوتيلاندرز حقاً مشـروعاً من الدرجة الممتازة لإبقاء الزنوج في مكانهم (باكنهام ١٩٧٩ صـــ ١٢٣ -١٢٤) هذا المقطع مهم لسببين الأول يعتبر كدليل ما سيدعوه ماك سياسة الضعف الثاني يظهر المقطع نفاق الموقف البريطاني من السود في جنوب أفريقيا في نقاشه مع الوزارة حيث تمادى تشامبرلين باعتباره أن سود جنوب أفريقيا يجب اعتبارهم رعايا بريطانيين وهذه للأسف كانت كذبة مكشوفة (باكنهام، ١٩٧٩ صـ ١١٣- ٥٢٠)

وفي هذه الحالة، تم توجيه الرأي العام عن طريق وســـائل الإعلام والتي يعتقد أنها كانت تمارس تأثيراً مباشــراً على الرأي العام البريطاني ولكن أتباع "ميلنر" الآخرون منذ زمن "بول مول" كانوا مضـــطرين لإظهار الولاء وهذا ما كان. كما أن كل الصـــحف أعلمت الرأي العام البريطاني بالأسـابيع الأخيرة بخطورة التأخير وخطره على تسـوية الامتياز .كما كانت صحيفتا "التايمز" و"المورنينغ بوست" من بين الذين أبدوا الولاء للحكومة السابقة وقرعت كلاهما طبول العصبية القومية .

كان " لميلنر" تأثيراً كبيراً على "تشـامبرلين" ولم يكن أبداً ذو شـخصية سـاخرة، ولكنه كان على اتصـال بالحدث بالإضـافة إلى حثه المتواصـل، وحتى التوعد والتهديد أحياناً في سـبيل إرســال جنوده العشــرة آلاف إلى "ناتال" وذلك عن طريق ممارسـة الضـغط الشـديد على "تشـامبرلين" المعتبر المحور الأسـاسـي لاقتراحات "كروجر" النهائية التي سـتعيق أية فرصـة للتســـوية يتم التفـاوض عليهـا،والبرهـان الأخير لهذا أي من آخر عرض قدمه "كروجر" واقترانه بامتياز مدته خمس ســنوات وأيضـــا شــرطان تُوقِعَ رفضــهما ســلفاً. ولكن هيمنة البريطانيين ومحاولتهم لعدم التدخل، قد أثبت – بشـــكل حاســم– بأن الســـلام لم يكن مرغوباً فيـه، والطريقـة الوحيـدة للحصــــول على الامتيـاز كـان عن طريق العنف، وبقوة السلاح.

كان "اليوتيلاندرز (المستعمرين غير الهولنديين) يعاملون بدونية، ولكن قبائل "الكافييرز" والهنود كانوا يعاملون بدونية أكثر وصلت حد الاضطهاد.

ولكن السـؤال الذي يبرز هنا : هل كان الامتياز حقاً الحجة الواهية المسـتعملة من قبل البريطانيين؟

أو كتبرير للحرب أمام الرأي العام البريطاني الذي كان بدوره يواجه عوائق جدية؟ .

ربما خدم الامتياز دوره لتمضـي الأمور قدماً في جنوب إفريقيا، وكصـرخة حرب مؤثرة لتحصيل الدعم من الرأي العام البريطاني.

ولكن "تشـامبرلين" عرف بأن حلولاً أخرى يجب أن يتم إيجادها عوضـاً عن الحجج الواهية لأنها لا تنطلي على البريطانيين من جهة، ومن جهة أخرى لأن الرأي العام البريطاني لن يدعم مغامرة حربية فائدتها المرجوة رفع الامتياز من مدة خمسة إلى سبع سنوات وهو فارق سنتين فقط

وبعبارة أخرى، فإن صانعي القرار في بريطانيا كانوا معلقين بين منطق المقبول وغير المقبول، ولكن "جون سموت" وبعض المسـتوطنين الهولنديين لم يأخذوا المعلومات على قدر كاف من السرية، وكنتيجة لذلك، قدموا عرض سلام مصمم لخدمة نوايا بريطانيا الحقيقية، ولكن الرفض البريطاني أكد "لجون سموت" و"كروجر" أن الامتياز لم يكن هو الموضـوع المنشـود، ولكنه كان عوضـاً عن تلك السـيادة البريطانية على حسـاب تذلل "الترانسـفل" (سميث ١٩٩٦ صـ ٤٣-٥٤) في حين أن هناك ميزة هامة أخرى من مناقشات "تشامبرلين" للوزارة وهي تأثيرات ما قبل التنفيذ (٥) لكن الأمر الآن تعدى شـكاوي المسـتوطنين غير الهولنديين، والسكان الأصليين (ما هو الآن على المحك ليس بأقل من الوضع البريطاني

بأسره في جنوب أفريقيا بالإضافة إلى تقدير القوة والتأثير البريطاني على مستعمراتهم والعالم أجمع) وذاك كان فحوى نقاش "تشامبرلين" مع الوزارة (باكنهام ١٩٧٩. ص ٩١) .

وفي الواقع , فقد رأى "تشامبرلين" أنه إذا لم تهدد بريطانيا باستعمال العنف، فإن الآخرين سيظنون أن بريطانيا ضعيفة،وسيسعون للاستفادة من هذا الضعف. مع الأخذ بالاعتبار أن النصر البريطاني قد امتلك إمبراطورية استعمارية ممتدة ,و قد كان هذا اعتبارا خطيرا , لكن "تشامبرلين" كان لديه نقاش أخيرُ بني على أساس رأيه القانوني بقرار و ثقافة المستوطنين الهولنديين .

---

(٥) – في جغرافية العنف العرقي لمونيكا دوفي توفت أسهبت بالصعوبات التي تواجه مفاوضات التسوية في حالة ولايات متعددة الأعراق وخاصة بوجود جماعات عرقية تجنح للأستقلال حيث سيكون هذا سابقة بالنسبة للجماعات الأخرى (توفت ٢٠٠٣)

ولكن قد يكون إرسال الجيوش غير ضروري لأن "كروجر" كان مخادعاً، و أُجبر على التراجع بالقوة (بيكنهام ١٩٩٧ ص:٩١-٩٢). و لكن، هل كانت بريطانيا تريد خوض الحرب؟ .و هل امتدت مصالحها لدرجة تجعلها تخاطر بكل معاركها الخارجية مع الجمهوريات الهولندية الصغيرة ؟ .

هذا سؤال تصعب الإجابة عليه, لكن السؤال عن الاستعداد البريطاني للتضحية من أجل المصالح الحيوية جداً من حيث المبدأ والاستعداد لنشر الدماء، و الثروة في الحرب هو مؤشر جيد عن المصالح الحيوية .

فكلما قل الاستعداد للحرب كلما قل وضع المصالح الحيوية على المحك [٦].

ناقش "سميث" في أن بريطانيا لم تكن ترغب بالحرب في الواقع و مؤشره عن النوايا البريطانية هو نقص التجهيزات العسكرية لدى بريطانيا في الحرب (سميث ١٩٩٦ ص: ٣٣٧_٣٣٨) و لكن هنالك مشكلة واضحة في هذا التفسير , فقد يكون هنالك أسباب

أخرى جعلت بريطانيا لا تستعد للحرب بشكل جدي في جنوب إفريقيا . الأهم من بين كل هذه الأسباب هو عدم الانتباه للقدرات العسكرية للخصم(٧) .

---

(٦) – كان هنالك مصالح اقتصادية كالذهب و الألماس في جنوب إفريقيا التي ناقش الباحثون طويلا على أنها الأسباب التي جعلت بريطانيا تخوض الحرب . أكثر نقاش جدير بالذكر كان قد صرح عن الاشتراكي ج.ا هوبسون , في كتابه المؤثر :حرب جنوب إفريقيا :عن أسبابها و نتائجها . رأى هوبسون أن السياسة البريطانية كانت رهينة مصالح رأسمالية خاصة أولئك الذين يدعون بحشرات الذهب مثل سيسل رودس و ألفريد بيت (هوبسون ,١٩٩٠).و قد نفت الدراسات التالية ذهنية الفرضية تماما (سميث,١٩٩٦ص:٣٩٣-٤١٢), لكن حتى إن لم تكن قد نفيت فإن النقاشات كانت لتقلل من ادعاءات أن جنوب إفريقيا كانت تعد مصلحة حيوية لبريطانيا , و أنها كانت لتقاتل و تموت لأجل ذلك .

(٧) – تفسير آخر يقول أن بريطانيا لم تكن مستعدة لأي فعل عسكري , من خلال المناقشات عن النقص الكلي للاستعداد البريطاني لمعركة كبيرة , انظر في كتاب هامر (١٩٧٠,الفصل ٦) . يظهر هامر أن نقص الاستعداد البريطاني لم يكن خاصا بالقتال في جنوب إفريقيا ,و لكنه كان ليتضح في أي شي آخر عدا الحرب الصغيرة.

و قد لاحظ "سميث" بنفسه ان بريطانيا كانت معتادة على الحروب الصغيرة التي تتطلب عددا قليلا جدا من الجيوش (سميث ١٩٩٦ ص:٣) كما أنه وضح ان بريطانيا لم تعر اهتماما كبيرا لتهديدات الهولنديين (سميث ١٩٩٦ ص:٣٣٩). بيكيهام أخذت النقاش إلى منحى أبعد .بعد وصول لاندس أون بأيام قليلة أرسل برقية ليسأل عن الأسئلة الأساسية الأولى . كان رد (بين سيمونس): أن مجرد ألفي جندي اضافي سيحمي منطقة ناتال من الحدود الشمالية على الرغم من محاولات تقييدهم من الجمهوريين (بيكيهام, ١٩٧٩ ص:٧٤) .

كان السؤال الحقيقي : ما الذي سيفعله المستوطنين الهولنديين ؟

ففي شهر أيلول/سبتمبر كان الحاصل الكلي للجمهوريتين الهولنديتين أربع وخمسين ألف رجل , في حين كان مجموع الرجال البريطانيين عشرة آلاف الحرب.اسة مستعمرتي "ناتال" و "كاب" ..

ولكن إذا قام الهولنديون بالهجوم ,فهل سيسعون لاشتباك مباشر مع قوات الحامية بقوة ,أم أنهم سيتخذون إستراتيجية الإغارة,أم دفع القائد فقط لداخل مستعمرتي "ناتال" و" كاب"؟.

تنبأت الاستخبارات العسكرية البريطانية , تحت قيادة الجنرال "جون كيف" بالأهداف وقد استطاع مع قطعته العسكرية التكيف مع النتيجة؟ ويبدو هذا مذهلا في ظل هذه الأحداث, أن الملاحظات العسكرية قد أعطت الجواب, حيث لم يعتبر المستوطنين

الهولنديين كخصـــم عســكري حقيقي أو كرجال مقاتلين, بل كان من المتوقع أن يكونوا رديئين مقارنة بالهولنديين الذين هزموا قوات "كولي" الصغيرة في منطقة " موجابا" .

- الأول: كان الهولنديون – الذين اعتادوا على مقاتلة قبائل "الكافير"– يجهلون كيفية محاربة رجال كبار (بيكنهام ,١٩٧٩,ص:٧٤-٧٥) .

ومن ناحية أخرى، لا يوجد قطعاً طريقة لتأسيس رغبة بريطانية نهائية لمشروع الحرب على الرغم من أن ما سبق وضح التحضيرات البريطانية للحرب إضافة إلى ذلك كميات كبيرة من الإثباتات الموثقة المتوفرة بأن رغبة "ميلنر" بالحرب على أنها الحل الوحيد لتحقيق الأهداف البريطانية في المنطقة كانت الراجحة حتى ولو أن بريطانيا لم تفضل ذلك الخيار ، وبعبارة أخرى، فقد أرادت بريطانيا الحرب فعلاً ولكنها لم تردها كما كانت .

عشية الحرب والمصالح الهولندية:

لقد عرفنا مسبقاً بأن بريطانيا رغبت باحتلال الجمهوريات والتحكم بسياساتها وإدارتهم الاقتصادية وذلك لتسهيل تأسيس مساحة سياسية موحدة حكومة أفريقية جنوبية مذعنة للحكم البريطاني، ولكن ماذا كانت الاهتمامات الهولندية؟ وبشكل أساسي، كانت المصالح الهولندية بشقيها وبقيادة كل من "كروجر" و"ستين" تسعى للحصول على الاستقلال السياسي عن بريطانيا من خلال مفاوضات هدفت إلى اندلاع الحرب .

استطاع الهولنديين إثبات وجودهم بشكل ملحوظ، وكذلك سعيهم للتعويض عن العديد من المواضيع الرئيسية، وعلى سبيل المثال امتياز "تشامبرلين" و"ميلنر" ومع ذلك، فمع حلول عشية الحرب، كان اثنان من أشكال تضارب المصالح قد جعلا من الحرب قدراً لا مهرب منه [٨].

---

[٨] - لنكون عادلين ودقيقين : لا يوجد هنالك مصالح هولندية واضحة ما عدا تصريحات بعض القادة الناتجة عن الألم و الانكسار والتفرق على الصعيد الهولندي شارف على الانتهاء. ولم يكن آنذاك من أمة افريقية متحدة والأفارقة في أنحاء البلاد يحاولون أن يتوحدوا بأكثر من طريقة خلال القرن التاسع عشر . إن الجدير بالذكر أنه كان هناك هولنديين أكثر في مستعمرة كاب من الجمهوريتين معاً (سميث ١٩٩٦ على الرغم من ذلك لربما المطالبة الجمهورية بالتخلص من الحكم البريطاني كانت ملحوظة)ص ٧

- الأول : أن بريطانيا أعلنت بشكل واضح بأن الاحتلال لابد منه. و الهولنديين من جانب أخر

عبروا عن استعدادهم الواضح للتعامل مع إعادة انتشار القوى البريطانية وزيادة عددها ولكن لا تفاوض للإذعان المطلق للسيادة البريطانية.

- الثاني : وبشكل أسوأ، فقد قلل البريطانيون من شأن حجم الجيش الهولندي، وإعادة استخدامهم لهذا الجيش، وما نتج عن ذلك أن الطرفين تبادلا التهديد والوعيد لتحقيق مطالبهم وعند عدم استجابة أحدهم للأخر ابتدئ الهولنديين بالحرب (٩)

الحرب الجنوب افريقية

أمن سميث الملخص الأكثر منطقية وواقعية للحرب الجنوب أفريقية من حيث الأهمية التاريخية وعلاقتها بسؤالنا المركزي.

لقد استمرت الحرب الجنوب أفريقية التي استمرت من عام ١٨٩٩ إلى ١٩٠٢ اعتبرت الأكثر تشديدا وكلفة وإذلالا مقارنة مع جميع الحروب الأخرى التي خاضتها بريطانيا منذ اندحار نابليون في عام ١٨١٥ إلى بدايات الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ شملت الحرب من القوات ما يعادل أربع أضعاف القوات التي شاركت بحرب كريمين كما وكلفت ثلاثة أضعاف تلك الحرب المذكورة مسبقاً وهي أيضاً اعتبرت الحرب الاستعمارية الأكثر كلفة خلال القرن للإمبراطورية العظمى كما واعتبرت الحرب الأعظم في فترة الوجود الأوربي في إفريقيا حين لجأت الحكومة البريطانية إلى الحرب عام ١٨٩٩ لإنهاء الحرب الموقف الهولندي البريطاني المتنازع بمنطقة "ترانسفيل" حيث كانت القوة السياسية متمركزة بأيدي الهولنديين

______

(٩)- على الرغم من أن الهولنديين بدءوا بإشعال الحرب ولكن هذا من الناحية التقنية لتيار المصالح ولكن بريطانيا هي المسئولة الأولى والأخيرة عن الحرب كلها ولا جدل على ذلك.

لتجاوز أسباب التوحد الجنوب الأفريقي وتأسيس قوة بريطانية مهيمنة في الجنوب الإفريقي حيث كانت جهتان جمهوريتان هولنديتان قد قاتلتا في سبيل استقلالهما عن حرب استعمارية ضد الإمبراطورية البريطانية . تلك الأمتان الأفريقيتان اللتان اعتبرتا الأصغر عالمياً حيث لم يتجاوز عدد سكانهما مئتين وخمسين ألف نسمة مع حلول شهر آذار من عام ١٩٠٠ وما قدر مجموعه بمئتي ألف جندي بريطاني شاركوا في الحرب في جنوب أفريقيا ضد الهولنديين مما أسفر عن خسارة خمس وأربعين ألف قتيل (سميث ١٩٩٦ ص ١) .

ومما لاشك فيه، أنه بعد أخذ القوى بعين الاعتبار القوى من الطرفين في هذه الحرب، فقد كانت بريطانيا اللاعب الأقوى على الرغم من أن الطرفين الهولنديين، و الدعم الذي قدم لهم من السكان الأصليين في مدينتي "كيب" و "ناتال" إلاّ أنهم خسروا في النهاية جميع قواتهم التي كانت نسبتها خمسة إلى واحد .

المواجهة الأولى: الهجوم التقليدي ضد الدفاع التقليدي: (تشرين الأول – كانون الأول ١٨٩٩)

في بداية تفاعل الحرب، كان المستوطنين الهولنديين يفوقون عدد الجنود البريطانيين في مستعمرة "كيب" و"ناتال" بثلاثة أضعاف. وهذا كان وصف "بيكنهام" لإستراتيجية المستوطنين الهولنديين فباعتقاده أن إمكانية الحرب ستكون مؤكدة أكثر.

انطلق (سماتس) بعد ذلك في خطة محمومة لهجوم عسكري. وكان القرار هو حرب خاطفة ضد "ناتال" وقبل وصول أية تعزيزات.

كانت الفائدة في الزيادة العددية سوف تكون في مصلحتهم بشكل تقريبي وبنسبة ثلاثة ضد واحد. فهناك أربعين ألف هولندي ضد خمسة عشر ألف جندي بريطاني. وهكذا، فمن خلال إطلاق كل جيوشهم ضد "ناتال" فإنهم سوف يأسرون "دوربان" قبل أن تحضر سفن التعزيزات البريطانية.

وبهذه الطريقة، كانوا يستطيعون احتجاز المدفعية والمخازن بكميات هائلة، وكذلك سوف يشجعون أفريقيي مدينة "الكيب" في الداخل ليشكلوا لأنفسهم جمهورية ثالثة عظيمة.

وفي هذا الصعيد، فقد عبر البريطانيين من أن الارتدادات العالمية سوف تكون مفاجئة: "وسوف تسبب هزة فورية للإمبراطورية البريطانية في قسم مهم فيها".

فأعداءِ البريطانيين، فرنسا وروسيا وألمانيا، سوف يسارعون لاستغلال انهيار البريطانيين.[١٠]

يبدي النصف الأول من رؤية "سماتس" الجدلية في ضوء هذه الأحداث. فما الذي لعن من جهة أخرى الخطة الإستراتيجية الجيدة حيث كان الوقت والتردد من رئيس ولاية "أورانج فري" " ستين" . لقد تردد "ستين" طيلة شهر أيلول عندما كانت سفن الجند البريطانية تتبخر (يقل عددها) قرب "دوربان".

خلال ذلك الوقت كانت قد جندت الجمهوريتين، لكنهما كانتا متأخرتين جداً. فمع حلول التاسع من شهر تشرين الأول، كانت أكثرية سفن الجند البريطانية قد رست عند "دوربان" وبالنسبة للتكتيكات الهولندية ومعداتهم وتدريباتهم الواجب إضافتها للتمكن من إحداث هجمات تقليدية ضد القوى النظامية في المراكز المدعومة، وإن منظمتهم وتدريبهم جعلهم مدّعيين مثاليين لإستراتيجية "سماتس".

كان قادتهم المدنيين المنتخبين قد أصبحوا قادة منصّبين كما أنهم يحكمون من خمسمائة إلى ألفي مواطن من كل مغوار في المعركة. وفي نظام المغاوير هذا كان لا يوجد أي شخص مهمته تدريب المواطنين فكان

(١٠) - (بيكنهام، ١٩٧٩: صـ ١٠٢ – ١٠٣)

الرجال يتركون للقتال كما يقاتلون بالعادة مع تكتيكات الفرســـان على الجبهة. فإذا كان عدد جنود العدو هو الأكثر فإنهم يثيرون هجومه ثم يفككونه ويتســتروا ثم يصــوّبوا ويمتطوا فرسانهم ثانية وينطلقوا.

وفي الأدلة العســكرية الأوروبية كانت هناك صــيغة تعرف " بالهجوم الإســتراتيجي والدفاع التكتيكي". فالهولنديين لم يرووا هذه الأدلة من قبل. (بيكنهام ١٩٧٩: ص١٠٥)

بدأت الحرب بهجوم المغاوير الهولنديين (بشــكل أســاســي مدعومين بالفرســان والمشــاة وبالمدافع الثقيلة) ضـــد البريطانيين في ثلاث مناطق: "داندي" في الجنوب، "مافيكينغ" في الشــمال، و"كيمبيرلي" في الشــمال الغربي.في الوقت الذي كان فيه البريطانيين مكشــوفين بشكل خطر في شمال نهر "توجيلا "في "ناتال".

كان الجنرال البريطاني"جورج وايت" الموجود في المنطقة قد تســـائل إذا ما كان عليه أن ينســحب من "داندي" إلى مواقع أخرى في جنوب "توجيلا"، وقد أجيب بالرفض من قبل الوكالتين العسكريتين المحليتين (قائد موقع "داندي" العسكري, السيد "بين سيمونس") – الذي لم يعتبر الهولنديين خصوماً عسكريين – ومن قبل الوكالة السياسية (حاكم "ناتال" الســـيد "والتر هيلي- هيوتشـــينســـون) – لأنها ســـوف تشـــجع قبائل "الزولو" ليثوروا (بيكنهام,١٩٧٩: ص١٠٩). [١١]

أخذ أول صدام مسلح بالحرب مكانه في العشرين من شهر تشرين الأول في "تالانا هيل" خارج "داندي" في "ناتال". في حين كان الهولنديين بقيادة "لوكاس مير" وكان البريطانيين بقيادة بين "سيمونز" الذي كان جالساً لتناول الفطور عندما انهارت أول الدروع الهولندية في "داندي".

---

(١١) - اجي ميلنر في مجادلة مماثلة مؤخرا وقرر بشـــكل مماثل تحضـــيرات رهيبة اخذت بعين الاعتبار الإمكانية الثورية لأفريقيي الكيب

في إحباط الإحداث العسكرية أو نقصان وجود الضرورات العسكرية في كيب .

كان "ســـيمونز" مجنوناً وليس عبقرياً عســـكرياً. في حين كان الدفاع في "داندي "منظماً حيث إن تكتيكاته كانت تلزم الهولنديين الذين كانوا :

(١) – جهزوا هجوم المدافع.

(٢) – هجوم المشاة (الذي انتهى بمهمة المطالعة بالسلاح الأبيض). و أخيراً

(٣) – أعطيت مهمة منع تراجع العدو، على الرغم من أنه كان هناك عدد من تابعيه قلقين على الهدف الذي من الممكن أن يقدم الجيوش المجهزة بأحكام ليدعم و يعجل إطلاق النار , كما أن على "سيمونز" أن يؤمن أيضاً المحافظة على جنوده المشاة تحت أهبة الاستعداد (لتقديم ضربة عظمى) .

و بذلك، فقد أثبت الخطى , و لكنه كان يجب عليه أن لا يكون رحيماً، أو يري عدم اهتمام أو عجز في هذا الحساب، لأنه، وكما علق باكنهام :

" في كل أوروبا، ليس هناك أي أحد من الجنود لم يرى في حياته إطلاق نار كثيف في مخازن ذخيرة البنادق[١٢].

---

[١٢] – حكمة كروجر جهزت الهولنديين بالســـلاح الحربي ٩٨–و الدقة, الجدارة بالثقة, التغذية الإعلامية, تســـخير المؤخرة بذخائر لا دخانية. صحفي بريطاني في هذا المشهد قدم الوصف التالي للهجوم المفاجئ للفرسان ضد مغاوير كوك المتقهقرين في يلاندسلاغات

" الهجوم المفاجئ لمئتي فارس يعدون عبر خطة صـــممت لتكون قوة غير قابلة للمقاومة. إنها لن توقف بســـهولة لأن العدو سوف يطلب الاستسلام... خط الهجوم المفاجئ للفرسان امسكهم بالطرف الجانبي مثل المقدمة الفولاذية للسفينة المحطمة التي تحطم قارباً خشبياً. الناس سمعوا أثر السحق – وشاهدوا وميض مسدسات الضباط , و سمعوا صراخ الهولنديين كمحاولة لإنقاذ أنفسهم... تراجع المحاربون لهجوم مفاجئ ثاني.("أفضل طريقة لصيد الخنازير البرية... لحوالي عشر دقائق , لتعبة ستون شخصاً في الكيس"كما علق أحد الضباط لاحقاً) إطلاق النار و الصراخ مرة أخرى... مبكرة.لقصة أصبحت بأن الهولنديين لوّحوا بأعلام الهدنة, وبأية حال, كان الأمر: لا معتقلين"

(باكنهام ,١٩٧٩: ١٤٣–١٤٤).

مع نهاية مسكتة في وجوههم ". (باكنهام ,١٩٧٩:١٣٢) و بنتيجة ذلك, كانت للتو قد رفعت الســتارة على جولة أخرى بين منظمة جيش المزارعين المترجل المجهز بشــكل دراماتيكي بالعتاد الحربي المدعم , مقابل الجيش الباهظ و الضــيق الفكر و الواثق من نفسه و حتى الأفضل (و بمصطلح الأرقام) الجيش الإمبريالي البريطاني .

و في المعركة نفسها , التي فاز البريطانيون فيها المبارزة بالمدفعية (ثمانية عشرة سلاحاً ضد ثلاثة) , وكان "ســيمونز" و العديد من ضــباطه و جنوده المشــاة ماتوا لإجبار مغاوير المزارعين على الخروج من تلة "تالانا" فقط ليكتشــفوا أن معظم مغاوير "ماير" قد هربوا على الأحصنة . و بعدم معرفة "سيمونز" , الذي كان يفترض أن يقطع انسحاب "ماير" لكنه دخل في مشكلة وانسحب في ساعات مبكرة . ولذلك فاز البريطانيون بالتل , و لكن هل فازوا بالمعركة ؟ لقد أثبت القتال من أجل تلة "تالانا" مثالية معظم المواجهات بين البريطانيين و المزارعين حتى "بلاك ويك، أي الأسبوع الأسود " في كانون الأول .

وبالرغم من أن الهولنديين غالباً يملكون أسلحة أفضــل , فإنهم لم يكن لديهم مشــاة من الهولنديين قادرين على تغيير المعطيات" القانون الثاني"من نمط القوانين الثلاثة المنشــأة من قبل "سيمونز" و ضباط نظيره في التفاعلات المبكرة لهذه الحرب . فقد كان جنود المشاة البريطانيين يميلون إلى الهجوم المباشــر ضــد الجنود المشــاة الهولنديين المتحصــنين في نظام مغلق , وذلك لدعم المصابين الكثيرين من قوة الأسلحة الكثيفة لأسلحة حربية جديدة . كان الضــباط البريطانيون, الذين زجوا برجالهم إلى المعركة , وكذلك تأثيرات البودرة اللا دخانية قد أثبتت فعالية في إحداث حالة من الإرباك على أقل تقدير . فبالنسبة

للبريطانيين, كان الهولنديون المحصنون غير مرئيين حتى أصبح الجنود المشاة متقدمين فوقهم . وهذا ما جعل من الصعب على الضباط الاختفاء و التركيز و التقدم، وكان انسحاب جنودهم المشاة فعالاً. لكن النتيجة كانت قتل الكثيرين منهم .وهكذا، فبعد تثبيت الحراب من أجل الهجوم المفاجئ الأخير, كان البريطانيون عادةً يجدون هدفهم مهجوراً: مع قلة من الهولنديين المقتولين عبر المدى المنظور, لكون معظم المغاوير قد هربوا بعيداً على الأحصنة. وحيث يملك البريطانيون في الحقيقة سلاح فرسان قوي , كما في حالة جنرال الهولندي "ينكووك" المتقدم تقدماً غير ناضج ضد البيض في معركة "ليدي سميث أو السيدة سميث", بشكل حاسم – إذا كانت البربرية– المعطيات ممكنة(١٣). ولكن على أية حال , فقد كان البريطانيون يفتقرون للعدد الكافي من الفرسان في جنوب إفريقية لمواجهة تكتيكات الكر و الفر عند المستوطنين الهولنديين(١٤) .

وفي الأسابيع القليلة التالية، استمرت القوتين في المواجهة معركة بعد معركة,و التي كان فيها البريطانيون هم الأسوأ.وفي شهر تشرين الثاني, وقع البيض في الشرك في منطقة "ليدي

سميث" و انتهت بذلك جميع ادعاءات الحرب القصـــيرة . وقد كان اعتقال البيض في "ليدي سميث" ربما أكبر خطأ استراتيجي بريطاني في الحرب. وعلى الرغم من أن الأمر قد أعطي من جنوب نهر "توغيلا" فقد كان ذلك – وفق حرب القوى العظمى- أن الأوامر , بمعنى آخر, كانت لتفادي الحصار بجميع تكاليفه. ولكن ماذا حدث بعد ذلك و لماذا؟

---

(١٣) (١٤) - ثلاث مشاكل ظهرت بعلاقتها مع فعالية حلبة الفرسان في جنوب أفريقية.

أولا: وجد البريطانيون أنه من المستحيل أن يضعوا عدداً كافياً من الأحصنة في المسرح. و قد جردوا الأحصنة من المستعمرات الأخرى كما فعلوا في الهند و استراليا. و لكن الناقل أخذ معدات ثقيلة والأحصنة التي نجت لتصل إلى المسرح كانت غالباً ضعيفة جداً لتستخدم للفرسان.

ثانياً : كان المناخ و المنطقة في جنوب افريقية صعباً على الأحصنة و التي لم تكن تحتاج فقط لوقت إضافي للتأقلم, و لكنها لا تستطيع بعد ذلك أن تستخدم في دعم العداء(التي قتلتهم). مع مرور الوقت البريطانيون فهموا هذا , و قد كانوا دمروا بفعالية فرسانهم المتحمسون كقوة مقاتلة. أخيراً, سياسة الأرض المحروقة البريطانية الأخيرة (الورقة الرابحة) كان لها التأثير بحد حركية تشكيل الفرسان إلى سكة الحديد, لأن السياسة لم تدمر فقط العلف لأحصنة الهولنديين, بل دمرت العلف لأي أحصنة. في النهاية, البريطانيون عدلوا عن محاولة توظيف الفرسان , ولجئوا لسياسة أكثر حكمة ألا و هي التظاهر بأنهم الهولنديين حيث استخدموا أحصنتهم ليعتمدوا عليها الجنود المشاة المدربين جيداً.

لقد أدرك البيض – بشـــكل رئيســـي مثل جميع نظرائهم في ذلك الوقت – بأن الهولنديين ليسـوا خصـماً عسـكرياً ثرياً؛ وإنه بوضـع قدرتهم القتالية جانباً؛ فإن روحهم المعنوية سـوف تصبح هشة جداً حيث أن انتصاراً بريطانياً حاسماً سوف يضيق الخناق عليهم.

و مع ذلك فإن تجاوز الأرقام مع "جوبرت, الجنرال الهولندي المشهور, بنسبة اثنين لواحد. ما الذي جعل إرادته توقعه في خطر الوقوع في الشرك بتقديم حرب ضد مأموريه الخاصين؟

لقد أثبت "باكنهام" اثبت جواباً بالغاً الطول في السرد:

"كان (البيض) إلى حد معين يعبرون فحســـب عن إهمال الجنرالات البريطانيين التقليدي لحقائق الحرب واسـعة النطاق. فلنصـف قرن، خاض البريطانيون معارك صـغيرة ضـد رجال القبائل في الهند و إفريقيا ضـعفاء السـلاح و غير المتحدين. وغالباً ما بدأت هذه الحروب العك, أوالمرعبة, حيث أجســام الرجال الصــغيرة,المحاطة من قبل الهمج الذين لم يعطوا أي رعاية، والذين قاتلوا إلى آخر خرطوشة.

وفي الوقت المناسب,يأتي الجيش الرئيسي البريطاني المشهد و يوقع السحق و الهزيمة الدائمة بالعدو.كان هناك القليل من الإستراتيجية,أو الكثير من التكتيك,المناورة,بالمعايير الأوروبية حيث أُجهد الرجال في الصـــحراء أو الغابة، والتي كانت المشـــكلة الرئيســـية للجنرال البريطاني".

وبالمقــارنــة، فقــد كــان القتــال الفعلي بســـيطــاً. كمــا كــان لــدى "روبرت"في أفغانستان,و"لسلي"في مصر و"كيتشينر"في منطقة "أم درمان" في السودان .

على الرغم من أن الحملة قد تستغرق شهوراً,لكن المعركة الحاسمة يمكن أن تتم في ظرف ساعات.وحدثت الحرب ليوم واحد,كما تدربوا في سهل "ساليز بوري" لذلك كان من الطبيعي للجيش الأبيض لكي يحاول أن يوجه الضربة القاضية إلى "جوربت", أما بالنسبة إلى"سيمونز" فإنه سيحاول أن يتعامل بنسبة واحد ضد واحد "لوكاس مير" .(بانكيهام,١٥٥:١٩٧٩).

أخفقت قوات البيض في حسابات الحقل "بالبويريين" وذلك في الثاني من شهر تشرين الثاني,و تراجع البيض إلى منطقة "ليدي سميث"حيث ظلت مع ما تبقى من القوات محاصرة حتى الثامن والعشرين من شهر شباط من عام ١٩٠٠.

وعند نهاية الأسبوع الأول من تشرين الثاني من عام ١٨٩٩كان البريطانيون قد حوصروا عملياً في ثلاثة حصارات:

١- "كوك يوش" لصق مع"سيسل رهوديس"على "كيمبيريلي".

٢- وكانت "باديين بويل" تحت الحصار في"مافيكينج".

٣- وحوصر البيض مع"قوة فيلد " في"ليدي سميث".

لقد عقدت الحصارات الثلاثة حملة عسكرية بشكل ملحوظ ضد البويريين ,ولأن الفخ الذي نصب للبيض (ولأسباب سياسية "سيسل رهوديس"في كيمبيريلي) فقد أجبر البريطانيون على أن يقسموا قواتهم لكي يخففوا من ضغط الحصارات، بدلاً من أن يركزوا بشكل أسرع نحو المدن "البويرية" الكبيرة بشكل لا ويقاوم.

الأسبوع الأسود : كانون الأول ١٨٩٩

ســقطت مهمة تخفيف هذه الحصــارات أولا بيد قائد من جنوب إفريقيا في العام الجديد وهو القائد

"ريدفير بوللر" واللورد "إيثن " الذي تقدم ليخفف عن "كيمبرلي" وذلك في الحادي عشــر من كانون الأول وحتى الخامس عشر منه، بينما كان يسرع البيض ليعيشوا ثانية في "ليدي سميث" بعد أن وجد "بولر" نفسه يرد على "بويري" المتحصنة تحت القيادة الماهرة للقائد" لويس يوثا" احد أصـــغر القادة والأكثر قدر على الجنرالات "البويريين" ولذلك، فقد تم استبدال "بولر" باللورد (روبت) مع اللورد (كيتشينير)كرئيس هيئة أركان واللذين قاما بما أصبح معروفاً بالأسبوع الأسود في الصحافة البريطانية.

في الحقيقة، على الرغم من أن الحالة العســكرية كانت تنقل البريطانيين كانت متغيرة على الدوام، فقد أخذوا على عاتقهم في النهاية الهجوم على " البويريون" لإيقاع خسائر أكثر، لكن النتيجة جاءت عكسية مما سبب في تراجع القوات، الأمر الذي سبب غضباً عاماً على مدار الأســبوع والذي يعكس أبعاد الأزمة , وقد كان هذا الغضـــب في الحقيقة قد ساهم في التأثير على التصرف البريطاني في الحرب :

وهكذا، فمن أجل توســيع الجيش البريطاني في جنوب أفريقيا، كان يجب تجنيد قوّات جديدة , واستئجار السفن , و إرسالهم إلى جنوب أفريقيا.لكن ذلك جوبه بموجتي ضغط سياسيتين , وعواصف شاذة من الرأي العام "

- حيث هزت الموجة الأولى أركان "الوايت هول" في لندن .
- الموجة الثانية كانت مصدر شؤم للعالم بأكمله : كانت صدمة قوية – فموجة

- الخوف من الإنكليز تتذبذب عبر القارة , وعجّل بالحرب من قبل البريطانيين، ولكنهم فشلوا في ربحه . (باكينهام١٩٧٩-٢٥٧)

مرة ثانية ,وبشكل إدراكي، اعتقد"باكينهام" أنه وباستمرار المحاولة للعزل، فإن ما ساهم في جذر اهتمام الرأي العام البريطاني هو"الأسبوع الأسود"والذي يجادل بأنه كان"إحباطاً في النصر المتأخر الطويل جداً ":

كان لدى الشعب البريطاني حرباً رخيصة جداً لنصف قرن , فحروبهم الصغيرة تلك كانت ضدّ الرمح و الدرع والجلد الخام . ولكن الإصابات الصغيرة للبريطانيين - كفقد أكثر من مائة جندي بريطاني قُتلوا في المعركة - كانت كارثة عانت منها القوات البريطانية فقط منذ التمرد .

أما الآن , ففي عام ١٨٩٩ قاموا بإرسال بعثة إلى ما وراء البحار الكبرى في التاريخ البريطاني لإخضاع واحدة من أصغر أمم العالم. وهو أمر قد يكون شاذاً إذا ما اشترك الجمهور في ثقة الحكومة.

لكن الإصابات الناتجة أعادت الحسابات : سبعمائة مقتول في الحرب، والكثير من الجرحى- أكثر من ثلاثة آلاف جريح - منذ تشرين الأول . . .

كان هذا الإذلال قد تسبب في مرارة شديدة (باكينهام , ١٩٧٩: ٢٥٨).

ويبرز تبرز قضيتين رئيسيتين :

- سياق حساسية المصاب البريطانية.
- والدرجة التي تحفز الفخر و خزي الأعمال البريطانية,وأهداف الحرب البريطانية.

أما الآن، فأن التكاليف تتزايد, و المكاسب غير متوقعة ؟ .

ولذلك، فإن إعادة صياغة "باكينهام" تضيف ما اعتبر تنبيهاً للناس والذي سيكون – مشوّهاً – لإبعاد هذه المخاوف عن الموقع , وهو قارن الواقع الحاضر " الإذلال و الإهانات " أثناء الفترة الوطنيّة الحقيقية كالتي حدثت أثناء الحرب النابولونية أو التمرد الهندي .

ولكن، كيف سينجو "مالبورو" و"يلينغتون" و"هافلوك" من هذه المحنة ؟ فقد كانت تصل البرقيات إلى لندن حول نتيجة كل ضربة يضربونها، أو االمحاكمة.ها،وتخضع للفحص كل ساعة من قبل الجمهور البريطاني .

ذهب الكفاح أعمق بكثير الآن من مجرد السؤال– كإبقاء موقعنا في جنوب إفريقيا– والتي ستكون عنواننا الذي سيكون معروفاً بقوة عالمية على المحاكمة .(باكينهام , ١٩٧٩: ٢٥٨)

مع أن الحرب لم تبدأ على أنها مصلحةأن تشكليوية لبريطانيا , فقد جاءت ملاحظات "اسكويث" لتوضح بأنها أصبحت كذلك الآن . يشير هذا النص أيضاً لما من الممكن أن تشكل الشكوى الإعلامية الأولى بخصوص الاشتباك بين العامة من أجل الحصول على معلومات حول تكاليف و إدارة الحرب , و ضمان درجات الحرية لسلطات الجيش المحلية فوزها .

كما سيصبح واضحاً في التفاعل القادم للحرب, ولكن لن تكون الشكوى الأخيرة.

مع موافقة "روبرت" و"كيتشينير" على الأمر– و الأهم من ذلك وصول عدد كبير من

الجيوش البريطانية المساعدة – المرحلة النهائية للتفاعل الأول للحرب قد وضعت الآن .

كانت هناك حماقات من كلا الجانبين , و لكن مع نهاية شـــهر حزيران من عام ١٩٠٠ قامت قوات "روبرت" بأسر "بلويمفونتين" في ١٣ آذار ,و"جوانيسبورغ" في ٣١ أيار.وأخيراً "بورتيا" في ٥ حزيران. و لشدة سروره إثر أسره "لبلويمفونتين" قام روبرت بإصدار إعلانه الأول في ١٥ آذار : للعفو عن الأعضاء النظاميين "البويريين" كما أنه – بإمكانهم الإبقاء على ملكيتهم إذا أعادوا بنادقهم و أقسموا قسم الحياد – و لكن العفو لا يشمل الزعماء "البويريين" و كانت الحصارات الثلاث أيضا سارية المفعول.

انتهت الحرب في "كيمبيرلي" في ١٥ شــباط , وفي "ليدي سميث" في ٢٨ شــباط) , وفي مافيكنغ في ١٧ أيار . لكن موكب "روبرت " المنتصــر، والمتجه إلى "بورتيا" أشـــار إلى انتهاء الثلث الأول من الحرب فقط و الذي كان بانتظار أن تدوم الحرب , وبطريقة وحشية أكثر لسنتين قادمتين.

المواجهة الثانية:الهجوم التقليدي

من "بلويم فونتيين" إلى "بيرتوريا" : آذار حتى حزيران

كان للمواجهة الثانية للحرب تكوينها الخاص في الفشل على الصعيد الهولندي .

وكان "كريســـتيان دي ويت"– و هو من أكثر القادة موهبة، بل و الموهوب الوحيد من قادة العصـابات – قد فكر من خلال الايجابيات و السـلبياتلهم.ال الهولنديين لسـياسـة الطعن والهرب بعد استسلام الجنرال "كرونجي" في "بارديورغ" لكن "دي ويت" قد شاهد الكثير ليدرك على أنه – إلى جانب الأخطاء التي ارتكبها القادة الهولنديون كالقائد

"كرونجي"- فإن التفوق العددي للبريطانيين طالب بإستراتيجية جديدة من الهولنديين .

لم يكن النظام القيادي مناسباً لحروب ذات نطاق واسع بل لهجمات العصابات ذات النطاق الضيق . حيث يمكن لمجموعة صغيرة أن تقوم بأفضل استخدام للموجودات و قابلية الحركة، في حين أن أسوأ عيوبهم و قلة انضباطهم سيكون بمثابة عقبة لهم. على الرغم من أن البريطانيين ارتكبوا أخطاء أيضاً:

١- من حيث الاستخفاف بعدوهم.

٢- فشلهم في إعداد قواتهم و تكتيتكاتهم وعدم استغلالهم لإمكانية إصابة الطرق الهولندية في القتال و لكن البريطانيين - الذين ربحوا في النهاية- أظهروا اهتماماً قليلا بتعلمهم من أخطاءهم .

فبعد أسر "روبرت" من قبل الهولنديين الرأسماليين , عاد إلى لندن حيث تم الترحيب به كالأبطال, وقام "كتشنر" بإعادة "روبرت"كقائد عام للجيش في تشرين الثاني من عام ١٩٩٠ ولم يكن مهتماً بأخطاء القادة الآخرين,إذ لم يظهر "كتشنر" أي اهتمام بالتعلم من أخطاء "بولر" و"ميثون" و أرجع سبب فشلهما على الأرجح إلى ضعف ثقتهم بأنفسهم .

في ثورة التكتيكات- في الحرب الجديدة الخفية للبنادق و الخنادق- فقد ظهر أنه غير مدرك بشكل خطير (١٩٧٩ ص:٣٥١) في حين أبدى بعض القادة البريطانيين قلقهم بشأن الصعوبات التكتيكية والإستراتيجية و التي يمثلها العدو, كالأرض و الطقس.

في بواكير شهر تشرين الأول / أكتوبر من عام ١٨٩٩ خطط "بولير" لبناء و تجهيز قوة

كبيرة من جيش المســـتعمرات غير النظامي المدرب للمحاربة كالهولنديين , و قد تنبأ "بولر" بمشكلة النقص في قابلية التحرك ,و قام نفسه بالتكهن بانتقال الهولنديين لسياسة الطعن و الهرب (و هذا أمر منطقي)

في هذا النمط من المجتمعات الاســـتعمارية الأولية , حيث لم يكن هنالك تخطيط عال للآليات الإدارية و الحكومات المركزية كانت تمتلك تأثيراً وسلطة محدودة,لم يمجد الزمن بعد كرسي الحكومة مع هالة من الاحترام، وهذا ما كتبه "بولر" :

"لكل رجل بيت هو الرأسمالية. لذلك ليس هنالك مركز متحكم من قبل الاحتلال حيث يمكن إخضاع البلد أو حتى المقاطعة بالكامل . فلا نقطة حيوية توجد بحيث يمكن لضربة واحدة ان تشل كافة أعضاء الجسم . يوجد هنالك أنظمة يمكن أن تقسم إلى مجموعة متعددة من الأجزاء من دون تدمير حياة كل جزء ".

وكان هذا جزءا من تحذير "بولير" إلى "روبيرت" .

الهولنديون كانوا جسدا بلا رأس .ولكن كما رأينا سابقاً فإن "روبرت" لم يكن يؤمن كثيرا بآراء "بولر". فقد تشبث "روبرت" بالرأي التقليدي عن الإخضاع .

احتل المدينة معتقداً بأن ذلك بمثابة قطع لرأس العدو. و ســـتكون روح العزيمة لديهم قد ماتت أيضا , و قد نوى أيضاً على استعمال الوسائل السياسية – ذاك النوع الذي استعمل غالباً في الحروب على الحدود الهندية– ليمهد تقدمه نحو "بريتوريا" .

و في الخامس عشـــر من شـــهر آذار، أصـــدر عفواً عاماً عن كل مواطني الولايات الحرة مستثنياً القادة منهم. (باكينهام ١٩٧٩ص:٣٩٩). لذلك لم يدرك البريطانيون بسرعة ان

إســتراتيجيتهم لن تتمكـن من الفوز بالحرب . فقد اسـتمروا بالاحتفاظ بفكرة أسـر القيم و إصـــــدار عفو محدود كطريقة لإنهاء مقاومة الهولنديين، في الوقت الذي بدأ فيه الهولنديين بالمقابل بالتخطيط لإستراتيجيية جديدة مبشرة بعد أسر مدينة "بلويم فونتيين".

كانت تلك الإستراتيجية تعتمد على سياسة الطعن و الهرب. وكان المخطط الرئيسي لهذه الإستراتيجية هو "دي ويت" الذي طرح نقاشه لتحول استراتيجي في حزب الحرب والذي لم يستطع الصمود سوى لمدة أربعة أيام بعد اقتحام "روبرت" لمدينة "بلويم فونتيين".

كان للإستراتيجية ثلاثة عناصر أساسية:

١- احتاجت لنوعٍ جديد من القوات - التي تكونتماماً.ه الحصـــر من الرجال الذين تفانوا بعنف للســـبب الهولندي، فبعد ســقوط "بلويم فونتيين" أرســـل "دي ويت" قادته المنهكين لإجازة مدة عشـــرة أيام و هو على دراية تامة بأن العديد منهم لن يعودوا مجدداً ولكن كان ذلك عن قصد . لأن أولئك الذين رجعوا كان يعتمد عليهم تماماً.

٢- احتاجت لقوات يمكنها أن تدير العربة التي يديرها الثور باســـتقلالية ,و التي رافقت القادة الهولنديين في هذا المجال.

٣- الحث على التحول من التركيز على الجنود البريطانيين , إلى مهاجمة الاتصـــالات البريطانية التي كانت ضـــعيفة للغاية . و علاوة على ذلك، فإن كل هذا قد ألح على "دي ويت" على أن مجرد الحصـــول على انتصـــارات قليلة، يمكنها أن تنذلك،ح العزيمة لدى المواطنين بنسبة أكثر من التأثير العسكري .(بيكيهام ١٩٧٩ ,ص:٤٠٨-٤٠٩.)

و بالتالي، فإن الإستراتيجية الجديدة قد أعطت أملاً جديداً - من تجنب الهزيمة على الأقل

– وبالإضافة إلى ذلك، فثمة شيء آخر-أساسي –لم تتم مناقشته كجزء من تداولات مجلس الحرب : وهو التنبؤ بالسلوك البريطاني الأخلاقي في الحرب .

إن السبب الذي جعل الجيش الهولندي منظمة عسكرية متحركة – بالإضافة إلى النقل المتحرك- هو تماماً بسبب صفة طبيعة الحرب ضد القبائل الإفريقية الأصلية, التي لم تحترم مفهوم الحصانة غير القتالية لهذا قامت سرايا الهولنديين بإبقاء النساء و الأطفال في العجلات ,مستعدين للفرار من مزارعهم الخاصة بهم في غضون فترة قصيرة , ولكن بسبب الدمار الذي أحدثته قبائل "زوسا" و "زولو" كتهديد عسكري , فقد أصبح الهولنديون أكثر استقراراً و أقل تنقلاً .

ولكن، كما وضح "دي ويت" في تقريره الأخير عن الحرب , فإنه لم يخطر ببال مجلس الحرب أن يسأل عن سلامة الأطفال، والنساء الهولنديين الخاضعين للاحتلال البريطاني.

قامت الفتيات الأصيلات بالإسراع في الهرب على ظهر خيولهن , لتبقين بعيداً عن أيدي المطاردين ما دام ذلك ممكناً ,و كي لا تثرن اهتمام المخيمات,و التي أطلق عليها البريطانيون اسم مخيمات اللاجئين.

ترى، هل فكر أحدهم يوماً بأن حروب القرن العشرين يمكن أن تظهر هذا القدر من الوحشية ؟.

لا، فالكل يعلم أن وحشية القتل هي أكثر بشاعة من أي شيء يحدث, ولكن جرائماً مباشرة و غير مباشرة كهذه الجرائم التي ترتكب ضد نساء و أطفال عاجزين عن حماية أنفسهم- وهو شيء كان علي أن آخذه بعين الاعتبار –كان يجب ان لا يحدث في حرب تشنه الأمة البريطانية الحضارية (دي ويت ١٩٠٢,ص:١٩٢-٩٣).

بالطبع ليس كل من يحضر مجلس الحرب مؤمنا بالتحفظات الاخلاقية للجيش البريطاني.فقد اعترض "لويس بوثا" الذي قاد الجيش التقليدي الهولندي الأخير في الحقل على التغيير في استراتيجية على الصعيد الإنساني، ولكن متى اعتبرت حرب العصابات حرباً حضارية؟.

من الواضح أن هذا السؤال قد أزعج ضمير قادة "الترانسفال" وخصوصاً "بوثا" .

وهذا يفسر أيضاً لماذا تشبثوا باستراتيجية الحرب النظامية على الجبهة الامامية. لابد أن "بوثا" قرأ ما يكفي عن التاريخ العسكري– و بالطبع فإن "سماتس " أيضا فعل ذلك – ليعرف ما تستلزمه حرب العصابات حتميا من المدنيين .

إن زحف القادة خلال جورجيا و معاملتها السيئة للفرنسيين كان لها انطباعها السيئ جداً و اعتبرت سابقة دولية لم تحدث من قبل في حرب العصابات في حنوب إفريقيا.

وعلى الرغم من ذلك, فان المقاتلين أعلنوا تهديدهم بغياب عناصر الوحشية من الحرب في أكثر بلاد العالم تحضراً (بيكنهام١٩٧٩,ص: ٥٠٠)

في الثالث من آذار، أكمل "روبرت" تقدمه الذي لا يمكن مقاومته إلى "بريتوريا" من خلال طريق "جوهانسنيرغ" وقد أرسل نصف قواته – حوالي ٢٠٠٠رجلاً – لحراسة طرق النقل،وللبدء بعمليات مكافحة العصيان، والتي صممت لقطع الدعم عن "دي ويت" من خلال نزع السلاح عن المزارعين الهولنديين و حرق مزارع محددة كان أصحابها بعيداً عن أرضهم للقيام بمهمات أوكلت لهم .

(يعتبر هذا نقاشا حساساً, فالأعضاء الأساسيين في كل من الطرفين وافقوا على فكرة أن جزء من مسؤولية النهب و السلب- و التي تصدر غالبا من عمليات مكافحة العصيان — تقع على عاتق المدافعين. وهكذا كانت خلال مناقشات مخيالعدو،وات العسكرية عندما كان المعنيون في البرلمان بشأن قضايا حرائق المزارع في بريطانيا و سياسية المخيمات , مثلاً حين صرح اللورد "بردوديريك" للمرة العشرين سياسة المسح لبلاد قد أجبروا عليها من قبل العصابات. فقد كانت بعض النساء يساعدن العدو، والبعض الآخر قد تم التخلي عنهن , و لا أحد منهم يمكن أن يترك ببساطة ليتضور جوعاً . وفي الثالث من شهر آذار، أكمل "روبرت" تقدمه,والذي لا يمكن مقاومته نحو "بريتوريا"من خلال طريق "جوهانسبرغ".وقد أرسل نصف القوات-أي ٢٠٠٠ رجلاً- ليبدؤوا بحماية خطوط النقل, والبدء بالعمليات لمكافحة التمرد والعصيان , التي صممت لقطع الدعم عن" دي ويت".

ومن خلال نزع السلاح عن المزارعين وإحراق مزارع محددة. كان مالكوها بعيداً يخدمون في فرق عسكرية.

المواجهة الثالثة: الهمجية. حيث كانت سياسة الضرب والهرب قد حددت المواجهة الثالثة في بداية إستراتيجية مكافحة المتمردين والتي ستقوى لاحقاً وتتحول لوحشية تامة.

وهكذا، فحين اقترب "روبرت" من "جوهانسبرغ" من التفاوض بشأن الهدنة مع المقاومين الهولنديين وقد وافقوا على تسليم المدينة للبريطانيين بشرط واحد، وهو أن يمنحوا ٢٤ ساعة ليتمكنوا من استخراج قواتهم (وقد اتضح أنه من ضمن ما استخرج من ذخيرة حربية, كانت هناك سبائك ذهبية).

وفي استعادة لأحداث الماضي, يتضح أن هذا الخطأ يقع على عاتق "روبرت" الذي لا يدري في الحقيقة أن جزءاً منها قد مني بالفشل, وبكل تهكم يجب أن يلقى على عاتق الإستراتيجية نفسها فقد تحرك "روبرت" ليقوم بتقسيم جيشه.

يوجد دائماً فجوة بين المبادرة بإستراتيجية كإستراتيجية الهمجية و تأثيرها العسكري المتوقع, وهذا يخلق خطراً كبيراً لدرجة أن الهمجية في هذه الحالة, من خلال إحراقها للمزارع وإجبارها الأطفال والنساء في معسكرات الاعتقال – سوف يحث على قرار المقاومة في حين أنه يمكن إحداث أثر تافه على عمليات العصابات ..

وهذا ما حدث هنا من قبل العديد من المواطنين العفو العام البريطاني, وعادوا إلى مزارعهم, ليجدوها وقد احترقت, وليجدوا أن مواشيهم قد ماتت, وإن نسائهم وأطفالهم فقدوا.

لقد ثار غضبهم , ولذلك، فقد عاد العديد منهم مع "دي ويت " وليقاتلوا بشراسة معه, مع "جان سمتس,كوس دي لاري"). (بيكنهام, ١٩٧٩, ص: ٥٠٠) وقد بدا أن الهولنديين أنفسهم قد قبلوا بهذا الجدال جزئياً, (وهذا كان مشكلة اخلاقية مروعة).

ولكن هل كان هذا عادلاً للقوم (النساء والأطفال بالمثل مع الرجال) لإقحامهم في حرب وحشية كهذه؟

بالنسبة للنساء والأطفال ,فسيبدو هذا كالعودة إلى الصفحات السوداء حيث صارع أسلافهم ضد "الكافيرز"الذين أخضعوا النساء والأطفال للخدمة,واحتجزوا كل مزرعة, ومخزناً، ونهبت بيوتهم وأُحرقت, ثم تم تخييرهم بين إما ترحيلهم للمدن كلاجئين ,أو اللحاق بالمعسكرات للحرب, (بيكنهام,١٩٧٩) .

وفي هذا السياق، فإن الموضوع الأساسي- والذي سيحكم فيه المجتمع الدولي حول قوانين الحرب في القرن الآتي – قد يكون لم يناقشه "باكينهام"، فنتائج كهذه كانت حتمية الوقوع.

كانت أوروبا في الماضي,وكأنها محكومة من قبل ملوك يستمدون شرعيتهم من خلال (الحق الإلهي)أو من احتل مكانه المدافع عن الإيمان.ولذلك، فقد كان التمرد , والهرطقة مرتبطين بشدة ببعضهما البعض، ولا أحد فيهما قد تم حمايته من قبل قوانين الحرب التي تسيطر على معاملة المساجين أو تسليم ربعهم، أو تدبر أمر المدنيين في مناطق التمرد والعصيان, وبالمقابل كان جائزاً للملوك والحكومات الأخيرة أن يستعملوا أي قوة أو يقوموا بالنهب والسلب للقضاء على التمرد والعصيان,وقمع الهرطقة,

(باركر ١٩٩٤ ,ص:٤٣)وقد تغير هذا ببطء مع مرور السنوات, خلال زمن قواعد "لاهاي" في عام ١٨٩٩ فقد جذب موضوع التمرد اهتماماً كبيراً، ولكن القضية لم تحل هنا,حتى أنها لم تحل عام ١٩٠٧(روبرتس,١٩٩٤ ص:١٢٢-١٢١).

حالما استعد "روبرت"للتقدم، بدأ يشعر بالإحباط بسبب نصره الذي لم يتحقق بعد, حيث كان لجيش الهولنديين المفترض أن يقاوموا تقدمه,ولماذا لم يهبّوا و يقاتلوا؟ .

طوال عبوره من "جوهانسبرغ" إلى "بريتوريا" قام "دي ويت" و بعض قادة العصابات بالتضييق على مواصلاته, واعتقال جنوده و مؤنه, وإذلال جيشه المنهك , وكانت النتيجة أن إستراتيجية "روبرت" الجديدة في مكافحة العصيان كانت على وشك أن تأخذ منحى منظما و أكثر وحشية.

وصل "روبرت" إلى "بريتوريا" ودخل بين شوارعها المهجورة , وفي الخامس من حزيران عام ١٩٠٠

وخلال الأشهر الخمس المقبلة,وأثناء إكماله لتقدمه نحو المدن الهولندية الأخيرة في الشرق , انتظر اقتراب "كروجر",و"ستين، أو أي من القادة الهولنديين "دي لا راي ,دي ويت ,سماتس أو بوثا" ولكن بدون فائدة.وفي شهر تشرين الثاني، أبحر نحو انكلترا ,وأثناء ذلك، كان "كتشنر" قد استولى على السلطة كقائد أعلى للجيش ..

استمر إحراق المزارع، وتفاقم المرطبات,من "كشتنر" – وربما كان هذا يبدو منطقياً على الصعيد العسكري – لكن هذا لم يكن من السهل محاكمته , وعلى الأقل ليس في البداية :

"إن أسوأ لحظة هي التي تدخل فيها لاحتلال وطن. لقد ظن الناس بأننا طلبنا بعض المرطبات ,فقامت إحدى النساء بإحضار بعض الحليب . ثم كان علينا إخبارها بأن علينا إحراق المكان !! وببساطة،لم أكن أعرف في أي اتجاه علي أن أنظر؟! ..

لقد سلّمت المساجين – ثلاث نساء و بعض الأطفال – وأمهلتهم عشر دقائق لإخلاء المكان مع ثيابهم و بعض أغراضهم , ثم أحضر رجالي حزمة من القش و بدؤوا بإحراق المنزل. كانت الجدة غاضبة جداً , و كانوا تعساء للغاية , كانت النساء تبكي، و كان الأطفال ينظرون إلينا تارة بعيون محدقة خائفة، وتارة أخرى إلى المنزل الذي يحترق! . فهم لن ينسوا ذلك المشهد أبداً، وحتى حين يكبرون.

رحلنا بعيدا و تركناهم وراءنا. مجموعة صغيرة من البائسين الواقفين بين أغراض منزلهم من بقايا أثاث وأسرّة , و حلي متناثرة على الأرض, كانت هسهسة وفرقعة النار لا تزال تطنّ بآذانهم,و ألسنة اللهب والدخان تتصاعد من المنزل (باكينهام ,١٩٧٩.ص:٤٦٦-٤٦٧.).

على الرغم من إن عملية إحراق المزارع كانت ظاهرياً تطال إحراق مزارع المتمردين فقط، لكنه في الواقع كانت النيران تطال كل المزارع، بل وجاءت لتشتمل على ما هو أكثر من إحراق المنازل و المزارع، فقد تم أخذ الأحصنة, وكان يتم سلب المواشي وأخذها.

في الوقت الذي قامت فيه الدوريات البريطانية بعملها، وبمعنى آخر، كانوا قد منعوا الطعام و الملجأ عن المدنيين، لكن البريطانيون قرروا فيما بعد حل هذه المشكلة من خلال وضع الأطفال والشيوخ في مخيمات الاعتقال لضمان سلامتهم.

نظرياً, كان يمكن لهذا الحل من ناحية أن يكون إستراتيجية مذهلة لمكافحة العصيان, ومن ناحية أخرى كان يمكن للبريطانيين أن يناقشوا هذه القضية, ففي النهاية، لم يكن ممكنا ترك أولئك الأطفال، والنساء لوحدهم ليصونوا أنفسهم ضد العوامل المحيطة بهم, بما فيهم الأفارقة السود.

ومن ناحية أخرى، كان الهدف الرئيسي من تلك الحملات هو منع العصابات من الحصول على الاستخبارات، والدعم الشعبي , و التكتم عنه (كريبس,١٩٩٢,ص:٤١-٤٢).

كانت المشكلة في تلك النظرية, أن "كتشنر "أو "روبرت" لم يهتمّا بالقضايا الشعبية,ولهذا السبب تكبّدت القوات البريطانية خسائر جسيمة وبنسبة عالية جداً وأكثر من المعتاد.

وبصـراحة , فقد ترك "روبرت" قيادته للمشـافي الميدانية، وتركها بأيدي غير مؤهلة للعمل. هذا إلى جانب إصـلاحه الخاص في نظام المؤن الفيلقية, و قد سـببت الأعمال المباشـرة للعصابات بخسائر بالآلاف , و لم تحصد هذه الخسائر من المعارك فحسب بل من مرض التيفوئيد الذي تفشّى أيضاً.

وهكذا، فإن هذه العيوب ذاتها قد قضـت على التبريرات الخيرية لإقامة المدنيين الهولنديين الجبرية,حيث بدا وكأن النساء و الأطفال يموتون في المخيمات، وبأعداد مفزعة.*

قـد تعـد الحرب الهولنـديـة أول حرب كبيرة يشـــارك فيهـا جنود مثقفون من الحكومـة الديمقراطية و قد احتوت العديد من السـفن البخارية و القطارات التي تذهب من لندن و تأتي إليها رسائل من و إلى منازل الجنود النظاميين في هذا المجال.

كان الشعب البريطاني أيضاً-كما لاحظنا سابقاً – مثقفاً و قادراً على التأثير على سياسة بريطانيا الخارجية. فاكتشــف الشـعب البريطاني حقيقة الأوضــاع في المخيمات و معدل الوفيات المخيف , من خلال جهود عاملة الإغاثة "أميلي هوبهاوس".

بدأت "هوبهاوس"رحلتها في المخيمات في كانون الثاني من عام ١٩٠١, و ما رأته كان قد أرهبها : نقص في الإمدادات الصحية , مجاعات , نقص في المياه النظيفة ,و احتشاد كبير للناس .

كانت "هوبهاوس" قد شاهدت ما يكفي حتى شهر نيسان , فقامت بالعودة إلى لندن حيث كتبت تقريراً حول ما رأته، و كان تقريرها مفاجأ ة مروعة .

---

*في آذار عام ١٩٠١ كان هنالك ٩٣٩٤٠ من البيض و ٢٤٤٥٧ من السود في مخيمات اللاجئين. و كانت حصيلة القتلى تزداد بشكل مرعب لشهور, مات ٥٥٠ شخصا في آذار, و في حزيران توفي ٧٨٢.و في تموز ١٦٧٥. و في تشرين الأول كان معدل الوفيات ٣٤,٤ بالمئة كل سنة للبيض من كل الأعمار . و ٦٢,٩ للأطفال في مستعمرة اورانج ريفر ,و ٥٨,٥ بالمئة للأطفال في ترانسفال . أظهرت الأرقام في تشرين الثاني معدل الوفيات السنوي و الذي قدر ب١٧٣ بالمئة (باكينهام ,١٩٧٩.ص:٥٤٨)

و قد حسب بيكنهام أنه على الاقل توفي ٢٠ ألف من البيض و ١٢ ألف من أعراق مختلفة في معسكرات الاعتقال و توفي الغالبية منهم جراء وباء الحصبة و التيفوئيد , و الذي كان من الممكن تفاديه (باكينهام ,١٩٧٩,ص:٥٤٩)

على الفور, هاجت مشاعر الشعب، ولو أنه سمح له بالتعبير عن شعوره الحقيقي ,لم تكن المعسكرات فقط ستُصلح على نحو كاف,ولكن من المحتمل جداً، أن الحرب كانت ستخسر شعبيتها وكانت

ستنتهي. وكان المسئولون الحكوميون خائفين فقط من حدوث شيئ كهذا.(كيربس, ١٩٩٢:٥٢)

فقد كان "لويد جورج" والليبراليين قد جعلوا من الظروف في المعسكرات قضية كبيرة ,وهي موجودة في تلك الخطابات في البرلمان والتي نجدها دليلاً داعما لهذه المطالبة حتى أوائل عام ١٩٠٠ حيث اعترف البريطانيون بقواعد الحصانة غير القتالية,والانتهاك الذي اعتبر سبباً كافياً آنذاك لتغيير الحكومة .

وقد تساءل "جورج" :

"ما السبب في متابعه هذه السياسة المشينة ؟ ولماذا تشن الحرب ضد النساء والأطفال؟. ففي حين أن الرجال كانوا هم الأعداء – لأنها قواعد الحرب المتمدنة– فقد كان يفترض بنا أن نعامل الأطفال والنساء كمدنيين وغير مقاتلين على الأقل.

كانت الطريقة التي اعتمدت في الحرب مخزية،لأنها كانت تطيل الحرب بدلاً من جعلها أقصر.ونحن نريد أن تكون بريطانيا الوفية خاضع لهؤلاء الناس.

فهل هذه هي الطريقة الصحيحة لفعل ذلك؟.

الرجال الشجعان سينسون إصاباتهم بسهولة أكبر من نسيانهم للإهانات, والمذلات, والإساءة التي مورست على أطفالهم ونسائهم – فعندما يعامل الأطفال بهذه الطريقة ويتعرضون للموت, فإننا، وبكل بساطة، نحرك أعمق مشاعر في قلب الإنسان ضد الحكم البريطاني في أفريقيا.....

وسيتذكر العالم دائماً أن هذه, ولاالطريقة التي بدأ الحكم البريطاني بها هناك وهذه هي الطريقة التي أحضرها ".(باكينهام,١٩٧٩:٥٣٩-٥٤٠)

ولكن – على الرغم من ذلك – لم تتغير الحكومة,ويرجع ذلك لثلاثة أسباب:

١- كان الحزب الليبرالي منقسماً على نفسه حول قضية الحرب البريطانية مع الهولنديين.

٢- كان الشعب البريطاني أيضاً منقسماً كذلك : فبعضهم شعر أن الهولنديين هم الوحيدون الذين يجب أنْ يلاموا على معاناتهم، و الظروف في المعسكرات. في حين كان آخرون خائفين من فكرة مشاركة بريطانيا في نظام يضمن نتائج قاتلة للنساء والأطفال.

٣- مشاكل المعسكرات لم تكن غامضة,ولا مكلفة التصحيح. ولكن، فبما أن الأزمات السياسية قد اهتاجت في المعسكرات في شهر آب /أغسطس, فقد تبعتها إصلاحات فعالة في شهر أيلول /سبتمبر .وبحلول شهر تشرين الأول /أكتوبر استقرت معدلات الوفيات، ولكنها سرعان ما هبطت بشدة بعد ذلك,وفي الوقت ذاته، كانت الحرب قد مضت بسرعة, حيث امتلك "كيتشنر" جيشاً نظامياً مكوناً من مائة وعشرين ألفاً من لجنود النظاميين وعشرين ألفاً من الجنود غير النظامية والذي كان سيواجه بهم هجوم القوات الهولندية المكون على الأكثر من قلة قليلة .

وهكذا، فقد قسم قواته إلى فصائل أكثر تنقلاً وخفة، وجعلها تلاحق المغاوير الهولنديين بشكل غير متكافئ، فقدا بدا الأمر وكأنهم يستخدمون مطرقة لقتل ذبابة .

كانت الإستراتيجية(جوهرياً هي بحث، وتدمير مهم على نطاق واسع)لكنها كانت غير فعالة، بل و مخربة!. وقد كانت غير فعالة،أيضاً لأن الهولنديين ظلوا التنقل من البريطانيين والهروب الدائم منهم أجبرهم على تخفيف عدد العناصر ضمن السرية إلى عدد يكاد يقارب في قلته مئة أو مئتين.

ولكن هذا الأمر لم يكن مدمراً فقط لمزارع وماشية الهولنديين،بل أيضا لأحصنة البريطانيين ولروحهم المعنوية.

كانت خطة "كتشنر" التالية تتضمن استخدام الأسلاك الشائكة، واحتجاز المنازل لخلق شبكة واسعة تغطي الريف وتطوق المحيط, ولذلك، كانت الحواجز بمثابة هجوم, وليس أسلحه دفاعيه لإبعاد العدو ولكنها كانت كأقفاص لاحتجازهم، كانت تبدو كشبكه لاصطياد غوريلا ، وكانت ممتدة على طول إفريقيا الجنوبية.

وبحلول شهر أيار من عام ١٩٠٢ كان هناك أكثر من ثمانية آلاف منزل محجوز وتغطي ما مجموعه حوالي ثلاثمائة وسبعين ميلاً محمية من قبل خمسة عشر ألف فرقة عسكرية من البيض وستة عشر ألف كشاف إفريقي على الأقل (بيكنهام ١٩٧٩:٥٦٩).

كانت شبكة الأسلاك الشائكة و من فوقها البيوت المحجوزة مكلفة جداً, ولكن، بالمقارنة مع كل الإجراءات الأخرى، فقد اخترقت أخيراً دفاعات الهولنديين الخلفية ,وحرقت المزارع ومعسكرات الاعتقال لجعل من المستحيل بالنسبة للقادة الهولنديين استبدال

أماكنهم في الجبال أو تحديد الإمدادات الغذائية, بعد أن أسست مواقع استخباراتية متقدمة. أكثر من الاتصالات القصيرة , والتي كانوا يعتمدون فيها على الحظ وامتطاء الجياد السريعة فقط، وهو ما أنقذ الكثير من القادة من براثن الأسر .

وبالمقابل، كان البريطانيون قد بدؤوا بتجنيد الأفارقة الأصليين، وبتوظيفهم ككشافين وجواسيس. ولكن تأثيرات هذا الفعل كانت درامية.

وعلى حين غرة,بدأت الفرق البريطانية الثقيلة أخيرا بكشف (لعبتهم) تلك وأسلوبهم في البقاء أحراراً حيث كان :كيتشنر" وطاقمه قد ابتكروا فكرة جديدة مفادها :

"لما لا نوقف نقل النساء والأطفال الهولنديين البحري إلى المعسكرات المركزية كبادرة للتحرر؟ .

وكانت تلك حركة سياسية فطنة و قد قامت بمنطق عسكري ممتاز، كما أنها قامت بإعاقة العصابات ولأن القيادات في تحول كامل ,فربما كان هذا السلاح الأكثر فاعلية ضد العصابات، كما ظهر قريباً.

لقد كانت حركة فعالة وبدقة لأن تعكس اتهامات التحرريين, كما كان ذلك أقل إنسانية من إحضارهم إلى المخيمات على الرغم من أن هذا لم يكن بذي شأن كبير "الكتشنر. (باكينهام.١٩٧٩,ص:٥٨١)

كانت ثمة مشكلة أخرى قد سممت جهود الهولنديين في الحرب وكانت تتلخص في سؤال حول : ما الذي علينا فعله بالسجناء ؟.

وبخلاف السجناء الهولنديين، فإن الجنود البريطانيين كان يتم أعادتهم للخطوط خلال ساعات من أسرهم.

"إن عدم قدرتنا على الاحتفاظ بالأسرى هو شيء نندم جداً عليه، و لكننا كنا في وضع حتم علينا القيام بذلك، و كان العالم ليفاجأ بعددهم لدينا, و لكننا، لسوء الحظ، لم نكن قادرين على الاحتفاظ بأي من سـجنائنا .لم يكن لدينا أي خيار , و لا مكان يمكننا إرسـالهم إليه , بينما كان كل سـجين يأسـره البريطانيون يعني خسـارة رجل من رجالنا.ولذلك، فإن آلاف الأسـرى الذين احتجزناهم من البريطانيين لم يكن يشـكل خسارة لهم على الإطلاق، و في معظم الأحوال كانوا يحتاجون ساعات قليلة ليتمكنوا من المحاربة مجدداً (دي ويت ١٩٠٢ص:٢٢٧)

إنه تقدير لقدرات و تكريس القادة مثل "دي ويت ,سماتس,و دي لا راي " لدرجة أن جهود الهولنديين الحربية امتدت طوال ما فعلت ضـد الاحتمالات القاهرة. وحتى شـروط الاستسلام التي تم التوقيع عليها في "بريتوريا" في ٣١ آذار من عام ١٩٠٢.

النتيجة: بريطانيا تنتصر:

على الرغم من أن الجميع وافقوا على أن "كتشـنر" يجب أن يعتقل و يحطم كل قطع الجيش المتبقية. إلاّ أن قرار الاستسلام كان صعباً.

وفي مجلس الحرب الذي قرر في النهاية إقرار قضية أن هنالك ستة نقاشات حول الأسباب التي لأجلها يجب على الهولنديين أن يسعوا للاستسلام للبريطانيين:

١- لا يوجد طعام للنساء و الأطفال.

٢- ولم يعد هنالك طرقاً أخرى لخوض الحرب.

٣- في حين أن مخيمات الاعتقال (كانت بغرض نشر الدعاية).

٤- كما أن"بوثا"قد اعترف (أننا ممتنون جداً لبقاء نســـاءنا في المخيمات تحت حماية البريطانيين)

٥- بالإضافة إلى ذلك، كانت الشروط التي فرضها "الكافيرز" لا تحتمل .

٦- إعلان "كتشنر" في السابع من تموز، والذي هدد بمصادرة أراضي المواطنين, مع استحالة الاحتفاظ بالأسرى البريطانيين.

وباختصار,لم يكن هنالك أمام الهولنديين مجالاً للفوز.

وهكذا، فقد صوت معظم المندوبين لعقد السلام مع "كتشنر" وبغالبية ساحقة .و كانت هذه نهاية مرة. (باكينهام, ١٩٧٩ص:٦٠٣-٦٠٤)

ضـــمت بريطانيا ولاية "أورانج فري" — التي سميت فيما بعد بمســـتعمرة "أاورانج ريفر" — وذلك في شهر آذار من عام ١٩٠٠ . في حين ضمت "ترانسفال" في شهر تشرين الأول من نفس العام .

واســـتطاع "ميلنر" من ترأس اتحاد جنوب إفريقيا. و هنا، قام "باكينهام" بإيجاز نتيجة الحرب :

"منذ عام ١٨١٥ لم تســرف بريطانيا بالأرواح و المال في حرب لها كما في حرب "ميلنر" الفاصلة و التي كان يتوقع أن تنتهي بحلول عيد الميلاد في عام ١٨٩٩.

لقد كلفت بريطانيا جمع ضـــرائب أكثر من ٢٠٠ مليون جنيه، . وكذلك كان ثمن الدماء التي هدرت وقد حســـب مكتب الحرب أن الخســـائر بلغت نفوق أكثر من أربعمائة ألف وثلاثمائة وأربع وستين حصان و حمار، وكلها نفقت في الحرب.

في حين بلغت الخســائر في الأرواح أكثر من مئة ألف قتيل بريطاني من بين مجموع القتلى الذي بلغ أكثر من ستمائة وثلاث وخمسين ألفاً و تسعمئة وثلاث وستين قتيلاً من مجموع الأجناس لجنود الإمبراطورية البريطانية والمستعمرات حيث قتل أكثر من اثنين وعشرين ألفاً من جنوب إفريقيا في حين أن أكثر من خمسة آلف وسبعمائة وأربع وأربعين كانوا قد قتلوا على يد العدو أو بسبب الحوادث.وستة عشر ألفاً ومائة وست وثمانين ماتوا بسبب الجروح أو الأمراض أو سبب تكاسل الأطباء.

وعلى الجانب الآخر الهولندي، فقد قدر عدد الوفيات بأنه قد تجاوز ســـبعة آلاف قتيل من أصـــل ســـبع وثمانين ألفاً وثلاثمائة وخمس وســـتين نســـمة، متضـــمنا ذلك ألفين ومائة وعشرين من المتطوعين الأجانب وثلاثة عشر ألفاً وثلاثمائة إفريقي من مستعمرتي "ناتال" و "كيب" اللتان خدمتا في جيوش كلا الشعبين.

ومن جهة أخرى، فلا أحد يعرف عدد النساء والأطفال و الرجال الذين ماتوا في مخيمات الاعتقال . ولكن المســـئولين قدروا العدد بين ثمانية عشـــر ألفاً إلى ثمانية وعشـــرين ألف نسمة.

عاد الناجون إلى منازلهم محطمة. تحليل: من المواشـــي التي كانت جميعها، مالهم الوحيد قد نفقت جميعها، أو تم سلبها.

تحليل : التفسيرات التنافسية لنتائج حرب جنوب إفريقيا

يعتبر تقييم الاستحقاقات التفسيرية نسبياً عن التفسيرات التنافسية للنزاع منقطعة النظير، ولذلك، فإن الإجابة عن ذلك يتطلب الإجابة أولاً عن خمسة أسئلة أساسية:

١- ماذا كانت اهتمامات الممثلين المسبقين في النزاع ؟ .

٢- ماذا كان نوع النظام لدى كل ممثل ؟ و كيف أثّر ذلك على الهشاشة الإستراتيجية و السياسية؟ .

٣- ما الدور الذي لعبته جيوش الانتشار العسكرية في نتيجة النزاع.

٤- ما هي الاستراتيجيات التي تم توظيفها على كل صعيد؟.

٥- ما هو السبب الجوهري لاختيارها أو تغييرها؟وكيف أثرت على النتيجة النهائية للحرب ؟.

لم يُعبّر عن مصالح بريطانيا - بقوتها العسكرية الملموسة - على الجمهوريين الهولنديين الذين عارضوها. فقد تصرفت بريطانيا كما لو أن المتبقي من إمبراطوريتها كان مهدداً بالضياع.

ولذلك، فقد نظمت ثلاث حجج لمسانده ما كان في الحسبان:

- أولاً : مع أن قناة "سوز" كانت مفتوحة في عام ١٨٦٩ إلاّ أنه كان يمكن إغلاقها بسهول(أو تخريبها) في وقت الأزمات, وقد حسبت بريطانيا أن السيطرة السياسية على مدينه "كيب"كانت مصلحة أمنية جوهرية.
- ثانياً : لأن الأغلبية الساحقة في مستعمره "كيب" كانوا من الأفارقة, وقد حسبت بريطانيا أنها لن تستطيع المساومة، أو أن تتراجع بخصوص جهودها لاستبدال قائديها "كيرجر" و "ستين" بقائدين أكثر طاعة. ولذلك، فإن الفشل في ولاية "أورانج فري " و "ترانسفال" ستصبح فقط مسألة وقت قبل أن يتشجع الأفارقة في مستعمرات

"ناتال" وكيب" بسبب ضعف البريطانيين,وتسهيل إلحاق مستعمرتي "كيب" و"ناتال" بالجمهوريين الهولنديين. وعندئذ ستفقد بريطانيا ستفقد السيمثقف،ى مينائها الحيوي في مدينه "كيب" .

- ثالثاً، وأخيراً، فإن صانعي السياسة البريطانية حسبوا أن الفشل في إضعاف مقاومة جمهوريين مبتدئين، كهؤلاء،وستجعل بريطانيا تظهر ضعيفة أمام خصومها من ذوي القوه العظيمة,ومشجعيهم لاستغلال ضعف بريطانيا ,وبشكل نهائي لتمزيق تماسك الإمبراطورية ولذلك، فقد كان الجمهوريون الهولنديون، يقاتلون، ويتصرفون على أن بقاءهم كان على المحك و قد كان كذلك بالفعل. كما أن القيادة الهولندية كانت قد تفهمت مسبقاً- وبشكل واضح - أن هدف بريطانيا هو القضاء على استقلاليتهم السياسية وعلى سيادتهم أيضاً .

أنواع النظام : الإستراتيجية والضعف .

يمكن القول - في زمن الحرب الجنوب إفريقية- بأن بريطانيا كانت ديمقراطية! فقد كان لديها تعداد سكاني ضخم و مثقف، مع نخب واسعة ومتعددة المشارب. في الوقت الذي كان فيه ثمة نخب منهم قد خشيت من الرأي العام، وكان عليها أن تأخذ الرأي العام بالحسبان عند صياغة السياسة العامة (سميث ,١٩٩٦:٣٩٩-٤٠٠) .وبعد ذلك، ما الذي يمكن أن يقال عن العلاقة بين نوع نظام بريطانيا والاستراتيجيات التي اختارتها قادتها في إفريقيا الشمالية ؟.

كانت أولى الصـــعوبات التي واجهها "تشـــامبرلاين" و "مايلنر" كيف يقنعان العامة البريطانية بضرورة التهديد باستخدام القوة في إفريقيا الشمالية ,فخلال كل شهور صيف عام ١٨٩٩ كان هذان الرجلان يبذلان قصارى جهودهما، لكنهما فشلا في إيجاد حجج واهية وكافيه لجذب الدعم العام.

كانت أفضـل جهودهم قد أسـفرت عن قضـايا الامتياز ولكن على الرغم من أن هذا قد نال تعاطفهم ولكن ذلك لم يكن كافياً لتبرير المخاطرة بحياة البريطانيين.

وفي الأحـداث، وكمـا رأينـا, فقـد أنقـذا من وجوب تبريرهمـا لاســـتخـدام القوة بإنـذار "كروجر"النهائي وفي التعبئة اللاحقة.

كان الدفاع عن النفس حجة واهية تذرع بها كل بريطاني . فقد كان لبريطانيا نظاماً ســـلطوياً قادراً على توزيع الاهتمام نحو تبرير أفعالها أمام الرأي العام.ولكن كم من القوات التي تم إرسالها، والتي أصبحت قراراً استراتيجياً ثانياً، والذي سيكون مقيداً من قبل الرأي العام.

لم تكن بريطانيا تستطيع إرسال الكثير من القوات، لأن هذا سيكون مكلفاً .وعلاوة على أنها تعني الاهتمام بها، فهي لا تتناســـب مع الهدف المعلن، وهو مجرد حماية مســـتعمرتي "كولوني" و"كيب" من الهجوم.وبالإضافة إلى ذلك فلم تكن هناك حاجة لذلك .

لقـد كـان جزء من الحملـة الإعلاميـة يهـدف إلى إظهـار الهولنـديين كرجعيين و متخلفين,وكانت ضربة واحده على الكبرياء كافية لإرسالهم من أجل حزم أمتعتهم أو مع حلول أعياد الميلاد بالحد الأقصى.

لقد توقع العامة انسحابهم بأقل التكاليف.فقد كان بإمكان النظام المستبد البريطاني إرسال العديد أو القليل من القوات وبالقدر الذي يريد, بدون التقيّد بالتوقعات العامة. ولكن القرار الاستراتيجي النهائي كان يهدف إلى إضعاف الأحزاب السياسية، كما كان القرار يشمل إتباع سياسة الأرض المحروقة، واقتياد المدنيين وغير المقاتلين إلى معسكرات الاعتقال .

لقد كان هذا القرار هو القرار الحاسم , كما بدا في الميدان من قبل "روبرت" كنوع من الانتقام من رفض الهولنديين للحرب العادلة والاستسلام بعد احتلال "بلويمفونتيم ,جوهانسنبورك، بريتوريا" إلاّ أن تأثيرها السياسي كان تقريباً هو ما أجبر بريطانيا على الابتعاد عن الحرب .

هل كانت بريطانيا استبدادية ؟ لتكون "أميلي " في ظل الديمقراطية،و تقمع تقاريرها، أو من المحتمل أنها نفيت على أنها كانت جاسوسه هولنديه أو أن تكون عائلتها قد غُيبت في ظلام السجون إثر ما كتبته من تقارير عن الأوضاع المأساوية التي رأتها – والتي أثارت الرأي العام البريطاني برمته – حين كانت في مهمة في جنوب إفريقيا .

وهكذا، وطبقاً لنوع النظام والضعف السياسي، فلا شيء يظهر أكثر قوة في هذه الحالة من الإحساس بأن النخبة السياسية البريطانية عاشت في خوف دائم ,كما كان مناسباً لوضع "سيسيل رودس" فقد قامت بتملق بريطانيا. في حين اهتمت أنظمة الحكم لأنه كانت ثمة فجوة في بريطانيا الديمقراطية بين ما كان ضرورياً ولكنه لم يكن جائزاً.

ولكن، ففي النظام الاستبدادي القائم في بريطانيا، فإن كل ما هو ضروري كان سيكون جائزاً. ولكن في بريطانيا الديمقراطية، فإن هذا لم يكن القضية , وهو ما دفع أكثر الزعماء إلى السكوت المجرد لهذا القيد.

وكما رأينا مسبقاً، فإن مصالح بريطانيا لا تفسر ضعفها في هذه القضية.

وبالمحصلة، يجب أن تكون المصلحة العليا للتاج البريطاني أعلى من تلك التوقعات، أو من نقاشات المصالح اللا متماثلة, ولكن من جهة ثانية، فإن عامة بريطانيا في ذلك اليوم ربما وافقوا على أنه (يجب أن يوضع المدنيين في مكانهم) .

لقد كان الرأي العام البريطاني يصعّب الأمور على بريطانيا للبدء بالعداوات في إفريقيا الشمالية,أو لفعل ذلك بالعدد الضروري من القوات .

وبالمحصلة , فقد كانت بريطانيا الديمقراطية عرضة لبعض الأعمال المعينة التي انتهكت إحساس الجمهور بالحق والباطل، وبطريقه لم تكن بريطانيا الاستبدادية لتوجد بها .

ولكن على الرغم من ذلك، فإن الوقت كان الشرط الضروري لعملية الضعف.

هل انتهت الحرب بالفعل في إفريقيا الشمالية بحلول ميلاد عام ١٨٩٩ثم أن استقامة الجمهور المتملق ما كانت لتملك وقتا لانجاز العملية .

وهكذا، فقد كان النصر مؤجلاً. وقد كان هذا التأجيل :

١- بسبب الاستخفاف بالعدو .

٢- وبسبب العمل المشترك للاستراتيجيات المتبناة من قبل البريطانيين والهولنديين على حد سواء في شهر آذار من عام ١٩٠٠.

كان يبدو - في حرب شمال إفريقيا- أن نقاش انتشار الجيش يكتسب دعماً قوياً, فبعد "جيمسون" و" رايد" الديمقراطيان الهولنديان اللذان شرعا باستملاك الأسلحة الضخمة والبرامج الحديثة .

ولذلك، فقد كسبوا بنادق تقارن - أو تتفوق- على بنادق البريطانيين,وخاصة أن مدفعيتهم كانت في الواقع أفضل من التي امتلكتها القوات البريطانية .

و علاوة على ذلك، فإن الهولنديين لم يهملوا تدريب استخدام المدفعية الميدانية لتوظيف قطعهم الميدانية الجديدة بشكل فعال(ناسون, ٥٩:١٩٩٩). ولكن أياً يكن، فالهولنديون لم يستطيعوا التغلب عليهم لأنه كان هناك مشكلتان فيما يتعلق بالمدفعية :

١- اعتمدوا على عقود لإعادة تزويد السلاح بالذخيرة التي كانت تشترى باستمرار من بريطانيا (ناسون,٥٩:١٩٩٩).

ولذلك، فقد نجح الهولنديون - بقليل من التوسع- بتصنيع ذخيرتهم الخاصة ,لكنها لم تكن كافية على الإطلاق لمواكبه الطلب.

٢- حرية الحركة المحاصرة، كما كانوا (تجاوزوا أسلحه البريطانيين في معظم الحالات) ولكن مع ذلك، فقد كانت تلك المدافع قليلة العدد .وعندما وصلت قوة الحملة العسكرية وبدأت تتحرك داخل البلاد, فإن البنادق القليلة نسبياً - التي امتلكها الهولنديون - لم تستطع فعل شيء للتأثير على التوازن الاستراتيجي للقوى .كما أن تنقل الهولنديين كان معوقاً من قبل الأسلحة و قطارات النقل والإمداد,وذلك لأن الطريقة المفضلة للقتال قد

٣- أنشأت موقع دفاع جيدة في المناطق الوعرة ثم الهروب في الوقت الذي يستحيل فيه الاحتمال ليصبح مستحيلاً، فهل كان الهولنديون ليستمروا في الاعتماد على المدفعية؟.

كانت البنادق - ذات الأداء العالي - التي اشتراها "كردجر" و"ستين" لشعبهم فقد كانت قصة أخرى. وقد أثبتت الفعالية الفائقة في الحرب, ولكن عملياً، ففي مراحلها الأولى,وعندما طلب من القوات البريطانية الإسراع لمهاجمة الهولنديين في المواقع الحصينة . لم يتسن للبريطانيين أن يدعموا مؤخرة الجيش بالقذائف غير الدخانية (باكينهام ,١٩٩٧:١٨٤,٢أولوية للتعلم يكد يمض بعض الوقت - وليس لقلة الاشتباكات الدموية — حتى تعلمت بريطانيا تكتيكات استطاعت التقليل من تعرض الجنود لإطلاق النار من بنادق تتركز في مواقع حيوية.

ومن العدل القول هنا، أنهم لم يتعلموا بسرعة، ولكن غالبيتهم العددية المطلقة جعلتهم أقل أولوية للتعلم بمرور الوقت:

لقد كانوا يتعرضون لخسائر أكثر مما كان متوقعاً, ولكن الهولنديين كانوا يربحون إلى أن بدلوا استراتيجياتهم من الدفاع التقليدي إلى إستراتيجية حرب العصابات.

المواجهة الإستراتجية:

حدثت حرب جنوب أفريقيا خلال ثلاث مواجهات، فكانت المواجهة الأولى تعتبر القوة العليا بشكل كبير للقوات الإمبراطورية البريطانية- حيث أخطئوا على الرغم من ذلك- وهزموا خصومهم بشكل حاسم واحتلوا مدنهم الكبيرة، واستخدمت الإستراتيجية من قبل

البريطانيين حيث كانت هجمة تقليدية وطالبوا بإنهاء الحرب عن طرق تحطيم الجيوش الهولندية بساحة المعركة (أو إجبارهم على الانسحاب) وذلك باحتلال عواصم الولاية "بلومفنتين" لولاية "اورانج فري" و"بروتوريا" لولاية "ترانسفال" .

وفي الواقع، الأولى، فقد وجهت الجمهوريتان الهولنديتان الإستراتيجية البريطانية بإستراتيجية الدفاع التقليدي فأرادوا منع التقدم البريطاني.

وهكذا، فإن كلا الطرفين قاما بأخطاء، ولكن البريطانيين عموماً، كانت لديهم أخطاء أسوأ من أخطاء منافسيهم، ومع ذلك باستعمال التفوق العددي الساحق، وهذا ما بدا جلياً، حيث لن يكون باستطاعة الهولنديين هزيمة البريطانيين باستخدام إستراتيجية الدفاع التقليدي.

وفي الواقع، فإن الجنرالات اللامعين الهولنديين، قد عرفوا بأن الإستراتيجية السابقة كانت لها نتيجة عكسية، والحدود كأسلوب القتال والتدريب والتسلح والانضباط أو أكثر العصيان، وهذا ما جعل المدنين الهولنديين جنوداً نظاميين فقراء.

ولكن مع ذلك، فبعد احتلال "بلومفنتين" انتقل الهولنديين إلى سياسة الطعن والهرب، وهذا التغير بالإستراتيجية قد أدى إلى بداية مرحلة جديدة للحرب.

كانت هذه المرحلة الأكثر دموية ووحشية، وخلال الشهور الخمس الأولى الخمس بعد احتلال "بلومفنتين" فقد استمر البريطانيين استخدام إستراتيجية الهجوم التقليدي، والذي أوضح أن الخلط بين العفو، وعرض احتلال العاصمة، لم يتسبب في استسلام الهولنديين، ولذلك فقد انتقل البريطانيون

إلى استخدام الإستراتيجية الهمجية، وهذا ما يفسر لماذا يتوجب علينا تصنيف الإستراتيجية البريطانية بهذه الطريقة؟.

هناك بعض الجدوحده,واحد من الجوانب الإستراتيجية البريطانية: فمعسكرات الاعتقال.وكما هو واضح أن البريطانيين اعتزموا الجمع بين حرق المزارع واحتجاز الهولنديين المدنيين وغير المقاتلين كورقه رابحه.

وبهذا المنطق وحده ,فإن هذه السياسة تندرج تحت اسم سلب المدنيين وغير المقاتلين.

ولكن كما هو الحال داالبريطانية الثلاثالتأهل لهذه الأحكام.صحيح أن ممارسة الحصار على الأطفال والنساء الهولنديين قد أدى إلى حدوث وفيات أكثر- بسبب سوء التغذية و تفشي الطاعون - من كل الخسائر البشرية التي تعرض لها طرفي النزاع في المعارك ولكن من الواضح أن هذه التأثيرات لم تكن متعمدة من قبل البريطانيين وحتى بعد أن قاموا بتحسين الظروف في المخيمات وأوقفت بريطانيا سياسة الحجز الإجباري، ولتسبب – عمداً- المشقة للهولنديين غير المقاتلين، ولتقييد الفدائيين .

ومن ناحية أخرى، فقد قام القادة المحليون إجمالاً بانتهاك قوانين الحرب فيما يتعلق بحصانة المدنيين وغير المقاتلين على نحو منظم، وعلى اعتبارها ورقة رابحة .

وعلاوة على ذلك , وعلى الرغم من توفر شهادات كافية لدينا من أن كلا الجانبين في المناقشات البرلمانية قد أكد ذلك .

وعموماً، فقد قبل البريطانيون مبدأ الحصـــانة لغير المقاتلين كقانون للحرب. وعلى الجانب الهولندي فقد كانت هناك أعمالاً وحشـــية، وانتهاكات لقوانين الحرب. في حين كانت الشكاوى البريطانية الثلاث الأكثر شيوعاً تتلخص في :

- أولاً : انتهاك البيض لعلم الهدنة.
- ثانياً: استخدام الأسلحة المحرمة.
- ثالثاً : ارتداء القماش الخاكي.

وهكذا، فعلى الرغم من ذلك، فقد أدت هذه الوسائل – وبسرعة- إلى انتهاكات بريطانية وعلى نطاق واسع .وعلاوة على ذلك، وعلاوة على أن مثل تلك الانتهاكات التي حدثت لم تكن أمراً مباشـــراً على الجانب الهولندي. فقد كانت المواجهة الإســـتراتيجية إجمالاً تعتبر المواجهة الأولى والأخيرة. وهكذا، كان البريطانيون في المواجهة الأولى - المنهج ذاته- من شـــهر تشـــرين الأول/أكتوبر من عام ١٨٩٩ وحتى شـــهر آذار من عام ١٩٠٠ يتابعون سياســة الهجوم المباشــر، والتي واجهها الهولنديون بسياســة الدفاع المباشــر .وكانت الهزيمة وشيكة لكلا الجانبين، لكن الهولنديين انتقلوا إلى سياسة الكر والفر في المواج, والتيانية من الحرب والتي امتدت من شهر نيسان /إبريل من عام ١٩٠٠ إلى شهر أيار / مايو من عام ١٩٠٢ .

كان البريطانيون قد ردوا على ذلك بإتباع الإســـــتراتيجية البربرية في المواجهة الأخيرة من الحرب,والتي امتدت من شهر حزيران/ يونيو من عام ١٩٠٠.

وكانت النتيجة أن فازت بريطانيا في كلا المواجهتين الأولى والأخيرة من الحرب, في حين تمركز الهولنديون في "فيرينجينج" في ٣١ أيار / مايو من عام ١٩٠٢ .

خاتمة:

كانت حرب شمال أفريقية نزاعاً غير متماثل بين بريطانيا العظمى (ثم القوات العظمى في العالم)مع إحدى أصغر ولايتين في العالم وهما "أورانج فري " و" وترانسفال" .

كانت المصـالح البريطانية كثيرة، ولكن رغبتها في الذهاب إلى حرب في إفريقيا الشـمالية كان السبب في تجاوزها لهذه المصالح.

فقد كانت القوة السياسية – التي لا تقهر- لجمهوريات إفريقيا الشمالية الأربع بالامتداد, تؤمن طريقاً حيوياً للاتصالات بين بريطانيا وممتلكاتها الإستعمارية في الهند.

وهكذا، فعلى نقيض أطروحة المصـالح اللامتماثلة,والتي تعني بأن الطرف الأقوى في نزاع لا متماثل سـتكون مصـلحته في نزاع أقل . ولذلك، فقد ظنت بريطانيا أن التحكم بولايتي "أورانج فري ستيت" و"ترانسفال" كانت حيوية لثلاثة أسباب:

١- السـيطرة على مدينه "كيب" كان المفتاح للإبقاء على الاتصـالات البحرية مع الهند .

٢- وهو مرتبط بالسـبب الأول, والذي يسـمح للجمهوريين الهولنديين الإملاء على البريطانيين، والذي من شـأنه ان يشـجع غالبية السـكان في مسـتعمره "الكايب" الأفارقة للحصول على السيطرة التامة في مدينة "الكايب" .

٣- إن المنافسـين الهولنديين الذين وضـعوا بعض القرارات لإملائها على البريطانيين، سـيظهر البريطانيين على أنهم ضـعيفي العزيمة مقارنة مع القوة العظيمة لأعدائهم الأوروبيين,وبالتالي تشجيع تدخل هؤلاء الأعداء وذلك من خلال توظيف منطق

٤- "الدومينو" ومن أجل ذلك، فقد ظنّ البريطانيون أن الحرب ضـــرورية في إفريقيا الشمالية .

ومن جهة ثانية، فقد كانت مصـــالح الهولنديين هي في البقاء مســـتقلين عن بريطانيا.في حين اعتقد رؤســاء الجمهوريتين بأن مصــالح بريطانيا الحقيقية كانت - كما هي بشــكل ثابت - في إبقاء حقوق وكالة المســتعمرين غير الهولنديين، و التصــرف بتمدن أكثر تجاه "كافيرز" .

ولذلك، فقد اعتقدوا بأن بريطانيا أرادت القضاء على استقلالهم وقد أثبتت مجريات الأمور في النهاية بأنهم كانوا على حق .

وهكذا، فإن النظرية الثامنة إجمالاً , توضـح بأن القوة المادية النسـبية تهتم بنتيجة النزاع اللا متناظر وهو أمر غير مدعوم في أفريقيا الجنوبية.

كانت مصـالح الهولنديين - بتثبيت اسـتقلالهم عن بريطانيا- وكذلك رئيسـيّ الجمهوريتين قد عرفا تماماً بأن مصـــالح بريطانيا الرئيســـية لم تكن بالامتيازات والتحكم الشـــعبي بقبائل "الكافيير" , والذين عرفوا تماماً بأن ما أرادته بريطانيا فعلاً هو القضاء على استقلالهم، وقد وثبت ذلك فعلياً في النهاية .

كـانـت النظرية الثـامنـة تنص على أن : قـدر معين من القوه يعني قـدر معين من النتـائج وبالســـرعات غير المتكافئة , ولكن هذا الكلام لم يكن قريباً من الواقع في حرب جنوب إفريقيا, فالقوه لم تكن هي دائماً الغالبة في هذا الوضع, في حين كان السؤال المطروح هنا : هل القوه والمصالح تقدر على شرح الضعف السياسي؟.

ولكن هذا السؤال كان تصعب الإجابة عليه أيضاً من الجانب الهولندي .

إن النقص بصلابة ومتانة القومية الإفريقية ذاك، قد قلل من شأن الانتقال الذي حصل بعد ذلك من قبل الهولنديين إلى سياسة الكرّ والفرّ.

فبدون تلك الهوية القوية للسياسة الهولندية التي ضعفت كثيراً أمام القوة البريطانية , وقد وصف الجنرال "كريستيان ديويت" لاحقاً بأن ما سبق كان بمثابة قنابل قاتلة تمزق صفوف الأفارقة .

فمثلاً، استسلم أكثر من ثلاثة عشر ألفاً وتسعمائة من قوات المغاوير الهولنديين وسلموا أسلحتهم مع حلول شهر تموز من عام ١٩٠٠وهذا الرقم يعتبر ما يعادل ٢٦ %ه من قوه الجيش المعتمد عليها فعلياً في كلا الجمهوريتين .

وما كان يفاالهولنديون فيأقل تقدير هو الحرب لأجل البقاء، ولكن من جهة ثانية، فهؤلاء كانوا أمام خيارين: إما استقلالهم السياسي، أو نجاتهم القومية.

وقد اختار الهولنديون في تلك الحالة نجاة القومية .

يمكن – من جهة معينة تبرير الضعف السياسي البريطاني بالتفوق العسكري الساحق على الجمهوريتين معاً,وهذا يوضح قطعاً قسماً كبيراً من تقليل الشأن للهولنديين من قبل الجانب البريطاني ولذلك لم يهتم البريطانيون لا بخطورة، ولا بتكاليف الحرب ضد الهولنديين، ولكن قدرتها الطاغية كانت أفضل شرح .

ثمة حقيقتان أخريان توضحان أيضاً الضعف السياسي البريطاني وتشرحانه بشكل أفضل :

١- إتباع الأنظمة الصارمة .

٢- تحقيق الأهداف بأقصر وقت ممكن لأن الزعماء السياسيين وصانعي القرار غير قادرين على إنشاء سياسات بدون الرجوع إلى الرأي العام ودراسة ردود أفعاله وأخذها بالحسبان .

وبالعودة إلى شروط نظرية قوانين الحرب السياسية، فقد كان هنالك مستوطنتين لبريطانيا في منطقتين حساستين وهما :

- جس أد بيلوم(jus ad bellum) وإنصاف الملاذ البريطاني للقوة في جنوب إفريقيا.

- وجس إن بيللو (jus in bello) وإنصاف إدارتها للحرب في جنوب إفريقيا.

وفي أساليب الحكم الفاشي لهذه المستوطنات الحساسة التي أديرت بمعنى السيطرة على دخول المعلومات حول كلا المستوطنتين.

وفي الحقيقة – فعلى الرغم من وجود المعلومات– إلاّ أنه ليس هناك أية آلية لاتصال العموم مع السياسات الغربية.

و كما رأينا الآن, فقد عوض إنذار "كروجر" النهائي أعيان بريطانيا عن الصعوبات عبر "جس أد بيلوم" : فالعموم البريطاني كان قد ميّز شرعية الدفاع عن النفس كتبرير لملاذ الجيوش.

ولكن ما هي أخلاق الإدارة لهذه الحرب؟

و هنا، فإن أنواع أســاليب الحكم البريطانية قد صــنعت فرقاً كبيراً كإنشــاء المعســكر التخاصــمي المكثف وإمكانية الانســحاب البريطاني من الحرب قد قصــر إنجاز أهدافه السياسية.

وقد لاحظنا قبل الآن أســباب لماذا كانت هذه الإمكانية معروفة, ولكن النقطة هي أن الانسحاب الفاشي البريطاني قد قصر إنجاز الأهداف السياسية لأن القلق حيال "جس إن بيلو" لم يكن يعتبر كإحتمالية .

ولذلك، فإن أنواع أســاليب الحكم قد همّت أكثر من الســماح بالاهتمام بالأدلة غير المتناظرة.

وعلى أية حال, فإن الأمر المحدد - والأكثر أهمية - للحساسية هو وقت الهدف. ولكن هذه القضــية توضــح أهمية الوقت بالنســبة إلى الهدف في الحرب,وهذه التكلفة الايجابية بنسبة متوازية تقريبا مع الدم والثروة.

ولكن، هل انتهت الحرب بقدوم عيد الميلاد - كما كان متوقعًا على نطاق واسع من قبل النخبة والشعب والبريطاني - ؟؟

لم تجد هذه الاهتمامات - حول تطبيق شــرعية اســتعمال القوة والتصــرف الأخلاقي الحربي- حيّزاً للتطبيق العملي .

وبالفعل, ففي هذا الصــنف العام للنزاع، فإننا نتوقع أن الحروب ســتكون ســريعة وحاسمة ,كما هو متعارف عليه , ولكن، بما أن الفجوة في نسبة الموارد المتاحة لكل طرف يتجاوز الخمسة إلى واحد فإنه، وبسبب الضعف بالتأخير في وقت الهدف, فمن المنطق أن نسأل هنا:

ما الذي تسبب في التأجيل ؟.

لم يكن نشر الأسلحة - بالرغم من امتلاك الهولنديين أولياً لأسلحه أفضل من أسلحة البريطانيين وبالرغم من امتلاك البريطانيين لتكنولوجيا عسكرية متطورة - إلاّ أن ذلك ارتبط بخسارتهم السريعة لا بفوزهم .

وهكذا، فبالرغم من أن النظرية السادسة التي تنص على أنه :

(كلما كان الطرف الضعيف أفضل تسليحاً، كلما كانت الفرصة بأن القوي سيخسر النزاع اللا متماثل) فإن تلك النظرية تلقى بعض الدعم.

وإجمالاً، فإن النتائج الهامشية – بالإكثار من الأعذار التي تمتع بها الهولنديين– لم تؤثر على نتيجة الحرب .

وقد قامت - بشكل هامشي- بالإكثار من زيادة التكاليف البريطانية من خلال ازدياد الجرحى من الجنود .ولكن تغيير الإستراتيجية فقط هو الذي أنقذ الهولنديين من الخسارة في شهر آذار /مارس من عام ١٩٠٠.

وهنا، نظن أن التغيير في الإستراتيجية إلى الكرّ والفرّ من قبل الهولنديين في شهر آذار/مارس من عام ١٩٠٠ هو ما يفسر التأجيل الذي أبعد بريطانيا تقريبا عن الحرب . ولكن عندما تعمق البريطانيون بالتفاعل الأول من الحرب,وبعد سقوط "بلويمفونتينغ" اجتمع القادة الهولنديون لمناقشه الاستسلام أو إتباع الإستراتيجية للمقاومة المستمرة. وبعد النقاش الساخن على تناسب الكّر والفرّ.

كان قد مر خمسة شهور قبل ان يتأقلم البريطانيون مع هذا التغيير في الإستراتيجية.

ومع مرور الوقت، كان "روبرت" يتقدم من مدينة إلى أخرى , ومن أسرة إلى أسرة، مرسلاً إعلان العفو.ولكن عندما لم يستسلم الهولنديون ,وردّوا الهجوم على اتصالات البريطانيين ووحداتهم المنعزلة قام البريطانيون بتكثيف سياستهم السابقة، والتي تلخصت في الأعمال الانتقامية الجماعية ضد الهولنديين المدنيين وغير المقاتلين. وانتقلوا بذلك إلى الإستراتيجية الأخرى , ومع أن هذا كان له مخاطره من قبل الرأي العام البريطاني.لكنه أثبت أيضاً فعاليته العسكرية ضد الهولنديين في عام ١٩٠١ (باكينهام١٩٧٩:,٥٠٠-٥٠١) .

وفي تقييم تأثير الهمجية كورقة رابحة,يجب أن نتذكر الأدلة في أن الإستراتيجية كاختصار للحرب قد احتوت القدرة الفعالة على صنع سلام لاحق مكلف و غير مستقر.

لقد وافق "د, أنونلد" على أن العقوبات الجماعية لم تكن عادلة ولا سياسية .فالهجمات على السكة الحديدية لم تكن من فعل المحليين (وعندما أُحرقت المزارع ذات مرة، أصبحت البلدة مجرد صحراء,وجعلت الكراهية تزداد للبريطانيين (باكينهام ١٩٧٩,:٤٧٩-٤٨٠).

أما المواجهة الواقعية العظيمة من النزاع، فمن المحتمل أن البريطانيين لم يغيروا الإستراتيجيات,فقد كانت الحرب ستستمر لوقت أطول بكثير، أو أن التأجيل المستمر بذاته كان سيصبح مشكلة سياسية والتي كانت ستؤدي في النهاية إلى تغيير الحكومة في النهاية .

ومن المحتمل,أن ما كان ينقص معاهدتهم هو الأهداف السياسية .(وبعباره أخرى خسارة بريطانيا).

من الواضح أيضاً أنه –كما في حرب الموريد- فقد فقدت الإستراتيجية البربرية في فترة

فعالية ما بعد الحرب السياسية، شيئاً كانت قد اكتسبته في زمن حرب الفعالية العسكرية : وهو أنها كانت ضد أمة متخلفة مكونة من المزارعين الذين أساؤوا تقدير البريطانيين، والذين كانوا في طريقهم لإنقاذ جنوب إفريقيا، حيث انتهى منح الحكم الذاتي في نهر "أورانج كولوني" وكذلك في "الترانسفال".

بعد ثماني سنوات فقط، والتفافاً حول القومية الأفريكانية، فقد عززت - جزئياً على الأقل- بذكرى آلاف القتلى في معسكرات الاعتقال، والبيض في مستعمرة "الكايب "و"ناتال" وانضمت تلك الجمهوريات السابقة من أجل أن يصبحوا مواطنين لاتحاد جنوب أفريقيا في بداية عصر جديد لحكومة البيض في جنوب إفريقيا. (كريبز، ١٩٩٢:٥٤)

وخلاصة القول، إن التفاعل الاستراتيجي هو أقوى شرح لنتائج حرب جنوب أفريقيا. بعد أن أصبح واضحا أن الاعتقال من عواصم المستوطنين الهولنديين لن يجبر المستوطنين الهولنديين على الاستسلام، وكان للبريطانيين ثلاثة استراتيجيات للاختيار:

- أولاً : مع الاستمرار في الإستراتيجية الحالية، وربما إرسال المزيد من القوات والمعدات، والخيول إلى مسرح المعارك.
- وثانياً : عرض شروط المستوطنين الهولنديين : شيء ما يمكنه حفظ ماء الوجه بعد نهاية الحرب.
- ثالثاً : التحول إلى إستراتيجية الهمجية : إيقاف اللطافة، وملاحقة جنود المستوطنين الهولنديين غير المقاتلين، سواء من جانب إبقائهم كرهائن، أو قتلهم على الفور في الانتقام لاستمرار المقاومة.

وهكذا، فقد واجه المستوطنون الهولنديون خياراً أكثر وضوحاً بعد سقوط "بلومفونتين"وذلك :

- إما أن يبأغنية سيرو أن يتحولوا إلى سياسة الكر و الفر الخطيرة.

ولكنهم اختاروا سياسة الكر والفر، وبذلك استمرت الحرب لمدة عامين آخرين.

وخلال تلك الفترة،والذي فتح نافذة من الضعف السياسي. فقد كان على واضعي السياسات البريطانية مواجهة احتمال الغضب من التأخير في حد ذاته، ولكن بصفة خاصة التركيز على قتلى المخيمات في الواقع قد يجبرهم على الرحيل من الحرب، أو على الأقل تقديم تنازلات سياسية التي من شأنها تدمير مبرر لخوض الحرب في المقام الأول.

العامل الضعيف : مقاربة استراتيجية

غير مباشر **مباشر**

العامل الضعيف	العامل القوي
العامل القوي	العامل الضعيف

مباشرالعامل القوي

مقاربة استراتيجية غيرمباشر

التأثيرات المتوقعة للتفاعل الاستراتيجي على النزاع (توقع الفائزين ضمن الخلايا)

الفصل الخامس

إيطاليا في إثيوبيا

الحرب الإيطالية الأثيوبية(١٩٣٥- ١٩٤٠)

"نحن شـجعان و"بواسـل" نحن محاربون لا يقهرون حاملين الأعلام في إفريقيا الشـرقية رمز المجد والسلام والحضارة.سوف يكون قد صنع ليشع مرة أخرى بالنصر الايطالي . العبودية والهمجية حكم عليه بالموت ليتلاشى حاملي الأعلام باللحظة ذاتها، فالنسور الرومانية تظهر بأغنية سير الجنود الإيطاليين في سلسلة المعارك الحربية .

نحن ألقينا بأنفسـنا إلى أوكار الآلات والمدفعية لنطردهم، نحن قذفنا بأنفسـنا ضـد مدفعية العدو نحن تمسكنا بثبات ضد مدافعهم وعبوات الغاز الحارقة، نحن لا نستطيع لوم أنفسـنا بأي نفحة من الجبن. ولكن ضـد المطر غير المرئي من الغاز المميت الذي يرش على أيدينا ووجوهنا، لم نستطع فعل أي شيء، وبعد أن أقول مرة أخرى، إننا لا نملك سبباً لنكون خجولين، فنحن لم نستطع (ردع) هذه المطر ".

(هيلا سيلاسي " إمبراطور أثيوبيا)

بدأت الحرب بين ايطاليا الفاشية و إثيوبيا في شهر تشرين الأول من عام ١٩٣٥ / وقد كانت ايطاليا الممثل القوي بالهامش العريض على أنها كانت معارك تقليدية حادة بين جيش مسلح جدا ومجهز جيدا - حتى ذلك الوقت — في حين كان الجيش الأثيوبي سيء التجهيز [١].

في شهر أيار ١٩٣٦ كان إمبراطور أثيوبيا (هيلي سيلاسي) والقائد العسكري الإيطالي "سارو بمسار"مبتهجين بالنصر في العاصمة (أديس أبابا) في ذلك الوقت. حيث كانت الحرب لم تنته بعد

---

(١) - الاستعمال المغني والبيانات الصغيرة الذي تجيء بالنسبة المنصفة للقوة المادية النسبية ل ١ الى٢٤,٢٣ % وكانت دقيقة لمصلحة ايطاليا

لكنها استمرت كحرب عصابات من عام ١٩٣٦ وحتى عام ١٩٤٠عندما انضمت بريطانيا للقتال حيث استسلم الإيطاليون للبريطانيين في شمال إفريقيا في الخامس من شهر أيار من عام١٩٤١ .

المسرح الأثيوبي :

في عام ١٩٣٥ كانت أثيوبيا قد أحيطت بالممتلكات الاستعمارية لأربع دول أوروبية بدءاً من

الجنوب الغربي ووصولاً إلى الشمال الغربي وكينيا والسودان (الانكليزي).

وإلى الجنوب والشرق (الايطاليين) وارض الصومال (الانكليزي) كل بحسب ترتيبه ودوره إلى الشرق والشمال الشرقي وارض الصومال الفرنسي (جيبوتي) واريتريا (بعد ذلك الاستعمار الايطالي) حيث كانت إثيوبيا – على هذا النحو– محاطة بالأرض المستعمرة من كل جانب، في حين كان طريقها الرئيسي نحو البحر، وكان عبارة عن خط سكة حديد وحيدة من "أديس أبابا" العاصمة إلى ميناء "جيبوتي" الذي كان تحت السيطرة الفرنسية على البحر الأحمر .

إنها بلد الصفتين المميزتين من حيث الطبوغرافيا والمناخ ابتداء من جنوب "أديس أبابا" إلى أراضي الصومال وحيث تنبسط من بلاد شديدة التلال والجبال، والتي – بشكل بطيء– تهب نحو صحراء (أوغادين) تلك الأرض الحارة الجافة والمنبسطة من شمال "أديس أبابا" إلى السودان واريتريا حيث تبسط بعض أكثر الجبال وعورة، ولا يمكن اجتيازها نحو كل البلاد الإفريقية فيه سوى بالسير على طريق واحد مرصوف يدوياً، والذي بني من اجل تتويج الإمبراطور في عام ١٩٣٠ .

هذا البلد الذي لا يمكن اجتيازه ســـوى بإتباع وســـائل آثار أقدام البغال، والطرق غير المتطورة، والتي عادة ما تكون غير سالكة خلال أمطار الربيع والصيف – التي تغمر بشكل نظامي المنطقة بالماء بدءاً من شهر أيار وحتى شهر أيلول – كل سنة.

يتحدث شـــعب إثيوبيا لغة (أمهاريك) وهي لهجة مســـحية قديمة، حيث أن أغلب الإثيوبيين كانوا يعتنقون الدين المسيحي. في حين تتألف الدولة من حكومة فيدرالية لمناطق شـــبه مســـتقلة بحيث تحكم كل منطقة من قبل عائلة نبيلة، وكلها تحت الســـيطرة الاسمية للإمبراطور في "أديس أبابا" وكانت كلها أنظمة إقطاعية.

كانت مدينة "ديل بوكا تعتبر المدينة الأثيوبية الأكثر والأفضـــل تطورا في عام ١٩٣٥ ولكنها – فيما بعد– سوف تستخدم لتكون مبررا لايطاليا لغزوها واستعمار أثيوبيا .

يعود تاريخ الاهتمام الايطالي في إثيوبيا إلى تلك السنوات الشاحبة للقرن التاسع عشر .

كانت إيطاليا قد أســـست مســـتعمرة قابلة للحياة في اريتريا المجاورة، لكن الايطاليين قرروا القيام بحملة انتخابية عسكرية لتأييدهم داخل البلاد، ولكن في ٢٦السادس والعشرين من شهر كانون الثاني من عام ١٨٨٧ كانت القوة العسكرية الايطالية قد أُبيدت على يد قوة مؤلفة من عشـــرين ألف مقاتل أثيوبي بقيادة الإمبراطور "يوحانيس" في إقليم "دوغالي" (٢) وهذا ما اجبر الايطاليين ليؤجلوا محاولاتهم للغزو لعدة سنوات .

وفي الحقيقة . فبعد موت "يوحانيس" واستلام وريثه الإمبراطور "مينليك الثاني" فقد تبدلت الأحوال،وأصبحت العلاقات بين البلدين حميمة، وقد تطورت إلى تنفيذ خطوات كانت ملموسة بتوقيع

---

(٢) – كان هناك مولداً كهربائياً واحداً فقط . مولد كهربائي مزود بضـــوء كهربائي والطاقة من اجل قصـــر الامبراطور .ومتوسط الجودة . وكان ينير طريق القصر الإمبراطوري فقط.، الطريق الذي كان قد رصف من اجل حفل تتويج (هيلي سيلاسي).لم يكن هناك مصـــارف للمياه . ولا نظام للتخلص من النفايات، وكانت الطرق الأخرى عبارة عن مزابل وكانت الســـماء دائما سوداء مع النسور والغربان المحلقة فوق الخرائب (ديل بوكا ٣١ /١٩٦٩) .

معاهدة ودية ترافقت مع هدية خاصة من ملك ايطاليا "امبيرتو" إلى الإمبراطور "مينليك" والتي كانت عبارة عن ثماني وعشرين ألف بندقية وثمانية وعشرين مدفعاً .

وفي اتفاقية "اوتيالي" فقد أقر "مينليك" بحق ايطاليا بأرتيريا، بل ووافق على السماح لايطاليا بالتحكم ببعض شؤون الإثيوبيين !.

ولكن، الايطاليين قاموا بتفسير المعاهدة على طريقتهم، وعلى أنها اعترافاً اثيوبياً بأنها قد أصبحت محمية لإيطاليا .

وهكذا، فقد تداعت العلاقات وفسدت بشكل سريع، الأمر الذي جعل الطليان يسرعون لإعادة ترتيب الأوراق من أجل تهدئة الإمبراطور الغاضب "مينليك" وإقناعه بالمحاسن التي سيجنيها في حال أصبحت أثيوبيا في مكانة المحمية.

وفي عام ١٨٩٣ قدم الايطاليون هدية أخرى وكانت عبارة عن مليوني رصاصة للبنادق التي قام الطليان بتقديمها كهدية سابقة .

ولكن، في الوقت الذي قبل الإمبراطور فيه الهدية الجديدة، إلاّ أنه كان يرغب بوضع حد للمعاهدة مؤلباً رأي من حوله ومهدداً من غزو إيطالي وشيك ليجمع قوى الأثيوبيين الرئيسية حوله (كوفي ١٩٧٤).

في البداية، دعم الايطاليون بعد ذلك محاولته بلطف من أجل تطوير إخلاص الإثيوبيين لوطنهم وتوحيد قواه مستخدماً إشعاره الرسمي بإنهاء المعاهدة كذريعة. لكنهم اعترفوا على أنه قد تم تجهيز حملة كبيرة قوامها سبعة عشر ألفاً وسبعمائة جندي تحت قيادة الجنرال

"اوريســـت باراتيري" حاكم اريتريا – والتي اعتبرت اكبر قوة من بين الدول الاســـتعمارية الأخرى – والتي كانت جاهزة على اسـتخدامها من جديد في الجنوب المسـلح من الحدود الأثيوبية .

لكن الايطاليين اختاروا طريق الغزو الذي اظهر التوازن العارض من خلال إقليم "اكســوم" والذي يعتبر واحداً من أكثر مناطق إثيوبيا قداسة، والمركز الروحي لكنيسة "كوتبيك" .

كان هذا الأمر قد سمح للإمبراطور "مينليك" أن يســتنهض الهمم واســتجماع قوى أكثر لأسـباب رئيســية، وقد اسـتطاع جمع جيش مؤلف من أكثر من مئة ألف رجل مسـلح، وسط أشياء أخرى من البنادق، والعتاد الحربي الذي كان قد أعطاه إياه الايطاليون بشكل مباشر .

لكن الجيش في سـاحة قتال كهذه كانت مقياسـاً صـعباً بالنسـبة "لمينليك"فقد كان جنوده الجوعى قد هددوا بالتخلي عنه حيث قام الايطاليون - بشـكل مباشـر- بتأسـيس موقع منيع في منطقة "ساوريا" فقرر التوقف .

وبحسب الظاهر، فإن التفاوت الفاحش في ميزان القوة على الحدود الاستعمارية كان مناخاً مناسباً للإيطاليين بتوجيه هجمة مفاجئة – وبشكل سريع- على الأثيوبيين المجتمعين (٣).

ولذلك، فإن حاكم أرتيريا آنذاك "باراتيري" قد قســم قواته إلى ثلاث كتائب، والتي كانت كلها لتتوصل إلى الهضاب المطلة على مواقع الأثيوبيين.

وبعد ذلك، وعند الإشارة الصحيحة, تنقضّ في حركات ساحقة واحدة لإبادة الأثيوبيين .

ولكن، ولسوء حظ الايطاليين, فحين شرع "باراتيري" يستكشف المداخل بما يفي الغرض،

كانت خرائطه غير دقيقة .وهكذا، فقد أصـــبحت الكتائب، وكان الأثيوبيون في انتظار الوقت الملائم لتدمير جناح الكتيبة قبل أن تستطع الوصول للموقع المخصص .

(٣)- كما أنها تتعارض مع توقعات النظرية الإستراتيجية: ممثل قوي وممثل ضعيف كلاهما يستخدم النهج والممثل الضعيف يربح.

في الصـــباح التالي الموافق للأول من شـــهر آذار من عام ١٨٩٦) توجهت الكتيبتان المتبقيتان لخوض معركة قرب "ادوا" إلاّ أنهم لم يكونوا يتوقعون أن جناحهم الأيســـر كان غير محمي تماماً،كما لم يحســـبوا لهجوم قوات الجيش الأثيوبي. غير أنه ســـرعان ما طوق الايطاليون، وبدأت المعركة .

على الرغم من أن القوات الإيطالية قد قاتلت بشـــجاعة، إلاّ انه كانت قد تكبدت حوالي اثني عشـر ألف قتيل وذلك قبل غروب شمس نهار تلك المعركة في حين بقي خمسـة آلاف جندي على قيد الحياة، وهم الذين يدينون بحياتهم للتقليد الأثيوبي القديم بإنهاء كل معركة مع غروب الشمس، وهو ما أبقاهم أحياء

كان هذا الفوز الســاحق - والوحيد - للأثيوبيين في معركة "آدوا" بمثابة رســالة واضـحة للأعداء الذين يحاولون استعمار أثيوبيا .

كانت محاولة الاحتلال تلك قد وحدت القومية الإثيوبية وأثبتت الخســـارة المذلة جدا للايطاليين بحيث مازال يعتبر "كاســوس بيلي" عبرة للبعض من ايطاليا الفاشـية لمدة ٩٣ سنة تالية.

ولكن في الوقت الحقيقي . لعقت إيطاليا جراحها , وأعلنت عن استيائها وانتظرت (٤).

---

(٤) – ديكتاتور ايطاليا الفاشـية بينتو موســو ,كان في ســن ١٣ في وقت معركة ادوا وهو شـــخصـيا خبير بإذلال ايطاليا بالهزيمة (كوفي ١٩٧٤/٢٢)

لشخصيات ديل بوكا تأثيرات كالإذلال بهذه الطريقة بعد أدوا , الفيردو اورياني كتب : نحن وقعنا على السلام لكن لن يكون هناك سلام نحن سوف لن نستسلم في إفريقيا .

الحرب ستستأنف , الهزيمة تكوي عقولهم , وكلمات متفاخرة من الأناشيد الوطنية اعلى:نشدها الجنود كلمات مثل هذه تلسع مثل السياط :

حذار يا بلاديسار من هؤلاء الناس السود ذوو الشعر الصوفي مينليك , أنت ميت ويأتي هنا حمام من الرصاص ليس كسكر الخوخ

وعموما لا يمكن لايطالية نفسها أن تتقبل حقيقة أن ((جحافل همجية (شون))) قد نجحت في القضاء على جيش أوروبي .

ولكن في عام ١٩٠٦ وقعت إيطاليا على معاهدة سرية مع فرنسا وبريطانيا وكانت تنص على :

"اعتراف ايطاليا بالأولوية في إثيوبيا، على أن ايطاليا لن تعرقل سير عمل الفرنسيين الذين يملكون السكك الحديدية "

إيطاليا في أثيوبيا

من "أديس أبابا" إلى "دجيبوتي" أو مسار تدفق مياه النيل الأزرق من بحيرة أثيوبيا إلى النيل الأبيض , التي غدت من توابع انكلترا , مصر و السودان (كوفي , ١٩٧٤ :١١) .

ليلة الحرب : اهتمامات إيطاليا .

عاد "بونيتو موسوليني" ليقوي إيطاليا عام ١٩٢٢ وذلك عندما دعاه ملك إيطاليا "فيتوريو ايانويل" ليشكل الحكومة.

وخلال سنتين استطاع أن يرسخ سلطته وفي أن يتخلى أو يغتال معارضيه, وحين التمست أثيوبيا للحصول على العضوية في عصبة الأمم عام ١٩٣٢ , أيد "موسوليني" تلك الخطوة لأنه لم يعتقد أن بإمكانه هزيمتها , على الرغم من معارضة انكلترا له. فقد جادلت بريطانيا على أن أثيوبيا لا ينبغي

أن تُقبل في مجتمع العصبة المتحضرة لأنها لا تزال تابعة للعبودية ....

فعلى الرغم من أن "راس كافوري" كان قد اتخذ الخطوات اللازمة, إلاً أنها لم تكن فعالة دائماً , وعلى الأخص تجاه إلغاء العبودية . لكن طلبه تحقق في نهاية المطاف و أصبحت أثيوبيا عضواً في عصبة الأمم . (كوفي , ١٩٧٤ :١٣) .

كانت إيطاليا قد عارضت انضمامها في البداية لأن أثيوبيا لم تكن متحضرة بما فيه الكفاية لتبرير العضـــوية. ولطن بعد ســـنوات من المشـــاحنات المريرة الداخلية بين أفكار ورجال "راس كافوري" ,القويّـــــة وبين "شـون" النبيل، والذي توّج لاحقاً كإمبراطور لأثيوبيا تحت اسم العرش الملكي ل "هيلي سيلاسي" .

كان ذلك الإمبراطور مثقفاً, ذكياً , ورجلاً يتمتع بشخصية قوية، يتحدث اللغة الفرنسية بطلاقة وقد كان يخطط لإصلاح و تطوير أثيوبيا على غرار إحدى الدول الأوروبية (٥).

لكنه كان معوقاً بسبب فقر بلاده،وبسبب صعوبة البناء والمحافظة على السلطة المركزية على الأمراء المســتقلين الذين حكموا المناطق النائية من أثيوبيا . و فوق كل هذا , كان مشــتتاً بسبب تزايد الأطماع الإيطالية الفاشية – بشكل واضح – لامتلاك أثيوبيا .

حاول الإمبراطور "ســيلاســي"(٦) التوصـــل إلى تســوية مع إيطاليا في المعاهدة الإيطالية الأثيوبية للصــداقة التوفيق , التحكم في الثاني من آب من عام ١٩٢٨لكن "موســوليني" كان ميّالاً إلى استخدام أحكام المعاهدة الأكثر تحرراً,استعداداً لمشاركته في غزو أثيوبيا,فقد عددّ "ديل بوكا" كيف أن جهود "موســوليني" لبناء طريق من "أســاب" إلى "ديســي" قد وضعته في موقع حرج من الإمبراطور (وإن كان ذلك مسموحاً

---

(٥) – هذا هو الموضوع الذي يعتبر الأساس الذي تقوم عليه جميع المناقشات و المفاوضات بين الدول الأوروبية الثلاث .
و من الصعب تقدير مدى تأثير هذه المعارضة , و لكن مذكرات المشاركين أوضحتها لتكون رئيسية . إذ كان في بعض الأحيان غير معلن , و عامل (انظر إلى الأسفل)

(٦) – و أضاف أن عدداً من المستشارين الأجانب كانوا على مقربة من العرش , بما في ذلك أمريكي كأفريت كولسون,وسويدي ,
الجنرال اريك فيرجن , ورجل انكليزي , السيد سيدني بارتون (جلالة وزيره البريطاني) . كان تتويجه في الثاني من تشرين الثاني عام ١٩٣٠ وكان مباشرة كتتويج الملك إدوارد الخامس في لندن .

من الناحية الفنية بموجب المعاهدة) و كيف أن آلة الدعاية الخاصة "بموسوليني" تتميز باعتراض الإمبراطور بمثابة رفض للحضارة :

"إن رفض الإمبراطور لتقدم البلاد التي لها حدود مشتركة مع أسرع هزيمة لغزو ما كان مبرراً تماماً و طبعاً,علم "موسوليني"بذلك، ولكن منذ تلك المرة التي كنا فيها كرسل الملائكة والحضارة,لكن الأثيوبيين كانوا هم الأدنى,وأعمق سباق لعين على الأرض , ويكنون الحسد، ويتمنون كل ما هو شر و بغيض للطليان."

وبالطبع، فقد كان هذا الكلام الصبياني بمثابة الرد المفحم حيث أصبح غالبية الإيطاليين يعتقدون

وبصدق بأن هذا الهراء كان صحيحاً, وبالصدفة , وعندما قربت الساعة , هتف الطليان بسرور للأعمال العدوانية (ديل بوكا ,١٩٦٩ :١٤) .

وهكذا، فقد بدأت إيطاليا – منذ ذلك التاريخ من عام ١٩٣٠– تستعد لغزو واحتلال أثيوبيا,وكان كل ما كانت تحتاجه هو عذر مهذب من أجل الشروع بالغزو .

وهكذا،فإن الحادث الذي أثبت دخول "موسوليني " في الحرب الإيطالية الأثيوبية كان قد وقع في موقع بعيد من"وال وال"في صحراء "أغادين"وذلك في الخامس من شهر كانون الأول من عام ١٩١٩ .

كان "موسوليني" قد أرسل قوة عسكرية كبيرة إلى "إريتريا" تتألف من مئتي ألف جندي , وسبعة آلاف ضابط، وستة آلاف رشاش,وسبعمائة مدفع من كل العيارات, ومئة وخمسين دبابة, ومئة وخمسين مطاردة، وطائرات قاذفة (ديل بوكا , ١٩٦٩ :٢١) .

و لكن "سيلاسي" فهم بوضوح نوايا "موسوليني" و قد نقل – بحكمة – جميع قواته المسلحة إلى منطقة آمنة بعيداً عن أريتريا على وجه الدقة، و ذلك لتجنب أي فرصة لاجتياز الحدود "الحادث" والذي استطاعت إيطاليا تضخمه إلى عذر للغزو .

كما شرع – في الوقت نفسه– في البحث عن مساعدة في إطار مقالات عهدة عصبة الأمم.و لكن الإيطاليين كانوا قد وضعوا الجنود في "أوغادين" في "وال وال" وبعمق ستين ميلاً داخل الأراضي الأثيوبية .

وعند مسح لجنة القوات الأثيوبية التي ترافقها برحلاتها إلى جانب الحدود,قامت دوريات "الدوبات" – المؤلفة من الجنود الأفريقيين تحت أمر الإيطاليين– الحدودية الصومالية بتوقيفها.

وهكذا،، فعندما احتجّ الأثيوبيين، أعلن الإيطاليون بأنهم لن ينسحبوا لأن "وال وال" كانت أراض إيطالية، وجزءاً من الأراضي الصومالية الإيطالية.

كان الأثيوبيون في البداية يتجاوزون الإيطاليين,كما رفضوا الانسحاب لأن ذلك يمكن أن يفسر على أنه اعتراف على مطالبات الإيطاليين للمنطقة، وذلك ما زاد من حدّة التوتر، وكذلك من تعزيزات إيطاليا حتى الخامس من كانون الأول .

إيطاليا في أثيوبيا

في أحد الأيام من عام ١٩٣٤ أطلقت أعيرة نارية غزيرة على القوات الإثيوبية وفي المشاجرة التي أعقبت ذلك,وحيث تم طرد تلك القوات الأثيوبية، وهو ما كان بمثابة الإشارة الأقوى عن الحادث، وتلك كانت هي الطريقة التي أرادتها إيطاليا, والطريقة التي

كانت صادرة عن دفع القوى العالمية حيث زعمت إيطاليا على الفور بأنها كانت ضحية للاستقرار العدواني على أراضيها .

وقد طلبت – في أكثر الأساليب حدة مهنية ممكنة – اعتذاراً و تعويضات من الأثيوبيين وذلك بعد أن احتج الإثيوبيون على أنهم كانوا قد هوجموا من قبل الإيطاليين وعلى مسافة ٦٠ ميلاً ضمن حدودهم , وقد بذلت العديد من الجهود للتقليل من وقوع الحوادث، و في الوقت نفسه رفض الاعتراف بالذنب أو الاعتذار.

وفي عصبة الأمم، فإن معظم الممثلين — ببساطة– قد افترضوا أن الادعاءات الإقليمية الإيطالية كانت ضحية و أن أثيوبيا كانت شجاعة – بشكل قوي – لكي لا ترضخ إلى أوامر إيطاليا . على الرغم من أن بعض الشائعات تقول بأن إقليم "وال وال" في الحقيقة , ربما يكون في أثيوبيا، بيد أن معظم الصحف الإيطالية كانت قد قبلت التأكيد الإيطالي بأن "وال وال" كان في الصومال, وخاصة بعد أن أرسلت إيطاليا ملاحظة إلى العصبة في السادس عشر من كانون الأول لإعادة تجديد التأكيد و شجب اتهامات أثيوبية .

وفي النهاية، قام مراسل صحفي – في غرفة الصحافة في عصبة الأمم المتحدة في العشرين من كانون الأول , حيث لم يكن أحد قد فكر بفعل ذلك – ونظر على خريطة معلقة على الحائط أمامه . كانت الخريطة لإفريقيا , وصادرة عن المعهد الجغرافي الإيطالي في "بينرامو" , مما يدل في الواقع أن إقليم "وال وال" كان في الأراضي الأثيوبية وبعمق يصل إلى ستين ميلاً على الأقل داخل أثيوبيا، وهكذا، ووفقاً لشروط الوزارة في معاهدة عام ١٨٩٧ والتي حسمت حرب عام ١٨٩٦ بين البلدين وبعد أن تبلّغ الوفد الإيطالي هذا الدليل .

ولكن، على الفور، قام البارون "بومبيو الواسـي" وممثلين من روما في "جنيف" بطلب نقل الخريطة من غرفة الصـحافة تلك لأنها كانت قد بطل اسـتعمالها . ولأنها لم تأخذ بعين الاعتبار بعضاً من التعديلات في معاهدة عام ١٨٩٧ والتي جرت عام ١٨٩٠ .

لم تكن تلك الخريطة متقدمة من المراسـلين, فهي الآن تملأ الشـركات , وذلك بعد أن وجدت طريقها إلى مكتبة الأمة في الجناح الشـمالي من البناء الرئيسـي,وحيث وجدوا خريطة الحكومة الإيطالية لأثيوبيا والصـادرة عن المكتب الاستعماري عام ١٩٢٥ . وهذه الخريطة أيضـاً تظهر أن إقليم "وال وال" كان على الأقل بعمق سـتين ميلاً داخل أثيوبيا . (كوفي , ١٩٧٤ :١٩) .

و باختصـار, فبغضّ النظر عمن أطلق النار أولاً , كانت إيطاليا مخططة لتغذيتها أثيوبيا، و إنشاء موقع مسلّح ضمن أراضي أثيوبيا . و لكن لم يحدث أياً منها أي تغيير حقيقي.

كانت إيطاليا قد واصلت التبجح , و الاستعداد , و في النهاية استخدم "موسوليني" هذا الحادث كوسـيلة لتبرير الرسـالة لجلب المزيد من الجنود و الإمدادات إلى المسـرح. ولكن على الرغم من طلب الأثيوبيين الحصول على مساعدة العصبة . إلاّ أن بريطانيا و فرنسا قد تفاوضتا - كل فاوض على صفقات منفصلة - مع "موسوليني" حيث كانت النتيجة النهائية : إطلاق يد إيطاليا في أثيوبيا .

ولكن ماذا كانت اهتمامات إيطاليا الحقيقية في أثيوبيا ؟[٧].

كان حادث إقليم "وال وال" مفيداً في هذا المصـدر لأن "موسـوليني" طال انتظاره كعدّو لغزو أثيوبيا كما أنها دفعت الإيطاليين لتقديم الحجج و المبررات لهذا الطمع و هذا لثلاثة

أسباب :

- السمعة
- والمسؤولية.
- و المصادر .

٧)– كان من المستحيل الإجابة عن هذا السؤال الذي هو من أطلق النار أولاً (كوفي , ١٩٧٤ا, ١٩٦٩ : ١٩) , و أن المعركة نفسها

كانت مقررة من قبل السيارات الإيطالية , ضد الأثيوبيين الذين لم يملكوا أي أجور مضادة فعالة .

كانت الهيبة الوطنية على الهزيمة في "أدوا" قد تأثر بها معظم الإيطاليين وبعمق , وشخصياً "موسوليني" وخصوصاً القوات العسكرية التي كانت دقتها سبباً كبيراً من جس نبض الهجوم و الغزو على أثيوبيا , و سيكون ذلك كافياً لمحو هذا الذل، وتصويب الأمور كما تريد إيطاليا [٨].

ومع ذلك, كان هناك سببين اثنين آخرين لسمعة إيطاليا من القضايا المطروحة وهي :

- سمعة إيطاليا من حيث كونها قوة استعمارية.
- وسمعة الفاشية باعتبارها سياسية و إيديولوجية حاكمة داخل إيطاليا .

كان الإيطاليون يشعرون بشيء من الإذلال بسبب عدم تعهد قادتهم بغنائم " الانتصار" على ألمانيا و النمسا و هنغاريا في الحرب العالمية الأولى (كوفي , ٢٥:١٩٧٤).[٩]

إن مسؤولية المصالح تركزت على فكرة إيطاليا في حد ذاتها و هو المفهوم الذي كسب تعاطف من بريطانيا و فرنسا في ذلك الوقت١٠- بوصفها قوة أوروبية حضارية.

---

(٨) – يضيف كوفي أنه في مذكرة "موسوليني" السرية جادل على الأمر الواقع في أثيوبيا. حسب "موسوليني" أنه ما دامت مصالح البريطانيين و الفرنسين في المنطقة محترمة فإنه يستطيع الهرب بالكسب : أن أحلام الاستعمار و المجد ل "موسوليني" و ذكريات طفولته المريرة لهزيمة إيطاليا في "أدوا" أجبروه على ذلك الأمل . "أن هذه المشكلة موجودة منذ عام ١٨٨٥ , " لقد كتب في مذكرته السرية" (كوفي , ١٩٧٤ : ٢٢) حيث يشير "غريفين" إلى أن الفاشية تعود إلى وصية العدوانية الاستعمارية و الطموح ك "مشاكل" , التي كثيراً ما "حلت"بعد ذلك عن طريق اتخاذ تدابير عسكرية أو قياسات ديكتاتورية (غريفين ١٩٩٥ : ٧٤) .

(٩) – البارون الواسي , ممثل , إيطاليا في عصبة الأمم , يجعل هذه العلاقة الواضحة .كان هناك وقت سابق من الهزيمة في "أرو" التي تتمنى أن تكون "مغسولة بالدماء" (كوفي ١٩٧٤ : ٧٣)

إيطاليا في أثيوبيا :

أعلن "موسوليني" أيضاً : أن إيطاليا تستطيع جعل إفريقيا حضارية,وأن ممتلكاتها في البحر المتوسـط قد أعطتها هذا الحق، بل و فرضـت عليها هذا الواجب. و من ثم، فإن القوى الاستعمارية الأخرى قالت بأن إيطاليا لم تفعل :

"تريد إيطاليا وصولات أبكر لعرقلة روحيتها , وسياستها و التوسع الاقتصادي "(كوفي, ١٩٧٤: ٢١). كان الجدل السلبي يبدو وكأن له شكل "توكوك" : بعد كل هذا، فإن كل ما كان على إيطاليا فعله أخيراً, هو تقوية أثيوبيا الأضعف من بين هؤلاء، وكانت مصالح الموارد هي الأهم حسب "موسوليني" الذي قال :

"إن تطوير و استعمار أثيوبيا سيكلف ثمناً باهظاً، و ربما سيستغرق حوالي خمسين سنة لاسترجاع أرباح الأسهم." وذلك إشارة بأن إيطاليا ستفعل في أثيوبيا الذي فعلته القوى الأوروبية الأخرى لعدة قرون (ديل بوكا , ١٩٦٩ : ٢٦ :كوفي , ١٩٧٤ : ٥٩ , ٦٠ , ٧٥)و مع ذلك , فإن مثل هذا الجدال كان شائعاً على جهود إيطاليا لتبرير استعمارها : "لم يكن لإيطاليا الخيار إلا في التوسع"(١٠).

---

(١٠) – و هنا يبرز كيف أن وزير الخارجية البريطاني , السـيد "سـاموويل هور" , وعلى حد قول لجنة مجلس العموم : "قد فهمنا دائماً , رغبة

إيطالية للتوسـع في الخارج " أخبر لجنة مجلس العموم." في عام ١٩٢٥ [حقيقة عام ١٩٢٤] نحن تنازلنا عن "جوبا لاند"(قطعة قائمة من شـرق كينيا على الحدود مع الصـومال الإيطالي) لإيطاليا. حيث لم تدع أي أحد في إيطاليا يقترح بأننا غير متعاطفين مع الطموحات الإيطالية. "و نحن نعترف بالحاجة إلى توسيع إيطاليا" ؟ (كوفي ١٩٧٤, ١٠٥). وهذه الحاجة للممتلكات الاستعمارية كانت هناك كقاعدة لسياسات القوة الأوروبية, و بالتالي تطلع لقوى الأوروبية خارج أوروبا . كان هناك منطق آخر أثناء اللعب:" سابقة قانونية." إن النصر الحبشي قد يؤدي إلى سلسلة من الانتصارات .

وكانت تلك الحجة النهائية لعلاقة "موسوليني" مع نفسه ومع اشتهائه إلى القوة الشخصية .

لقد جادل "كوفي" على أن جزء من طموحات"موســـوليني" في الخارج كانت باثولوجية :منذ أن اكتسب نفس قدر القوة من الشعب الإيطالي ما كانوا قد عرضوا اعتماد إرضاءه على كسب القوة من الآخرين في الخارج(كوفي ,١٩٧٤:٢٠) .

عرف "موســوليني" كل هذه المصــالح في الغزو, ولكن مصــالح ورقته الرابحة كانت واحدة عندما كنا قد صدمنا قبل ذلك : الدفاع عن النفس (موسوليني١٩٩٥:٧٤-٧٥) (١١).

إن الهدف من هذا هو أن غالبية إيطالية بالقياس إلى أثيوبيا لم تخفّض مصالحها في الغزو أو الاســتعمار و لكن لم يكن هذا طمعاً وانتصــار الحبشــيين على الإيطاليين كان في عام ١٨٩٦ وقد قال "موسـوليني" ذات مرة : "كان ذلك أحد العوامل الحكومية التي أدت إلى الحملة الإنكليزية المصرية (١٢).

(١١) – عندما أجبرت مهارات أثيوبيا الدبلوماسـية إيطاليا على تشـذيب يدها , أصبح "موسـوليني" الآن محروماً من الفرصة لإدراك

إستراتيجية أمره الواقع, مُرجع إلى تكاليف غارقة مغايرة : يجب أن تستمر الحرب لأن إيطاليا قد أنفقت ملايين الليرات على هذه المغامرة (كوفي,١٤٢,٧٥:١٩٧٤).

(١٢) – زعم "موسوليني" بأن سفينة اللواء التي خسرت في "أدوا" لم تكن سيئة , و لكن المصادر لم تكن كافية:"بسبب نقص

البعض من ألف رجل, فقدنا اليوم في أدوا . و لن نرتكب ذلك الخطأ أبداً . أنا مســـتعد لذنب الزيادة , و لكن ليس ذنب النقص أبداً "(ديل بوكا,١٩٦٩:٢١). على خلاف القيود التي وجَهت من قبل الديمقراطي البريطاني في الحرب الأفريقية الجنوبية , إن إيطاليا الفاشـية يمكن أن تريل قوات زائدة (و أسـلحة محظورة) إلى أثيوبيا بدو خوف من الاتهام المضاد العام .

في تلك المنطقة تطلبت حملة منتصرة من البيض ضد السود " (كوفي ,١٩٧٤:١١٢) .
طبعاً,الصعوبة الحقيقية بهذا الخلاف هو أن أثيوبيا و إيطاليا لم يكونا في الحرب بعد, و منع الحرب كان يمكن أن يكون بسيطاً نسبياً (إغلاق، أو التهديد بإغلاق قناة السويس) .

وعلاوةً على ذلك, فقد ألحقت أثيوبيا بالمساعدة تحت بند ميثاق العصبة.و بمعنى آخر, لمنع تأثيرات "الدومنة" المقترحة من هزيمة البيض في أفريقيا السوداء .كل هذا كان ضرورياً لمنع الحرب.وكان هو وحده الذي حفز إيطاليا للبحث عن مستعمرة في أثيوبيا. ولم تكن رغبتها بفتح قضية فاشية كلياً في أثيوبيا من أن المستعمرات كانت بمثابة حلم طويل بالنسبة لإيطاليا التحررية .

لقد أتى الإيطاليون ليروا مستعمراتهم في أثيوبيا لأن كلاهما ضروري , وقد وُزّع هذا الخيار عبر أصناف و انتماءات سياسية في إيطاليا (١٣) .

و لكن الضغط الأكبر من بين كل هذا, هو أن إيطاليا استدعت أهدافاً أكثر عطفاً من الإدانة من الولايات الأخرى. في حين إن حقيقة عضوية أثيوبيا في عصبة الأمم المتحدة قد أنجزت أكثر بقليل من إحراجاتها المتكررة لإيطاليا; إن جهود إيطاليا في الحذر و الصبر لضمان المساعدة نفسها التي كانت مؤهلة تحت بنود العصبة قد فشلت في النهاية.

وفي ليلة الحرب : وحيث بدت المصالح الأثيوبية كدولة, فقد كانت أثيوبيا أقل توحيداً من إيطاليا وإلى حد كبير.كما كان الحاكم الاسمي "هيلا سيلاسي" إمبراطوراً بالسيطرة الفخرية على مئات الأمراء المتحالفين , وعلى أغلب الذين حرس استقلالهم بغيرة، و لكن مع هذا، فقد ظلوا موالين للإمبراطور.

(١٣) – جادل ""ديل بوكا على أن "إن الغالبية العظمى من الإيطاليين, و بالتحديد الجيل اليافع, رحَب بالمشروع الاستعماري بحماس مخلص. كانوا يقاتلون من أجل مكان في الشمس حيث القوة العظمى الأخرى انضمت إليه لسنوات و قرون , و كبلد فقير و كثافته السكاني عالية مثل إيطاليا , إن غزو أثيوبيا يعني الوظائف و رقعة أرض لملايين التعساء."(ديل بوكا,١٩٦٩:٢٦).

كانت مصـــالح أثيوبيا ناجية , لكنه من الواضـــح من كل المصـــادر أنه - حتى الجنود الإيطاليين و الأريتيريين - في الحقيقة قد عبروا الحدود ليدخلوا أثيوبيا عام ١٩٣٥ وحتى عدة شـهور بعدها, فقد اعتمد الإمبراطور على التدخل الخارجي من حلفائه الشـرعيين : بريطانيا , فرنسا , و بعض الأعضاء المؤثرين الآخرين من العصبة المتحدة.

و بمعنى آخر , فـإن البعض من المعـارك المبكرة – من بين التعهـدات الأكثر دمويـة و ارتباطا – لم تكن مدفوعة بإحساس الموت الحتمي. ما الذي يوضح مصالح أثيوبيا في أول ثلاثة أشـهر من الحرب هنا هو تراث الشـرف الشـخصـي, والعائلي, والوطني، وذلك لأن كل الصـــبية الأثيوبيين كانوا قد كبروا على حكايات هزيمة الجيش الإيطالي المتبّجح في "أدوا" على يد الإمبراطور "مينيلك" .

وكيف أن المقاتلين المسـلحين في أثيوبيا قد ضـحوا بأنفسـهم وحاربوا برشـاقة و هم حفاة بأرواحهم وبشجاعة، وبالآلاف كنتيجة لهذا الإحساس المتشرّب من الشرف.

بدأت الحرب الأثيوبية الايطالية في شـــهر تشـــرين الأول /أكتوبر من عام ١٩٣٥ وذلك عندما طلب الإمبراطور "هيلا سـيلاسـي" تعبئة جنوده الثلاثين ألفاً من القوات الشـمالية لمواجهة أي احتلال متوقع من القوات الإيطالية. كانت القوات في الفريق الأول تحت قيادة الجنرال"دي بونو" وقد عبروا إلى أثيوبيا من اريتريا (١٤) وقد ووجهت هذه الحرب في خمسة تفاعلات إستراتيجية (١٥):

---

(١٤) ـ هذه القوات تضـمنت (انقسـامين للاريتريين ذوي كفؤ عالية الأولى و الثانية من الاريتريين) (موكلر ١٩٨٤ : ٥٤) الانقسـامات الاريترية كانت بين الجنود الاريتريين السود (الضباط المترفعين) تحت قيادة الايطاليين المكتبيين .

(١٥) ـ بعد إعلان الحرب على فرنسـا في حزيران عام ١٩٤٠ ,النزاع الإثيوبي أصـبح قتالا بين البريطانيين والايطاليين . في هذه العملية السـادسـة والأخيرة تقررت الجولة بواسطة قوات تقليدية استخدمت أسلوب دفاع وهجوم تقليدي جدا .في أيار من ١٩٤١ القوات الايطالية المستسلمة والمنهارة في إثيوبيا . لان النزاع أوقف لكونه غير متناظر كما هو متعارف عليه ضمن هذه التحليلات هذه العملية الأخيرة لم تتناقش هنا.

- التفاعل الأول : هجوم تقليدي – ضد دفاع تقليدي .

فالقتال لأجل أثيوبيا قد بدأ كسباق بين قوات إيطاليا المتفوقة في العدد والتقنية ضد قوات أثيوبيا الفقيرة في العتاد والتنظيم. في حين أجبر إمبراطور أثيوبيا جنرالاته المتحمسين لاحترام المنطقة الحدودية الواسعة بين أرتيريا وأثيوبيا.

وهكذا فقد كانت الأسابيع الأولى للحرب غير صعبة. وقد تقدم الإيطاليون بخطوات حذرة من أرتيريا نحو هدفهم الأول "آدوا" مستعينين باتصالات الراديو المتقدمة والمواصلات الآلية والتفوق الإجمالي ولم يصادفوا مقاومة جدية .

وقد تسائل المحللون العسكريون في ذلك الوقت عن اختيار ايطاليا لطرق الغزو.

ولما اختارت إيطاليا الطرق التي لا تصلح للآليات، ومعدومة التطور، في حين كان بإمكانها ببساطة ان تتقدم عبر "أوغادين" من أراضي الصومال الإيطالية حتى تصل إلى العاصمة "أديس أبابا" ؟

وكان الجواب بأن الإستراتيجية الايطالية كانت تقودها الحاجة للانتقام (لمحو إهانة "آدوا " الذي كان أمراً ضرورياً لتطويقها) وقد فضلت إيطاليا ذلك على القتال الصعب والنصر الحاسم ضد الإثيوبيين، ولكن ذلك ما كان ليحدث.

وفي الحقيقة: ففي الأسابيع الأولى من الحرب عملياً لم يكن هناك حرب. فقد اتخذت الحرب النموذج التالي .

كانت القوات الايطالية قد قيدت بوساطة الأرتيريين الذين سوف يتقدمون بعض الأميال في الوقت الذي يكون الطيران الإيطالي يقوم بستار جوي, كانت في البداية مجرد

مناوشــــات، ومن ثم أخذت مكانها حيث كانت عادة ما تحرض القوات الأرتيرية الجيدة التدريب ضد الأثيوبيين الذين يماثلونهم تدريباً على حد سواء.

ولكن بعد ذلك، فقد كانت قوة النار الرئيسـية للأريتيريين هي التي حددت القضـية، والتي أدت إلى انســـحاب الإثيوبيّين وتقدم الايطاليين بشـــكل نحو العمق الإثيوبي وبحذر مرة أخرى.

كـان التقـدم الأخير إلى "آدوا" في الحقيقـة بـدون معـارضـــة من قبـل الإثيوبيين (١٦). فـالإيطـاليون المتلهفون – وبالأخص- "موســيليني" الـذي ظهر خـائـب الأمـل من أقليـة الارتباط الحاسـم. ولكن في تلك الأثناء، كان الإمبراطور الإثيوبي في المقابل قد بدأ بحشـد قواته، ويشرف بنفسه على شئون التنظيم ونقل القوات إلى مناطق الاشتباك المحتملة.

لم يكن لدى الإثيوبيين دعماً جوياً، ولا دعم تنقّل أرضي أيضاً سوى بعض أجهزة الإذاعة . وعندما كان الإيطاليون يتواصـــلون باســـتخدام الأجهزة, فقد أُجبروا على فعل ذلك بوضـــوح (يعني ذلك الجمع مابين التفوق الجوي الكامل وتمتع الايطاليين باتصـــالات اســـتخباراية قوية) وفي المقابل، ذهب معظم جنود الإمبراطورية الإثيوبية إلى المعركة حفاة الأقدام،في حين كان الكثير منهم عُزّلاً ولا يملكون حتى البنادق, ولكنهمُ سـلِّحوا بدلاً من ذلك بالرماح والسـيوف, وحتى الكثير من تلك السـيوف كانت قديمة ومهترئة , وآخرين كانوا يملكون القليل من الذخيرة. هذا بالإضـافة إلى الصـعوبات اللوجسـتية لتعبئة دفاع منسق تقليدي ضد التحايل الايطالي الأكثر تنظيماً .

---

(١٦) _ أمور كوفي المهمة كانت في ماذا سيصبح قريبا لمشاكل الروح المعنوية للايطاليين . (سبب الجسر الاريتري الثالث لم يستخدم لاحتلال الوادي , بعد تزعم الدافع لأسرها , كان لأنهم سود , وكان شرف إعادة الغزو للمنطقة , حالما انه كان قد أعيد سالما بواسطة السود , كان محجوزا لدى الايطاليين البيض . النصب الذي شهد انه كان شاهدا مكتوبا , لاموات ادوا انتقم اخيرا) (كوفي ١٩٧٤ / ١٨٤) , شرف المعركة والمهارات العالية للوحدات السود بدأت تسبب مشاكل جدية للروح المعنوية للايطاليين . وخاصة انقسامات ذوي القمصان السود (رؤيا كوفي ١٩٧٤ : ٢٦٢) .

من جهة ثانية، فقد برزت الكثير من الصعوبات الأخرى، وعلى الأخص صعوبات التعبئة حيث لم يكن معظم الجنرالات من الموالين للإمبراطور، والذي اضـطر بدوره إلى طرد عدد منهم وذلك قبل أن يكشـفوا خطط الإمبراطور الدفاعية، أو أن يرتدوا عليه في اللحظة الحاسمة في المعركة الحاسمة.

ولكن، عندما واجه أحد أولئك الضـباط الجنرال "كوكسـا" – الذي كان مع الجانب الايطالي- بالدليل القاطع، رفض الإمبراطور الأخذ بحقيقة ذلك الدليل ضـده. بالإضـافة إلى الشـائعات التي تفشـت حول الادعاء بأن الكثير من الجنرالات قد أخذوا مالاً من الإيطاليين، ولكنهم كلهم كانوا ولاة للإثيوبيين.

على الرغم من ثبوت خيانة الجنرال الإثيوبي "كوكسـا"لصـالح الإيطاليين، إلاّ أنه كان قد وعدهم على أية حال بأنه سـوف يحضـر مع عشـرة آلاف مقاتل إلى الجانب الايطالي,وهكذا، وفي شـهر تشـرين الثاني قام بتحركاته، وكان هو والإيطاليين على حد سواء محرجين في إيجاد طريقة لإخفائه، حين وصل في الوقت المناسب إلى الحدود الايطالية، ولكن جيشه الذي كان يتفاخر في أنه سيقوده والمؤلف من عشرة آلاف رجل، قد تضاءل في الحقيقة إلى أقل من ألف ومئتي رجل .

وهكذا، كان الجنرال الخائن "كوكسا"قد أثبت بنفسه على أنه شوكة في حلق الإيطاليين . الأمر الذي كان يضـايق الجنرال "دي بونو" – وبشـكل مسـتمر- في التقدم نحو إقليم "ماكال " (المقعد لقوة عائلة كوكسـا) ولكن "دي بونو" كان حذراً , وكان يرد على الطلبات المتزايدة والمتكررة "لموسيليني" في الأحداث الحاسمة بتأخير متكرر قبل التقدم.

وهكذا، فقد كانت حيرة موسيليني ونفاذ صبره لمثل هذه البرقيات من "دي بونو" مفاجأة صعبة . كان "دي بونو" قد أمضى معظم سنوات خدمته في التحضير من أجل الغزو الأثيوبي. ثم, - وبعد تطور واضح في الخمس و العشرين ميلاً داخل البلاد خلال ثلاثة أو أربعة أيام, وخلال المرة التي لم تكن فيها طائرته قادرة على إيجاد أياً من جيوش العدو- كان قد قرر أن الاستمرار في هذا العمل سيكون خطراً , حتى لمكان مثل "ماكال" , حيث تعمل الدفاعات الإثيوبية (كوفي,)١٩٧٤.

كان التأخير في الحشد الأثيوبي, جماعياً مع حذر شديد من الطرف الإيطالي,و في تشرين الثاني, كان

"موسوليني" قد وصل إلى مرحلة أصبح فيها مرهقاً من معارضة وتأخير الجنرال "دوبونو" من أن يتقدم و يشغل العدو, فبادر إلى استبداله – لسوء الحظ- بالجنرال "بادوغلين".

سرعان ما شاتكى "بادوغلين" على "دوبونو" من دون علمه وذلك من دون علمه بأن "دوبونو" لم يكن مناضلاً بما فيه من الكفاية,ولكنه قريباً، سرعان ما بدأ هو أيضاً بإرسال برقيته يطلب فيها التأجيل و المزيد من التزود بالعتاد .

وعلى عكس "دوبونو" , ومهما تكن النتائج، فقد كان "بادوغلين" على وشك اللقاء بقوات العدو.

معركة "تيمبين"

لم يكن الإمبراطور أحمقاً, فبعد تقييم الأرض, و قوة و ضعف جنوده, صمم على أن الأمل الوحيد في اليوم الأول هو في الاحتشاد, وفي الثاني من تشرين الأول , كان قد استمر بالنجاح ولكنه نصح ضباطه ذو المرتبة العليا و جنوده بهذه الطريقة قائلاً:

"أيها الجنود , أنا أنصـــحكم , فلكي نتمكن من إحراز النصـــر على العدو, كونوا دهاة, عنيفين, واجهوا العدو واحد تلو الآخر, اثنان اثنان, خمسة خمسة في الحقول و الجبال .ولا ترتدوا الملابس البيضـــاء و لا تجتمعوا كما فعلتم الآن. اختبئوا, وهاجموا على حين غرة, قاتلوا بطريقة فن الحرب البدوي, تصـــيدوا و اقتلوا على انفراد. فاليوم قد بدأت الحرب, لذلك انتشروا و تقدموا نحو النصر".

وبهذه الكلمات حرفياً يكون قد حصل على المفتاح إلى النصر المحتم , فقد علم الإمبراطور أنه إذا استطاع أن يترجى زعمائه و مقاتليه الأثيوبيين أن يجمعوا لأحد أفراد العصابات في صراع ضد الإيطاليين , فربما يكون عندهم على الأقل فرصة ضئيلة بالفوز. و لكن لم يكن من الســـهل عليه أن يخبر مقاتلاً أثيوبياً أن عليه التســـلل خلف عدوه و مهاجمته من فوق صخرة أو شجيرة. فبالنسبة لهؤلاء الرجال المتغطرسين, كانت الحرب إما سلسلة من المعارك أو معركة واحدة مثيرة جداً.

كانت كل معركة من تلك المعارك تطول لمدة يوم واحد فقط , ومن الفجر حتى الغســـق, وفي حقل مفتوح, ولكن الظافر في المعركة الأخيرة هو الذي سيعترف به من الطرفين ليكون منتصراً حقيقياً.

وعلى هذا الممشـــى، ســـيكون إما الخلاص الممكن لأثيوبيا, أو توضـــيح هلاكها. ولكن المقاتلين الأثيوبيين ساروا و قاتلوا في المكشوف، بل وارتدوا "الشاما" البيضاء (ثوب روماني فضفاض) بدلاً من التمويه.

وقريباً، كان "سيلاسي" مجبوراً لكي يعترف,بأن إستراتيجيته تلك لم تك إستراتيجيته مثالية من أن تُتابع لأسباب تراثية(كوفي,١٩٧٤:٣١١).

وفي منتصف كانون الأول، كان كلا الجانبين قد أنهيا مجابهتهما الرئيسية الأولى.

بعد أمر الجنرال "بادوغلين" بالتقدم مباشرة نحو إقليم "ماكال", كان الجناح الأيسر من الجيش الإيطالي قد تقدم و استولى على البلدة في تشرين الثاني.

تحملت المدينة قذف القنابل بثبات من السماء, في حين هاجمت الجيوش المحتشدة التابعة ل"راس سيوم" و "راس كاسا" و "راس مولوجيتا" مما إلى اللجوء إلى أضعف نقطة في الخط الإيطالي في مدينة "تيمبين" حيث عانوا العديد من الخسارات المرعبة, لكنهم اجتازوا مدينة "تاكاز" التي وقعت بها الحرب و استولوا على عدد من مفاتيح الجسور و الممرات. وخلال أيام التهديد المتقدم من أجل إيقاف الجيش الإيطالي، فقد اضطر بعد عدة مواجهات قاسية من أن ينسحب متقهقراً – بخزي شديد- إلى أريتيريا .

لم يكن ذلك الموقف متوقعاً. إلاّ أن هجمات كلاً من مدينتي "راس كاسا" و "راس سيوم" المنسقة – على نحو فقير- قد أثبتت شجاعة ووحشية الجنود الأثيوبيين , الذين احتشدوا و دمروا السيارات المصفحة و الدبابات الإيطالية, التي كانت غالباً مزودة بالسلاح، في الوقت الذي لم يكن بحوزة المقاتلين الإثيوبيين سوى بعض الرماح و السيوف, لكن حركتهم المحلية المدهشة وخبرتهم بالمناطق الوعرة والأدغال قد مكنتهم من القتال يداً بيد، و هو – للمفارقة- نوعاً من القتال الإيطالي الذي كانوا قد تفوقوا به, وذلك ضد الدعم الجوي الإيطالي الذي كان عديم النفع, ولكن مع حلول شهر كانون الأول بدا الموقف شرساً جداً .

كانت الأرض الخالية من أثار الجنود والمقاتلين مثالية للأثيوبيين، وانتحارية للإيطاليين . وقد كانت الطائرات وحدها هي التي تمكنت من الدخول أثناء التقدم الأثيوبي في مثل هذه البلاد.

و لكن منذ أن تعلموا كيف ينتشـــروا،ويؤمنوا الحماية, كان يجب على الطائرات أن تكون مسلحة بشيء ما أكثر فعالية من القنابل و الرصاص .

وهكذا، و بسبب بصيرة "موسوليني" و "دوبونو"، فقد عرف "بادوغليو" بأنه يملك شيئاً ما أكثر فعالية و اعتقد بأن بلده قد وقعت اتفاقية دولية لم يســـبق لها أن وقعتها, حيث كان "موسوليني" قبل أيام قليلة , في السادس عشر, قد أكد على تفويض أبكر لاستعمال ما يمكن من أسلحة .

وبذلك، فقد استطاع "بادوغليو" أن يهنئ نفسه الآن على بصيرته، و ذلك بنفي مراسل الأخبار إلى "أريتيريا". ولم يعد بوســع الإعلام في الواقع أن يرى ما كان على وشـــك أن يفعله,وعلى الأغلب أنهم كانوا ليصــــدقونه، لكنه - لاحقاً - أنكر كل شـــيء . (كوفي,١٩٧٤:٢٦٣)

كان هناك نوعاً ما من الجدل حول القرار الإيطالي في اســتعمال الغاز الســـام القاتل في المعارك .

ولذلك [١٧]، فإن أفضـــل دليل , مهما يكن, هو دعم الإدعاء أن الجنرال "بادوغليو" والجنرال "غرانزين" قد قادا أكثر من ســـتين ألف جندي من القوات الإيطالية من أرض الصومال الإيطالية، والتي لجأت إلى استخدام الهجوم بالغاز (ديل بوكا , ١٩٦٩:٨٠)

على الرغم من أن الإيطاليين أنفسهم كانوا قد وقعوا على اتفاقية جنيف في السابع عشر من شهر حزيران/يونيو من عام ١٩٢٦ والتي تحظر استخدام الغاز الحارق كسلاح في الحرب إلا في حالة الدفاع عن النفس (لتعويض العجز عن مصالحه) .

ولذلك، فإن استخدام الغاز الحارق يشكل انتهاكاً واضحاً لقوانين الحرب.

لكن الإيطاليين برروا – في وقت سابق- أن شحنهم للغاز الحارق (٨٠ حاوية) إلى شرق مسرح القتال في إفريقيا بأن ذلك – من خلال الجدل – هو لأنها قد تحتاج إليها للدفاع عن النفس في حال حصول هجوم أثيوبي بالأسلحة الكيميائية (كوفي , ١٠٤:١٩٧٤) وكان لهذا التبرير مكانه للتصديق على أقل تقدير .

وهكذا، فإن استخدام ذلك الغاز الحارق ضد الأثيوبيين العاجزين – والذي لوث الهواء – قد سحق بالتأكيد التهديد الأثيوبي لاتصالات "بادوغليو" واستطاع الإيطاليين بعدها تنفس الصعداء من جديد.

---

(١٧)- ديل بونو كان قد رفض أن يستفيد من هذا القرار" , و هذا هو"بادوغليو" الذي أخذ زمام المبادرة في استخدامها في دفع من

"غضب الروماني"ل "موسوليني"(ديل بوكار , ١٩٦٩). و اللجوء إلى استخدام الغز في الجنوب و يبدو فظيعاً , لأن ٦٠٠٠٠ جندي من جنود "غرانزين" مدعمين جيداً و كانوا معارضين من قبل ٧٠٠٠ أثيوبي جائع تحت قيادة "راس ديستا" , , و مع ذلك لا يزال يشعر "غرانزين" أنه بحكم الضرورة مضطر إلى اللجوء إلى تفجير مكامن العدو باسطوانات الغاز الحارقة "بعد أيام قليلة من وصول " "دوس " , وفقاً لأوامر "بادوغليو", كانت معابر مدينة "تاكاز"

التفاعل الثاني : هجوم تقليدي مقابل الهمجية

لقد كان استخدام الغاز قد غير طبيعة الحرب كلها, فعلى الرغم من أن الأثيوبيين كانوا قد تجهزوا نفسياً , و إلى حد ما , للتعامل مع قصف المدفعية , الرشاشات,و حتى الدبابات , و لكنهم لم يستطيعوا التعامل مع الغاز.

و هنا يصف "راس امرو" ما كان عليه الحال لتجربة الهجوم بالغاز :

الدفاع التقليدي

"أنا نفسي نجوت من الموت بأعجوبة . في صباح اليوم الثالث و العشرين من كانون الأول , وبعد أن عبرنا مدينة " تاكاز" بفترة قصـــيرة ,رأينا عدداً من طائرات العدو تظهر، ثم تقترب . لم نكن قلقين بشــدة مثل القلق الذي كان يســاورنا عندما كانت تلك الطائرات تقذفنا بالقنابل . ولكن في هذا الصباح بالذات, مهما يكن , فقد ألقى العدو مادة غريبة بحيث أحرقت كل شيء مكشوف تقريباً فور اصطدامها بالأرض أو الماء , باعثة بركاً من السوائل الملونة .

كان الوقت ضيقاً لأسأل نفسي ما الذي كان يحدث قبل أن أدرك بأن مئة أو أكثر من رجالي قد رُشّوا بهذه المياه الغامضة،والذين راحوا يصرخون بألم شديد،وحالاً اندلعت عناقيد من الدم فوق أقدامهم العارية , وأيديهم , ووجوههم. منهم من أســرع إلى النهر، ثم راحوا يسألونني عن جرعات كبيرة من الماء لتبريد شفاههم الملتهبة, ثم انخفضوا نحو الأرض يتلوون من ألم حاد دام لعدة ســاعات قبل وفاتهم. كان من بين هؤلاء الضـــحايا عدداً قليلاً من الفلاحين الذين كانوا قد وصلوا للتو لسقاية مواشيهم، حيث كان بعضهم يعيش بالقرب

من القرية. وقد حاصـرني رؤسـائي و هم يسـألونني باهتياج ماذا عليهم أن يفعلوا , و لكنني كنت مصدوماً تماماً .

لم أكن أعرف ماذا أقول لهم,ولم أعرف كيف أتغلب على هذه المياه المنقوعة بالغاز الحارق , والتي أحرقت و قتلت رجالي (ديل بوكا , ١٩٦٩ :٧٨-٧٩) .

في حين قال "غرانزين" :

"لقد روعت سـكان القرى المتناثرة حول "جيجينا" و ذلك بعد إسـقاط حاوية من الغازات السـامة فوقهم " (ديل بوكا , ١٩٦٩ :٧٨) لم يتأذى الجنود – الذين تراجع من بقي حياً منهم فقط- في هذا القصف الجوي, ولكن الجداول و البحيرات و المراعي أيضاً .

كان الجنود يعتمدون على الثروة الحيوانية للتغذية، كما كانوا يأخذونها معهم إلى موقع المعركة. كما أن ذلك الغاز الحارق لم يقتل النسـاء و الأطفال أيضـاً فقط، بل والمواشـي, وبالآلاف.

من جهة ثانية،لم تكن المرافق الطبية سـوى مراكز بسـيطة للغاية , وقد شـاع مثل هذا الموضوع يتردد لهجمات جوية من القاذفات الإيطالية .

منذ أن امتلأت العديد من المستشفيات بالمتطوعين من القرى المتحضرة بشكل كبير أما في " السودان " فقد أعطى " موسوليني " أوامره بالقصف لإخافة الشهود على استخدامه الغاز . وقد خلق هذا نوعاً من الموقف السخيف الذي ارتكب الإيطاليين فيه واحدة من

جرائم الحرب (الهجوم على واحدة من مستشفيات الصليب الأحمر الواضحة العلامة) و ذلك لإخفاء أخرى الإيطاليين اســـتجابوا لتزايد الأدلة لكلا الممارســـات التابعة لنمط نموذجي .

بدأت بإنكار صريح: بأن الادعاء أن دليل المصور ملفق أو أن الصحفيين كانوا في الحقيقة وكلاء شيوعيين. كما يشير الدليل وقد جادلت إيطالية على أنها كانت مجبرة لتفعل البعض من هذه الأشياء , ولكن على نطاق ضيق , و أنه كان مبرراً كانتقامات ضد فظاعة أثيوبيا (ديل موكا , ١٩٦٩: ٨١). فإذا كانت إيطاليا صادقة أم لا , فإن النتيجة النهائية كانت كثيرة الأمل لتدخل القوات العظمى على مصلحة أثيوبيا ما كان ليحصل (١٨).

وبدلاً من ذلك , استمرت الحرب , مع الأثيوبيين البائسين الذين يقاتلون في معركة خاسرة ضـــد وابل من الموت القادم من الهواء على الرغم من اســـتخدام غاز الخردل القاتل أو اصـابات غير قاتلة كما يصـاب المقاتلين , وهذه العملية التي استخدمت في الحرب ضـد الجنود الإثيوبيين , وبكلمات أخرى , لقد اســـتخدمت بالترتيب لإجبار الإثيوبيين وذلك بتحطيم قدرتهم على القتال ,ليس بمعاقبة إثيوبيا بل لتحطيم ارداتها على القتال.(١٩)

---

(١٨)"- ديل بوكا" يتصـــل بقصـــة مخيفة حيث تدعم الجدل على بأن العديدين من الجيش الإيطالي لم يعلموا عن لجوء إيطاليا للغاز , على ما يبدو في الجيش الإيطالي بأن المخابرات العسكرية قد تتجسس على بريد أخبار لندن عندما كان يأتي بعض الصور المشبوهة: " لقد عثروا على العديد من صور الإثيوبيين الذين كانت أجسادهم مغطاة بالقروح ".

هذه الصور ضربت المشتبه بهم بشدة و بعد دقائق قليلة كانوا على مكتبي . نظرات إليهم و أخذتهم مباشرة إلى البروفيسور"كاستيلانو" , ثم تؤدي السلطة إلى أمراض المناطق الحارة . و اختبرهم و أكد ما كنت أشـــتبه لا يمكن أن يكون هناك شـــك ,و قال , إن القروح التي على جثث هؤلاء الأثيوبيين قد ســـببها الغز الحارق , حدقنا على بعضنا البعض بحرج بالغ . بعد صمت غريب , أضاف "كاستيلانو" , لا يزال , الجذام مرض ينتج تقريباً مطابقة للجروح , سلمني بعض الصـور الفوتوغرافية للمرضـى لكي أتمكن من مقارنتهم مع الآخرين . لكن لم أستطع أن أشـير على الفروق , و فجأة قررت :" أن أبدل صـور المرضـى بالصـور الأصـلية و أدع الحزمة تذهب في طريقها " (ديل بوكا , ١٩٦٩ : ٨٠) وفي وقت لاحق مكنت آلة الدعاية الغاشـية من إعلان الصـور , التي ظهرت في وقت لاحق مطبوعة , و كأنها "ملفقة" و يقصد بها التزوير , الخبيث لشرف الجيش الإيطالي .

(١٩)- إن حكايات الأثيوبيين الفظيعة أصبحت مقياساً خيالياً للإيطاليين المتوسطين . و تشمل الانتهاكات المزعومة لتشويه الجثث الإيطالية (و خاصة القطع (génitales) واستخدام رصاصات "دم.دم " و كما ادعى الإيطاليون أن الجنود الأثيوبيين كانوا يستخدمون مستشفيات الصليب الأحمر كملاجئ من الهجوميات الهوائية .

و بهذا المفهوم , فقد وصـفت إسـتراتيجية الايطاليين بهجومهم الكامل التقليدي بالهمجية [٢٠].

وهكذا، وبعد أكثر من أربع معارك – بما فيها اســتخدام الغازات الســامة– أدت إلى تراجع الجيش الإثيوبي والقوة الوحيدة الباقية بين الاريتريين في حين كانت العاصـمة "أديس أبابا" هي قوة الحرس الإمبراطوري للإمبراطورية وبعد الاستشـارات بين مستشـاريه ونجاة القادة الذين حاولوا وضـع سـياسـة الكر والفر، لكنهم – مرة أخرى– فشـلوا في إقناع الإمبراطور "سيلاسي" الذي قرر تجهيز قوة جديدة لموجهة الايطاليين في إقليم "مي تشيو" وقد جهز تلك القوة بأفضــل التدريب و المتدربين و بأفضــل القوات المجهزة التي يمكن أن تحصل عليها إثيوبيا .

كانت خطة "سيلاسـي" تتلخص في خداع الإيطاليين ومن ثم القيام بهجوم خاطف ضـد الموقع الرسمي للايطاليين, وبعد ذلك متابعة الهجوم مع قواته الرئيسية على النقاط الضعيفة في اليسار الايطالي.

كانت تلك الخطة محكمة التنظيم،وعلى الأخص لكونها اعتمدت على عنصـــر المفاجأة وعلى درجة التوقيت الصــعب للانجاز تحت أصــعب الظروف.و في الحدث,عرض الايطاليون على إرسـال الراديو كافة التفاصـيل للخطة هجوم الإمبراطور, وعدلوا الترتيبات الدفاعية لمواجهتهم [٢١] .

---

(٢٠) _ وهذا دعم من قبل حجة سباتشي بان الفاشيون اعتبروا استخدام الغاز السام "معنىً للحرب الشرعية " (سباتشي , ١٩٨٥/٧٣)

(٢١) _ ديل بوكا جادل بان الايطاليون يحتاجون إلى الارتباط الحاسـم كان ذلك عظيما لأنه جعل الكثير من الإحباط الذي ظهر لعدد الخسـائر البشـرية الايطالية في المعارك : " بينما لا توجد كلمات تسـتطيع أن تحقق العدالة والجناح البطولي الذي حقق من قبل الفيني والكياسـة للمكتبيين الايطاليين الذين جعلوا من ذلك مثالاً مشـعاً لرجولتهم " . " المعركة للإمبراطور " في الحقيقة ربح من قبل القوات السـوداء الذين نزفت دماءهم وقدموا حياتهم بسـخاء لخدمة الغاية الرئيسية . وقد حمل موسوليني راحة صغيرة و الذي تمنى أن يشـهد ذلك , وخلال هذه الحالة اكتسب عناصره قوة صلبة ومتينة كالاسمنت , وبالفعل فبالأشهر القادمة ,كان قد سقط بإحباطه . حيث قام دينيس ميك سميث بترجمة مشاعره بشكل صحيح : " موسيليني عبر عن حزنه على الحقيقة التالية بان القتل بصـفوف جيشـه لم يتجاوز الالفين شـخص والحرب تم ربحها بكلفة منخفضـة جدا لإعلان حالة الطوارئ قومية على حسـاب الغاية المطلوبة (ديل بوكا ١٩٩٦ ص ١٧٢)

وفي صباح المعركة في ٣١ آذار من عام ١٩٣٦ تحركت القوة الإثيوبية باتجاه موقع الايطاليين المنتظرين . كان الإيطاليون قد احتلوا العديد من المناطق الحساسة في المعارك السابقة لخطط الإثيوبيين، وكان الايطاليين تقريبا قد بسطوا سيطرتهم بشكل تام.

ولكن على أية حال فإن مجرى المعركة كان قد انقلب تقريباً, وأُجبر الإمبراطور بعد ذلك على التقاعد.

و كما جرى في جميع الحروب السابقة للقوات الجوية الايطالية، فقد تابعت استعمال الغاز السام والمتفجرات بشكل مستمر على القوات الإثيوبية المتراجعة، والانسحاب هنا أدى إلى اندحار تلك القوات وهروب الإمبراطور إلى "أديس أبابا" .

العملية الثالثة : الهمجية (سياسة الكر والفر)

لكن الحرب قد انتهت. كان يجب أن تكون ذلك , ولربما انتهت نظرياً على الأقل فقط , لكن الاستعمال المستمر للغازات السامة في البحث عن الإمبراطور - الذي بقي له جنرالات مواليين- لم يتوقف على الأرض وكما لوحظ, فإن الاستعمالات الجوية للغازات السامة - وخاصة بأنهم كانوا قد علّقوا المرشّات بأجنحة الطائرات - كان بعيدا عن السلاح المتميز، وهذه استخدمت في الحرب نفسها التي استخدمت المحركات التي سببت الكثير من الاستياء والكثير من المآسي السيئة في إثيوبيا .

أما الآن، فعلى الرغم من أن الايطاليين قد ربحوا الحرب، إلاّ أنهم استمروا باستخدام "اليابرت" كأسلحة لمكافحة التمرد في حين أصبحت الكثير من مصادر المياه الإثيوبية غير صالحة للشرب، بل وقاتلة كنتيجة لذلك، الأمر الذي قد أدى أيضاً لنفوق الماشية

والبغال,وعلى حد سواء مع موت الرجال و النساء , و الأطفال الذين كانوا يذهبون إلى الجداول ليغتسلوا أو ليغسلوا ثيابهم .

في ٢٨ تموز من عام ١٩٦٣وبعد شهرين على الأغلب من السلام النسبي , قامت جماعة من قادة المقاومة بإطلاق أربعة شعب للهجوم على العاصمة. لكنه تم صدها جميعاً . وبعد نهاية موسم الأمطار في شهر تشرين الثاني, كان "كرازياني" نائب الملك المعين حديثاً في القسم الايطالي شرق إفريقيا قد وقع في الأسر ودمار زعماء الثوار.(٢٢)

وهكذا، توسع الايطاليون إلى أطراف المدن.ومع حلول شهر كانون الأول،كان كل قادة المقاومة الباقية قد وقعوا بالأسر، ومن ثم قتلوا بأوامر من "موسيليني" ولكن دون "راس ايمرو" في حين تخلى عنهم "كرازياني" لكونه دون شخصية.

كانت طريقة "كرازياني" الوحشية قد أثرّت عليه ولكن بشكل عكسي, وقد تفاقم لديه الندم لدرجة أنهم حاولوا اغتياله.

في ١٩ شباط من عام ١٩٣٧ كان "كرازياني" قد أصبح بخطر كبير لأنه كان قد أُصيب بقذيفة خلال محاولة اغتياله، وبغضب وعصبية أمر الإيطاليون بالانتقام منه بأبشع طريقة ممكنة, وخلال ثلاثة أيام فقط أصبحت العاصمة مكاناً للصيد، في حين كان الجنود الإيطاليون ,وذوي القمصان السود, وحتى المواطنين العاديين قد قاوموهم بغضب، رغم القتل والاغتصاب وحرق كل شيء كان يواجههم .

(٢٢)–كان الجيش الأكادمي (ديل بوكا ٢٢٢ : ١٩٦٩) فيما يتعلق بنائب الإمبراطور"كرازياني"صادقاً وودوداً في روما, ولكن الأمنية كانت – على الرغم من ذلك– ظهرت بإحكام بقرار الإعدام التي يجب أن تنفذ بسرية عالية وبدون شهود حاضرين على ذلك,لكن تلك التوجيهات لم تتبع على الرغم من التوبيخات الصارمة التي أظهرها "كرازياني"الذي حمى نفسه بالتبرير قائلاً :

" إننا لا أنكر بأن هناك بعض الإثيوبيين كانوا يصرخون وهم يواجهون فرقة الإعدام " تحيا إثيوبيا " ولكن على أية حال, فإن أحكام الإعدام تلك ترتبت على نتائج من التجارب في حياتي بأنه دائما يجب أن نكون في مناطق معزولة حيث لا يوجد احد, واكرر, لا يوجد احد يستطيع أن يشهد عليهم.(ديل بوكا , ١٩٦٩ : ٢٢٢ _ ٢٢٣) ولكن، وبالطبع كانوا قد شوهدوا.

من جهة ثانية، لم يجد الذين حاولوا الاعتداء على "كرازياني" الفرصـــة لقتل كل العقول الإثيوبية , وكل عضو بمجموعة الإثيوبيين اليافعين,وكل المكتبيين، والجنود التابعين "لهوليتا" .

كان الأمر الأسوأ لا يزال قائماً ففي ٢٠ أيار من شهر ١٩٣٧ كان "كرازياني" قد نظم مجموعة مؤلفة من مئتين وســبع وتســعين راهباً من "ديبرا ليبانوز" ومن الإثيوبيين الأكثر شهرة في الدير, ليقتلوا .

ولكن كان لفداحة هذا العمل الوحشي تأثيرات عكسية , فبدلاً من إخضاع السكان، فقد سبب إلى استعار غضبهم (٢٣) في حين أصبحت مخافر الايطاليين الأمامية تحت النار, و تم الاستيلاء على القوافل وتدميرها.

كانت المناطق بأكملها , وبالأخص "جوجام" و "بيكمدر" قد انتفضــت.بالإضــافة إلى ذلك , فقد ظهر الأمر بأن "كرازياني" قد أصــبح غير متزن عقلياً بســبب محاولاته طيلة حياته الفاشلة في إيجاد القتلة.

وقد قيل بأنه كان يحبس نفسه في غرفة نومه ليلاً , في حين خصصت كتيبة بكاملها لأمنه الشخصي .

في الأول من شـــهر تشـــرين الثاني,كانت تصـــرفاته قد أصـــبحت غريبة الأطوار، بل ومستحيلة وذات نتائج عكسية، فقررت السياسة في النهاية أن تتدخل لوضع حد لذلك حيث قرر "موسوليني" استبداله بدوق "أوستا" الرجل الذي زعم أن تصرفاته ذكية وأكثر إنسانية.(٢٤)

---

(٢٣)– ليس فقط الغاز الذي استخدم في الحرب لإكمال تدمير المقاومة الإثيوبية مما نعرف التليغرام , ترخت بأيلول ١٩٣٦ أرسلت من قبل كرازياني . أما اليوم فالقوى الجوية سوف ينفذون الانتقام سيقذفون الغاز للذين اعلنوا استسلامهم وللذين لم يعلنوا استسلامهم (ديل بوكا , ١٩٦٩ : ٨٢).

(٢٤) _ لم يكن من الواضح لماذا اختار موسيليني دوق اوستا لاستبدال كرازياني (موكلر ١٩٨٤ : ١٨٦) . الكل وافق على انه يجب استبدال كرازياني , وبان الدوق كان المرشح للموقع , لم يكن جاهزا كرازياني " البئر المسمم " بسياسات تهدئة الوحشية .

العملية الرابعة : الهجوم التقليدي (سياسة الكر والفر)

كان ذلك الدوق قد ورث وضعاً صعباً إن لم يكن مستحيلاً . وكانت نيته تتلخص في محاولة عكس الثورات بمجموعة مهام ذات طابع العمل العسكري المباشر ضد المعارضة الأقوى, لكنه – على الرغم من ذلك – فقد اتبع سياسة ذكية في إصدار عفو كبير وإيقاف أحكام الإعدام العاجلة.

لكن الإثيوبيين – الذين لم يكونوا يصدقون وعود الايطاليين– قد أصبحوا أكثر قابلية لقبول عودة الثقة. ولكن بعد سنوات من العمل الجاد والسياسة المنسقة, ومن الحظ العاثر في أن يكون "موسيليني" صبوراً في هذا الاعتبار, كان المستشار العسكري الرئيسي للدوق , الجنرال "كافاليرو" يطعن بالدوق من الخلف لروما بأن تساهل الدوق مع الإثيوبيين كانت له نتائج عسكرية .

وهكذا، وبدءاً من شهر آذار إلى شهر نيسان من عام ١٩٣٨ كان الايطاليون قد بدؤوا سلسلة أخرى من الحملات العسكرية الرئيسية التي نوت سحق التمرد في "جوجام" و"بيكهمدار" حيث قام أكثر من ستين ألف جندي باحتلال "جوجام" وقد ظهر وكأنهم سينالون كامل أهدافهم, ولكن وليس بالقريب العاجل ستكون "جوجام" قد خضعت للتهديدات الجديدة المعلنة .كان الجنرال "كافاليرو" قد قرر خوض تجربة استراتيجية مختلفة.بالإضافة إلى انتشار قوات نظامية ذات أرقام مغمورة في "جوجام" وقد أنشأ عدة فرق خاصة كرسها من أجل أسر "ابيبي اريجا" أحد أكثر المثيرين من زعماء المقاومة ,

والذي كان يحاول – لعدة شهور – نقل قواته إلى ارض أكثر مناعة في "مينز" [٢٥] والذي بقي حتى نهاية موسم الأمطار في شهر تشرين الأول من عام ١٩٣٨ لكنه اثبت على أن ذلك لم يكن حاسماً .

(٢٥) ــ شرح "موكلر" النتائج لتزايد الوحشية " القتل والاعمال الوحشية , على اية حال , لن تكون كرادع , للإثيوبيين الذين كانوا يساقون إلى اليأس . والعداءات والنزاعات الداخلية , التي جعلت الكثير منهم يقبلون بان يكون غير مؤهل بهم , البديل لقوانين شاون , التي غمرت تجاه عدو واحد . وقادتهم قتلوا غدرا. ورجال الدين الذين ذبحوا غدرا . كالجنس الذي يثار بالغريزة ووجه بالابادة . " (موكلر , ١٩٨٤ : ١٨٤) .

ولكن في المقابل، نجح"اريجاي" في الوصول الى "مانز" حيث شارك "ديجاز اراريز" وكلاهما نجيا بشكل متكرر من جهود الايطاليين لتدميرهما. وبعد ذلك انسحب الإيطاليون [٢٦] .

إذا كانت سياسة "كرازياني" للتهدئة قد أثارت تمردا موحدا ضد قواعد الايطاليين,فإن ممارسة الدوق للسياسات المخففة "لاوستا" لا تملك قدرات فعالة لحل مشاكل الجيش.

ومع حلول عام ١٩٣٨ كان الإثيوبيون قد أصبحوا في نطاق الثورة الكاملة.

واستطاع قادة المقاومة من البقاء طلقاء في الوقت الذي كانت فيه أكثر من خمس وستين كتيبة في حصونها تحزم أمتعتها لمغادرة إثيوبيا بعد أن أُجبروا على التخلي على حصونهم .

في شهر آذار من عام١٩٣٩ أُمر الدوق بسرعة الحضور إلى روما للتشاور. وفي تلك الأثناء كان "هتلر" يغزو "تشيكوسلوفاكيا" ويهيئ نفسه لبدء الحرب على أوروبا .

العملية الخامسة : المصالحة (سياسة الكر والفر)

في عام ١٩٣٩ كان في أثيوبيا الكثير من الأحداث المختلفة في هذه السنة إذ لا يوجد تبريرات لإعادة للحملات العسكرية المركزة كما كان في السنة السابقة وذلك بسبب التأثير القوي للقادة ويعود ذلك لسببين:

- السبب الأول : الكلفة الباهظة لمثل هذه العملية . فقد كلفت عمليات السنة السابقة لوحدها ما يقدر أكثر بثلاث مرات من فاتورة إدارة و تطوير المستعمرة , وهذا سيؤدي إلى نتائج كانت غير حاسمة.

(٢٦) – لقد كان إقليم "ميناز"في الوسط في شان كينغدام ويرتفع ١٠٠٠٠ قدم فوق البحر , وقد احتلوا ٨٥٠ اميال مربعة من بليتكس وقد حمي الحاكم من قبل شان نوبل الذي سمي ديجاز اريرس الذي كان يقاوم القادة واراد للغاية أن يأسرهم أو قتلهم .

السبب الثاني: كان بؤرية جديدة على أثيوبيا في حالة اندلاع حرب بين السلطات الأوروبية. ومن جهة أخرى، لم يكن في نية "موسوليني" النيل على الدعم من إثيوبيا في دفاع إيطاليا,لكنه أوضح بأنه في حالة حرب مع إثيوبيا لوحده.ولهذا السبب,صرف الإيطاليون معظم السنة وبشكل متناسب أكثر من مصادرهم التي تنظم جيشاً للدفاع من هجوم القوات البريطانية أو الفرنسية.

وكنتيجة لذلك، كانت الجهود الإيطالية ضد التمرد في أثيوبيا قد حوّلت التأكيد من الإجبار إلى الرشوة,العفو,والمفاوضات.

ومن سخرية القدر الآن، وبما أنهم تخلوا عن المحاولة للفوز، تشنُّ حرب ضد المقاومة الأثيوبية, وقد أثبتت هذه مجموعة من السياسات الأكثر فعالية من أي شيء حاوله الإيطاليون حتى الآن.

وهكذا، وبعد أن شارفت السنة على الانتهاء، كانت أوروبا في حالة حرب,ولكن، بالرغم من أن بولندا كانت قد سقطت,فالحالة في أوروبا استقرت.في حين بقيت إيطاليا محايدة.وكنتيجة لذلك، خفّت التوترات بين بريطانيا و فرنسا, وإيطالية في شرق أفريقيا .

الحرب العالمية الثانية في شرق إفريقيا

خلال عام ١٩٤٠ كان زعيم المقاومة الهام — والوحيد- الذي كان ما يزال صامداً هو "أبيبي أرجيا" في حين صرف الإيطاليون وقتهم في الجزء الأول للسنة يحاولون كسب ثقته عن طريق الرشاوى,وعود بالعفو,ووعود بالاستقلال بعد الاستسلام إلى الحكم الإيطالي.غير أن هذه المفاوضات انتهت كانت قد انتهت في شهر آذار,على أية حال,وبعد أن قال الإيطاليون بأن الاستسلام المخطط "لأريجيا"كان في الحقيقة بواسطة كمين.

في شهر نيسان,غزت ألمانيا النرويج ثم أكملت طريقها نحو فرنسا في شهر أيار. وفي شهر حزيران, أعلنت إيطاليا الحرب على فرنسا المهزومة,الأمر الذي دفع برئيس وزراء بريطانيا "ونستون تشرشل" بدعوة "موسوليني" "بابن آوى أوروبا" لتحويل إعلان إيطاليا من الحرب الإستراتيجية فوراً من الشمال وشرق إفريقيا.

وفي شـــهر حزيران من عام ١٩٤٠ كان تعداد القوات (٢٥٠,٠٠٠)جندياً مدعومين من(٢٠٠) طـائرة, بالمقـارنـة مع (١٠,٠٠٠) جنـدياً بريطـانيـاً و(٢٠)طـائرة (موكلر,٢٠٨:١٩٨٤) في حين كان القلق الرئيســي للبريطانيين قد حصــر في حشــد جيوش إيطاليا الكبيرة في ليبيا وقوات التدخل "أي أو آي"في شرق إفريقيا.

لكن الإيطاليين لم يكونوا يفكرون بشأن المخالفة في ربيع عام ١٩٤٠ : "لقد رأيت الدوق "أوســتا"هذا الصــباح " في حين كتب وزير الخارجية الإيطالية "كيانو" في مفكرته في ٦ نيســان : "يخبرني بأن هذا بالنســبة له ليس فقط مســتحيلاً لأخذ الهجوم، لكن أيضــاً سيكون صعباً جداً عليه لحمل مواقعه الفعلية لأن القوات الإنجليزية الفرنسية مجهزة بشكل جيد الآن وجاهزة للمعركة ويعتقدون بأننا في مشكلة".

كـانـت "جيبوتي" قد هُيئت للانضـــمام إلى حلفـائها البريطـانيين في الدفـاع في شـــرق افريقية.لكنهم كانوا قريباً سـيطردون من الحرب,في حين أجبر قائد "جيبوتي" في أن يصـبح متفرجاً ســلبياً في المعركة الإنجليزية الإيطالية. بيد أن تلك المعركة لم تكن طويلة.فبالرغم من أن البريطانيين كانوا قد تمنوا إثارة التمرد في القوات بعودة "هيلي سـيلاسـي"- مدعومة من قبل فدائيين برئاســة بريطانيين على طول الخطوط الدفاعية لقوات"أي أو آي". (مغامرات لورانس في بلاد العرب) إلا أن المعركة نفســها قد تحوّلت لســلســلة قريبة من الضــربات التقليدية و الهجمات المضــادة,مع أن البريطانيين أولياً كانوا يحصــلون على الأســوأ في كل مواجهة.

كان الإيطاليون في شـــهر آب من عام ١٩٤٠ قد فازوا حتى في الصـــومال البريطانية، لكن نجاح الإيطاليين في الصـومال كان قد شـجعهم لمحاولة أن يجربوا حظهم ضـد مصـر انطلاقاً من ليبيا حيث تقدمت هذه القوات المؤهلة تحت قيادة الجنرال "غرازياني" الحمقاء لعدة أميال نحو العمق المصري ,لكنها توقفت في منطقة "سيدي براني". و في شهر كانون الأول,هاجم الجيش البريطاني منطقة النيل, وحطموا قوات الإيطاليين :

"في ضـربة واحدة – حيث كان التهديد قد وصـل إلى العاصـمة القاهرة– أزيل أمل ربط نصـــفي الإمبراطورية الإيطاليـة الإفريقي، وذوبـت الروح المعنويـة للإيطـاليين بضــــربـة واحدة"(موكلر,١٩٨٤ :٣٠٧). وهكذا، فإن انهيار الروح المعنوية الإيطالية لم تحصــــر في شمال إفريقية فقط، فقد كان ذلك التأثير موقعاً كبيراً على قوات "أي أو لآي" ولدرجة كبيرة وذلـك بســـبب القوات الإيطـاليـة المهزومـة التي كـان لا أحـد يقودهـا إلا الجنرال "غرازياني": لكنه كان,طبيعياً, بين الإثيوبيين أن هزيمة "غرازياني"كانت عظيمة التأثير. على الرغم من أنه كان الفاتح,وكتائب للملك , والمســتبدّ كالجيش المنتصـر، فقد ضـغط عليه، وبدوره غزا ارض العدو لأسر"بارديا" أولاً، ثمّ بعد ذلك"توبروك" وذلك باستخدام حشـود جديدة من السجناء لكن "جورج"٢٧ جادل"موكلر" الأمر الذي سبب إحراجاً للبريطانيين وتعلقّوا بعودة"هيلا سـيلاسـي"إلى الشـرق الأوسـط الأفريقي بشـكل مثير للانتباه.و كان قـلـقـهـم المـبـكـر بأن حضـــــوره يـثـير الهـجـوم عـلـى الســـــودان مـن قـبـل إيطاليا(موكلر,٢٢٦٩:١٩٨٤).

ولكن، وبعد بعض التفكير,على أية حال,فإن ما حدث مع البريطانيين بعد كل هذا كان متوقعاً، فقد كانوا في الحرب، وبعد ذلك أصبحت القضية تتلخص في البحث عن أفضل طريقة من أجل استعمال"سيلاسي"لنهايتهم الخاصة؟

ولكن، حتى هذا لم يكن واضحاً أيضاً.فقد كان لدى البريطانيين أفكاراً إصلاحية – بشكل مثير- في كل من مصر,و السودان,و كينيا,و"سوماليلند"البريطانية مع توقع أن تحدث الهجمات الإيطالية من أي مكان. ولكن مع ذلك، فقد هاجم الإيطاليون,ولكن دون أن يحصلوا على الفائدة المرجوة من ذلك. وبعد ذلك،فإن ما حدث هو أن الطريق أمام البريطانيين لإزالة الضغط، هو بأن يكبحوا التمرد بجدية ضمن أثيوبيا.

إيطاليا في أثيوبيا

أصدر "ستير" ورقة إعلان بصور الخطوط الطويلة للأسرى الإيطاليين .(موكلير,٣٠٩:١٩٨٤)

وفي عام ١٩٤١, كانت بريطانية المنتعشة هي التي أخذت المبادرة , و انهارت كل مناطق المجابهة الإيطالية في شرق أفريقيا وعاد "هيلا سيلاسي" إلى أثيوبيا في العشرين من كانون الثاني من عام ١٩٤١ وبعد سلسلة من المعارك الحادة، أجبرت القوات البريطانية – بالدعم الأثيوبي- ايطاليا على الاستسلام .

وفي الخامس من شهر أيار من عام ١٩٤١ وبعد خمس سنوات إلى اليوم الذي زحف به "بادوغليو" منتصراً في "أديس أبابا" ومجدداً أخذ الإمبراطور مقعده على عرش الأسد من حيث النتيجة : هل ستربح إيطاليا,أم ستفعلها؟

انتهت الحرب الإيطالية الأثيوبية عندما دخلت بريطانيا الحرب في شمال أفريقيا ضد إيطاليا عام ١٩٤٠. وفي المرحلة التي أصبح فيها الإيطاليون مهووسون، وبدؤوا بمتابعة إستراتجية إنهاء الحرب بالمقاومة الأثيوبية. تعتبر الحرب الإيطالية الأثيوبية متدرجة تحت الحرب العالمية الثانية.فلو لم تدخل بريطانيا الحرب, لكانت إيطاليا ستربح في فترة قصيرة , في حين ربحت إيطاليا في التفاعل الخامس,لكن فقط بوعد الرشاوى الثقيلة حيث يمكن أن يبقي نصره، و إن اقتصاد إيطاليا ما كان ليدعم مثل هذه السياسة لأكثر من سنة وما يظهر بشكل واضح جداً في هذه الحالة هو إن إيطاليا في عام ١٩٣٥ كانت ممسوسة بجيش عاجز جداً. كما إنها قيدت بحماقة لأن تأثيرها يجب أن يهبط في سجلات التاريخ العسكري كأحد أفقر الفترات في عمل الإمبراطور الأثيوبي على استراتيجية دفاع مثالية حيث استغلت القوى الأثيوبية بينما قللت ضعف ضربته,لكن جنوده لم يستمعوا , فقد أصروا على معارضة الهجوم الإيطالي التقليدي مع الدفاع الأثيوبي التقليدي , الدفاع الذي تضمن مشاهدة الغريب (و في هذه الحالة الضعف) عادة لإنهاء كل قتال عند غروب الشمس ,فإن عجز الجيش الإيطالي, كان واضحاً خصوصاً في التفاعلات المبكرة للحرب و القرارات الإجبارية بالكامل:خسارات ونكسات من درجة عالية في قتال صعب من أجل أديس بابا ,وإما أن تخدع باستعمال الغاز الحارق ضد الخصم بدون دفاع ضده و بدون قدرة للاستجابة بنفس الطريقة، وهذا ما سهل اختيار الغاز الحارق كأهداف إيطاليا العسكرية قريبة المدى — لكن خصوصاً بعد طرد "سيلاسي" من العاصمة .

وهكذا، فقد قوّضت هدفها السياسي في تأسيس مستعمرة فعالة و مكتفية ذاتيا وقد حفزت أكثر من أن تخفض المقاومة وزادت من رشوة اللاحقين الضرورية لمنع أمراء أثيوبيا من الهجمات القيادية ضد القوات.

التحليل: التفسيرات المتنافسة لنتيجة الحرب الإيطالية الأثيوبية

مصالح الممثل:

كانت مصالح إيطاليا في غزو أثيوبية ذات علاقة مع قوتها النسبية بأثيوبية، وربما كان ذلك أكثر دقة للمجادلة على أن مصالحها كانت واضحة بقوة إيطاليا بالنسبة إلى القوة الأوروبية الأخرى،حيث كان الإيطاليون عموما و "موسوليني" بالتحديد شعروا بشكل واضح بأن السلطة الأوربية الأخرى لم تعط إيطاليا الاحترام المستحق كدولة أوربية خصوصاً تلك التي كانت حليفة أثناء الحرب الكبرى حيث تحولت مصالح إيطاليا في إثيوبيا لأربعة عناصر :

- أولاً – الحاجة إلى معالجة الذل الماضي وذلك عن طريق النصر العسكري الحاسم على الإفريقيين الوحيدين لصد قوة المستعمرات الأوربية بنجاح.
- ثانياً : الحاجة لتأكيد رجولية الفاشية كعقيدة من قبل نصر عسكري شديد : أن الهزيمة أو التأخير يمكن أن يعوض شرعية نظام موسوليني الفاشي وبهذا المعنى كان بقاء ايطاليا مهدداً .(٢٨)
- ثالثاً: تحضير المهمة أو الواجب، والتي أرادت ايطاليا التعهد بالإثبات إلى عالم منزلته ضوء حقيقي من الحضارة.

- رابعاً: الإحساس القوي والمتزايد من الضرورة بسبب الفائض السكاني والبطالة .

وهكذا، جعلت مجموعة هذه العناصر الأربعة ايطاليا تصمم على رؤية النزاع واعلي بكثير من أن يتوقع من قبل الفجوة من المادة النسبية التابعة لايطاليا وإثيوبيا .ولذلك كانت مصالح إثيوبيا ناجية ومعروفة بالنسبة لايطاليا , فقد أرادت إثيوبيا شعوريا مساعدة الإحصائيات الأخرى بحثا عن هذه المصلحة في حين وجد المستعمر الأجنبي صعوبة في فهم السبب , والاتجاه مثل هذه القوة الساحقة, وبعد أن رفض الإمبراطور العودة أو الخضوع لأوامر ايطاليا بدون قتال الخيال الإثيوبي كما انه مثبت من قبل النصر في "أروا" كما كان الايطاليون على وشك الهزيمة هناك وقد استعد النبلاء للقول بأنه يمكنهم أن يكرروا نصرهم مرة أخرى إذا اختار الايطاليون أن يغزو من جديد في وقت مبكر، ولكن الإمبراطور كان يعتمد على أمرين اثنين في حال الهجوم الإيطالي وهما:

- أولاً: اعتماده على تدخل عصبة الأمم لمنع حرب شاملة.
- ثانياً: التأمل في قتال (سياسة الكر والفر) في الحرب التي كانت العصبة تقريباً – وبلا شك – تتظاهر بالتوقف. ولكن ولا واحدة من هذه الأماني كانت قد تحققت ,لكن أثيوبيا لم تستسلم لإيطاليا على الرغم من أن أنماط نظام الحكم كانت استراتيجياً غير منيعة .

---

(٢٨) – العجل المخصي كان مسؤولاً عن جهود دعاية "AOL" , بما في ذلك إعلان إمبراطوري ناجح جداً (أو أواج) الذي أعلن فيه الإمبراطور عودته الوشيكة . و دعا الأثيوبيين و الإيطاليين الموالين لهجر و مقاومة الإيطاليين .

في عام ١٩٣٥ كان لدى ايطاليا نمط نظام حكم رسمي. حيث كانت السياسة الإيطالية المحلية والأجنبية تحت السيطرة الكاملة من قبل "بينيتو موسوليني" .

كانت تأثيرات نظام الحكم الإستراتيجي واضحة في هذه القضية لأن "موسوليني" كان قد أحكم سيطرته على الصحافة الإيطالية – و سيطر على بعض مداخل الصحافة الأجنبية إلى ساحة المعركة– حيث قدم غزو أثيوبيا خيارات إستراتيجية، والتي سوف تكون محفوفة أكثر بالمخاطر عندما تُحاكم من قبل نظام حكم استراتيجي بشكل دقيق , بالرغم من أن ايطاليا كانت قد وقعت المسودة الأصلية لمعاهدة "جينيف" التي تمنع استخدام الأسلحة الكيماوية في الحرب.(٢٩)

لقد كان واضحاً أن "موسوليني" قد خطط مبكراً لاستخدام مثل هذه الأسلحة في أثيوبيا,وإضافة لذلك كان واثقاً بأنه يستطيع الهروب بها, ولكن كيف لهذا أن يكون؟ .

في عام ١٩٣٥ وحيث أن كل القوى الأوروبية الآن تفتخر بعامة السكان المثقفين و اتساع و تعقيد قطاع الصحافة عندها للهروب من همجيته يتطلب ثلاثة أنواع من الشواهد و اثنين من المستمعين كأنواع من الشواهد من الذين كانوا من الإخباريين الإيطاليين ,والمراسلين الصحفيين الأجانب و عمال مساعدين أجانب. حيث كان المستمعين الاثنين ايطاليين ومن دول أخرى . ذلك أن الفاشيين كانت لديهم إستراتيجية عمل لكل مجموعة من الرجال الإخباريين الإيطاليين ومن الذين كانوا مختارين بحذر و خلاصة القول قبل الذهاب إلى المسرح الأثيوبي :"قبل مغادرتنا إيطاليا" كتب برونو روج: استُقبلنا من قبل

---

(٢٩)– الحقيقة أن أثيوبيا لم تستسلم رسميا لايطاليا على الأقل بتأثير حاسم واحد قوانين الحرب تمنع أحكام الإعدام للجنود الأسرى لكن تفرض البعض كالحماية للثوار. أثيوبيا استسلمت رسميا لايطاليا الشرعية لأحكام الإعدام لكرازياني للثوار سوف تكون قابلة للمناقشة كما كانت ,كان انتهاك واضح للقوانين الحرب وقعت من قبل ايطاليا وقوى أوروبية أخرى في جنيف

"هون دينو آلفيري " بعد ذلك وزير الدولة, الذي رحب بنا, وتمنى لنا التوفيق, و أسدى لنا نصيحة أنه يجب أن نكون في تصريحاتنا الصحفية مباشرين و مُختصرين في تقاريرنا كإظهار أسلوبنا بالكتابة, والامتيازات الأخيرة للمشروع الإيطالي المتذبذب الحداثة, والعقلاني الهدف".

كان المراسلون الصحفيون الأجانب غالباً فاشيون في بلادهم، وهؤلاء لم يكونوا خبراء "بالصعوبات التقنية" حيث حفظت تقاريرهم في ملفات. في حين كان الآخرون مرتعبون, و ممنوع دخولهم إلى المناطق المغلقة أو المعارك .

وأخيراً, فقد كان العمال المساعدين الأجانب مبدئياً هدفا في طريقة التخويف.في حين خطط الإيطاليون إلى إثارة الشائعات في مجال مشافي الصليب الأحمر و قصف جوارهم بالترتيب لإخافة مدراء المشافي وإجبارهم على المغادرة.

ولكن، عندما أخفق هذا, أخذ الإيطاليون بالهجوم المباشر كتسهيلات لهجومهم المبرر كإجراءات انتقامية للانتهاكات الأثيوبية لقوانين الحرب.وعندما تسرب هذا الدليل للخارج, كان لدى الإيطاليين خططاً حربية أخرى للتعامل مع كهذه الأزمات. (انظر أيضاً سباشي ,١٩٨٥:٦٣)

وهذه كانت اتهامات الأثيوبيين "كاستخدام الغاز الحارق,ومهاجمة وحدات الصليب الأحمر ,مهاجمة المدنيين".

لكن إيطاليا توقعت ذلك ,ووجدت مباشرة طريقة لتشويه سمعتهم وشوشت القضية .

في ٢٦ كانون الأول, كانت الحكومة الإيطالية قد أرسلت رسالة إلى عصبة الأمم متهمة

الأثيوبيين بأنهم استخدموا رصاصات من نوع "دم .دم" . و في ١٦ كانون الثاني أرسل "الإيطاليون" إلى عصبة الأمم اتهامات مكررةً في استخدام ذات الرصاصات الممنوعة، ومضيفةً لها اتهاماً جديداً بأن الجنود الأثيوبيون كانوا يحمون أنفسهم من القذف بالقنابل بتخبئة أنفسهم تحت أعلام الصليب الأحمر.

ولكن: ألا يعتبر هذا تبريراً كافياً لقصف وحدات الصليب الأحمر ؟

نعم، يُعتبر كذلك، ففي "جنيف" , على أية حال , فللسماح للاتهامات الأثيوبية و مواجهة الاتهامات الإيطالية لتعادل نفسها كانت هناك نقطتين حاسمتين هنا لترغم الإيطاليين على الخروج بالجريمة النكراء :

أولاً: لديهم إستراتيجية محددة في أماكنهم ويستطيعون الحفاظ على التكّتم على همجيتهم و هذه الإستراتيجية تفرض مقدمة نظام حكم مؤيد للفاشية.

ثانياً: استخدام الغاز الحارق على بيئة أثيوبيا في عام ١٩٣٥ كانت مضمومة إلى أكثر هجوم إستراتيجي تقليدي قوي, وقد انتهت الحرب لتجنب التدخل الدولي .وكانت النتيجة أن نصر إيطاليا كان قريباً فيما يتعلق بقضية استخدام إيطاليا للغاز الحارق على الرغم من أنها لم تكن مرفوعة – بشكل رسمي- في أوروبا وذلك حتى ٣٠ من عام آذار ١٩٣٦ .

في ذلك الوقت ,كان متفقاً عليه أن لا تُناقش تلك القضية حتى يبدأ تحقيق رسمي, لأنه – كما وضعها الملك "هاليفاكس" – سوف يكون من الخطأ أن يحكم على القضية قبل دراستها بشكل رزين جداً ومفعم بالحيوية , وقد كان ذلك بمثابة مكافأة لبلد عظيم على أتعابه "إيطاليا" (٣٠).

وهكذا، وبعدما أصـــبحت الأمور واضـــحة – لكل شـــخص – أن الإيطاليين لم يكونوا يســتخدمون الغاز الحارق فقط، بل ويســتخدمونه بكثافة . وهنا يبرز السـؤال مرة أخرى ولكن هذه المرة في جينيف في

٨ نيسان من عام ١٩٣٦ وذلك عندما رفع سؤال حول استعمال إيطاليا للغاز، فقد كلن على أغلب المندوبين أن يبذلوا الجهود لجمع المعلومات الموثوقة على الموضوع .لكن بيير "ايثيني فلاندين" الوزير

---

(٣٠)– كانت الخطوة الأولى في الملاحظة المذكورة آنفاً, هي في الذكاء الإيطالي المتخصـــــص فيمل يتعلق بالدليل المؤيد المحرم – والذي يجب أن يكون حاصل على المراقبة وتعليقات الحكومة الإيطالية "(كوفي, ١٩٧٤ :٣١٧).

الفرنسـي الأجنبي كان معارضـاً , وذلك حين سـأل إذا كانت هناك أية تحقيقات حول الأعمال الوحشـية التي ارتكبت من قبل الثوار , والتي تتضـمن اسـتعمال رصـاص "الدمدم".وفي الاجتماع الخاص الأول بعد الجلسة الصباحية , كان وزير الخارجية البريطاني "أنطوني إيدن " قد هاجم تعليقات"فلاندين".وهناك أصـر "إيدن" على "التمييز بين الفظائع من القوات العسكرية غير المنضبطة، واستخدام الغازات السامة التي لا يمكن أن تكون غير حكومية". وقد وافق "فلاندين" بدوره على ذلك بقوله أن الإيطاليين كانوا " أغبياء جداً "لاستخدامهم هذا الشكل من الحرب. لكنه شكك في الحكمة من إصدار إدانة رسمية في لحظة محاولة تبذل لإنهاء القتال، وذلك قد ينهي المفاوضات .وبعد ذلك تم تشـكيل ثلاث عشـر لجنة قررت – في اجتماع عقد في وقت لاحق من ذلك اليوم – التحقيق حول استخدام الإيطاليين الغاز السام "كوفي , ١٩٧٤: ٣٢٤-٣٢٥".

وهكذا ففي ٨ نيسان تماما وبعد مضي أسبوع على معاناة الجيش الأثيوبي الأخيرة في هذا المجال – والذي كان قد تحطم في "ماي شيو"- كانت الحرب قد انتهت للتو .

و خلاصة القول،فإن ايطاليا ونوع نظامها الاستبدادي جعل أبسط بكثير لتجنب خطر السخط العام والتدخل الدولي وذلك عندما لجأت ايطاليا إلى إستراتيجية وحشية في حين لا تزال، حتى السـلطة الايطالية غير قادرة على إخفاء الهمجية من العالم أو عن شـعبها حول حقيقة عدم التدخل، ويمكن تفسير ذلك على أفضل وجه في سياق اليوم،وفي هدف الاستقرار الأوروبي الذي قد حان ليعني الكثير بالنسبة لزعماء أوروبا على أنهم كانوا على استعداد للتضحية بكل مبدأ من المبادئ الأخلاقية و على مذبحها.

كان تأثير نظام إيطاليا السياسي على نوع التعرض لنكسات عسكرية واضحاً على الأقل في احترام هام واحد. وكما سبقت الإشارة أعلاه، فقد كان "موسوليني"يسيطر على جميع المداخل الايطالية علناً وذلك من أجل الحصول على معلومات عن مسار الحرب وسلوكها، وعن كل رسالة،وصورة، وإرسال نشرة إخبارية مدققة للوطن . ولكن إيطاليا — من بين النخب السياسية – وأثناء الحرب والنكسات المتكررة التي عانت منها القوات الايطالية في وقت مبكر، فإنه ينبغي أن تكون وفقاً "لماك " قد أسفرت في السياسة بسبب ضعف المبادلات بين مصالح النخبة. فموسوليني الذي كان يحدد ما سيكون من *الموارد* التي أنفقت لقهر وتطوير أثيوبيا و لكنها قد انتهت الآن مع انتهاء الأمر.

وفي الحقيقة فإن "موسوليني" نفسه يَجْعلُ الوصلةَ المقتَرَحةَ بين نوعِ النظامِ الاستبدادي والضعفِ السياسيِ مُوضّحة :ففي ٦ تموز من عام ١٩٣٥ سَمحَ لنفسه بالمخَاطَرَة فيما بعد بإعلان التقسيم إلى أربعة أقسام والتي كَانتْ عَلى وَشَكِ أَنْ تسبب أزمة لأفريقيا.

كان يتحدث من خلف شاحنة، وكان قد برأ تماما ١٨٩٦ جنديا إيطاليا لهزيمتهم في "أدوا" والذين كانوا يلومون بدلاً من ذلك الحكومة المنحطة في روما في ذلك الوقت . ومع نظيره في السلطة الفاشية للحكومة،فقد أثنى على جهود قوات "القمصان السود" في هذا المجال مؤكداً على أنها ستحصل على دعم كامل في الداخل."كوفي ,١٩٤٧:١٠٣"

ولكن بطبيعة الحال، كانت هناك مقايضات، ولكنها اتخذت شكل مختلفاً كتحويل العاملين، وإقالة الجنرالات أو ترقيتهم . ولكن على الرغم من وجود مؤامرات وحجج معاكسة، فإن الهدف الأساسي من غزو واستعمار أثيوبيا لم يُشكّك : لا من قبل الشعب الإيطالي و لا من قبل النخبة السياسية الفاشية.

وباختصـــــار،ففي حين تعتبر إيطالياكنوع من النظام الاســـتبدادي، فقد تم اللجوء إلى الهمجية على الأرجح، مع التقليل من احتمال أن يضـــطر إلى الانســـحاب من المعركة بسبب الضغوط السياسية الداخلية أو التدخل المشترك.

انتشار الأسلحة

في أي من الحالات الخمس التاريخية التي خضـعت للتحليل هنا، فقدكان تفسـير انتشـار الأسـلحة أقل من التفسـيرات المعقولة للنجاح الفاعل من حيث الضـعف وذلك عماكان عليه في الحرب الايطالية الأثيوبية.

وكما ذكر أعلاه، فقدكان لدى الإثيوبيين عدد قليل من البنادق، لكنهمكانوا يقاتلون ببسالة رغم أنهمكانوا حفاة.

وللمفارقة, فقدكانت تلك الميزة تعطيهم حرية أكبر في التنقل في المنطقة الجبلية الصـــعبة التي تصل إلى أرتيريا والتي تؤدي إلى الهضبة الوسطى حيث تقع العاصمة "أديس أبابا".

كان الايطاليون في المقابل -كحلفاء للأريتيريين- يميلون إلى التحرك في الرد بواســـطة الأسلحة الآلية، وهذا ما منحهم — في المقابل- بعض المحاسن وذلك من ناحية استخدام المدفعية حيث أنها يمكن أن تقوم بفرض التوازن على الأرض والتي لا تتطلب حركةكبيرة و تحافظ على طرق الاتصـــالات رغم أنهاكانت ســيئة، والحد بشـــكلكبير من الوقوع في الكمائن .

لكن التقنية الحاسمةكانت في اسـتخدام سـلاح الجو، و الطائرات المقاتلة، فقدكان لدى الإيطاليين سلاح جو فعال وطائرات قوية أما الأثيوبيين فلم يكن لديهم أي منها وهذا ما

قلب الموازين لصـــالح القوات الايطالية المنظمة حيث كانوا قادرين على اســتخدام قوتهم الجوية لرصد مواقع تمركز الجنود الأثيوبيين، وبالتالي تدهورت القدرة الأثيوبية في القبض على الإيطاليين في كمائن مفاجئة . وقد كان هذاعندما تســـقطل خاص,لأن الإثيوبيين كانوا يرفضـــون المشـــاركة في القتال ليلاً،في حين كانت الميزة الايطالية الجوية يمكن أن تكون لاغيه. وعلى الأخص عندما تسقط من الجو قنابل الغاز الحارق والتي أضيفت إلى وظيفة الاستطلاع للقوة الجوية، وهكذا، سرعان ما أصبح التنافس العسكري من جانب واحد.

التفاعل الاستراتيجي

توفر الحرب الايطالية الإثيوبية خمسة اختبارات مستقلة لأطروحة التفاعل الاستراتيجي.

وفي هذه الحالة تبرز هناك بعض المفاجآت في المرحلة الأولى من حرب التفاعل القوي الذي ينبغي أن يكون فاعلا، والذي أدى إلى انتصار إيطاليا على وجه السرعة، لأنه اختار إستراتيجية الهجوم التقليدي و الدفاع التقليدي الإثيوبي .

ومع ذلك لم يكتف هجوم الايطاليون حتى تعثر، ولكن العدو الإثيوبي المضـــاد كان يهدد بدفع الجنود الإيطاليين أكثر فأكثر إلى اريتريا، وهذا ما يفسر نتيجة سوء القيادة العسكرية الايطالية، وعدم الاستعداد لمخاطر سقوط ضحايا من نفس النهج الثاني في التفاعل القوي الفاعل الذي يجب أن نفوز لأن ايطاليا واصلت الهجوم التقليدي ضد إستراتيجية الدفاع الإثيوبية التقليدية بسبب تسرع ايطاليا للفوز ولكنها لم تفز سوى بفضل استخدام غاز الخردل في مسرح الحرب الإثيوبية، حيث ثبتت قوة وفعالية هذا الغاز الكبيرة على الرغم من

مضاعفة الطابع العشوائي بعد إطلاقه من الجو مما يجعل استخدامه يعبر عن همجية سافرة من حيث التعريف لحرب ايطاليا بعد استخدامها للغاز في تدمير القدرة العسكرية لإثيوبيا، لا إرادتها في مقاومة هذا التفاعل .

ثم، ومن ناحية أخرى، فإن استخدام الغاز لا يشير إلى حدوث تحول في الإستراتيجية بقدر ما زالت من أساليب التفاعل، ولذلك كانت النتيجة كما هو متوقع حيث يفوز القوي الفاعل.

وهكذا، ولأن ايطاليا كانت قد استخدمت إستراتيجية الهمجية ضد جماعات المقاتلين الأثيوبيين غير المنسقة حرب العصابات GWS (نفس النهج). فإن استخدام الغاز كان بمثابة موجز لعمليات إعدام المدنيين وغير المقاتلين. ولكن، فعلى الرغم من انتشار عمليات الاغتصاب والقتل والانتقام، والتي كانت كلها أساليب للضغط على إرادة المقاومة الاثيوبية. فإنه من الصعب تقييم نتائج هذا التفاعل بالتأكيد وذلك لأنها كانت خاطفة ووجيزة. وكما جاء في الفصل الرابع، فإن الوحشية في استخدام الإستراتيجية تميل إلى أن تختفي معالمها تحت الضغط الإيطالي، وذلك عندما بدأ الجيش يحقق المكاسب.

وهكذا،فعلى الرغم من أن الايطاليين قد استخدموا الغاز السام والحارق بإفراط ضد القوات الأثيوبية – والتي أدت إلى قتل الكثير من المدنيين وغير المقاتلين– ولفترة من الوقت الحقيقي والشروع في وضع إستراتيجية وحشية من تاريخ الانضمام إلى موقف النصر في عام ١٩٣٦ وخاصة بعد محاولة اغتيال في شباط من عام ١٩٣٧ . ولكن في شهر تشرين الثاني / نوفمبر تماما، كما كان البدء في انضمام دوق "آوست" لمنصب الوالي والذي أدى إلى حدوث تحول في الإستراتيجية، مرة أخرى .

كان من المفترض ان يربح الطرف الضـــعيف في العملية الرابعة,وذلك في المتابعة العادية لايطاليا في استراتيجية الهجوم ضد الإثيوبيين فيما يتعلق (بسياسة الكر والفر).

وكالمتوقع، فإن الأثيوبيين – ليس فقط– نجوا من محاولات الايطاليين لتدميرهم , ولكنهم باشروا بالهجوم المعاكس على العديد من المناطق المحكومة سابقا من قبل القوات الايطالية , ولكن، ولســـخرية الأقدار, فإن النفقة ذاتها من الجهد لاســـتخدام الوحدات الكبيرة والتقليدية لمطاردة القادة الإثيوبيين الفدائيين كانت دافعاً آخر في تغيير الإســـتراتيجية.أما في العملية الخامســـة، فإن الطرف القوي كان يجب أن يفوز , لان ايطاليا انتقلت من محاولات إجبار المقاومة الإثيوبية إلى محاولة رشـوتها (كالمصـالحة، سـياسـة الكر والفر).و كما كان متوقعاً، فقد فازت ايطاليا في الحرب الإثيوبية، أو لربما تكون قد فازت,ولم تكن قد دخلت الحرب العالمية الثانية. في حين أن موافقة دوق "اوسـتا" كانت الدافع الرئيسـي للذوبان في العلاقات البريطانية الايطالية. فقد كان الدوق ميالاً نحو بريطانيا , في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا معجبة بالدوق وتكنّ له الاحترام (موكلير , ١٩٨٤ ,: ١٨٧ – ١٨٨ , ١٩٤) . في حين لم تكن قرارات "موسـوليني" التي دخلت الحرب ضـد فرنسـا وبريطانيا، وفورا غيرت كل ذلك . وهكذا، فقد كان منطقياً بالمجمل– وبحســـب الإســـتراتيجية المتبعة — فقد كان من المتوجّب أن تفوز ايطاليا في كل الجولات بإثيوبيا , (العملية الرابعة : الهجوم التقليدي , الدفاع التقليدي) ولكن الســـبب في ضـــياعها يكمن في أنه – عندما كان يجب أن تربح —كانت قيادتها الضـــعيفة .وقد تم تلخيص العملية الخامســـة للحرب الايطالية الإثيوبية ,مع النتائج في الجدول الأول التالي :

إستراتيجية الممثل القوية	إستراتيجية الممثل الضعيفة	التفاعلات الإستراتيجية	النتيجة الفعلية
١ــ الهجوم التقليدي	ا لدفاع التقليدي	نفس الطريقة	ربحت إيطاليا
٢ــ الهجوم التقليدي/الهمجي	الدفاع التقليدي	نفس الطريقة	ربحت ايطاليا
٣ــ الهمجية	سياسة الكر والفر	نفس الطريقة	ربحت ايطاليا
٤ــ الهجوم التقليدي	سياسة الكر والفر	عكس الطريقة	ربحت إثيوبيا
٥ــ المصالحة	سياسة الكر والفر	نفس الطريقة	ربحت ايطاليا

تفاعلات إستراتيجية ونتائج الحرب الايطالية الإثيوبية (١٩٣٥-١٩٤٠)

المشاكل في القيادة

كانت التأثيرات في إستراتيجية العمليات مغمورة في الحرب الأولى بعجز قيادة ايطاليا ذلك لأن قيادة ايطاليا بإفريقيا كانت قد أتت بنفس شهرة العجز وبنفس الوحشية.فالكثير من الإداريين الايطاليين كانوا يتحلون بالشجاعة والكثير منهم كانوا مؤهلين، ولا يوجد أي شخص من الجيش الايطالي يمكنه أن ينتقد الشجاعة أ ومهارات الفرد الجندي الايطالي لكن القادة من أمثال "دي بونو , بادوغليو,غرازياني , غافاليرو , تريزاني [٣١] كانوا قد ادينوا للعيش في العار العسكري . في حين كان لدى المحلل "موكلير" التفسير الفضولي التالي وقد بدا لي على أنه - بوعي وبدون أدنى شعور- فقد سيطرت ذاكرة "أدوا"

وجنرالات "باراتيني" على عقول الجنرالات الايطاليين في افريقيا، وهذا فقط يستطيع تفسير عدم قدرتهم على التقدم حتى يكونوا ذوي قدرة وان تكون خطوط الاتصالات بأمان , ما يفسر عذرهم في عدم قدرتهم و كان ذلك ايضا بتقدمهم البطيء, ولذلك، فقد اضاعوا الكثير من الفرص الحقيقية، وكانت النتيجة المؤكدة أنهم كانو ا من الفاشلين(موكلر ١٩٨٤ : ٢٥٤).

إن الفحص الحقيقي لاطروحة مساعدة الجيش الايطالي سوف تكون بقيادة الجيش في مسرح الحرب – وهذا ما قاله كل من اليونان وروسيا – حيث كان القادة الايطاليين بعض الشيء شديدين او مؤهلين.

وعلى الرغم من وجود ثمة أشخاص أرادوا مجادلة القادة من ذوي الرفعة في ايطاليا بأن افكارهم إنما كانت نسخة طبق الاصل عن افكار موسيليني,وعدم الشجاعة كانت نتيجة الاحداث القادمة بأنهم سيقيمون علاقات ودية مع ذلك النظام .

ولكن ذلك كان في الحقيقة غير مقبول.ونتيجة لضعف الجيش الفرنسي، فقد انتشرت الديمقراطية, ونتيجة لما حدث فقد أيضاً فقد تأسس الجيش الالماني الذي كان له اثرا في العالم لم يشهد له العالم مثيلاً من قبل .

---

(٣١) ــ سيطر تريزاني على كافاليرو في ٢٠ نيسان /١٩٤٠ وقد ميزت موكلير طريقته (كان واحدا من الضباط الايطاليين الذين خدموا في الحملة الاستعمارية,في الحقيقة في الاستعمار ككل،و كانت مهنته بروفسور في المدرسة الحربية.كان ميوله في التكتيك, نظرته الأولى للحساب المفصول. لقد كان رجل بادوغليو وكان مشبعا بالشكوك لتثبيت الإقدام في إفريقيا وإذا كانت قرارات الايطاليين المتعمدة لاختيار الجنرال الذي له الخاصية الأساسية ولو كان الايطاليين قرروا عمدا اختيار زعيم من أساسيات شخصيته القيادية تخفيض أخلاقيات الجنود لكان باستطاعته قيادة خياراتهم والتحول إلى شخص أفضل(موكلير ١٩٨٤ : ٢٠٩).

وفي النهاية

كانت الحرب الايطالية الاثيوبية ذات تعقيدات متناظرة والتي كانت قد دارت بين ايطاليا واثيوبيا وحيث ربحت ايطاليا الحرب . ولذلك، وبســـبب مصـــالح الايطاليين، فقد ارادوا الانتقام لخســـارتهم في "ادوا" في عام ١٨٩٦ , وكانت الحاجة الى التنظيم مجرد أفكار , الأفكار المسئولة عن" المواطنين " والرجال السـود الإفريقيين الأقوياء الذين مكثوا في قرن افريقيا, واحزاب حاولت تحسين أوضاع الشعب من حيث الفقر

في حين كانت مصـــالح الاثيوبيين قد تمثلت في مجرد البقاء على قيد الحياة والحفاظ على شرفهم ,

ولكن الطاقة المادية لم تفســـر مصـــالح العلاقات,والتي مالت الكفة الراجحة في مثل هذه الحالة للطرف الاقوى, ايطاليا حيث يمكن للقوى المادية ان تفسـر الاسـتراتيجية المتبعة او السياسة المؤكدة للطرف الاقوى.

تشـرح الفرضـيات في قوة العلاقات المادية مصـالح العلاقات بالإنتاج غير المتناظر - غير مدعمة بالحرب الايطالية الاثيوبية- كما نسـتطيع ان نرى مما سـبق أن اسـتراتيجية ايطاليا قد اختارت ان تتاثر بنوع النظام فموســـيليني كان دائماً يهتم باحتمالية تدخل الاجانب بشؤونه من حيث - الاقتصـاد والجيش- وقد اعتمد على القدرة على ادارة المعلومات عما يســـتطيع القيام به دون النظر لما تمليه عليه اخلاقه الحربية , وذلك من أجل يبطيء من التدخل لانه كان متفهم تماماً لأخطار التدخل .

ولذلك، فقد كان من قراراته صـنع غاز الخردل- وهو من الاسـلحة الممنوعة في الحرب — والذي كان متوفراص بين يدي قادته في اثيوبيا حيث لجئت ايطاليا الى الهمجية في الحقيقة

المفترضة للادارة الكاملة والتحكم في المعلومات خلال ادارة الحملة .

في حالة الضعف السياسي, كان الايطاليون - بغض النظر عن انتساب السياسة او صنفها- قد تشاركوا كلهم في الحلم بمستعمرة مزدهرة في افريقيا وكان قد طالب بها "موسليني" كحق من حقوق ايطاليا.

لكن القوة المادية الغالبة في ايطاليا كان يجب ان تجعلها سياسياً ضعيفة بالنسبة للنكسات العسكرية ان لم يكن بوزن الرأي العام (٣٢) ، ثم على الاقل كنتيجة للمبادلات بين النخب السياسية الفاشية ولكن وعلى الرغم من انه قد اختبر الايطاليون من الهجمات القوية خلال حملة الإثيوبيين, وبالرغم من وجود الادلة على استخدام ايطاليا للغازات السامة وتسريبها , فإن هذا لم يحدث , في حين تسبب هذا النوع من النظام إلأى تعقيد الأمور أكثر من المسموح وذلك بحجة اللاتناظر. ولكن اذا كانت طبيعة الطرف بحجة الاهتمام اللاتناظرية , فهل يستطيع الجيش الانتشار او تطبيق العملية الإستراتيجية ؟

لا يمكن انتشار الاسلحة , وبشكل صريح، فإن الاثيوبيين لم يستلموا أية كمية من الأسلحة أو التطور حتى دخول البريطانيين الحرب في عام ١٩٤٠ ولهذا السبب فسيؤدي التسليح الأفضل للطرف الضعيف على الارجح في ربح المعركة والطرف القوي سوف يخسر .ولكن لم تختبر هنا فقبل الحرب كان إمبراطور اثيوبيا يحسب الحصول على الدعم الدبلوماسي والتدخل العسكري من الاعضاء الزملاء الاتحاديين في اوروبا، وقد كانت اثيوبيا فقيرة جدا وفخورة جدا باستيراد الاسلحة كما فعل "البويريون" سابقا في معركتهم مع بريطانيا .يعتبر التفاعل الاستراتيجي أفضل توضيح لنتيجة الحرب، ومع ذلك لم يكن

---

(٣٢)- ثمة وجهة نظر مضادة, حيث يرى سباتشي ١٩٩٧ الذي يعيد بإقناع المعارضة الإيطالية الواسعة إلى خطط موسوليني "المغامرة " في أثيوبيا , لكنه أخفق في تزويد إحساس كيف يتسع الانتشار في مثل هذه المعارضة وفي الحقيقة كيف كانت , بالإضافة لكونه يقترح حساب بأنه عندما أصبح الإيطاليون مقتنعين من النجاح العسكري في الشهور الأولى من الحرب , انتقل رأي الشعب الإيطالي لدعم الاحتلال بدون شروط .

التفاعل الاستراتيجي عازلاً لضعف القيادة الايطالية. باستثناء واحد, وهو أن كل تفاعل استراتيجي للحرب سيكون قد احتوى على التفاعل الذي فضل النصر الايطالي العسكري, حيث كان التفاعل الاول قد وصف بالهجوم التقليدي , والدفاع التقليدي , حيث ظهر بان إيطاليا مستعدة لتخسر هذه المعركة بسبب القيادة السيئة .

وكوقف التقدم الايطالي المشترك مع الهجمات المضادة المؤثرة، فقد تحول التفاعل الثاني للحرب لينتقل إلى استراتييجية جديدة، حيث عطلت ايطاليا الإستراتيجية التقليدية للمساعدة من قبل استخدام أسلحة ممتازة ضد الدفاع الاثيوبي التقليدي .

لقد أثبتت الإستراتيجية الفعالية العسكرية العالية, والتي أدت إلى انهيار مقاومة أثيوبيا المنظمة خلال بضعة شهور, وربح الإيطاليون , لكن الطرق ذاتها كانت قد استعملت في غزو أثيوبيا و خصوصاً فيما يتعلق بسياسة ما بعد الحرب من أحكام الإعدام العاجلة و الاستعمال المستمر لغاز الخردل على الثوار – والذي أثار المقاومة مجدداً– ولربما ربح الإيطاليون التفاعل الثالث للنزاع , ولكن قبل أن يسجل التأثير العسكري ,كان "موسوليني" قد ألغاه.

من جهة أخرى، فقد عاد التفاعل الرابع للحرب إلى الهجوم التقليدي ضد أي مقاومة منظمة , فقط حيث أرادت القوات الأثيوبية أن تشغل الإيطاليين مباشرة , كما حدث في "كوجام" حيث خسر الإيطاليون.

كانت تكاليف كل عملية – فيما يتعلق بسياسة الكر و الفر– فاحشة جداً، في حين أن الهجمات التقليدية الإيطالية في بقية الأقاليم قد وُوجهت من قبل مجموعة تلك التكاليف

و الحاجة المحسوسة لأن تصبح القوات آمنة ومكتفية ذاتياً في حالة الحرب في أوربا , وقد أدى ذلك إلى تغيير نهائي في إستراتيجية ايطاليا .

أما التفاعل الخامس للحرب فقد قدم إستراتيجية مصالحة لايطاليا , لكنها عورضت من قبل سياسة الكر و الفر الأثيوبية .

لقد أثبتت المصالحة الأكثر فاعلية لكل إستراتيجيات الإيطاليين أنها قد حاولت منذ الزحف إلى أديس أبابا في شهر أيار من عام ١٩٣٦ حيث كان زعيم الثوار الأوحد فقط صمد،وقد بدت احتمالية استمرار صمود قواته كذلك , ولكن مع اندلاع الحرب العالمية الثانية فحتى "أبيبي أرياجي" والقوات الموالية كانوا قد أُجبروا على الهروب من أثيوبيا أو صعوبة التقدم، وهذا ما جعل الإيطاليين يتقدمون ليربحوا الحرب في مدة قصيرة , لكن الحرب العالمية الثانية غيرت كل ذلك فالمسابقة في أثيوبيا توقفت عن أن تكون بين احتلال الإيطاليين و المقاومة الأثيوبية وتحولت إلى صراع بين الإنكليز والإيطاليين الذين قاتلوا في أثيوبيا , والسودان , والصومال الإنكليزي,وكينيا.

كان الإيطاليون في بادئ الأمر قد أطلقوا هجمات تقليدية ضد الدفاعات البريطانية ,ونجحوا تقريباً في كل مكان .لكنهم – على أية حال– أخفقوا في استغلال انتصاراتهم , وبعد انهيار جيوش إيطاليا في ليبيا و مصر,كان الإنكليز قد أعادوا الكرّة و أطلقوا سلسلة هجمات تقليدية ضد الدفاعات البريطانية, وقد كان الإنكليز يتمنون تنسيق هذه الهجمات مع انتفاضة بريطانية " عامة الضمان " في أثيوبيا .

ولكن على الرغم من ذلك وبالرغم من أنهم كانوا قد كرّسوا مصادر هائلة لإيجاد و تمويل "لورانس" قادة أثيوبيا "أورد وينكايت- وينكايت" و "هيلا سيلاسي" المنتصرين و إعادة دخولهم إلى أثيوبيا كانت زائدة عن الحاجة من حيث النتيجة. لكن الإيطاليين قاتلوا بشدة في الشمال, ومرة أخرى كانوا يعانون من القيادة السيئة للحرب .

بينما في الجنوب , فقد كان المسار البريطاني نحو ميناء مدينة "كاسالا "في أرض الصومال الإيطالي قد أدى إلى أن يكمل اندحار القوات الإيطالية المتفوقة جداً خلال شهر واحد , ولذلك بدأت القوات البريطانية تغزو من الجنوب - لتحويل أنظار الإيطاليين- ودخلت أديس أبابا .

لقد أدى ذلك إلى تغيير التوازن في أربع من خمس تفاعلات فرضية قوامها أنه على الأرجح أن يفوز نفس النهج، في حين أن التفاعل يفقد عكس النهج في التفاعلات المؤيدة .

وباختصار، فإذا أردنا أن نشرح لماذا خسرت ايطاليا الحرب الايطالية الأثيوبية، لا يمكننا الاعتماد على القوة النسبية، ونوع النظام والفوائد وعدم التماثل، أو نشر الأسلحة.

ولكن فيما عدا انتشار الأسلحة، فمن الواضح – ضمن هذه العوامل - أن ما يهم أكثر هو التفاعل الاستراتيجي الإيطالي والقيادة العسكرية.

عندما أصبح واضحا أن اعتقال أديس أبابا لن يجبر الاثيوبيين الى الاستسلام، فقد كان أمام ايطاليا ثلاثة خيارات استراتيجية :

- أولاً : مع الاستمرار في الاستراتيجية الحالية، وربما إرسال المزيد من القوات والمعدات الى المسرح.
- ثانياً : من حيث عرض الاثيوبيين : ما الذي يمكن حفظ ماء الوجه بعد نهاية الحرب.
- ثالثاً : التحول إلى استراتيجية الهمجية : اتخاذ سياسة القفازات وملاحقة الوطنيين الإثيوبيين وأُسرهم واتخاذهم إما رهائن أو قتلهم على الفور في حركة انتقام لصد مواصلة المقاومة.

وهكذا، ففي حال اختار الايطاليون الخيار الثالث في ذلك الحين، فقد حافظ الإثيوبيين على إتباع سياسة الكر والفر، لكن الايطاليين تحولوا، وابتكروا عدة مغامرات مضنية لتحسين ميزتهم حتى امتداد الحرب العالمية الثانية إلى إفريقيا، واجتياحها للتخلص منها.

إعرف عدوك :

إن الاعتقاد بأنه يمكننا أن نشكل ظروفنا الإستراتيجية حسب الوقائع، يدل على فهم متطور للبيئة التي نعمل بها.

ولذلك، فإن الأمر الأساسي لأي فهم يكمن في معرفة أنفسنا،وأعدائنا وأصدقائنا، وعندما يمتلك الجيش هذه الحكمة فإن الوقت الذي سيقضى في الاستطلاع و على جمع المعلومات لا يعتبر وقتاً ضائعاً.

ولهذا السبب بالتحديد، يدعى التجسس غالباً ثاني أقدم مهنة في التاريخ .

لقد تم دعم هذا الوصف من قبل "التوراة العبرية" قبل معركة "أريحا" قبل حوالي ٣٢٠٠

سنة . وذلك حين بعث القائد الإسرائيلي "يوشع" بجاسوسين لجلب معلومات ولاكتشاف ما يستطيعون عن الأرض ولاسيما "اريحا" . وفي ملتقى طريف من الأحداث التاريخية، فقد أمضى عملاء "يوشع" ليلة مهمتهم الأولى في حانة تملكها عاهرة تدعى "راحاب".

لقد كانت الدعارة بالطبع تعتبر هي المهنة الأقدم في التاريخ ،وهكذا، ومن اجل إنصاف سمعة الجاسوسين، فقد كانت الحانة مكاناً جيداً للاستماع وطرح الأسئلة وجلب المعلومات في ذلك الوقت . وغالباً ما كانت المعلومات تجمع من اللقاءات الأولى.

لقد كان هدف "يوشع" الأساسي من ذلك بعبارة موجزة : الحصول على استخبارات جيدة ووافية تحقق له الأفضلية وسبق النصر في معركته الوشيكة .

ولذلك فقد كان يبني الكثير من إستراتيجيته على المعلومات الوافدة والتي تتعلق بأعداد القوات،وترتيبها، وتوضعاتها، و التجهيزات الدفاعية، و الاحتياطات،والمؤن، والروح المعنوية وتفاصيل أخرى مماثلة التي تكشف قدرات الخصم القتالية الحالية، والتي تعتبر الاهتمام الرئيسي في هكذا مواقف.

وهكذا، فإذا ما سمح الوقت المناسب،فإن هذا النوع من القدرات المشتقة من معلومات الاستخبارات،بالإضافة إلى نوايا العدو المفترضة والمحتملة، ستجعله يتخذ القرارات المناسبة وليفكر بمناوارات طويلة الأمد، وربما تكون الحملة بكاملها مقابل أهداف معركة وحيدة.

وعلى سبيل المثال، فبالاعتماد على ما يرد من معلومات عن العدو, فإنه من الممكن أن يكون مازال لدينا وقت لتغيير خطط الهجوم أو إعادة نشر قواتنا و اعادة ترتيبها أو حتى لتجنب التضارب في الوقت الحاضر .

وهكذا كان في العصور اللاحقة، فعلى المستوى الاستراتيجي، كانت الاستخبارات — في الحرب العالمية الثانية – تعتبر ذات نوعية استئنافية بحيث يمكن أن تستغل لاعادة تشكيل و توجيه الحملة بكاملها.في حين كان نجاح قوات الحلفاء يكمن في ترجمة آلة التشـــفير (الإنيجما) الألمانية السرية خلال الحرب العالمية الثانية وهو ما يعتبر مثالاً استئنافياً حيث كانت المعلومات التي تم الحصول عليها قيمة للغاية و حتى أنها شكّلت سلاحاً استراتيجياً بحد ذاتها .

كانت المواجهة بين الاتحاد السـوفيتي و الولايات المتحدة خلال الحرب الباردة قد خدمت أحـد أكثر التوضـــيحـات دراماتيكيـة فيمـا يتعلق بالتواصـــل بين الاســـتخبارات، والتشـكيل،واسـتراتيجيا الخطر الكبير في ذلك التفاعل بين التنافس الاستراتيجي، ولذلك، فإن تجاهل كل طرف لقدرات الآخر على تنفيذ ضـربة نووية اسـتباقية كان بسـبب عدم وجود الخوف من عواقب هذا العمل .

ظهرت ثمة لمحة عن سلسـلة ردود الأفعال في ذلك الوضـع الحسـاس في أواخر الخمسـينات وأوائل السـتينات وذلك عندما قدم كل من سـلاح الجو ولجنة خاصـة تقريرا منفصـلاً إلى الرئيس آيزنهاور , يعبر عن تفوق عددي للاتحاد السـوفييتي في عدد القذائف البالسـتية و العابرة للقارات وتلك الحاملة للرؤوس النووية.أو مادعي حينذاك (بفجوة القذائف) و هذا ما سبب قلقا شديدا في الولايات المتحدة و صعّد القلق بين القوتين العظيمتين, ولكن في الحقيقة لم يكن هناك فجوة , بل على العكس, فقد كانت الولايات المتحدة متفوقة على منافسيها بعدد الصواريخ البالستية .

وهكذا، وبفضل الادراك المتأخر,يجب أن نعلم بأن قادة الولايات المتحدة كانوا على وشك أن يتخذوا قرارات متعلقة بنزاع نووي لكنها مبنية على أساس معلومات خطرة وخاطئة.

ولذلك، تعتبر الاستخبارات عالية النوعية هي المفتاح لمنع صانعي القرار من اتخاذ أي قرار نهائي تحت أي ظرف في حين أن الخصوم ليسوا دائما مدركين لنوايا بعضهم البعض وهذا ما قد يؤدي – على الأقل– لكي يعلم أحدهم قدرات الطرف الآخر.

وفي هذه الحالة تحديدا,فإن هذه القدرات كانت عبارة عن صواريخ بالستية و قاذفات نووية التي تحسب و تُقيَّم بشكل نوعي, وإذا كان كل من الطرفين قد أدرك نقاط قوة و نقاط ضعف الطرف الآخر , و إذا قبل كل منهما حالة توازن القوى الموجودة، فعندها فقط يمكن أن يتم تأسيس درجة مرضية من الاطمئنان المفترض بين الطرفين في هذا الحدث (فالاطمئنان) كان نتيجة تأثير المهدئ الذي صنعته المعرفة و تطور المفهوم إلى أحد أسس توازن الرعب النووي بين الاتحاد السوفييتي و الولايات المتحدة .

التكنولوجيا بشكل مستشعرات

لقد لعب الجو و الفضاء دوراً أساسياً في رفع ضباب الحيرة و بناء الاطمئنان ففي بداية الأربعينيات كانت الولايات المتحدة قد وظفت أعداداً متزايدة من طائرات التجسس على قدرات الاتحاد السوفييتي النووية الحربية، ولكن، وبما أن آلات التصوير كانت هي المستشعرات الأساسية , فقد كان يتوجب على الطائرات أن تحلق فوق الهدف مباشرة، وعلى الرغم من الارتفاع الشاهق التي كانت تعمل بها الطائرات، فقد كان خطر إسقاطها يعتبر هاجساً دائماً .

وهكذا، فإن حوالي أربعين طائرة تجسس أمريكية كان قد تم إسقاطها فوق الدول الشيوعية و ذلك في فترة ما بين الحرب العالمية الثانية وعام ١٩٨٠ وحيث كان حوالي مئة وثمانين عنصراً استخباراتياً من أطقم تلك الطائرات قد قضوا نحبهم .

ولذلك، فقد كانت صـــور أقمار التجســـس الاصـــطناعية - التي وفرت الأمان المطلق و عملت على إرتفاعات شـــاهقة و غطت مســـاحات أكبر بكثير كانت - هي الحل، وهكذا، فقد ســـارع كلاً من الطرفين إلى خوض غمار ســـباق جديد يتعلق بتطوير برامج شاملة لأقمار التجسس الاصطناعية و التي حققت نتائج باهرة .

كان مشـــروع "الهالة" الأمريكي على ســـبيل المثال، والذي عمل منذ عام ١٩٦٠ وحتى عام ١٩٧٢ قد التقط حوالي "٨٠٠ " ألف صورة لأهداف محددة في الاتحاد السوفييتي، و ثم اســتناداً لمصــادر غير رسمية تضــمن كل قواعد اطلاق الصــواريخ البالســتية و كل قواعد الغواصات و قواعد القاذفات.

وكنتيجة لذلك، فإن مخاوف المســؤولين الأمريكيين قد تضــاءلت كثيرا بعد المعلومات التي تم الحصـــول عليها فقد أعطت المعلومات الاســتخبارية المأخوذة من الأقمار الاصــطناعية اطمئنانا مماثلاً في الاتحاد السوفييتي .

عندما انتهت مفاوضـــات أزمة الصـــواريخ الكوبية في عام ١٩٦٢ بســـلام، كانت الحرب الباردة قد بدأت بالذوبان وإن ببطء.فالمعرفة- عوضـاً عن الخوف - هي من شـكل المحيط و البيئة الاســتراتيجية تعتبر من مهمات التجســس الاســتراتيجية التي زعم — على الدوام- من أنها مهمات مكروهة إلاّ أنها كانت في الحقيقة حيوية في جعل المواجهة النووية أكثر

شفافية , و في بناء ثقة و اطمئنان تجاه ما كان في حالة أخرى منافسة خطرة. وبشكل استثنائي, كان هناك هامشا أضافياً لعملية التجسس، حيث يجب إضافة التشكيل المناسب بالاضافة إلى المعرفة عن الطرف الآخر والتي نحتاج أيضاً إلى من منهم أصدقاء و حلفاء وما الواجب فعله في الأزمة، و كيف نتصرف عندما يعتمد أيضاً على نوايا و قدرات حلفائنا كما الحال للأعداء.

فهل يمكن لحلفائنا أن يدعمونا بكل حالات الطوارئ؟.

وهل لهم حقاً التأثير و القوة النارية التي يدعون أنهم يمتلكونها ؟

وهل- إن منعتهم الظروف من المشاركة في القوات المقاتلة- أن يوفروا الدعم اللوجستي و الاستخباراتي ؟.

هذه ليست مجرد أسئلة افتراضية,فخلال حرب "جزر الفوكلاند" في عام ١٩٨٢ فقد كان لدى كل من المملكة المتحدة البريطانية،والأرجنتين، علاقات أمنية رسمية مع الولايات المتحدة , وكلاهما كان يحتاج إلى المساعدة الأمريكية لشن حملة فعالة على الطرف الآخر . ولكن في هذا الحدث بالذات، فقد اختارت الولايات المتحدة أن تدعم بريطانيا بالمساعدات الحيوية، وأن لا تدعم الأرجنتين بأي شيء . ولكن، وبينما حارب الارجنتينيون بشجاعة , إلاّ أنهم عجزوا بشكل عام،وقد تجلّى عجزهم في أن قادتهم لم يحسنو تقدير و ضع حلفاءهم قبل أن يعجّلو بإعلان الحرب .

ليست جميع الأنظمة بحماقة الجنرالات الارجنتيين , و يجب ألاتنفاجئ أيضاً بأن تاريخ التجسس على الأصدقاء يوازي التجسس على الأعداء.

وهنا يمكن ذكر الإسرائيليين كنموذج مثالي وواضح عن الجاسوسية المزدوجة, حيث حصلوا على ولوج غير شرعي إلى أكثر المعلومات السياسية و التقنية حساسية في الوجود لدى أهم داعميهم أو أكثرهم وقوفا إلى جانبهم , و هذا يتضمن الأمريكيين و البريطانيين و الفرنسيين، ومهما كان اعتقادنا حول نسبية أخلاقية هذا العمل .

وهكذا، نلاحظ أن كل الدول تتجسس على بعضها البعض، وإن إسرائيل ببساطة كانت أفضل من معظم تلك الدول في هذا المجال.

ويجب أن ننوه هنا إلى أننا لا يمكن أن نشكل محيطاً استراتيجياً إن لم نفهم بشكل كامل جميع المتغيرات الحرجة بما فيها نوايا و قدرات أصدقائنا .

الأفكار و الحقيقة : تركيبة القوة

كان "كارل ماركس" قد لاحظ (بأن الفلاسفة قد فسروا العالم حسب منظورهم فقط، و بطرق مختلفة وكان المهم لديهم – بأي حال– يكمن في أساليب تغييره).

ولكن يمكن لتعليق "كارل ماركس" أن يطبق على نظرية و ممارسة الإستراتيجية في مرحلة ما من مراحل العمليات الإستراتيجية , وعلى التفكير الاستراتيجي البحت ليس إلاّ .

ومن جهة ثانية، فإنه يجب أن يترجم إلى تركيبة محسوسة من القوة، أي بالوسائل التي نحتاجها إلى تحويل الأفكار إلى أفعال حيث إن تركيبة القوة يتضمن البشر , العتاد , أنظمة القيادة و السيطرة , العقيدة,وفي الوقت الحالي كذلك البرامج التي تشكل جوهر أي منظمة عسكرية أو شبه عسكرية.

تركيبة القوة تشير إلى عدد من النقاط الجوهرية .

كيف يمكن لأمة أن تدافع عن نفسها؟ .

بالطبع، فإن الأهمية والأولوية التي توليها الأمة، يجب أن تكون في تنمية القدرات العسكرية كأداة القوة للأمة وكذلك وجهة النظر الإستراتيجية,والخيارات المفضلة، وخاصة في مجال بنية الردع و نوعية القدرة الدفاعية .

ولذلك، فإن تركيبة قوة معينة يمكن أن تعطي هيئة إستراتيجية، أو حتى تحدد البنية و المحيط الاستراتيجي الموجود.

كانت السياسة العالمية – لفترات طويلة- عبارة عن رهينة معتبرة بيد الجيش الروماني من العام ٥٠٠ قبل الميلاد إلى العام ٥٠٠ للميلاد، ثم انتقلت لتصبح بيد البحرية الملكية منذ القرن الثامن عشر وحتى القرن العشرين، وللأسلحة النووية في النصف الثاني من القرن العشرين ,كاستجابة للتجارب السابقة من أن حالة عسكرية إستراتيجية يمكنها أن تحدد شكل الأحداث فيما بعد حيث قامت عدد من الدول و المنظمات في بداية القرن الحادي و العشرين بتجاهل معاهدة الأمم المتحدة الخاصة بحد انتشار الأسلحة النووية، وسعت في المقابل إلى الحصول على "القنبلة النووية" معتقدة بأنها وسيلة للوصول إلى معيار حاسم وفاصل للتأثير الدولي، ولكن تلك الدول لم تع في الحقيقة من أنها سوف تفقد ذلك المعيار في مجالات أخرى,أو تقوية وسائل رجعها و قدراتها الدفاعية في حال اشتعال الحرب, وحيث تحدد تركيبة القوة بشكل واسع, وعلى كيف ستحارب الدولة .

وعند اندلاع المعارك بين الدول، فإن القوة الدفاعية دون وجود لسلاح بحرية لن تجعل تلك الدول تحارب في البحر، بينما- في حال وجود جيش قوي – فإنها غالباً ستفضل الحرب على البر , ولكن ذلك كان قبل الحرب العالمية الثانية، وعلى الأخص في الحرب التي دارت بين ألمانيا و الاتحاد السوفييتي، وحيث تقرر وضع اسس تطوير منطقي لجيوش قوية .

وكان كلاهما قد تم اجتياحهما سابقا على البر و كلاهما حقق انتصارا على البر أيضاً .

وعلى العكس من ذلك، فلم تكن صدفة في السنوات التي قادت إلى الحرب العالمية الثانية أن تبدي الولايات المتحدة و بريطانيا اهتماما أوسع للقصف الجوي الاستراتيجي كمفهوم قتال, ولكونهما محميتين مرة بالمحيطات و مرة أخرى بالمحيطات والمسافة .

وهكذا، فإن الأمثلة عن الجيش الروماني و البحرية البريطانية و أسلحة القوى العظمى النووية تمثل تركيبة القوة المناسبة تبعاً للعصر و الظروف .

من ناحية ثانية، فإنه لا يوجد عوز في الأمثلة عن تراكيب القوة التي كانت غير مناسبة عن المتطلبات المزدوجة لتشكيل المحيط الاستراتيجي و خوض الحروب التي واجهوها .

استراليا و اندونيسيا مثلا : قضايا للدراسة .

بعد الهجوم على ميناء "بيرل هاربر" الأمريكي في شهر كانون الأول من عام ١٩٤١ و سقوط سنغافورة في شهر شباط من عام ١٩٤٢ كان الاستراليون يواجهون احتمال الغزو الياباني , والذي كان من المرجح أن يتم من البحر حصراً .

ولكن على الرغم من أن ذلك التهديد لم يكن جديداً – حيث كان معروفا بالنسبة للمخططين الدفاعيين الاستراليين منذ بدايات القرن العشرين– وهنا يمكننا أن نسأل: لماذا – في الفترة ما بين الحرب العالمية الأولى و الثانية – أنفقت أستراليا حوالي ٦٠% من ميزانية دفاعها على تأسيس قوة بحرية صغيرة باهظة الكلفة و غير فعالة,بينما كان يمكنها بهذا المال أن تؤسس قوة ضاربة جوية مهيمنة وبحجم مناسب و قوة مناسبة لهزم أي غزو محتمل ؟ .

ومن جهة أخرى، يمكن توجيه الانتقاد العام ذاته إلى التخطيط الأمني الأندونيسي في الخمسينيات و الستينيات من القرن العشرين . ولكن التهديد الأساسي للأمن القومي الأندونيسي أتى من حركات عديدة داخلية انفصالية .

وهكذا، فإن الاستثمار الأساسي في شراء قاذفات بعيدة المدى و قوة جوية و غواصات كان يبدو في بعض الأحيان غير منطقي . بل أكثر من ذلك، فقد كانت غير قادرة على إدارة هذه الأنظمة بفعالية . وفي كلا الحالتين، فإن تركيبة القوة كانت قد افتقدت للمنطق الاستراتيجي .

و بالنتيجة، فإن امتلاك وسائل الحرب الإستراتيجية لم تحقق أيما تأثير على شكل البيئة الإستراتيجية المحيطة .

و من هنا نستنتج أيضاً بأن الطريقة العقلانية لتأسيس و تركيب القوة لا بد وإنه سيتبع أحد الأسلوبين .

الفصل السادس
الولايات المتحدة الأمريكية
في فيتنام (١٩٦٥-١٩٧٣)

"كل شيء تخرّب و تلف بسرعة , أجسامهم, خيامهم , أخلاقهم، كلها أتلفتها الشمس والرياح والأمطار الموسمية و القتال في المستنقعات و الغابات قد رفعت من إنسانيتنا وذلك عندما رفعنا صمّام أمان أسلحتنا فقد كنا نحارب في أكثر النزاعات وحشية" ....

كانت عبارة "حرب البشـــــر " جملة غير منتظمة كما في أوروبة، ولكنها كانت حرب في البرية من أجل البقاء دون أحكام و قواعد , حرباً حارب فيها كل جندي من أجل حياته و حياة من معه دون أن يهتم من يقتل من أجل ذلك السبب أو كم سيكون عدد الذين سـيقتلهم دون وازع لأنه لم يعد يمتلك أيما دافع أو شـعور سـوى مشـاعر احتقار هؤلاء الذين أرادوا فرض الكفاح الوحشـي من أجل الامتيازات المتكلفة للحرب المتحضـرة .ذلك رمز الأخلاق , ساحة المعركة , الذي حاول تأسيس الحرب الإنسانية .

بدأ التدخل الأمريكي في فيتنام مباشـــرة بعد الهزيمة الفرنســـية في إقليم " بابيان فو" عام ١٩٥٤ ولم يتحقق الالتزام الكامل بالقوات المقاتلة الأمريكية إلى بعد أحد عشـــر عاماً وذلك عندما جاء جنود البحرية الأمريكية وهبطوا على اليابســـة في " دانة" عام ١٩٦٥ كما كان عدد ســـكان الأمريكيين في ذلك الحين "١٤٩ "مليوناً بينما كان عدد ســـكان فيتنام الشمالية "١٩ "مليون نسمة [١]. وهكذا، فقد جمعت القوات المسلحة الأمريكية و شمال فيتنام ما مجموعه "٢٥٢٥٦٠٠" على التوالي مضــافاً إليها الحلفاء الذين ســاهموا في القوات المقاتلة .كما أن مضـاعفة السـكان و القوات المسـلحة يقسـم مجموع القوات إلى نصفين لتصبح نسبة القوة هنا ١:٥٣ لمصلحة الولايات المتحدة [٢].

---

(١)- المنطق في التخمين النسبي لا يتطلب الحساب في حين أعطيت مصادر القوة التي قدمت للمعركة القضية في المصادر الممثلة التي يمكن أن تحرز تقدما للفوز بالحرب وعلى هذه النقطة أنظر المرجع سكلينغ (١٤٢: ١٩٦٦ _١٤٣_١٧٢)

(٢)- اذا أفترضنا لتبسيط نسبة المنافسة التي كانت فقط بين الولايات المتحدة وفيتنام الشمالية تنتقل الى ٤٩/١ لمصلحة الولايات المتحدة.

و الجدير بالذكر، فإن الولايات المتحدة لم تكرس نصف قوتها في الحقيقة في هذا النزاع و كان هذا النزاع غير متناظر، فكانت الولايات المتحدة و حلفائها هي الممثل القوي .

المسرح الفيتنامي

وهو المكان الذي ندعوه الآن فيتنام، والذي كان قد عرف بالعديد من الأسماء : "كوتشينشينا أننام" و كانت الهند الصينية هي الأبرز من بعض الأسماء للأماكن هذه ذات الحدود الملاصقة

لفيتنام المعاصرة، والتي هي الآن: الصين , لاووس , و كومبوديا .

لقد تجلى التاريخ الغني لهذه الأرض و ناسها، وبشكل خاص الصلة القوية المتجلية في تاريخ الأحداث التي تجلت في الهند الصينية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.(٣)

ولكن لا يمكن أن يستحوذ عليها بشكل كاف هنا، في حين يمكن أن نؤكد في هذا السياق على ثلاث سمات أساسية في هذه المقدمة :

- أولاً : التضاريس و مناخ فيتنام جعلته دائماً مكانا مقصودا في أي نوع من الحروب التي تجري في العالم، و على وجه الخصوص الحرب التقليدية واسعة النطاق ولهذا كانت الحرب- المهيأ لها من قبل الولايات المتحدة الأمريكية- هي الأفضل في عام ١٩٦٥ .

ففيتنام كانت صغيرة و مفتوحة الحدود بشكل لا يطاق، فهي مفتوحة الحدود إلى الغرب طويلا وكانت مستحيلة الإغلاق مع كل من "لاووس" و"كومبوديا" في حين أن الحدود إلى الشرق مفتوحة حتى خليج "توكين" في بحر الصين الجنوبي, والتي سيطرت دلتاها

النهريتين على حياة فيتنام الاقتصـــادية و الثقافية إلى الجنوب , وحيث جغرافية فيتنام قد سُيطر عليها بواسطة دلتاها النهرية في إقليم "ميكونغ" .

تحتوي فيتنام على مســتنقعات واســعة , و غابات منيعة و أنهار غير معدودة وغالبا ما تكون درجة الحرارة مرتفعة و الرطوبة عالية، وفي الحقيقة لا يمكن أن تتخيلها دون تجربتها في المرتفعات الوســطى حيث توجد التلال والوديان ذات الأمطار الغزيرة، وإلى الشـــمال هناك جبال أكثر وكلها مغطاة بغابات ذات رياح موسمية ماطرة , تقطعها وديان عميقة حيث تصب أنهار تلك الوديان في كلتا الدلتتين للنهرين الرئيسيين (الدلتا النهرية الحمراء).

- ثانياً : مؤسسات فيتنام الاجتماعية و العسكرية و السياسية التي شكلت بواسطة مناخها و تضاريسها، وكذلك من قبل الشكل السائد للزراعة وعلى الأخص : زراعة الرز الرطبة التي يعتبرها الفييتناميون كعمل تعارفي، وكنتيجة لذلك فقد طور الفيتناميون روح العمل الجماعي بشكل قوي حيث شكلت مقاومة شعبية تقليدية دفاعا عن الأرض ضد الاحتلال كما في (كارنو : ٩٨-٩٩-١٩٨٣)

- ثالثاً : كانت فييتنام قد تعرضـــت – على مر القرون– لغزوات متكررة في أغلب الاحيان، و بالإضـــافة إلى ذلك، فإن الانقســـامات العرقية الهامة التي جرت بين شمال و جنوب فيتنام كانت قد و ضـــعت على الرفّ في أغلب الاحيان خلال الغزوات الاجنبية، ولذالك، فقد كان الشعب الفيتنامي و طنياً لمئات إذا لم يكن لآلاف السنين وذلك قبل تزايد القومية في أوروبا [٤] قد أدت إلى غزوات متكررة بســـبب الكراهية لكل من الفاتحين الاجانب و التقاليد العسكرية القوية وحيث كان ذلك التقليد العسكري غالباً ما يفضل

الدفاع الغير مباشر و استغلال فوائد التضاريس و المناخ لإضعاف المحتلين الأقوياء أكثر من مقابلتهم وجها لوجه في المعارك الحامية.هنا تعيد "ستانلي كارنو" دراسة استراتيجية القرن الثالث عشر عن دفاع الفيتناميين العام ضد الاحتلال المغولي حين تم أمر الفيتناميين من قبل "تران هنغ داو" الشهير ليردوا على كل هجوم مثلا : حيث اعتمد الضباط الفتناميين كثيري العدد قبل ذلك وبعده على الطرق النقالة في الحرب البعيدة و ترك المدن و تفادى الهجمات الأمامية و التضييق على الأعداء و تشويشهم و استنزاف قواتهم و كانوا مستعدين للهجوم النهائي (كارنو , ١٩٨٣ , ١٠١) مستفيدين في تلك الاستراتيجية من المناخ و التضاريس، ولكن من غير الممكن بالمقابل أن نطلب تبني ذات الاستراتيجية في القرن التاسع عشر أثناء كفاح الفيتناميين ضد فرنسا حيث كان الأباطرة الفيتناميين وجنرالاتهم في أغلب الأحيان أكثر تحضرا فيما يتعلق بالعلاقات المباشرة مع مهاجميهم الفرنسيين، وهذا القتال كان - بشكل دائم – يعتبر خاسراً (٥).

لكن هزيمة الفيتناميين في المعركة لم تثبت بشكل حاسم في المعركة فقد كانت جزئية لأنه كان لدى الأوروبيين تكنولوجيا عسكرية تخصصت بالمعارك الرئيسية الفائزة و ذلك لإبقاء

تحكم السكان العاديين في التضاريس الوعرة و المناخ القاسي .

في عام ١٨٩٣ كان الفرنسيين - وبعد الصعوبات التي واجهوها من حيث اللغة و الكلفة الكبيرة - قد دعموا سيطرتهم لما يدعوه الهند الصينية الفرنسية : "تونكين" (فيتنام الشمالية) و"آنام" (جنوب فيتنام) و "كومبوريا" و"لاووس" ,"كوشين شينا" ثم تلا ذلك الحرب العالمية الأولى .

---

(٣) و(٤) قومية الفيتناميين لم تكن قوية بالشكل الكافي لإبقائها بأمان خلال فترة الاعتداءات الاجنبية أثناء حرب فيتنام . الشيوعيون الفيتناميون الجنوبيون كان عندهم هوية وطنية منفصلة عن هوية الشماليين ,والأمر الذي وحدهم بقوة أثناء الحرب كان وجود الأجانب الذين أثروا في تربتهم .

(٥)- حدث هذا في الاجراء الكبير لأنه في القتال السابق بين شمال "ترين" و جنوب "نجين" باعت فرنسا أسلحة حديثة لكلا الطرفين و من الأسلحة الحديثة (بناء حد لتحميل الرصاص) و أكسب ذلك وسائل و استراتيجيات مواجهة خصومهم مباشرة .

و هذا ما أثبت خطورة الأمر حيث أصبحت تستطيع هزيمة القوات الفرنسية الصغيرة كما تستطيع هزيمة قوات مشابهة مسلحة و متدربة بنفس الطريقة شحذت هذه المجموعات مهارات تمردهم ضد الاحتلال الياباني و أثناء هذا الوقت كان وضع الولايات المتحدة كحليف أساسي بنهاية ١٩٤٤ وكانت مقاومة الفيتناميين تحت قيادة" هاو" و حلفاءه الذين أصبحوا مزعجين بما فيه الكفاية فقررت اليابان منح استقلال الفيتنام تحت حكم شكلي.

وهذا ما دث لاحقاً حين وافق مثقفون آسـيويون بمن فيهم (هوتشـي منه) رغبة الرئيس الأمريكي و واللورد "ويلسون" بالدفاع في "فيرساي" عن حق تقرير المصير كدواء للحروب المستقبلية.

كان "هاو" و آخرين في آسـيا قد انتظروا النهاية الإسـتعمارية بلهفة، ولكن عندما رفض المنتصـرين (بريطانيا – فرنسـا) تفكيك أمبراطوريتهم الآسـيوية بدأت جمعيات سـرية و مجموعات ثورية بالتشكل من جديد .

ولكن في عام ١٩٣٠ قامت فرنسـا بقمعها بقسـوة مما أدى إلى انتفاضـة قومية في خليج "ألين" شمال العاصمة "سايجون" .

من جهة ثانية، وعلى خلاف ذلك، وبمكان آخر في آسـيا، فإن القمع الفرنسـي في فيتنام قد نجح في توحيد صـفوف خصـومهم، وهذا القمع الوحشـي في بعض الأحيان قد منح حوافز أقوى لمقاومة الحكم الفرنسي.

وكان ذلك مثيلاً لما حدث في الصين حين ميز "هاو"الفرصة المعطاة من قبل الغزو الياباني للهند الصينية وأعاد تنظيم الحزب الشيوعي الهندي الصيني لكي يستفيد من القوة الفيتنامية وليصيغ تحالفاً واسعاً وقادراً على إيذاء اليابانيين بشكل خطير في فيتنام .

وكنتيجة لذلك، فقد أصـبح العديد من هذه المجموعات خفية منتسـبين أو متحدين مع الحزب الشيوعي الصيني.

كان "هاو" وآخرين في آسـيا قد انتظروا النهاية الاسـتعمارية بلهفة، ولكن عندما رفض المنتصرين ذلك، أعلن الأمبراطور الفيتنامي "باو داي" في شهر آذار من عام ١٩٤٥

استقلال فيتنام , لكن هذا الحكم لم يستمر طويلا .ففي شهر آب – على افتراض أن ادعاءات "هاو" كانت قد لاقت أحلافاً لتدعمه لقيادة فيتنام، فقد تنازل الإمبراطور "باو داي " و سلم زمام السيطرة في فيتنام إلى "هوتشي منه" الذي أعلن الجمهورية الديموقراطية لفيتنام في شهر أيلول من عام ١٩٤٥ .

وهكذا، بدأت حرب الهند الصينية الأولى في عام ١٩٤٦ بعد عودة الفرنسيين إلى فيتنام , و لاووس, وكمبوريا، وكانت تلك محاولة فرنسا الفاشلة لإعادة غزو فيتنام و تهدئتها , وبث الدسائس لها في مؤتمر جنيف عام ١٩٥٤ الذي عقد من أجل تقرير مصير الهند الصينية، حيث اعتبر هذا من الحماقات الاقتصادية و السياسية (على كلا الجانبين) التي تلت مؤتمر جنيف حيث أثار اهتمام العامة، ولكن لا يوجد هنا مكان لعودة الاحتلال الفرنسي لفييتنام .

ولكن، فعلى أية حال، يمكن هنا الاستفادة من بعض النقاط المهمة لكل تجربة :

- أولاً : بحلول عام ١٩٤٥ كانت المقاومة الفيتنامية في ظل الحكم الفرنسي قد أصبحت حقاً قومياً واسع الانتشار بحيث لم يستطع الفرنسيون أن يعترفوا بأنهم كانوا متأخرين جدا في الفوز بالقلوب و العقول وبشكل كاف لإعادة احتلال الهند الصينية بما فيها العقول المفكرة .

ومن جهة أخرى، فإن احتلال اليابان كان قد صاغ مقاومة وطنية، ولا يمكن لتلك المقاومة أن تنحل بسهولة كما انحلت قبل الحرب و هذا كان على نقيض ما كانت قد قدرته أمريكا في ذلك الوقت, فالقوات العسكرية الفرنسية كانت إجمالاً مدربة و مجهزة جيدا و

مقادة بشـــكل ماهر لكن لم تكن أعدادها كافية أبدا لتقمع مقاومة الفيتناميين للحكم الفرنسي فقد كان كفاح الفرنسيين و جهودهم دون جدوى لهزيمة "فيث مينه" .

وهنا كان على الولايات المتحدة أن تتنبّأ – بشـــكل مخيف– وأن تكافح لإنجاز الهدف المحدود لدرجة تضمن فيها جنوب فيتنام .

- ثانياً: غدت الجمهورية الديموقراطية الفيتنامية معتدة بنفســـها وبشـــكل كبير من قبل"زهو إينليا" وعلى طاولة المفاوضـات في جنيف– بعيدا عن فيتنام الموحدة – شـعرت الجمهورية الديموقراطية الفيتنامية بأن الكســـب على ســـاحة المعركة ســـيتلو نصـــرها على الفرنسـيين في "ديان بيان فو" حيث كانت المفاوضـات بين الصـين و فرنسـا سـرية لإجبار الجمهورية الديموقراطية الفيتنامية على قبول كلاً من التقســـيم و تأخير الانتخابات لتقرير مصـــير فيتنام النهائي أما المفاوضـــات الأخرى فتكمن في تدخل "مولوثون" من الاتحاد الســوفيتي والتي أجبرت على تقســيم متواز، وتم تحديد تاريخ للإنتخابات في صـــيف عام ١٩٥٦.

- **عشية الحرب : المصالح الفيتنامية الشمالية**

من عام ١٩٤٥ حتى نهاية حرب الهند الصينية الثانية (فيتنام)

في عام ١٩٧٥ بقيت مصالح الجمهورية الديموقراطية الفيتنامية بدون تغير و هذا ما ساق كـل الأجـانـب من فيتنـام ووحـد البلاد تحـت الحكم الفيتنـامي منـذ اعتبـار الجمهوريـة الديموقراطية الفيتنامية أولئك الذين يعملون مع الولايات المتحدة الأجانب كخونة و هذا يعني التصفية لمعظم حكومة جنوب فيتنام و جيشه.

مع حلول عام ١٩٥٩ كانت الجمهورية الديموقراطية الفيتنامية قد غيرت اهتمامها من التهيج السياسي إلى التحضير للحرب حيث أرسلت أكثر من "٤٠٠٠" جندي إلى الجنوب و بدأت بتشكيلات رسمية وسميت لاحقا أسلوب بإسلوب "هاوتشي منه" و لم يكن الطريق المزود بالامدادات سهلا وعلى الأخص الذي يصل بين الشمال و الجنوب عبر لاووس و كمبوديا و بدأ بتهريب الأسلحة أيضا إلى الجنوب عن طريق البحر .

و بحلول عام ١٩٦١ بدأت قوات الجبهة الوطنية التحريرية الفيتنامية بتصعيد الهجمات ضد حكومة "ديم" في الجنوب وارتفعت مع ذلك اغتيالات زعماء القرى و المسؤولين الإقليميين وقد وصل العدد إلى ١٢٠٠ قتيل في السنة ثم ارتفع في عام ١٩٥٩ إلى ٤٠٠٠ قتيل .

وفي المقابل،فقد أثارهم استبدال "ديم" بالرجال العسكريين الأفياء له، ولكن الجاهلين في المجتمعات المحلية لمهام هؤلاء الجنود هم الذين يجب عليهم خدمة البلد وحمايته، وفي عام ١٩٦٣ كانت الجمهورية الديمقراطية الفيتنامية وقوات الجبهة الوطنية التحررية الفيتنامية قد بدأت بأعمال عدوانية واسعة النطاق ضد فيتنام – التي أصبحت منذ الآن حكومة فيتنام– وفي شهر كانون الثاني كانت خطط الهجوم على قوات الجبهة الوطنية التحررية الفيتنامية قد نشرت في وكالة الأنباء الأميركية على أساس أنها خط ناجحة وجيدة النتائج، ولكن هذه الخطة كانت قد خرجت – بشكل منحرف تماما– عن منهجها . بينما رفض جنود الجمهورية الديمقراطية الفيتنامية عملياً ان يحاربوا، وضربوا بشدة من قبل قوات الجبهة الوطنية التحررية الفيتنامية .

وهكذا، فقد ظلت الجمهورية الوطنية التحررية الفيتنامية عشـية حرب الهند الصـينية الثانية منفعلة بتوحيد فيتنام تحت الحكم الفيتنامي .

ومن اجـل تحقيق هـذا الهـدف، فقـد امتلكـت الجمهوريـة الـديمقراطيـة الفيتنـاميـة قوتان مسلحتان متميزتان وهما الجيش التقليدي الشمالي وجيش حروب العصابات الوطني.

بقيت طبيعة الزعيم "ديم" القتالية موضـــوعاً للجدل الى يومنا هذا ويدعي بعض علماء تلك الفترة بأن "ديم" كان مستبداً أو غريب الأطوار، ولكن تقييم شخصية "ديم" كان غير عادل كما أُذيع عنه من قبل الصـــحفين الأمريكيين، بينما كان أكثرهم يميزونه على أنه فيتنامي قومي حقيقي .

عشية الحرب : مصالح حكومة الفيتنام الجنوبية

كانت حكومة فيتنام منذ بداية عام ١٩٥٥ على الطريق لتصـــبح مرادفة لتطلعات "إنغو دين ديم" ولكون حكومة فيتنام كانت محكومة بقبضـة حديدية لرجل واحد هو "هو شـي منه" وهو ما أوخذت عليه واعتبرت كانتقـاد، ولكن هـذا النقـد إن تم، فإنه لا يمكن أن يكون بمنأى عن حكومة فيتنام تحت قيادة "ديم" .

إن المدى الذي جعل من ذلك حقيقة، يجعله أبسـط لتوضـيح لماذا فيتنام توحدت بأقصـى الدرجات تحت جمهورية فييتنام الديمقراطية، وليس تحت قيادة حكومة فيتنام ؛ ولذلك، فإن "ديم" وطبيعة قيادته تبقى مواضيع مثيرة للجدل حتى يومنا هذا.

ثمة قلة من الباحثين في فترة الادعاءات زعموا بأن صورة "ديم" كشخص ارستقراطي مستبد كانت صورة كاريكاتيرية غير عادلة، والتي صدرت من قبل الصحفيين الأمركيين، بينما

أكثر ما يمكن وصفه ضمن مواطنيه هو كوطني فيتنامي؛ وكرجل مقتنع بشكل كبير باستقلالياته وتأمينه لمستقبل غير شيوعي لفيتنام.

و نتيجة لذلك, فقد كانت أولويات "ديم" في عشية الحرب تكمن في استمرارية دور الحكم الفيتنامي ولكن ليس كما كان حلفاؤه في الولايات المتحدة يأملون في استمرارية فيتنام الجنوبية والحفاظ على قيمتها وأمنها واستقلاليتها من الحكم الشيوعي (غالباً ما كان الهدفان مختلفان، لكن "ديم" لم يستطع إدراك الفرق).

كان اهتمام "ديم" بتأمين تحكمه الشخصي بفيتنام (الجنوبية أولاً وبعدها فيتنام الشمالية) قد قاده لإعادة بناء مستقرة وثابتة لحكومة فيتنام وجيشها في الوقت الذي كان فيه الوزراء والضباط يتقدمون بشكل كبير اعتمادا على ولائهم له أو على حقد مكنون ضد العدو أكثر من درجتهم أو خبرتهم العسكرية او القتالية.

وفي العقد الذي يمتد من اتفاقية جنيف حتى عشية الحرب الهندية الصينية الثانية، فقد كان له التأثير المناسب للتقليل من مقدرات جيش حكومة فيتنام إلى النقطة التي كانت فيه قادرة فقط على الضغط ضد المواجهات المحلية وتأمين "ديم" ضد مكائد خصومه في الجنوب . وقد كان ذلك جلياً للولايات المتحدة في الكارثة التي حصلت في مقاطعة (أب باك) في عام ١٩٦٣ .

ولاحقاً ، كان نجاح "ديم " واضحاً في تأمين موارد حكمه واعتبارها كأولى تهديداته.

وتحت تهديد الهجومات الحقيقية و المتصاعدة من قبل جمهورية فيتنام الديمقراطية, فقد كان "ديم" غالباً ما يرد بالقمع الوحشي – على الملأ – للمعارضة و ذلك ما أضعف من دفاعات جنوب فيتنام.

وبحلول عام ١٩٦٣ فحتى بعض الضباط الموالين كانوا من ذوي الاهتمامات القليله في المخاطره بحياتهم في (المغامرة) ضد الجبهه التحريريه الوطنيه الفيتناميه في دلتا نهر "ميكونغ" وكان هؤلاء مدركين من أن السماح "لديم" بالاستمرار في غيّه قد يعني تدمير فيتنام الجنوبيه، وقد يؤدي إلى تدميرهم ايضاً على يد جمهوريه فيتنام الديمقراطية

كان إعادة هيكلة "ديم" للحكومة الفيتنامية قد اتخذ افضل جزء من العقد، وبحلول اوائل عام ١٩٦٠ كان الدبلوماسيين الأمريكيين والمستشارين العسكريين قد ادركوا بأن الامر قد يستغرق أكثر من عشر سنوات من العمل الشاق لاعادة بناء حكومه فيتناميه قادره على الحصول على دعم جماهيري واسع وهو شرط ضروري ومسبق لخوض وكسب الحرب ضد عدو متفاني ,ذو موارد رئيسيه متجددة ,و ما سيتطلبه – على نحو متزايد – من المهاره ,ولذلك، فقد كان قرار طرد "ديم" مثيرا للجدل في ذلك الوقت.

وفي المقابل، فقد انتقد البعض في ادارة "جون كندي" القائد "ديم" وعلى الأخص فيما يتعلق بإجراءات "ديم" القمعيه التي كانت قد اصبحت بؤرة لغضب الشعب الفيتنامي المكبوت للغاية، ولكن بمن سيتم استبداله ؟ وما هو التغيير الايجابي الذي سيجريه بديله ؟ قتل "ديم" في الأول من شهر تشرين الثاني /نوفمبر من عام ١٩٦٣ واستبدل "بناين خانا"الذي سرعان ما بدأ بالعمل الصعب وهو استبدال الحكومه الفيتناميه وانشاء تحالف من قوات اجتماعيه واقتصاديه قادره على الدفاع بشكل فعال ضد الجبهة التحرريه الوطنيه الفيتناميه ,ولكن على كل حال , فقد كان من اهم أولويات "ناين خانا" هي حمايه حكمه، ولذلك، فقد استمر الفساد وعدم الكفاءه مما دفع الولايات المتحده – تحت

قياده الرئيس لندون بنس جونسون – لفرض المزيد من التصعيد والدعم الذي من شأنه ان يبدأ مع موافقه الرئيس على العمليات السريه والتجسس والتخريب ضد جمهوريه فيتنام الديمقراطيه وفي النهايه على التزامات القوات الامريكيه القتاليه في شهر آذار/ مارس من عام ١٩٦٥.

عشية الحرب ومصالح الولايات المتحدة:

لا تزال مصالح الولايات المتحدة في نتيجة الحرب بين جمهوريه فيتنام الديمقراطيه والحكومه الفيتناميه تبقى مصدر خلاف حتى اليوم وتحت أبسط الشروط, وعلى كل، فإن هناك ثمة اتفاق واسع حول ثلاث جوانب رئيسية :

- أولاً : مصالح الولايات المتحدة في فيتنام كانت متمثله في مصالح سياسيه شخصيه لرجل واحد وهو الرئيس الأمريكي "لندن جونسون" فقد كان طموح جونسون الحقيقي كرئيس هو تمرير مجموعه من برامج اجتماعيه، وكان قد لقبها (بالمجتمع العظيم).

أصبح "جونسون" رئيساً للولايات المتحدة في عام ١٩٦٣ بعد اغتيال الرئيس "جون كيندي" في ولاية "دالاس" والذي شرع على الفور بالعمل على انتخاباته كرئيس في شهر تشرين الثاني /نوفمبر من عام ١٩٦٤ على الرغم من أن "جونسون" كان على علم مسبق من ان اغتيال الرئيس "كندي" كان قد خطط له لسحب "١٦٠٠٠" مستشار عسكري بريطاني، وكان اغتيال "ديم" قد وضع هذه الخطط في الانتظار في حين قام فريق الأمن القومي الرئاسي بإعادة تقييم التكاليف والفوائد المترتبة على الانسحاب من فيتنام.

وعلاوة على ذلك، فقد كان الرئيس "جونسون"يدرك جيدا أن منافسه الرئيسي، المرشح الجمهوري السناتور "باري كولد ووتر"سيهاجمه ك "الليبرالي" الذي كان ليناً للدفاع.

و لهذا السبب وحده، فقد تابع "جونسون"دعم عمل عسكري ضد جمهورية فييتنام الديمقراطية بسرية، بما فيها السرية العسكرية وعمليات التجسس والتخريب ضد المنشآت العسكرية لجمهورية فييتنام الديمقراطية.[٦]. وكان هدفه السياسي الحالي تقديم الدعم الكافي لتحقيق الاستقرار في فيتنام والدفاع عنها ضد اتهامات كولد ووتر بأنه كان لينا على الشيوعية. وانتخب مرة واحدة، وانه يعتزم إعادة تقييم فيتنام : ربما تصعيد التزام الولايات المتحدة أو ربما هندسة الانسحاب.

- ثانياً :لم تكن الولايات المتحدة مهتمة أبداً في السعي المباشر للاطاحة بجمهورية فييتنام الديمقراطية. في حين يظل المحتوى مع فيتنام مقسماً عبر المنطقة منزوعة السلاح تماما كما تم تقسيمكوريا وذلك لنفس السبب وهو أنها تخشى من دخول الصين الى الحرب، والى تصعيد محتمل، كما وصفها "جونسون" : "بالحرب العالمية الثالثة".

---

(٦)- كانت تلك العمليات صدفة بشكل حادثي لعملية التخريب ضد جمهورية فيتنام الديمقراطية، بما فيها تجسس الكتروني فائق السرية تم إسنادها إلى السفينة مادوكس وهذا قد كان أول حادث في خليج تونكين في ٢ أب ١٩٦٤ حيث حاولت ثلاث قوارب دورية فيتنامية مهاجمة السفينة مادوكس بالطوربيدات ولكنهم أبعدوا وبأضرار ثانوية . هجوم ثان تم شنه حيث خطط له في ٤ أب ولكن بعد تحاليل ومعلومات أجل إلى ٧ أب .

كانت مصالح الولايات المتحدة الامريكية بهذا المعنى وفقط بذا المعنى موصوفة بشكل دقيق كمصـالح (محدودة). ولكن في عام ١٩٦٥ رأت الولايات المتحدة أن نجاة حكومة فييتنام يستحق القتال والموت في سبيله,وتحت الظروف التي كانت مقتنعة بها على أنها :

١- لن تكون تلك الحرب باهظة الكلفة .

٢- في دعم النظرية القائلة ان سـقوط حكومة فييتنام كان من المرجح أن يقود الى انهيار منظمات غير شـيوعية أخرى في اسـيا الجنوبية ,ولربما شملت الصـين والهند وهددت مصالح حيوية للولايات المتحدة في اوروبا و نصف الكرة الغربي [٧].

- ثالثاً: نشـر القوات الامريكية القتالية الى "دا نانغ" في عام ١٩٦٥ وكان من رأي الرئيس حيث عبور العتبة،ولكن ليس الى درجة فوات الأوان ويبدو واضـحا جداً حتى اليوم. كما يمكن أن يحدث عدة مرات لاحقاً، في الوقت الذي كان فيه الرئيس "جونسون" ومستشاريه يحاولون استخدام القوات العسـكرية الامريكية لارسـال رسـائل واضـحة و دقيقة الى كوريا الشـمالية مفادها: "نحن لا نسـعى لإسـقاطكم ولكن نرفض السـماح بدعمكم للعدوان ضـد حكومة الفييتنام "في حين لم يفهم بالكامل مدى السوء الذي ستترجم به هذه الرسالة. على الرغم من القناعة الأمريكية بأن رسائل القوة هذه كانت دائماً ضـرورية ومحدودة للتصـعيد الذي من المرجح أن يسـفر عنها ولكونها سـريعة النتائج السياسية الإيجابية.

ولكن، وعندما لم يستجيبوا لتلك الرسالة، قام الرئيس وفريقه باعتماد ذلك كإجابة – وليس عن

(٧)- بعد عام ١٩٦٨ ظهر بشـكل متزايد أن بقاء حكومة فيتنام لم يسـتحق كلفة حمايتها ولكن عندها الولايات المتحدة وجهة نظر عقلانية أخرى للبقاء. قالت الولايات المتحدة بأن حكومة فييتام سـتصـمد وحتى هؤلاء في الإدارة أدركوا عقم فائدة الجدال و وافقوا على أن فشل الولايات المتحدة في فيتنام الجنوبية سيهدد مصالحها الحيوية بشكل أخر في مناطق اخرى من العالم.

طريق التشكيك في عملية التواصل - بل عن طريق استخدام الضربات العسكرية كوسيلة إرسال بطريقة أخرى "لتوضيح" الرسالة. وعموماً، فقد ذهبت الولايات المتحدة إلى الحرب في فيتنام لتحقيق الاستقرار ومنع تشكل حلف ما، وما تعتقد - بعد ذلك- أنه الخطوة الأولى في الاستلهام السوفياتي، والصين التي تدعمها، والاستيلاء على الحكم الشيوعي في جنوب شرق آسيا.

في عام ١٩٦٥، كان الرئيس "جونسون" يعتقد بأن القوة العسكرية الامريكية والتكنولوجيا يمكن أن

تجعل من الممكن تأمين حكومة فيتنام بدون تصعيد كبير أو الحاجة لإعلان حرب. فلديها سلطة معاقبة حكومة فيتنام من الجو وتدمير الاستثمار الرأسمالي على الأرض، في الوقت الذي كان فيه معظم العاملين البارزين في الادارة الاميركية يعتبرون انها المسألة الوحيدة التي لم تحل بعد، ولذلك، سرعان ما رست نزلت قوات المارينز في ميناء "دا نانغ" وهنا يبرز السؤال : ترى، كم من أساليب العقاب سوف تتخذ وتنفذ قبل الدعوة للانسحاب في الجنوب؟ " (مولر، ٥٠٠: ١٩٨٠).

حرب فيتنام

تعتبر الحرب الفيتنامية واحدة من أكثر الارتباطات السياسية العسكرية تعقيدا في القرن الأخير. فالتدخل العسكري للولايات المتحدة، على سبيل المثال، قد تضمّن أربع استراتيجيات متفاعلة ومرتبطة ببعضها:

١) - البربرية (الرعد القاصف) ضد الدفاع التقليدي

٢)- الهجوم التقليدي ضد الدفاع التقليدي (حرب وحدات القوة الأساسية).

٣)- الهجوم التقليدي ضد استراتيجية حرب العصابات(حرب العصابات الأولى في الجنوب).

٤) - البربرية ضد استراتيجية حرب العصابات (حرب العصابات االثانية في الجنوب).

التفاعل الأول : الرعد القاصف (١٩٦٥- ١٩٦٧)

بدأ التفاعل الاستراتيجي الأول للحرب في شهر أذار من عام ١٩٦٥ مع استراتيجية الولايات المتحدة بحملة التفجير القاسية والتي سميت لاحقاً "الرعد القاصف" (١٠) والتي كان هدفها الاساسي هو تدمير الإرادة في فيتنام الشمالية لدعم حرب العصابات في جنوب فيتنام وكما كان متوقعاً فقد استغرقت الحملة وقتاً.

ولكن، بدلاً من القيام بالحملة الجوية المنسـقة - والتي من شـأنها تدمير قدرة العدو على شـن الحرب وكسـر إرادته في مقاومة العمليات الجوية التي سـتشـن على الشـمال- فقد صـممت لتكون كأداة إشـارة دبلوماسـية يعتمد على "الضـغط البطيء" وحسـب وزير الدفاع آنذاك"روبرت ماكنمارا" في الثالث من شـهر شباط /فبراير من عام ١٩٦٦ الذي قال: " أهداف الولايات المتحدة لم تكن لتدمير أو لإسـقاط الحكومة الشـيوعية في شمال فيتنام، ولكنها تقتصـر على تدمير التمرد والعدوان الموجه من قبل المؤسـسـات السـياسـية لفييتنام الجنوبية." سامرز (١٩٩٥ : ٩٦).

أرادت الولايات المتحدة ممارسـة ما يكفي من الألم على فيتنام الشـمالية لحملها على وقف دعم

الجبهة التحررية الوطنية الفيتنامية "الفيتكونغ" (Viet Cong) في الجنوب.في المقابل، فقد كان دفاع شمال فيتنام ضد "الرعد القاصف" دفاعاً تقليدياً: فهو يسعى لإحباط الهجمات العسكرية الأمريكية على البنية التحتية والقوات وذلك بواسطة الطائرات المقاتلة، والرادار وشبكة صواريخ أرض- جو الدفاعية التي زودت بها من قبل السوفييت.

كان جنرالات سلاح الجو الأميركي والقادة المدنيين قد اشتركوا بنظرية واحدة حول الفعالية العامة لاستراتيجية القصف كإستراتيجية. فالقصف الاستراتيجي ينبغي أن يكون قد عرقل كل من الجهود الحربية لفيتنام الشمالية (الاعتراض) وإكراه قيادتها على الإستسلام (الألم) و توقع – في حالة عدم الحصول على أي من التوقعين- استقباله، في الوقت الذي تواجه فيه النخبة العسكرية والمدنية خياراً قاسياً : إما رفض النظرية، أو عدم إلقاء اللوم على بعض العيوب في تطبيقها.

وهكذا، فقد اختارت القوات الجوية التأكيد على العيوب، في حين كانت إدارة الرئيس "جونسون" قد أصبحت منقسمة وإن بشكل متراجع حيث وافق البعض على أن الولايات المتحدة كانت تضرب الأهداف الخطأ، أو عدم ضرب الهدف الصحيح بقوة كافية،في حين أن القادة الآخرين- بمن فيهم وزير الدفاع ماكنمارا في النهاية – قد استنتجوا أن القصف الاستراتيجي ضد مليشيات (DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية) وفي جمهورية أفغانستان الديمقراطية لم يتمكن من العمل.

كانت تقارير "مكنمارا" تشـــير إلى أن القيمة العســـكرية للأهداف المدمرة لعملية "الرعد القاصف" كانت صفراً (٩) في حين كانت الأضرار الجانبية المقبولة اللاحقة لهذا الاعتراف تكمن في أن هناك ثمة مكان للصـدارة للتصـرف الهمجي في مقتل وإصـابة الأفراد المدنيين وغير المحاربين وممتلكاتهم وعلى الرغم من أنها لم تكن مقصـــودة على وجه التحديد،إلا أنها كانت منفذة بشكل جماعي متعمدة و ممنهج.

---

(٨) –كانت حجة "بيب" عموماً تتلخص بأنه متى تُستعمل قوة سلاح جوي لاستهداف قوات خصم مسلحة , فإنها عموماً تربح,وعندما تستعمل لاستهداف قيم الخصم (تتضمن البنية الداخلية) فإنها عموماً تفشل إلى حد أنها تبدو كعقاب و نكران يمثل نظرات استراتيجية مباشرة و غير مباشرة , على التوالي , نزاع بيب , و ميرشيميير(١٩٨٣) قبل و بعد إزالة الألغام , حجة للتأثير السببي المستقل الاستراتيجي على نتائج النزاع (انظر أيضاً مايو ٢٠٠٠) حيث يشرح مايو هزيمة فرنسا في عام ١٩٤٠ كوظيفة التفاعل الاستراتيجي : حيث أن الألمان كان لديهم ببساطة استراتيجية أفضل .

(٩) – الفائدة الســياســية تقدر بأقل من الصــفر : فقد زادت المعارضــة الداخلية و الخارجية للمجهود الحربي الأميركي، وعلى الرغم من أن شمال فيتنام خشـــي و كره القصـــف، لكنه لم يفكر أبدا في تغيير أهدافه الحربية نتيجة للمعاناة غير المحتملة التي سببتها.

كنت عملية "الرعد القاصف" قد استمرت حتى قبل أسبوع واحد من انتخابات الرئاسة الامريكية في شهر تشرين الثاني / نوفمبر من عام ١٩٦٨. وقد كان التفاعل يتلخص بكونه قد وظف الطرف القوي (الولايات المتحدة) كاستراتيجية غير مباشرة ضد الطرف الضعيف (فيتنام الشمالية) التي كانت تستخدم استراتيجية مباشرة،ولكنها خاسرة [١٠].

التفاعل الثاني : حرب قوة الوحدة الرئيسية (١٩٦٥-١٩٦٩)

كانت حرب وحدات القوة الرئيسية قد عرضت سلسلة من معارك ضارية بين وحدات نظامية من فيتنام الشمالية و من الولايات المتحدة الأمريكية و الجيش الجنوبي للفيتنام (ARVN). ففي سلسلة من الاشتباكات التي استمرت طوال فترة الحرب، كانت القوات الامريكية قد اثبتت نجاحا ساحقاً في تدمير الوحدات الرئيسية للثوار (VC) و للجبهة الوطنية التحررية الفيتنامية (NVAجيش فيتنام الشمالي) و لجيش فيتنام الشمالي على حد سواء .و يعتبر ذلك المثال من الأمثلة الجلية على هذا التفاعل الذي عارض استراتيجية الطرف القوي التقليدية مع استراتيجية الطرف الضعيف التقليدية, والتي شملت عملية "ستيرلينغ" في شهر آب / أغسطس من عام ١٩٦٥، ومعركة "لا درانغ"في شهري تشرين الأول / أكتوبر و تشرين الثاني / نوفمبر من عام ١٩٦٥،ومعركة "هراسة الجناح الأبيض في شهر ي كانون الثاني /يناير وآذار / مارس من عام ١٩٦٦، والمرحلة الثانية من عملية " آتليبورو"ي شهري تشرين الأول / أكتوبر وتشرين الثاني / نوفمبر من عام ١٩٦٦.[١١]

---

(١٠)- لا أحد من المشاركين في الحملة على الجانب الامريكى قد اعتبر عملية "الرعد القاصف" ناجحة، على الرغم من أنه من الإنصاف القول إن الأسباب المقترحة لتفسير فشل الحملة كانت عديدة ومثيرة للجدل. من وجهة النظر العسكرية، لكن الإجماع كان ان الحملة فشلت لأنها أخطأت في الوسائل العسكرية والسياسية لهذه الغاية. وللاطلاع على مزيد من المناقشة والتحليل الدقيق لعملية الرعد القاصف الهدف والأثر، انظر على سبيل المثال، طومسون (١٩٨٠) ؛ هيرينغ (١٩٨٦ : ١٤٧) ؛كولد فيلتر ؛ وبيب (١١)- هذه الأمثلة جيء بها من سامرز (١٩٩٥) و مارك ليبسون (١٩٩٩).

لمكافحة التمرد. كما استمرت الحرب البرية لعام ١٩٦٨، ثم تضاءلت وتيرة هذه التفاعلات، في حين ركزت القوات الامريكية في الجنوب وبشكل متزايد على معالجة مشكلة جزء من انخفاض وتيرة هذا التفاعل التي عكست عملية تعلم الطرف:

حللت قيادة فيتنام الشمالية ارتباطات وحدة القوى الرئيسية باعتناء، وخلصت إلى أن القوات الامريكية كانت بارعة في الجمع بين المناورة وقوة النيران التي، ما لم تحصل المواجهة بين القوات المزروعة بشكل كبير (في منطقة الهبوط الثاني في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦٥) حيث كانت وحدات القوة الرئيسية للجبهة التحريرية الوطنية الفيتنامية (VC) و جيش فيتنام الشمالية (NVAجيش فيتنام الشمالي) يتم تدميرها بشكل دائم.

وفي سياق تحذيرات "مايو" أعلاه, فإن القوى المحلية الوطنية كانت تقاتل بأسلحة قديمة وغير فعالة، وهكذا، و مثل ما كان متوقعاً، فقد خسروا.

استناداً على أسس عملية "الرعد القاصف" والتي حققت هدفها في إلحاق ضرر إضافي بالمدنيين وبالأشخاص غير المحاربين , في الوقت الذي يرى فيه "كارنو " (١٩٨٣: ٣٩٧-٤٥٨)

بأن ذلك لم ينظر إليه كمانع أخلاقي نسبي للأمريكيين أثناء عملية "الرعد القاصف" "كارنو"

(١٩٨٣-٦٥٣) ولتكريس تحليل عملية "الرعد القاصف"وفشلها , يرى "ثومبسون" (١٩٨٠) الموضوع من نفس الزاوية وهو أن الأمريكيين لم يكونوا يكترثون كثيراً لما يدعى بالنوازع الأخلاقية في الحرب أو يفرقون بين المدنيين العزل وبين المحاربين، وذلك لمعالجة النظرية التي تتوقع فرضية التفاعل الاستراتيجية.

في حين يرى "بيب" أن تلك العملية كانت خاسـرة في هذا التفاعل، ومن ناحية أخرى، فقد كانت كوريا الشمالية قد بدأت بمشاريع الابتكار التكتيكي و ما يتعلق بالاستراتيجيا. فعلى المســتوى التكتيكي، حاولت وحدات NVAجيش فيتنام الشـمالي من جيش فيتنام الشمالي "التمسك بحزام" الولايات المتحدة او بقوات ARVN "كارنو "٤٦٣-١٩٨٤ والتقرب منها بسـرعة بحيث ان قوات التحالف لا تسـتطيع الاسـتفادة من وثيقة الدعم الجوي أو المدفعية. ومن الناحية الاسـتراتيجية، فقد كان للتنقل نحو الشـمال ميزات أفضل لموارده في حرب عصابات في الجنوب.

التفاعل الثالث:حرب العصابات في الجنوب ١٩٦٥ -١٩٧٣

شن الفدائيون في الجنوب حملتهم بمهارة كبيرة وقاوموا بمزيج من المهارات والسادية والعجز. ومن هنا، فإننا نجد في هذا البعد للصراع أن الجهود الامريكية قد بذلت بشدة اكثر من أي حملة اخرى ولكنها كانت قد كُبحت من خلال الحكومة الفيتنامية (١٢) ولكن في المناطق التي كان الجيش الأمريكي مسؤولاً عنها، كانت المحاولات الاولى لهزيمة التمرد في الحكومة الفيتنامية تتضمن تحطيم المهمات.

---

(١٢)- كان التأثير العشوائي للجيش الاميركي بشدة على المدفعية والدعم الجوي بشكل مستمر وبتقدم تدريجي مع امكانية عزل الحلفاء بين الناس الموجودين جنوب فيتنام على أي حال فإن القوات الامريكية الخاسرة لم تكن بطيئة لابتداع رد الاستراتيجية .وقد سـجل الاداء لوحدة (ARUN) مختل فبعض ضـباطها كانوا يمتدحون شـجاعتهم ومهارتهم وولائهم بينما كثيرا منهم فقط عبروا عن عجزهم وجبنهم وتقاضيهم للرشى أنظر مثلا كارنو _١٩٨٣_٤٤١ فصول صيف ١٩٩٥:٨٠).

ثانياً – على الرغم من الفعالية العســكرية, نجحت كاب (CAP) فقط بإلقاء الضــوء على عجز حكومة جنوب فيتنام بحماية مواطنيها.ولذلك، خسـرت الولايات المتحدة الأمريكية هذا التفاعل و قوى المحاربة دربت وجهزت لمحاربة خصـمها المنظم ذو البدلة الموحدة مسـتخدما لاسـلحة النارية الهائلة ليس كعدو خفي والرافض بان يقابلها بالمعركة الصـدمة الغيير متوقعة للجيش الامريكي والجيش الفيتنامي هي الثقة الواسعة بالمدفعية والدعم الجوي تدريجيا حول الحلف الكامن مع سكان فيتنام الجنوبيين ومع ذك القوات الاميركية سوف تبتكر استراتيجية الرد.

وفي اسلوب التمرد وحدات الجيش المنظمة، فقد كانت تتصرف وفق الاستخبارات المحلية التي كانت تحدد مكان تجمعات وحدة العدو بحيث تتوصـــل لهذه التجمعات وتحطمها فتضمن بذلك مناطق آمنة واسعة النطاق، وكانت من ضمن عمليات هذه المرحلة عملية "اتليبور" في شهري أيلول وتشرين الاول من عام ١٩٦٥وسقوط عملية "سيدر" في شهر كانون الثاني من عام ١٩٦٧وعملية مدينة "جمكش" في شـــهري شـــباطو أيار من عام ١٩٦٧و بذلك تكون المواجهة قد حررت نفسها على مقياس أصغر في كافة انحاء الحرب .

كانت القوات تقتل من كلا الجانبين,و لذلك، فقد انتقل ميزان الحرب الاستراتيجي ببطء لصالح الحكومة الفيتنامية بسبب ان القوات الامريكية كانت قد اعتمدت بشدة على القوة النارية الغير مباشـــرة و على التكتيك الجوي ودعم المدفعية، ونتيجة لذلك، فقد كان عدد الجرحى والقتلى من المدنيين ومن غير المقاتلين كبير جداً (اســـبرى ١٩٩٤:٨٨١)كما لم تكن جهود التجهيزات الحربية الاميركية فاشلة كلياً او ناجحة بسبب تلك الهمجية، فعلى سبيل المثال: كان سلاح البحرية الامريكية – في اقصى شمال منطقة جنوب فيتنام — قد أُجبر على متابعة اســـتراتيجية الحملة العســـكرية التي تضـــم قوى محلية مندفعة من مقر "ديون" مع دعم مباشر من الفصائل المقاتلة للبحرية الامريكية – على الرغم من أنهم كانوا ضـــعيفي التدريب والتجهيز– فإن هذه الفصـــائل كانت قد اشـــتغلت على مبدأ حرب الغابات أو "القرية الآمنة"ثم يقيمون بدورهم خارجاً بشكل دائري حتى تتقاطع هذه الدوائر مع المناطق الامنة الاخرى،ولكن كانت لهذه الاستراتيجية ضررين رئيسيين:

- أولاً: بالرغم من انها كانت تحمي الفيتناميين الجنوبيين من الخطر المحدق من الهجمات الارهابية من قبل الحكومة الفيتنامية، لكنها كان يمكنها أن تنجز نجاحاً فقط على المدى البعيد (سبري:٨٤٨:١٩٩٤)

- ثانياً: ولكن بالرغم من انها كانت فعالة من الناحية العسكرية,إلاّ أنها ابرزت عدم قدرة قوات الحكومة الفيتنامية الجنوبية في حماية مواطنها ولذلك فقد خسرت الولايات المتحدة هذه المواجهه على الرغم من أنها كانت مجهزة لمواجهة عدو منظم يستخدم قوة نارية هائلة وليس عدواً مخيفاً لم تواجهه خلال المعركة.

التفاعل الرابع حرب الفيتنامية في الجنوب من ١٩٦٥-١٩٧٣

استهدفت الاستراتيجية الأمريكية تحطيم مخيمات الفدائيين في الجبهة التحريرية في الجنوب واتخذت لتحقيق ذلك برنامجين

البرنامج الأول : كان برنامج "هامليت" الاستراتيجي.

- البرنامج الثاني: كان برنامج "فينكس" .

وفي المقابل، فقد أعاد برنامج "هامليت" الاستراتيجي الأمريكي تفعيل برنامج "أغروفيل" وفي هذه العملية تم ترحيل القرويين في جنوب فيتنام عن بيوتهم بالقوة ووضعهم بقرى محصنة وقد اتخذت القرارات لتطبيق ذلك عملياً .

كان لهذا البرنامج فائدة عسكرية كبيرة لتحطيم شبكات التجسس و الاستخبارات التابعة لجبهة التحرير وكلف ذلك قلب الرأي العام الامريكي ضد الحرب وعلى الأخص حين بثت الأخبار الليلية بكاء الفلاحين الذين أجبرو على ترك قراهم، ولكن هذا البرنامج لم

يطبق (وفي معظم الحالات فشل المسؤلون الفاسدون بتوصيل الأسلحة، وقاموا باختلاس المعونات النقدية وغيرها من التي كانت موجهة للقرى المحصنة والمجتمعات الآمنة) "كارنو" (صفحة ٢٥٧).

عزل البرنامج الناس ذوي النية الحسنة بأن الولايات المتحدة الأمريكية و فيتنام يريدون كسب الحرب والذين أجبروا على هجر منازلهم والرحيل، فانقلب العديد من سكان فيتنام الجنوبية على الحكومة وأصبحوا أعضاء نشيطين في جبهة التحرير عن طريق إنقاص برنامج مكافحة التمرد وزيادة كلفته السياسية، الأمر الذي أدى إلى انتشار الفساد والعجز الحكومي الفيتنامي وكانت النتيجة كارثية على برنامج "هامليت" الاستراتيجي.

كان الابتكار الأميركي الثاني هو برنامج "فينيكس" و التي استمرت أهدافه و تشريعاته بخلق مناقشة حادة (أسبري, ١٩٩٤: ٩١٠-٩١١)

كانت نظرة الجيش العام تتلخص في أن عملية "فينيكس" كانت عملية عسكرية شرعية, وقد امتدت لتطال مجموعة من الاستخبارات لاستهداف و تدمير قيادة جبهة فييتنام الوطنية التحررية.

و قد أثبتت أنها المبادرة الاستراتيجة الوحيدة الناجحة في حينه , ولذلك تمت متابعتها من قبل القوات الامريكية أثناء الحرب.

بالنسبة لمعظم المراقبين,المؤرخين و المشاركين ,فإن الجهود المتواصلة لقتل المدنيين قد طرحت أسئلة مربكة حول شرعيتها ولكونها امتداد لسياسة الولايات المتحدة، أو كسياسة لمكافحة التمرد بغض النظر عن فاعليتها .

وعلى كل حال ,فإن الولايات المتحدة كانت قد ربحت في الاشتباكات,في الوقت الذي لم يطبق فيه برنامج القرى الصغيرة الاستراتيجي بطريقة مناسبة أبداً. لذا فإن اشتراكها في نجاح الولايات المتحدة كان معدوماً. وبالمقابل فإن سياسة برنامج "فينيكس" التي هدمت البنية التحتية لقيادة جبهة فييتنام الوطنية التقدمية في الجنوب , قد تكون استفزت الجيش لمواجهة مباشرة سابقة لأوانها و كارثية مع القوات الأمريكية النظامية خلال معركة "تيت" عام ١٩٦٨ لأن كلا الاستراتجيتين استهدفتا المدنيين بشكل منتظم و متعمد, وكلا الاستراتيجيتين تعتبران على أنهما استراتيجية وحشية - وان كانت الوحشية هي النهاية المعتدلة لسلسة الانتهاكات .

النتيجة: خسارات شمال فييتنام ثم فوزها .

كان جيش فييتنام الشمالي - بدءاً من شهر آذار وحتى شهر نيسان من عام ١٩٧٥- قد سحق الجيش الفيتنامي في ساحة المعركة (١٣). وهكذا، فإن تسلم قيادة القوات الامريكية من قبل الجنرال "كريتون ابرامز" في شهر تموز من عام ١٩٦٨ و اصلاحاته اللاحقة ,و ابتكاراته — المؤدية الى انهيار افتراضي لتهديدات جنوب فييتنام العسكرية للفييت كونغ و الجيش الفييتنامي الشمالي — قد أثبتت أنه لا علاقة لها بالنتيجة ,لدرجة استمرارها باعادة البناء(انظر ,سورلي .١٩٩٩) وإعادة تأهيل الجيش الامريكي(١٤).

تحليل : التفسيرات التنافسية لنتائج حرب الفيتنام

تعتبر نتيجة حرب فيتنام أحجية في نظرية العلاقات الدولية لسببين:

- السبب الأول: بالنسبة لكل النتائج الغير متوقعه المكتشفة في هذا الكتاب ,فإن

- انتصـــــار جمهورية فيتنام الديمقراطية لايزال احجية في نظر العالم لأن الولايات المتحدة التي تعتبر الطرف الاقوى هنا قد خسرت الحرب أمام الطرف الأضعف الذي هو جمهورية فيتنام الديمقراطية.
- الســـبب الثاني: إن جمهورية فيتنام الديمقراطية قد ربحت الحرب على الرغم من خسـارتها في ارض المعركة وهذا على خلاف جميع الاطراف الضعيفة كحالات تم دراستها في هذا الكتاب .ولكن كيف يمكن تفسير هذه الأحاجي؟

---

(١٣)- "فينكس" : كانت أسما مرمزا لبرنامج الأغتيال الأمريكي الذي يهدف قتل قادة الجبهة التحريرية الفيتنامية

(١٤)- عنى برنامج هاملت الأســتراتيجي بفيتنام اعتماد منطق :النجاح أو الفشــل . نظرية كرونو (١٩٨٣:-٢٥٥-٢٥٧)هيرنغ(٨٥:١٩٨٦-٨٦،٨٨-٩٠)

مصالح الاطراف:

- التفسـير الاول: إن انتصـار جمهورية فيتنام الديمقراطية -كما عرف من قبل كل المراقبين في جمهورية فيتنام الديمقراطية- كان بسبب الاستماتة في سبيل تحقيق النتائج .

وهكذا، وانطلاقاً من فكرة الإيمان بالوطن، فقد شقت فيتنام طريقها في سبيل التجسيد الحي لفكرة

(أسـد ميت خير من ابن آوى على قيد الحياة) أو (شـعب مُباد خير من شـعب يعيش تحت نير الحكم الاجنبي).(١٥)

ولكن، على الرغم من أنه كانت تتجلى - خلال الحرب — مشـاعر بالكفر بتلك الأفكار (ومن الممكن وجود هذا الشعور في جمهورية فيتنام الديمقراطية بالتحديد) وبالإضـافة لهذا الشعور، فقد كان هناك دائماً قلق منطقي بأن تلكم الأفكار كانت تمثل الدعاية السياسية لنظام الحكم المنفصـل أكثر من تمثيلها لطموح الشـعب الحقيقي، ولذلك، كان الشـعب غالباً ماينقسـم تاريخياً. بيد أن التوازن في الأدلة دعم الرأي القائل بأن اصـرار حكومة الفيتنام الديمقراطية وحلفائها ال٧٢ في الجنوب لم يسبق له مثيل تاريخياً.

ولكن كيف يمكن مقارنة هذه الحرب مع غيرها من الحروب؟

فمن ناحية، تعتبر هذه الحرب الأمريكية- الفيتنامية تقريبا غير مسـبوقة, ونادراً ماتحدث هكذا حروب في المئة حرب الدولية خلال فترة الستين عاماً الأخيرة.

---

(١٥)- اذا اعتبرت القدرة على امتصاص كل من الصدفة والمتطلبات السياسية الطموحة والضاغطة باستمرار كمؤثر فإن جمهورية فيتنام الديمقراطية هي جماعه لامثيل لها. كما عبر عنها مولير (الشـيوعيين خسـروا مايقارب اثنان ونصـف لثلاثة ونصف في المئة من شعبيتهم ماقبل الحرب وذلك في الحرب بما فيها ضحايا المعركة)

ومن ناحية ثانية، فإن هناك حالات قليلة تجاوزت فيها نسبة فقدان الشعبية لمستوى ٢% من معظم هذه الحالات التي حدثت في الحربين العالميتين الأولى والثانية، حيث كافحت الدول الصناعية من أجل وجودها مستخدمةً أسلحة مدمرة ومعقدة.

في الحرب العالمية الثانية كان ألمانيا – في حربها على الاتحاد السوفيتي- قد خسرت ما يقارب نسبته ٤,٤ % من شعبيتها قياساً مع فترة ما قبل الحرب وذلك بعد وقوع الضحايا الكبيرة في المعارك .

وخسرت في حرب النمسا – هنغاريا نسبة ٢,٣ % و على فرنسا ٣,٣ % ورومانيا ٤,٦ %

و انكلترا ٢% (مويلير,١٩٨٠,٥٠٧,٥٠٨)

ربما يكون الجنرال " أبرامز" قد دمر قدرة جمهورية فيتنام الديمقراطية وجبهة التحرير الوطنية الفيتنامية على اعادة توصيد فيتنام وأعادهم عشرين عاماً الى الوراء.

ولكن حتى في ظل هذه الظروف، فإن جمهورية فيتنام الديقراطية لم تظهر أي اشارة تدل على ضعف ارادتها لتوحيد فيتنام, وإن استغرق ذلك عشرين او خمسين او حتى مئة سنة اضافية .

وباختصار , فقدكان عزم جمهورية فيتنام الديمقراطية لايقبل ان يتم تأطير بقائها ضمن نظرية العلاقات الدولية (على سبيل المثال لاتقبل اعتبارها الطرف الأضعف)

ومن ناحية اخرى، فقدكانت رافضة لمعارضة القومية للحكم الاجنبي بحسب موازيين القوى. وبالمقارنة مع هذا، فإن الولات المتحدة لابد من ان تبدو قليلة الشأن .

كانت الولايات المتحدة تسـعى فقط للإبقاء على الحكومة الفيتنامية، ولكن بحلول عام ١٩٦٥ أصـبحت الولايات المتحدة ترى في الإبقاء على الحكومة الديمقراطية كجزء هام لأسـتراتيجيتها الشـاملة لأحتواء الشـيوعية، وبدورها كانت مصـلحة امنية وطنية محورية للولايات المتحدة، لأنه في حال عدم احتوئها في حال انتشارها ربما ستهدد بشكل مباشر مصـالح الولابات المتحدة في حرب فيتنام الاهلية، لكنها كانت بعيدة المنال بشـكل أكبر مما اقترحته أطروحة المصـلحة غير المتوازنة (كانون- ١٩٨٣- ٣٧٧- ٣٧٨) ولكن ليس اكثر بعداً من مصالح جمهورية فيتنام الديمقراطية وجبهة التحرير الوطنية الفيتنامية.

كان السـبب الأسـاسـي لخوض الولايات المتحدة الحرب فيتنام هو وجود العديد من العاملين في أدارة كل من الرئيسين "جون كنيدي،و"جونسون" الذين يؤمنون بأنهم في حال لم يقاتلوا الشيوعيين في فيتنام عاجلاً,فإنهم سيجبرون على مقاتلتهم في أوروبا أو في نصف الكرة الأرضية الغربي آجلاً.

ولذلك، فقد كانت حرب فييتنام بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية حرباً "محددة" و ليس لأن قدر جنوب فيتنام كان اهتماماً سطحياً للولايات المتحدة , بل لأن النخب السياسة في الولايات المتحدة كانت تعتقد بأن استخدام القوة في توازن المصـالح الأميركية ربما يحفز التدخل العسكري والذي قد يؤدي إلى حرب عالمية ثالثة.

وبالمقارنة، توضـح النظرية الثامنة — التي سبق ذكرها في فصـول الكتاب- النتائج النسـبية للقوة المادية النسبية لأي صراع غير متكافئ، ولذلك، فهي غير مدعومة في الوضع

الفيتنامي لكون المشكلة تكمن في عدم تماثل مصالح الفيتناميين في حرب فيتنام, ولكونها قد حدثت على أية حال غير أنها فسرت القوة النسبية بشكل سيء , ولكن بدلاً من ذلك فهي لم تستطع تفسير تباين النتائج المحتملة.

في عام ١٩٦٨ كانت الولايات المتحدة الاميركية لا تزال ملتزمة بأفكار أن نجاة حكومة فيتنام كانت مصلحة وطنية لأمن أميركا ,وتحت نظرية حماية مصداقية أمريكا (عوضا عن نظرية الدومنة المبكرة).

وفي عبارة أخرى , فإن كلا الطرفين كانا على نفس القدر من الالتزام , وبشـكل مسـتقل عن التوازن المذكور للقوات القسـرية , ولكن تلك الالتزامات قادت الولايات المتحدة لأن تكون الطرف الذي ربح الصراع العسكري على أرض الواقع.

وهكذا، ونظراً لارتفاع المصـالح المادية والقدرة على الاسـتمرار في تصـعيد اسـتخدام القوة ضد ضعف الخصم, فإن الولايات المتحدة لا يجب أن تكون مستضعفة سياسياً ,ولكنها كانت مستضعفة سياسياً , وذلك الضعف السياسي للولايات المتحدة كان كما توقع في نظرية "مارك": لقد اجبرت الولايات المتحدة لكي تكون كذلك من الحرب .

وهكذا، فإن المصـالح اللامتناظرة هي تفسـير فقير للغز انتصـار جمهورية فييتنام الديمقراطية , وربما كان نوع النظام هو أفضـــل نوع , وربما ربحت جمهورية فييتنام الديمقراطية لأن بنيتها الاسـتبدادية قد مكنتها من التحكم التام بالمعلومات عن سـاحة المعركة. كما مكنّها أمن الاشتراك بأكثر التكتيكات وحشية – وعلى ذلك الاكثر فاعلية- أكثر من خصمها .

وفي الحقيقة، فقد أبقت جمهورية فييتنام المعلومات حول نتائج الحرب على درجة فائقة من التحكم وحول الدرجة التي دفعت عدوها للتصرف بشكل وحشي .

وبشــكل عام فإن الجمهورية الفيتنامية قد كذبت على شــعبها,وكذبت تقريباً بشــأن كل جانب من جوانب الحرب من حيث تصـرف قوات الولايات المتحدة والجيش الفيتنامي و حتى الخسائر التي تكبدوها وخسائر العدو على حد سواء .

وفي المقابل، فإن جهود الجمهورية الديمقراطية الفيتنامية للتحكم بالمعلومات من ســـاحة المعركة قد كلفتها ثمنا باهظا من الموارد . و قد تم اعـانتها من واقع أن معظم الجنود من الجيش الفيتنامي الشمالي وقوات "الفيت كونغ" لم يكنوا من المثقفين, لذا لم يكونوا قادرين على كتابة الرسائل بحيث استطاعت نسخ الأحداث البديلة أن تتنافس مع جمهورية فيتنام الديمقراطية,وقد كان ذلك حقيقيا – وعلى حد سواء – من الجيش الفيتنامي و لكن ليس من القوات الامريكية التي عجلت رســـائلها للديار بإحداث فجوة من المصـــداقية التي اتسعت من قبل الصحافيين من مسرح الأحداث.

هنالك أيضـــاً ثمة دليل كاف من أن حلفاء جمهورية فيتنام الديمقراطية و قوات "الفيت كونغ" لم يلاحظوا أن اتفاقية "جينيف" التي نظرت بعين الاعتبار لحسن معاملة المدنيين في الحرب– الذي يطال الجنود المستسـلمين لسـجناء الحرب و جنود العدو الذين جرحوا في الاشتباك (العديد منهم تم تعذيبهم ثم قتلهم او قتلهم في أماكن تواجدهم).

كان النقاش في فيتنام على وجه الخصـوص حول الاسـتعداد للتصـرف بوحشـية متعمدة على أنه كان ضروريا جداً للفوز والأسر في أي مكان،' ومن أفضل ما يمكن وصفه حول ذلك قيل عن لســـان الكولونيل "اي.كورتز" في فيلم "فرانســيس فورد" الذي صــدر عام ١٩٧٩ والذي حمل عنوان "القيامة الآن":

"من المستحيل أن نترجم بالكلمات ما يعنيه الرعب لأولئك الذين لا يعرفونه , أذكر حين كنت مع القوات خاصــة، وحين ذهبنا لمخيم لتلقيح الأطفال,وغادرنا المخيم حال انتهائنا من تلقيحهم ضــد مرض شــلل الأطفال, ثم ما لبث أن ركض رجل مســن ورائنا و هو يبكي,لم يتمكن من الكلام فعدنا أدراجنا الى المخيم,ولكن المحاربين كانوا قد تسللوا وجاؤوا خلفنا وقطعوا كل ذراع تم تلقيحها ثم جمعت في كومة كبيرة من الأذرع الصــغيرة المقطوعة, أتـذكر حينهـا أني بكيـت كمـا تبكي الجـدة، ثم أدركـت أنهم أقوياء بـل أقوى منـا لأن بإمكانهم تحمل ذلك.لم يكن اولئك وحوشــاً...لقد كانوا رجالاً – كادراً مدرباً– هؤلاء الرجال الذين قاتلوا من قلوبهم لديهم أســر و أطفال أيضــاً، وكانوا مليئين بالحب,ولكن كانت لديهم القوة,القوة لفعل ذلك، ولو كان لدي عشــر مجموعات من هؤلاء الرجال لكانت مشــاكلنا هنا قد انتهت بســرعة كبيرة. يجب أن يكون لديك رجال خلوقين, و بنفس الوقت قادرين على اسـتخدام غرائزهم الأسـاسـية للقتل من دون مشـاعر ومن دون شغف ومن دون حكم, لأن الحكم هو ما يهزمنا".

إن ضعف حجة حكومة فيتنام كانت ايضاً مستبدة وذات رغبة كاملة للانتصار " وفعل ما هو ضـروري للنصـر",ولكن جيش فيتنام كان دائماً يقول بأن الفعالية العسـكرية كانت أكثر من ان تكون اعانة للجيش. وفي حســابات قوة الولايات المتحدة والدبلوماســيين في المسرح , فإن جيش فيتنام كان في الحقيقة اكثر وحشية ولكن أقل فاعلية,في حين انشغلت القوات التي كانت ضـــد جمهورية الفيتنام الديمقراطية والجبهة التحريرية الوطنية الفيتنامية بالحرب .

وفي المقابل،فقد أثبتت قوات الولايات المتحدة وحشيتها بمناسبات متعددة (إن مذبحة "ميلاي" أصبحت من اكثر الحوادث الشعبية والمشهورة) وكان قد لوحظ فوق كل هذا ان الضرر الاضافي الكبير بالهجمات بالقنابل الاستراتيجية قد صممت على اجبار وإخضاع جمهورية فيتنام الديمقراطية وذلك من خلال اصابة قواتها بالألم. وكانت فعالية الجيش بالهجوم لاتذكر في حين تصاعدت نقاط التدمير في مقاطعة سد ما يسمى "النهر الأحمر" (حيث ارتفع معدل قتل جمهورية فيتنام الديمقراطية الى مليون مدني) و بعد ذلك جادل كولونيل جيش فيتنام الشمالي بأن النتائج ستكون كارثية على الولايات المتحدة :

"ومثل هذه المأساة، فسوف يكون الوضع شبيهاً بما حدث في مذابح مدينة "هانوي"ومناسبة لتأجيج مناهضة الامريكيين في جميع انحاء العالم وكذلك الاحتجاج — وعلى نطاق واسع– ودعم المساعدات الدولية، ولحشد كامل الكتلة الاشتراكية .

وشعوري هو عندما تنال من النظرة الاجتماعية والجنون الثقافي الذي الفه الفيتناميون , بما فيها تحطيم السدود، فإن ذلك يمكن أن يعمل لصالح مدينة ونظام "هانوي" .

وبالتأكيد، فإن الحكومة سوف تواجه العديد من الصعوبات وسيعاني السكان من مصاعب لاحصر لها , ولكن جهودهم للحرب قد تضائلت ....(تين ٢٠٠٢– ٣٤) "

لكن الخلاف القوي للمصالح لتأثيرات نوع النظام الهيكلي وشكل الخلاف يكمن في تركيبة وهيكلية نظام جمهورية فيتنام الديمقراطية وحكومة فيتنام– كلاهما أنظمة استبدادية– ولم يصرحوا بالسخط العام للحرب , أو كيف يتم القتال، أو التأثير على السياسة. ولكن

هيكلية حكومة الولايات المتحدة - نظام الديمقراطية- والســـماح للتاثير على الرأي العام لسياسة الولايات المتحدة، وآخرون يميزون، وبشكل صحيح الضعف السياسي , وتحديد كيف تعمل قوة الولايات المتحدة بالرغم من تحقيق انتصــار عســكري في مســرح الحرب، ولكن الرؤيا الأهم هنا,على أية حال، هو التســاؤل حول هل سـقطت الولايات المتحدة رغم انها كانت دولة ديمقراطية ؟

الجواب هو لا , لأن أهم اعتبار هنا,على كل حال , هو ما إذا كانت الولايات المتحدة قد فشلت بسبب ديمقراطيتها. وهنا، فالجواب هو أيضاً لا وذلك بسبب اعتبارين :

- أولاً- إذا كانت الديمقراطيات مرتبطة بتصرفين معيقين على أرض المعركة (تاريخيا ليســـت ارتباطا معقولاً) وعندها كانت الولايات المتحدة-كما قدر "ميروم"- قد تكون خسرت لأنها لم تستطع " تصعيد درجة العنف و الوحشية إلى الحد الذي يضمن النصر" (ميروم, ٢٠٠٣: ١٥). وهكذا، فمن الصـــعب المجادلة في أن الولايات المتحدة و جيش الفيتنام (ARVN) لم يكونا قاسـيين بما فيه الكفاية باعتبار أن DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية جمهورية فيتنام الديمقراطية خسـرت ما نسبته ٢,٥ % إلى ٣% وبشـكل أكبر حتى من تلك التي عانت منها اليابان في الحرب العالمية الثانية (اليابان خســـرت ما يقدر ب ١,٤% في هذه الحرب).
- ثانياً - من الصــعب المجادلة بأن الولايات المتحدة في حرب الفييتنام كانت أكثر ضـعفاً سـياسـيا- إذا أخذنا مصـالحها العليا في النتائج بعين الإعتبار- مما كانت في حرب الخليج الأولى في عام ١٩٩٠ حيث أن الســـبب الجوهري لتدخل الولايات المتحدة كان فقط لحفظ " نظام العالم الجديد" (ولم يذكر شيء عن الدومينوز).

ورغم ذلك، فالولايات المتحدة و حلفائها – قد تسببوا في سقوط عشرات الآلاف من قتلى الحرب في صفوف خصمهم المشؤوم، العراق - بينما لم يتكبدوا بدورهم سوى عدد قليل من القتلى من طرفهم، والذي لم يتجاوز المئات.

وهكذا، فقد ربحت الولايات المتحدة وحلفائها وبشكل حاسم و بسرعة , و أجبرت العراق على الموافقة على شروط مهينة للاستسلام، و من هنا، فإن الضعف السياسي يقود الديمقراطيات من الحرب حينما لا تؤثر على الانظمة المستبدة, ولكن فقط عندما يكون هناك فجوة في الوقت بين التزام القوى المسلحة واجازات الاهداف السياسية، وهذا ماحصل في فيتنام .

وفي المقابل، فعلى الرغم من أن نوع النظام يعتبر مهماً ولكن ليس كفئاً ليشرح نصر جمهورية فيتنام الديمقراطية شرحاً كاملاً لأن ذلك يتطلب حساب لماذا تنتهي بعض النزاعات غير المتكافئة بسرعه بينما تطول أخرى ؟

انتشار الأسلحة

لا يمكن التعويل على انتشار الأسلحة كتفسير جيد لهزيمة أمريكا في الحرب الفيتنامية ويعود ذلك لسببين اثنين :

- السبب الأول : أن اتهام قوات "DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية " جمهورية الفيتنام الديمقراطية بالتسلح من الإتحاد السوفييتي و الصين قد أثرت بشكل أو بآخر (خصوصاً لسلاح الدفاع الجوي في المنشآت الأساسية في فيتنام الشمالية) ولكن فقط بشكل هامشي ليس إلاّ .

- السـبب الثاني : كان التأثير الحربي للوصـول إلى تسـلح أفضـل عادة سـلبياً (جونســون- ٤٤٢,٤٤٣:١٩٨٦). فاتهامات قوات " DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية " بالحصول على أسلحة جديدة تميل إلى تشجيع التصعيد السابق لأوانه للمواجهات المباشرة مع الولايات المتحدة او التي تدعمها وحدات جيش فييتنام، وهذا يثبت دائماً بانه يجلب الكوارث.

وعلاوة على ذلك، فإن عدم الاتكال على السكان المحليين من أجل الدعم اللوجستي قد مكّن الكوادر المقـاتلة من ترويع الفلاحين من التردد على الفيتنـام الجنوبيـة (كـإعـدام "المخبرين"، وما إلى ذلك) بشـكل مباشـر على المعارضـة الماوية الصـادرة بشـأن ضـرورة معالجة ما يتعلق باحترام االفلاحين.

في حين أن تركة هذه الإســاءة ظلت تطارد جبهة التحرير الوطنية الفييتنامية بعد فقدان العديد من كوادرها في الهجوم المشــؤوم على مدينة "تيت" عام ١٩٦٨. ولذلك، فقد اضـطرت جمهورية فييتنام الديمقراطية لإرسـال بدائل من الشـمال، ولكنها بهؤلاء الرجال لا يمكنها إعادة بناء شبكة من العلاقات الحميمة مع الفلاحين كما كانت مع أسلافهم.

وبالإضــافة إلى ذلك، فإن الكوادر الجديدة كانت متغطرســة وعلى نحو عرقي متميز عن "الجنوبيين" وذلك جنباً إلى جنب مع الاسـتياء الناجم عن السـنوات السـابقة من خلال الترهيب، وجعل من المستحيل إعادة إقامة تمرد في الجنوب بعد عام ١٩٦٨.

وبعد الاستقرار، كان هنالك زيادة مطلقة في مجال التسلح وقد اصاب اكثر من ساعد في المجهود الحربي لجمهورية فييتنام الديمقراطية.

وهنا تبرز قيمة النظرية السادسة : كلما كان الطرف الأضعف أكثر تسليحا كلما كلما زادت احتمالية خسارة الطرف القوي في النزاع الغير متكافئ، ولهذا فهو غير مدعم في حالة فيتنام.

التفاعل الإستراتيجي

إذا كان من الصحيح أن اهتمامات الممثل، و نوع نظامه هي في حد ذاتها عملية غير كافية لحساب انتصار جمهورية فييتنام الديمقراطية في فيتنام، فإنه من الواضح أنها كانت ضرورية. ولكن أفضل تفسير لنتائج الحرب هو "التفاعل الاستراتيجي".

يفسر التفاعل الاستراتيجي كيفية الحل الأمثل، جنبا إلى جنب مع النظام السياسي الذي يعاني من ضعف الولايات المتحدة، بالإضافة إلى قوة الولايات المتحدة من الحرب .

إلا أنه من الصعب تقييم التأثير التراكمي للتفاعلات الإستراتيجية الأربع التي تشكل الحرب.

وهذه التفاعلات ومساهمتها في نتائج الحرب ملخصة في الجدول التالي حيث انتصرت الولايات المتحدة مرتين وخسرت مرتين في حين يبدو تأثير التفاعلات على مدة الحرب مريباً.

العملية	**التفاعل الاستراتيجي**	**تأثير الإبداع**	**مدة التاثير**
الرعد القاصف	مباسر – غير مباشر	الولايات المتحدة فقد استراتيجيتها	إطالة الحرب
القوة الرئيسية في الحرب	مباشر – مباشر	خسر الشمال – انسحابات – تصعيد	تقصير الحرب

حرب العصابات الأولى	مباشر – غيرمباشر	خسرت الولايات المتحدة وفقدوا مفاتيحهم لصالح البربريين	إطالة الحرب

ولكن، ألا يجب أن يوحي هذا بربط ما ؟.

ربما. ولكن اعتبار الرأي العام الأمريكي وتوقعات النخبة قبل المعركة، فحتى التعادل يجب أن يعد كخسارة من حيث منظور الولايات المتحدة،لأن أي شيء غير الفوز السريع كان ليصبح غير مقبول سياسياً، و هنا لا بد ن نضع في اعتبارنا أن الإستراتيجية الأمريكية كانت مستهدفة، مستهدفة علنا، وذلك عبر التهديد، ومن خلال إجبار جمهورية الفيتنام الديموقراطية بالقوة وبالتهديد بمزيد من القوة لوقف دعم الحرب ضد حكومة الفيتنام في الجنوب.

كانت الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية قد خاضت حرباً ظن العديد من الأمريكيين أنها كانت حربا حقيقية: حرباً للبقاء ضد عدو قوي، متطور،مخيف وشرير بشكل واضح.

أما بالنسبة للولايات المتحدة، فقد كانت تلك الحرب التي استمرت ثلاث سنوات طويلة جداً (١٩٤٢-١٩٤٥) ولكن، إذا كانت الثلاث سنوات فترة طويلة للحرب الحقيقية، فإلى أي مدى بدا طولها في حرب فيتنام ؟ في مكان بعيد مع خلفية فقيرة , ضعيفة,و بالتالي مع عدو متعاطف؟ ثلاث سنوات في حربها من التخويف ضد جمهورية فيتنام الديمقراطية, ثلاث سنوات تعرضت فيها الولايات المتحدة و حكومة فيتنام للهجوم بجرأة

و على كل الجبهات من قبل جمهورية فيتنام الديمقراطية و جبهة التحرير الوطنية الفيتنامية. من الواضح أن أي شيئ آخر كان يعمل في فيتنام، وبغض النظر عن النتائج العسكرية (هزيمة جيش فيتنام الشمالي و الجبهة التحررية الوطنية الفيتنامية) فإن آمال الولايات المتحدة لإخافة جمهورية فيتنام الديموقراطية قد فشلت,والشعب الأمريكي عرف ذلك .

ومن ناحية أخرى، فإن التفاعل الإستراتيجي يشرح أمرين لا تستطيع حتى فرضيات "ماك وميروم" شرحها :

- أولاً : التظاهر في قضية فيتنام , والقوة الماثلة في صراع غير متكافئ يشير إلى ضعف المصالح (الحل اذا صح التعبير) في نتيجة لمسابقة غير متناظرة. وحتى عند مواجهة أطراف ضعيفة,وقوية – على الرغم من القوى العظمى أو القوى المتوسطة, أكانت استبدادية أو ديمقراطية– تبرر الهجوم ضد الأطراف الضعيفة من حيث البقاء من نوع ما. في حين يمكن لهذا أن يكون عن طريق منطق الدومينو (السلطة المضافة خلاف الهزائم الصغيرة يمكن أن يشكل تهديد بقاء مباشر) وسوابق تعقد في كل مكان و كنتيجة لذلك، فستتعرض المصالح الحيوية للخطر,أو بالإشارة الى بعض الاعتزاز بالهوية – وهذا ما يعتقد– وكمثال على ذلك تبرير أستاذ رئيسة الوزراء البريطانية "مارغريت تاتشر " هجوم الأرجنتينن على جزيرتي "الفوكلاند والمالديف"عام ١٩٨٢ أو قرار الرئيس الأمريكي "جورج بوش" بضرورة الحفاظ على النظام العالمي الجديد وذلك من خلال الضغط على العراق من الكويت عام ١٩٩٠.

ومن جهة ثانية، فإن النظر لهذه الأسباب لا يحتاج لأن يكون موجوداً بشكل موضوعي، و يكفي لأن يكونوا موجودين مجازياً على الأقل في المراحل الاستهلالية للصراع , وذلك في حال انتهت الحرب بسرعة.

خلاصه التفاعلات والتاثيرات الاستراتيجيه للتدخل الأمريكي في فيتنام(١٩٦٥–١٩٧٣) من الممكن ان يعمل نظام التبرير المجازي اذا كان مطولاً، ومع ذلك، فإن تشتيت محاولات حدي هذا النزاع واسقاطه ,والحاصل هنا بين اللاعبين الاقوياء، سوف لن يتم ضلوعهم بحروب صغيره لأن تلك الحروب اقل من ان تكون فعالة .فهم ضعفاء لأنهم :

- أولاً : بسبب الوقت الذي سيستغرونه لهزيمه الخصم الضعيف للمسائلة عن شرعيه المصالح وذلك بغض النظر ما ان كانت واقعيه او مجازة.
- ثانياً : والأهم من كل ذلك، تبين أطروحة التفاعل الإستراتيجي لماذا لم تنته حرب فيتنام بسرعة, لأنها دامت حوالي تسع سنوات ,وحيث أن معظم نقّاد الحرب الأميركية في فيتنام قد لاحظوا أن التدخل الإستراتيجي الأولي كان مسيطراً عليه من قبل الهجوم التقليدي بين القوات الأمريكية والقوات الفيتنامية الديمقراطية ضد مليشيات الثوار المسلحة التي تستخدم استراتيجية حرب العصابات إستراتيجية حرب العصابات (أطروحة) .

يميز هذا التفاعل التفاعل الإستراتيجي الكلي من الحرب وحسب ما تنبأت به الأطروحة, ولذلك، فإن أي حدث في الإتجاه المعاكس سيجعل الحروب تدوم لفترة أطول، وذلك ما

قاد إلى الفشـــل في تحقيق نتائج ســـريعة لمهمات البحث– التدمير، ثم قاد ذلك الولايات المتحدة إلى ابتكار برنامج "كاب "و اســـتراتيجية "هاملت" مجدداً, و من بعدها عملية "فينيكس".

كانت هذه الإبتكارات قد أثرت بشـــكل ســـيء على جمهورية فيتنام الديمقراطية و الحركة التحريرية الوطنية الفيتنامية "الفيتكونغ VC " وبين قوات جيش فييتنام الديمقراطية DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية .

ولكن الولايات المتحدة لم تكن لتتقدم شمالاً في القطاع السابع عشر جنبا إلى جنب مع القوات البرية، هذا إذا كانت جمهورية فيتنام الديمقراطية تحتمل الإنتظار.

وهكذا، فإذا كانت نظرية "ماركس" كافية لشـــرح (لماذا خســـرت الأمم الكبيرة الحروب الصـــغيرة) فالضـــعف الســـياســـي كان ليؤثر بشـــكل عام على قدرة الأطراف القوية لهزم الأطراف الضعيفة.لكنها لا تفعل. فالضعف السياسي يعمل فقط حين يكون هناك تأخيراً غير متوقع بين التزام القوى المسلحة و النصر.

إذا كانت فرضـــيات "ميروم" كافية لتفســـير كيفية خســـارة الديمقراطيات للحروب الصـغيرة,فسـيكون عليه ان يدعم ادعاءه التجيريبي في أن التفاعلات الاسـتراتيجية مستمرة في الحروب الصـــغيرة، ولا تتغير . وبعبارة أخرى، عليه أن يظهر –كما توحي به قضـــية اختياره – أن كل الممثلين الديموقراطيين الأقوياء سوف يهاجمون باستراتيجية هجوم تقليدي ,في حين يدافع كل الممثلين الضعفاء بإرهاب استراتيجية حرب العصابات ,أو المقاومة غير العنيفة (أي دفاع غير مباشـــر) لكننا نلاحظ اختلافاً في التفاعلات الاســـتراتيجية في الحروب الصغيرة طوال الوقت :

ولكن خلافاً لكل التوقعات ,فإن قوات "الطالبان" في أفغانستان لم تستخدم استراتيجية حرب العصابات ضد التحالف الشمالي للولايات المتحدة عام ٢٠٠٢ فقد قاموا بمحاولة الدفاع التقليدي

وبدت عليهم الهزيمة بوضوح. وهذا ما حدث بالمثل مع العراق في السنة التالية,وفضلاً عن ذلك فإن الفيدرالية الروسية- وهي ديمقراطية شكلية- تحاكم حملة مكافحة تمرد وحشية للغاية ولكن بنفس الوقت كانت عكسية النتائج في "الشيشان" . وهكذا، فحتى لو قبلنا- من أجل مصلحة النقاش- أن الفدرالية الروسية ليست ديمقراطية حقيقية فمن الواضح أن الوحشية الشديدة (اغتصاب,ابتزاز,نهب,قتل,تعذيب,قصف عشوائي) أثناء حملة الروس لن تؤدي إلى ربح حرب روسيا الصغيرة في "القفقاس".

الخلاصة

في فيتنام (جمهورية فيتنام الديمقراطية) كان لدى الطرف الأضعف قوتان عسكريتان مختلفتان وجاهزتان لمواجهة القوات الأمريكية :

١- كانت القوة الأولى مدربة و مجهزة لخوض حرب غير مباشرة وهي ثوار "الفيتكونغ" المنضوية تحت لواء جبهة التحرير الوطنية الفيتنامية.

٢- كانت القوة الثانية مدربة و مجهزة لخوض حرب مباشرة (جيش فيتنام الشمالي) و هذا يعني أن جمهورية فيتنام الديمقراطية يمكن أن تكون أكثر سرعة من الولايات المتحدة في تحقيق الأهداف الإستراتيجية كما ذكر "اليوت كوهين" و"أندرو كريبيفيتش و"رونالد هاميلتون" و آخرون من أن احتمال استثناء وحدات مشاة البحرية التي لديها

تجربة عملية معتبرة في مكافحة التمرد – لا يمكن للولايات المتحدة أبدا أن تلبي متطلبات حرب مكافحة التمرد (كوهين ١٩٨٤ : ١٦٥ . كريبيفيتش ١٩٨٦ . هاميلتون ١٩٩٨ : ١٠٠ .

على الرغم من أن هذه المتطلبات لا تضمن إنشاء قوة قادرة على التصرف ببربرية كما بينت في برنامج "كاب CAP " لكن كان من الممكن خوض القتال بطريقة حرب العصابات في الجنوب ضمن إطار قوانين الحرب الذي كان بشكل رئيسي غير محتمل وهو أن تهزم شعباً تحت السلاح وبسرعة بعقائد مماثلة، وهكذا فإن مثال "الكاب" يؤكد فقط الأهمية الميكانيكية الأساسية الرسمية في فرضية التأثير الإستراتيجي وذلك عندما تقتضي القوة فوزا سريعا، في حين أن التأثير بسبب التأخر يجعل الطريق ممهداً لعملية ضعف سياسي حتى إستراتيجية مكافحة تمرد مثالية تلك التي تدمر قوات العدو وبدون تدمير قيم العدد التي تحتاج إلى وقت وعلى الأخص إذا كانت تلك الإستراتيجيات ستصبح نموذجاً في المستقبل لأي عملية مكافحة تمرد، وهذا يتضمن سياسة غير متوقعة حيث يقوم الطرف الأضعف بتطبيق سياسة دفاع غير مباشر، وعندها يجب على نخب الطرف الأقوى السياسية و العسكرية أن تجهز الرأي العام لانتصارات متأخرة جداً في فيتنام في الوقت الذي ساعد فيه تباين الاحتمالات و الأهداف و طبيعة النظام جمهورية فيتنام الديمقراطية على إلحاق خسائر كبيرة و كلف عالية في الولايات المتحدة وبجيش فيتنام، ولذلك، وبسبب التحالف المفتوح مع جمهورية الصين الشعبية و الإتحاد السوفييتي، فقد كان من المستحيل على الولايات المتحدة القيام بغزو من الشمال ضمن هذه العوامل التي من

الممكن أنها لم تهم جمهورية فيتنام الديمقراطية لتوسيع الهجوم على الجنوب في عام ١٩٦٥ (الإســـتراتيجية التي جهز لها جيش فيتنام الولايات المتحدة) . ومن ناحية أخرى، فهم لم يأخذوا بعين الاعتبار أن الولايات المتحدة قد أخذت بنصـــيحة البريطانيين والفرنســـيين الذين اختاروا إستراتيجية صعبة وطويلة من الدعم القانوني عوضاً عن إستراتيجية مكافحة التمرد العسكري،ولفعل ذلك، يتطلب الأمر وجود ثلاثة أسباب :

- السـبب الأول: إعادة تشـكيل وبناء الحكومة الفيتنامية (المثال الوثيق الصـلة عن النجاح هو إعادة تشـكيل الحكومة "الفلبينية" ماكسـايسـي خلال تمرد "هوكيا لاهاب" في عام ١٩٥٢)
- السـبب الثاني : الصـعوبة السـياسـية (بالمحتوى القانوني المحلي الأمريكي) و هي خطوة إقناع الرأي العام الأميركي بالحاجة لهذا الصراع الطويل .
- السـبب الثالث: وهو المهمة الأكثر صـعوبة بإقناع العسـكريين الأمريكيين لبناء و نشـــر وحدات قوات خاصـــة محددة للعمل في عملية المواجهة القريبة مع قوات الحكومة الفيتنامية على أن تكون جيدة التدريب و المدعومة بالقانون . ولكن كان يمكن التصـــرف وفق طريقة أخرى (بدون الحاجة إلى تصـــرفات بربرية) في أن تؤمن أهداف الولايات المتحدة السـياسـية في جنوب شـرق آسـيا . ولكن على الرغم من أن هذه الإسـتراتيجية ستستغرق الكثير من الوقت لإظهار النتائج، فإن (هذه الكلفة ستعدل من قبل :
- أولاً : جهد سياسـي ثابت بإبقاء استثناءات النصـر السـريع قليلة، وبشـكل أهم إنقاص الضحايا في صفوف القوات الصديقة و منع وسائل إعلام جمهورية فيتنام

الديموقراطية من الحصـــول على ميزة نشـــر اعداد الضـــحايا . ولكن في هذا الحدث، فقد أظهرت الولايات المتحدة أن القتال للحفاظ على حكومة فيتنام كان أمراً عســـكرياً،ومن الممكن الفوز به بســـــهولة .ولذلك حاولت الولايات المتحدة إخضـــــاع حكومة فيتنام الديموقراطية بالقوة النارية(هيرينك١٩٨٦/٢٢٦) في حين دافع كلاً من الحكومة الفيتنامية و ثوار"الفيتكونغ" (الجبهة التحريرية الوطنية الفيتنامية) عن مصـــالحهم عن طريق اتباع استراتيجية غير مباشرة و بكلفة خيالية من الخسائر في الأرواح(١٦)كانت القوات الأمريكية قد ابتكرت اســـتراتيجيات جديدة من أجل هزيمة جمهورية فيتنام الديموقراطية و ثوار "الفيتكونغ(الجبهة التحريرية الوطنية الفيتنامية) ولكن التراجعات التي حققوها أخذت و قتا طويلا جداً (كـارنو ١٩٨٣/٤٦٤-٤٨٠) (هيرينـك ١٩٨٦/٢٠٠) وبحلول عـام ١٩٦٨ كان الرأي العام الأمريكي قد بدأ يدرك ما لم تدركه إدارات الرئيسـين "جونسـون" و" نكسون" و القيادات العسكرية . وفي الوقت الذي هبطت فيه مشاة البحرية الأمريكية في "داثانغ" كان الوقت متأخراً جداً.

---

(١٦)- شـاو ٢٠٠١ اعتماد هذه الاسـتراتيجية سيعد كتحول من اسـتراتيجية فوز بالحرب إلى اسـتراتيجية إلغاء الحرب .وهذا الحماس ظهر في خطاب غير مشـــهور للقائد الأمريكي وليم ويســـتمورلاند أن (آمال العدو قد أفلت) (كانو ١٩٨٣/٥٣٩) تصريح ويستمورلاند يماثل ما قاله الجنرال الفرنسي هينري نافر في ليلة معركة دين بين فو (الآن نستطيع أن نراه بوضوح , النور في نهاية النفق) (كانو ١٩٨٣) .

كانت الحرب في فيتنام قد أصبحت موافقة لما دعاها لاحقا "مايكل ويلزر"الحرب ضد الإشتراكية " فتلك الحرب لا يمكن أن تربح و لا يجب أن تربح . لا يمكن أن تربح لأن الإستراتيجية الوحيدة المتوفرة تتضمن الحرب ضد المدنيين، و لا يمكن أن تربح لأن درجة الدعم المدني الذي يحكم الاستراتيجيات البديلة يجعل العصابات الحاكم الشرعي في البلد . فالصراع ضدهم هو صراع ظالم و لا يمكن إلا أن يحسب على ظلم القتلة الأجانب حيث سينظر إلى تلك الحرب كعدوان مباشر وآثم ويجب الاستماتة في مواجهته وهذا ما وضع القوات المحاربة للجوء إلى استراتيجية حرب العصابات على الرغم من أنها قد أصبحت ضعيفة بشكل كبير "(ويلز ٢٠٠٠/ ١٩٥-١٩٦) .

وهذا ما حدث للرأي العام الفرنسي بعد هزيمة الجنرال "ماسو" على يد جبهة التحرير الوطنية في الجزائر حيث أصبح الاعتقاد بربح هكذا حرب أمراً لا يحتمل النقاش فيه .

وبالمقابل، فإن تلك المغامرات كانت ناجمة عن القلق من هيمنة الشيوعية على جنوب شرق آسيا، ولكنها عوضاً عن احتواء الشيوعية، فقد آثرت اتباع استراتيجية ربح الحرب ضد الاشتراكية.

الفصل السابع
إتحاد الجمهوريات الاشتراكية
في افغانستان
الحرب الأهلية الأفغانية
(١٩٧٩ - ١٩٨٩)

"قد يعتبر المجتمع الأفغاني في الوقت الحالي بأنه مجتمع ذو نزعة تواقة إلى القتل... فنحن الآن قد غدونا بلا روح،لم نعد مخلوقات قادرة على منح الحب والرعاية، بل مجرد حيوانات وحشية ومفترسة.

إنه ليس من الجائز أن يطلق على مجتمع بأسـره كلمة قاتل، ولكن في حالة المجتمع الأفغاني فإن الحالة مختلفة، فهذه الدولة هي دولة قتل حيث أن هذا الأمر لا يقتصـر فقط على أرض المعركة بل يطاله ليشمل شوراع وأزقة المدن التي لا تعيش حالة حرب. في افغانسـتان لا يشـعر أحد بالأمان الأمر الذي دعا العديد من الأسـر إلى الهروب خارج البلاد".

(حسان كاكار, ١٩٩٥)

لقد عشت في أفغانستان بمدينة غزني... كانت الحياة ضمن الوحدات هادئة نسبيا مالم نشارك في العمليات الحربية حيث يصبح كل شيء مختلفا فلم نصادف أي افغاني ودود في أي مكان فجميعهم كانو أعداء !! حتى الجيش الافغاني لم يكن ودودا أبداً. الجميع من حولنا كانو أعداء. العديد من رجالنا لقوا مصرعهم مما جعلني أشعر بغضب عارم اتجاه المتمردين. لقد أردت أن أثأر.

ثم بدأت أشك في أهداف وأساليب المساعدات الدولية. لقد واجهت وقتا عصيبا في تحديد ما أؤمن به فعلاً. لقد علمت عندها ما يتوجب علي قوله خلال اجتماع التوجيهات السياسي: وذلك بأننا نقاتل " العدوان الأمريكي" و"الباكستان".

سألت نفسي, لماذا كان يتوجب علينا مراعاة جميع أساليب الوصول إلى النظام؟ لماذا كانت تستهدف أسلحتنا جميع الأفغان؟ لماذا كنا نقتل الأشخاص الذين أتينا لمساعدتهم؟

.

لم يقم أحد بإسعاف أي فلاح فتكت به الألغام. كان الجميع واقفا مكانه مستمتعاً بالموت.

"هذا هو العدو,دعوه يتعذب"

هكذا قال الضابط "ميكولا موفتشان (جندي روسي هارب من أفغانستان)".

بدأت الحرب بين الإتحاد السوفيتي وقوى المقاومة في افغانستنان في ٢٧ كانون الأول من عام ١٩٧٩ وانتهت بانسحاب القوات السوفيتية المسلحة عام ١٩٨٩ [1].

المسرح الأفغاني

تشمل الأراضي الأفغانية منطقة جبلية تبلغ مساحتها ٢٤٥,٠٠٠ ميل مربع – أو بما يقارب مساحة ولايتي "نيو مكسيكو"و"أريزونا"معاً– وتعتبر في الواقع محور العجلة بحيث تحدّ الاتحاد السوفيتي السابق جهة الشمال,وإيران إلى الغرب, وباكستان إلى الشمال،والشرق والصين من جهة الشرق. وعلى هذا النحو, فإنها تقع على محاذاة عدد من الطرق التجارية القديمة والتي تصل الشرق بالغرب,كما أن موقعها الجغرافي كان ولقرون المحدد الأساسي لسياستها الخارجية.أما من حيث الأصل العرقي,كالدين, واللغة, فإن الغالبية من الأفغان هم مسلمون سُنَّة من "البوشتان" (غالباً ما كان يطلق عليهم اسم "باثانس" في كتابات القرن التاسع عشر البريطانية).

يشكل "البوشتان" نحو ٤٠ % من مجموع السكان، ثم يتبعهم "الطاجيك" الذين تبلغ نسبتهم ٢٠% أما المجموعات الثلاث الأكبر الأخرى – واتي تتساوى تقريباً بالحجم – فهي "الهازاراس" (وهم مسلمون شيعة مع ظهور عرقي متميز)و"أوزبيكس"و"الإيماك"(ماجنوس ونابي,١٩٩٨: ١٠). كما وتختلف

---

(١)- لم ينته القتال ولكن انتهى النزاع بين اتحاد الجمهوريات السوفيتية الإشتراكية وجماعات المقاومة الأفغانية عندما جلت القوات السوفيتيه عن الأراضي الأفغانية.

اللغات الأساسية لكل جماعة عن غيرها من الجماعات المذكورة (على سبيل المثال, لغة "الباثوو" للبوشتان), ولكن لغة "الداري" بين الأعراق هي موجودة أيضا (ماجنوس ونابي, ١٩٩٨: ١٥). وفي نهاية الأمر فإن ٩٠ % من الأفغان هم من المسلمون السّنة , بينما تشكل أغلبية الفئة المتبقية من الشيعة.

وهكذا، فعندما تكون الهوية الدينية هي الأبرز, فإن هذا الأمر يجعل معظم الأفغان حلفاء مع باكستان والسعودية، مما يخلق خلافاً مع إيران , والتي تعتبر ذات غالبية شيعية.

تعتبر الهوية "البوشتانية" مهمة لسببين :

- السبب الأول : وهو إن هذه الجماعة قد سيطرت على السياسة والمجتمع الأفغاني لمئات من السنين (بحيث نصبت حكامها إضافة إلى العديد من الحكام في الهند وإيران).
- السبب الثاني: يكمن في الهوية "البوشتانية" من حيث أنها ذات أهمية بالغة وذلك بسبب أن الأفغان – الحدود الباكستانية – تم تأسيسها على أنها - أو كما يطلق عليها- اسم خط "دوراند" عام ١٨٩٣ – والتي تقسم العرق "البوشتاني" إلى نصفين (ماجنوس ونابي, ١٩٩٨) وفي الواقع، فإن ما يطلق عليه الباكستانيين اسم المقاطعة الحدودية الشمالية الغربية, حيث يشير إليها الأفغان "ببوشتانستان".

إن الصراع السياسي الذي قاد إلى قرار السوفيت بالتدخل عسكريا في افغانستان هو أكثر تعقيدا ودقة من أن يتم عرضه هنا. ولكن ملامحه الأساسية هي كالآتي :

بعد الحرب العالمية الثانية, منحت بريطانيا الهند استقلالها في عام ١٩٤٧, وبعدما انفصل الباكستانيون المسلمون عن الهند الهندوسية, حسبت إدارة الرئيس الأمريكي "ايزنهاور"

أفغانســـتان خارج حدود مصـــالحها الإســـتراتيجية (كاكار, ١٩٩٥: ماجنوس ونابي, ١٩٩٨: ٥٩).

وعلى هذا النحو، تم إجبار الرئيس "ساردار محمد داوود خان" على البحث في مكان أخر عن مســـاعدات للتنمية, والتي كانت غاية في الأهمية وذلك لبناء الطرق, ومرافق الري والطاقة إضـافة إلى القوة العسـكرية الحديثة. وهنا أدخلت اتحاد الجمهوريات الإشـتراكية الفيـديرالية إلى الفراغ مقـدماً ملايين الروبلات إلى نظـام الرئيس "داوود خـان" وذلـك من خلال عرض مساعداته على انها مساعدات "ودية من دون أي قيود".

ولكن في عام ١٩٦٣ قام ملك أفغانسـتان "زاهر شـاه" بعزل "داوود خان" من منصـب رئيس الوزراء. وفي خلال الخمسة عشر سنة التالية قام أتباع داوود خان بتحرير السياسات الافغانية المحلية بالإضافة إلى تطوير البنية التحتية في افغانستان.

وفي عام ١٩٦٥ أدى هذا التحرير السياسي إلى تشكيل "الحزب الديموقراطي في افغانستان PDPA " تحت قيادة "محمد تاراكي" و "بابراك كارمال" والأكثر تطرفاً "خلق" , والذي ترأسـه "تاراكي". وهكذا، فإن تحرير السـياسـات الأفغانية قد أسـفر عن تسـريع عملية تشكيل الفصائل إضافة إلى المعارضة المتزايدة ضد الدستور الملكي.

في عام ١٩٧٣ قام "داوود خان" بدعم سـوفيتي و"بارشـامي" بتنظيم انقلاب غير دموي ومن ثم إعلان الجمهورية الباكسـتانية.ولكن مباشـرة بدأ "داوود" بتبطيئ وتيرة الإصـلاح السـياسـي حيث اعتقل عدد من الإسـلاميين والماركسـين,كما بدأ بتنظيف الوظائف الحكومية من "البارشاميين "وفي نفس الوقت تخفيف اعتماد افغانستان التقني والإقتصادي

على إتحاد الجمهوريات الإشـتراكية السـوفياتية (لقد قام بتوقيع مواثيق تنموية مع كل من إيران والسعودية بحيث بإمكانهم معا تخفيف برنامج المساعدات السوفيتي للعقدين التاليين).

وهنا قام السوفييت – بجزع – بتقديم طلب مقابلة مع "داوود خان" في موسكو في شهر نيسان / إبريل من عام ١٩٧٧, وعندها أمر "بريجينيف"بكل جرأة وصراحة أن يتوقف عن توظيف الأخصائيين التقنيين على أساس كونهم جميعا جواسيس "للناتو".

رد "داوود خان" بغضب على موسكو، وذلك بكونها لا دخل لها في سياسات افغانستان الداخلية, وهنا قرر السـوفيت اسـتبداله (ماجنوس و نابي, ١٩٩٨: ١١٨ – ١١٩و ١٢١).

وفي شهر تموز / يوليو أجبر السوفيت على إعادة توحيد الجماعتين المتنافستين من الحزب الديمقراطي الأفغاني, وبعد عام (نيسان / أبريل ١٩٧٨) قام الحزب الديمقراطي الأفغاني بتنظيم إنقلاب سوفيتي حيث قتل "داوود خان"مع عائلته [٢].

بعد ذلك تولى "تاراكي" و "حفيظ الله أمين" الحكم , ومن ثم بدؤوا بتطهير حكومة "بارشاميز"

الجديدة (حيث فر "كارمال" إلى موسكو) ثم تبع ذلك فوضى كبيرة نتجت عن محاولة الماركسيين – عديمي الخبرة– إعادة هندسة المجتمع الأفغاني بين ليلة وضحاها. وسرعان ما اندلعت الانتفاضات في معظم المدن الأفغانية مثل مدينة "هيرات" التي تم قمعها بشكل وحشي.

حزب الشعب الديمقراطي

في نهاية المطاف قام "أمين" بخلع "تاراكي" من منصـــبه والذي ســـرعان ما فرّ من البلاد. بينما اســـتمرت الانتفاضـــات، وبعد فرار حزب الشـــعب الديمقراطي, هُدد نظام "أمين" بالإنقسام.

(٢) – يجادل ليبود رودولف بإن إنقلاب أبريل ١٩٧٨ فاجئ السوفيت (رودولف, ١٩٨٥: ٤).

وهنا قررت موسكو أن الحل الوحيد لحل المشكلة هي من خلال استبدال "أمين" "بتاراكي" الأكثر اعتدالاً[٣].

ولكن في المقابل، استطاع "أمين" اكتشاف هذه الخطة حيث اعتقل "تاراكي" وقتله , وعاد بعد ذلك إلى"كابول". وفي شهر أيلول / سيبتمبر من عام ١٩٧٩ بدأ السوفيت الشديدي الغضب بوضع خطة مدروسة لغزو أفغانستان وتنصيب "بابراك كارمال" قائداً.

عشية الحرب: المصالح السوفيتيه

هنالك ثمة جدل كبير حول المصالح السوفيتيه في أفغانستان, ولكن الأسباب الأساسية وراء التدخل السوفيتي في أفغانستان يمكن تلخيصها بثلاثة أمور رئيسية:

١- الدفاع عن نظام ماركسي صديق في أرض تحاذي اتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفيتيه (عقيدة بريجينيف) [٤].

٢- فرصة تشكيل جسر جغرافي رئيسي في الخليج الفارسي.

---

(٣)- يقترح رودولف بأن أمين كان ذو هوية بوشتانية قوية بالنسبة للسوفيت الامر الذي دفعهم لاستبداله إضافة إلى أمور أخرى كما أن هويته الغير معهودة كانت تهدد كل من زيا في باكستان والخميني في إيران (رودولف, ١٩٨٥: ٣٩). اقترح اوربان منطق أخر خلف خلع السوفيت لأمين : حيث كانت تربطه علاقات مع وكالة الإستخبارات الأميريكية كما كان حليفا سريا للغرب (اوربان, ١٩٨٨: ٤٠)

(٤) – أما بالنسبة للولايات المتحدة الاميريكية في فيتنام وبريطانيا في شمال افريقيا, فإن جزء من عقيدة بريزنيف كان مبدأ بسيط جدا (مكونات اجتماعية , تجنب الإذلال) بالإضافة إلى منطق الدومينو (مكونات جغرافية , الحصول على السلطة أو الأمن). في هذه الحالة, المنطق هو على هذا النحو " إذا هُزم النظام الماركسي هنا سيضع النظام الماركسي في كل مكان" (ماجنوس و نابي, ١٩٩٨: ٦٣).

٣ - تكاليف الإهلاك.[٥]

وهذه الأسباب الثلاثة للتدخل بالكاد تستنفذ الأمكانيات. ولكن يمكننا التخمين بأن المصالح

السوفيتيه المعتمدة على المهمة , النوع , والكم هي المحرك الرئيسي لهذه المهمة. [٦]

وهكذا، فمهما كانت الاختلافات حول أهداف الاتحاد السوفييتي الطويلة الامد في افغانستان, فإن أهدافهم الفورية كانت واضحة منذ البداية وذلك في :

(١) - استبدال "أمين بكارمال" .

(٢) - احتلال واستقرار المدن الافغانية الكبرى (كابول. هيرات, قندهار, جلال آباد) أيضاً .

(٣)- تأمين خطوط الإتصال بين المدن(خصيصاً طريق"سالانغ" الذي يربط "كابول" "بتيرميز" إلى الشمال و"جلال آباد" إلى الشرق).

---

(٥)- يجادل "ماجنوس ونابي" على انه في واقع الامر كان السوفيت على الأغلب متأثرين بمبدأ تكلفة الإهلاك كما أنهم كانو متاثرين بإمكانية تهديد المصالح الأمريكية في الخليج الباكستاني: " في الواقع الفعلي لم يهتم السوفيت بالتحول الثوري لأفغانستان, ولكنهم اهتموا بشكل كبير بالسيطرة على افغانستان, الأمر الذي قد يوفر لهم قاعدة ثابتة (وحلفاء مسلحين بشكل جيد) من أجل الحصول على المزيد من التقدم في مناطق الشرق الأوسط وجنوب أسيا الواعدة. حيث كانت امالهم فوق كل شيء هي بالمحافظة على المناطق التي حصلو عليها خلال عقود من الصبر والمحاولة والتي انفقوا عليها الكثير" (ماجنوس ونابي , ١٩٩٨: ١٢٢). وكما سنرى أدناه, فإن عقيدة بريجينيف وحجة تكلفة الإهلاك هم على الأغلب الأقوى. لقد واجهنا مواقف مختلفة من حجة " تكاليف الإهلاك" عندما قام موسيليني باثارتها من أجل تبرير" الحل الذي وضعه للمشكلة" الأثيوبية وذلك بعد فشل استراتيجيته الواقعية.

(٦)- إن تحليل المصالح التي تقوم على القوى السوفيتيه وحدها قد يكون خطر وذلك لأن هذه القوى قد تمثل أكثر بقليل من استخفاف السوفيت بالمقاومة الأفغانية (انظر إلى تحليل مشابه للمصالح البريطانية في شمال أفريقيا بالفصل الرابع)

وباختصـار, فقد كانت مهمة السـوفيت محددة. كان هدفهم في أفغانسـتان هو اسـتقرار النظام الجديد تحت قيادة "كارمال" مما يمكنه من أن يبدأ المهمة السياسية التي من شـأنها أن تقوي أفغانســتان مجدداً (ليتواك , ١٩٩٢: ٧٩). ولكن المهمة المحدودة ذات النوعية الرديئة والكم القليل من القوات المســلحة التي كانت تدعم عقيدة "بريجينيف" وحجة تكاليف الإهلاك كانت بشكل أفضل من حجة رأس الجسر الجغرافية (ليتواك, ١٩٩٢: ٨٠). ذلك لإن حجة رأس الجســر قد زاد ضــعفها من خلال حقيقة المزايا المزعومة للإسـتيلاء التام (من خلال القواعد الجوية وغير ذلك) والتي كانت سـتكون للسـوفيت بموجب معاهدة على أي حال.

ولكن لم كان التدخل السوفيتي في أفغانستان من خلال قوات مسلحة في بادئ الامر؟ وتكمن الإجابة في أن "أمين" كان قد نجح – بشكل كبير – في تطهير المعارضة , وتأمين السـيطرة على القوى المسـلحة والبوليس السـري. وفي جوهر الأمر, فإن وحشـية "أمين" وكفاءته قد أحبطت امكانية أن يتم استبداله بطريقة قديمة الطراز ,من خلال انقلاب منظم (اكتشافه للمؤامرة عن طريق السوفيت وتاراكي للإطاحة به هي دليل على ذلك).ولكن الطريقة الوحيدة المتبقية بالنسـبة للسـوفييت كانت من خلال التدخل العسـكري المباشـر وبواسطة قواته المسلحة.

وفي المختصـر, كانت المصـالح السـوفيتيه في افغانســتان ذات طبيعة دفاعية منذ البداية. وكانت أهدافهم المحددة هي حماية النظام , والمناطق المدنية الرئيسـية و روابط الإتصـالات مما يجعل القيادة الأفغانية الحديثة تعزز الثورة وتهدئ الوضـع في البلاد من خلال السـياسـة وليس الوسائل العسكرية.

عشية الحرب: مصالح المجاهدين

بالنسبة لما يحاول للمؤرخين الأفغان أن يقنعوا – والذين شهدو هذه الأحداث – فإن الدولة الأفغانية قد توقفت عن الوجود بعد انقلاب نيسان /أبريل من عام ١٩٧٨ والذي عزل نظام "داوود" (كاكار, ١٩٩٥: ١٢٥). وهكذا، لم يتبق في أفغانستان سوى مخيمين شديدي الانفصال ومتمحورين حول قطبين متعاكسين.(٧)من طرف واحد كانت الفصائل المختلفة للحزب الديموقراطي الشعبي في افغانستان والذي كان يسعى "لإصلاح" المجتمع الأفغاني بينما كانوا في الحقيقة يسعون لإثراء أنفسهم والتخلص من منافسيهم.

وهنا، يجادل "كاكار" بأنه كانت هنالك مشكلتين بهاتين المحاولتين للإصلاح :

- المشكلة الأولى: وهي ان قيادة الحزب الديمقراطي الشعبي الافغاني لم يكن لديها كادراً من الوزراء ذوي الخبرة والذين كان يتعين عليهم ان يروا مسبقاً تنفيذ مراسمهم الراديكالية.

- المشكلة الثانية : وهي باعتمادهم على التفسير السوفيتي أو الماركسي للتاريخ من أجل فهم المشاكل الأفغانية ووضع الحلول المناسية:
- كل من الاشخاص – الذين استبدلوا داوود– كانو مقتنعين بأن مخطط الحزب الديموقراطي الشعبي الافغاني كان موجهاً لإعادة تنظيم كل من الدولة والمجتمع.ولكنهم – مع ذلك– اعتمدو على السوفييت وليس على التجربة الافغانية،وبذلك أيضاً كانوا قد انشقو عن الماضي الافغاني.

---

(٧)– لقد دعم هذا التفسير أيضا ليتواك مضيفا بأن السوفيت كانو قلقين بخصوص الاثار السابقة (دفي توف, ٢٠٠٣) في حال وصول النظام الإسلامي للسلطة في افغانستان وذلك لان افغانستان تحد الجمهوريات السوفيتية الواقعة في اسيا الوسطى (تركمستان,اوزبكستان, طاجكستان) والتي كانت دولا اسلامية في السابق.وبعبارة اخرى, كان القلق الاساسي هو ان تقوم افغانستان الاسلامية بتهديد اسيا الوسطى السوفيتية

(اوربان, ١٩٨٨: ٢٠٦, ليتواك, ١٩٩٢: ٧٨). وفي وقت متأخر, اثبتت هذه المخاوف بانها صحيحة (في حال انها سببت التدخل السوفيتي ام لا) (ماجنوس و نابي, ١٩٨٨: ٦٨).

ومن ناحية أخرى، فإن هذا الأمر قد يفسر أيضاً سبب ابتعادهم عن شعبهم بعد وصولهم للسلطة وأيضاً كانوا لا يزالون غير موحدين ضمن أنفسهم (كاكار, ١٩٩٥: ١٥)

وفي المقابل، كان هنالك عدد من الجماعات المتمركزة في المناطق الريفية ذات عقائد واعراق وجداول اعمال مختلفة. وكان منهم مسلمون سُنَّة وشيعة أيضاً. أما بالنسة للشّيعة، فمنهم من كان من "الإحدى عشريين" ومنهم من كانوا من "السبعية" (٨).

وهكذا، فقد كان ضمن السُّنة أيضاً البعض من "البوشتان" والبعض الآخر كانوا "طاجيك, أو تركمان, أو أوزبكيين " وكان "كوردسمان واجنر" قد حدد أحد عشرة فصيلة مقاومة حيث حافظت جميع فصائل المقاومة الاساسية على تنظيم مشابه: كان مقر القيادة السياسية في "بيشاور" على الحدود الشمالية الغربية لإقليم "باكستان" بينما كانت معظم اوامر القيادة موجودة في محافظات افغانية.(٩) ولكن على الرغم من وجود العديد من جداول الأعمال والتخطيط الخاص بكل فصيلة، كانت هنالك سمة رئيسية للنزاع الذي دام لعقود في الحرب الافغانية وهو: لطالما كانت القوات السوفيتيه منخرطة في العمليات كان هنالك – في المقابل- المزيد من الوحدة بين الفصائل الافغانية:

إن الاجتياح السوفيتي حول الحرب الأهلية إلى حرب تحرير. لقد اعطى هذه الحرب معنى جديد, والذي يمكن اختصاره بكلمة جهاد, وهو تعبير يعود للمسلمين الافغان في اوقات خاصة كهذه.

---

(٨)- السبيعين والاحدى عشريين يشكلون عدد من الشيعة المسلمين. وللحصول على شرح مفصل انظر ماجنوس ونابي و (١٩٩٨,صفحة٨٤).

(٩)- يجادل كاكار ان خوف الباكستانين بان يغدو مثل الفلسطينين في مقاطعة الحدود الشمالية الغربية. بشكل اساسي عززت ظهور فصائل المقاومة (كاكار, ١٩٩٥: ٩٣).

كان الروس شيوعيين مُلحدين, وكان قمعهم الوحشي للمسلمين في آسيا الوسطى ذو صلة بالأفغان من خلال آلاف المسلمين "البخاريين" الذين أُخذوا كرهائن في أفغانستان(كاكار, ١٩٩٥: ١١١) إضافة إلى ذلك، ولكن "كارمال" - الذي كان قد وصل على ظهر المدرعات السوفيتية – حيث لم يستطع المقاومين التفريق بين القوات السوفيتية وبين الأفغان.

أما بالنسبة للمجاهدين، فقد كان الجميع من " الروس"(ماجنوس ونابي, ١٩٩٨: ١٣٩).

وفي المختصر بين المصالح والهوية التي شكلت المقاومة الأفغانية، فقد كان هدفها الأوحد يكمن في عبارة واحدة : "أخرجوا الروس" (اوربان, ١٩٨٨: ٥٣و٧٢). ولكن، وبعد إعلان هذا الهدف الواضح البسيط، لم يكن هناك توافق بين الفرقاء , بل إن عدم وجود ذلك توافق على الحدود جعل مهمة إخراج الروس أصعب بكثير.

الحرب الأهلية الافغانية

تشمل الحرب الافغانية تفاعلين استراتيجين :

- في التفاعل الأول : حدد السوفيت أنفسهم من أجل بناء مناطق حماية استراتيجية, بما يتضمن مناطق لوجستية مدنية و صناعية و بناء طرق تصل بين هذه المناطق.ولكن هذا الامر كان صعباً لذا، ومن أجل حماية المناطق الرئيسية، قام السوفيت بعمليات هجومية ضد أماكن المجاهدين المشتبه بهم في أفغانستان.

دامت اســـتراتيجية الهجوم هذه من عام ١٩٨٠ حتى عام ١٩٨٢ حيث اتبع المجاهدين استراتيجية حرب العصابات خلال هذا الوقت وطوال فترة الحرب. ففي عام ١٩٨٢ تحول السوفيت إلى استراتيجية " الأرض المحروقة " ولكن هذه الاستراتيجية البربرية صّعدت من معدلات الموت عند المدنيين وزادت من الهجرة إلى كل من باكســتان و إيران. والاهم من ذلك بدأت بشـــدة تدمير البنية التحتية للمجاهدين كما كان لها اثر كبير على قدرتهم القتالية.

التفاعل الأول: الهجوم التقليدي ضد إستراتيجية حرب العصابات

بدأت الحرب الافغانية من خلال هجوم القوات السوفيتية في ٢٧ كانون الأول/ديسمبير ١٩٧٩. وكانت القوات السوفيتية الأولية, أو ما سمي بجيش "الأربعين ألفاً" تتألف من خمس كتائب وهي :

١- الكتيبة العسكرية الرابعة (MRD) .

٢ - كتيبة جوية واحدة (مدعمة بقوتين جويتين إضافيتين (الكتيبة ١٠٣ و ١٠٤).

كانت الخطة الموضوعة هي من أجل تقدم الكتيبتين (٦٦) و(٣٥٧)من إقليم "كوشكا" في "تركمستان" السوفيتية إلى مديني "هيرات"و"فرح" و من بعدها مدينة "قندهار", بينما تتحرك الكتيبتين (٣٦٠)و(٢٠١) إلى الجنوب من "تيرميز" في "أوزباكستان" السوفيتية عن طريق "مزار الشـــريف" إلى "كابول" بينما كانت الكتيبة الجوية (١٠٥) مع القوتين المصاحبتين لها جاهزة في "باجرام" وعلى محاذاة "سالانج" حيث بدأت العمليات لاحتلال العاصمة "كابول" في الساعة السابعة والربع مساءً، وعند الساعة التاسعة إلا ربعاً أعلن

الســـوفيت – من خلال الإذاعة في "تيرميز" مدعين انها إذاعة "كابول" – بأن القائد "كارمال" قد اسـتولى على الحكومة وانه يطلب المسـاعدة السـوفيتية. وهنا بدأت القوات الأرضية عبور نهر "امو داريا" عن طريق جسور عائمة.

وفي المقابل، فإن القتال الحقيقي الذي حصل كان بين القوات الجوية السوفيتية والقوات الخاصة وبين حراس "أمين" الشخصين في قصر "درلومان" في ضواحي "كابول".

لقد بذل السوفييت جهودهم – قدر المستطاع- لتسهيل عملية الاستيلاء السريع, بما يتضمن تسميم "أمين" و إفراغ مدرعات كتيبتي "أمين" من الوقود إضافة إلى تبادل الطلقات الحية (من أجل التدريب) من أسلحة هاتين الكتيبتين (كاكار, ١٩٩٥: ٢٣). وجميعها وقفت بوجهه , وقد كانت حصيلة القتلى أكثر من ١٨٠٠ من الحراس الشخصيين الذين احتلو مناصب دفاعية في القصر.

عندما بدأ الهجوم من قبل القوات السوفيتية الخاصة, جاء "جاهنداد" قائد الحرس إلى "أمين" من أجل وضع التعليمات. ووفقاً لظروف "أمين" (ادعى كاكار بانه تم تعين موقعه من قبل السوفيت) فقد أُضطر "جاهنداد" لأن يتخذ القرار بنفسه ومن ثم اختار قرار المقاومة, بحيث تمت مواجهة المهاجمين عدة مرات:

كانت المواجهة عنيفة وطويلة، وكان كلا الطرفين قد عانا من خســـارات فادحة حتى تم التغلب على الأفغان في نهاية المطاف من خلال استخدام غاز الأعصاب.[١٠]

لقد كانت مخاوف المهاجمين تتمحور حول إمكانية أن تقوم القوات المحاذية في "ريشــكور" و"قاركا"[١١] من اللحاق بالأفغان في حال لم يتم التغلب عليهم ولكن هذه الفقرة لا تشـير فقط إلى اختراق قوانين الحرب ولكن تعبر عن منطق الحرب الأكثر شـــيوعاً: إنه كان " ضرورياً " من أجل زيادة الفعالية العسكرية.

وفي شهر كانون الثاني / يناير من عام ١٩٨٠, أعلن "كارمال" عن حزمة من الإصلاحات والتنازلات المعدة لإعادة تشـــكيل الحكومة وإنهاء المقاومة بالعنف. ولكن معظم الأفغان تجاهلوه:

---

(١٠)- يبدو من انه يوجد مشكلة في هذا الجدال. إن مغادرة السوفيت من افغانستان سنه ١٩٨٩ كان له نتيجتين يصعب تصنيف اثارها:(١) - تم التخلص من تماسك المجاهدين بعد عبور الوحدات الروسية نهر امو داريا. (٢) - الدعم الاجنبي اللوجستي للمجاهدين قد جف. وقد قادت كلا النتيجتين إلى تناقص القدرة القتالية عند المجاهدين, ولكن النتيجة الأولى تدل على أن العديد من المجاهدين استطاو في الواقع التفريق بين الروس البيض والدمى الافغانية خاصتهم.

(١١)- أشار كاكار انه لم ينج احد من حراس القصر ال١٨٠٠ الأمر الذي يدعم الجدال الذي يقوم حول كون شيئا غريبا تم استعماله من أجل التغلب على قوات الدفاع هذه.

على الرغم من أن حزمة "كارمال" كلنت شاملة إلاّ أنه تم تجاهلها من خلال عدد كبير من الأفغان. فبالنسبة لهم :كانت وعود الحرية, وإطلاق سراح المعتقلين, والنقابات العمالية غير مترابطة.

ولأن "كارمال" كان قد اعتمد بشـكل واضـح على قوات أجنبية . قوى أجنبية يراها الجميع على أنها ملحدة ومعادية للإسلام. (اوربانو ١٩٨٨: ٥٣) وهكذا، فقد كان معظم الأفغان قد أصبحوا في حالة غضـب عارمة بسـبب الاجتياح السـوفيتي، واسـتقال عدد كبير منهم من وظائفهم ولحقوا بالمجاهدين . ولكن الأمر الأســوأ هو تحول جميع الوحدات الأفغانية إلى وحدات مجاهدين وقد أصــبح هذا التحول لجميع الوحدات الأفغانية للمجاهدين مشـــكلة كبيرة مما يعني تحول القوى العســـكرية – وفي بعض الأحيان قوى غاية في التطور – إلى قوى المقاومة. كما إن محاولة "كارمال" للتوصل إلى تنازلات داخل حكومته سببت أيضا المزيد من المشاكل.

ومن ناحية أخرى، فعلى الرغم من أن اتباع "أمين "كانوا لايزالون ضـــمن الجيش وضـــمن البوليس الســـري, إلاّ أن " كـارمـال" رفض التخلص منهم، وهكـذا، فقـد ظلوا قـادرين على عرقلـة مبـادراتـه السياسية.

وفي منتصـف شـهر كانون الثاني / يناير أصبح هجر الأفغان للجيش معضـلة كبيرة بحيث قام المارشـال "سـوكولوف" قائد العمليات العسـكرية السـوفيتية بتحريك قوات الإحتياط. ومن أجل سـد الحدود الإيرانية أرسـل "سـوكولوف" الكتيبة الخامسـة إلى مدينة "فرح" والكتيبتين (٥٤) إلى مدينة "هيرات" كما قام بنشـر الكتيبة (١٦٦)في "مزار الشـريف" في حين أرسـل أيضـاً الكتيبة (٢٠١) من شـرق "كابول" إلى "جلال آباد" من اجل استقرار الوضع هناك [١٢].

---

(١٢)– إن كتيبة الجيش الأفغاني التاسعة أقامت ثكنة عسكرية في جلال آباد في الطريق الرئيسي الذي يصل باكستان بكابول. يقدر اوربان بأن العديد من وحداتها انشقت بحلول صيف ١٩٨٠ بحيث قوتها الفعالة انخفضت إلى أقل من ١٠٠٠ (اوربان, ١٩٨٨: ٥٥).

ومن جهة اخرى, من أجل تخفيف الضـغط على القوات الأفغانية من الكتيبة التاسـعة في جلال اَباد, كما خطط الروس أخذ الهجوم في وادي "كونار".

وفي المقابل، يوضح وادي "كونار" تماماً الصراع التضاريسي في أفغانستان: وادي خصب تحيط به جبال مرتفعة ويحتوي على أخدايد صغيرة. في حين تتفرع عن الوديان أنفسها في أغلب الاحيان أنهاراً فرعية تنســـاب لتلحق بأنهار أخرى في نفس الوديان، وذلك عبر ســـلســـلة جبال "الهندو كش" بحيث تكون منطقة التقاء الأنهر مكاناً للتمركز المدني، وتقاطعات الطرق الســريعة الرئيســية. وباختصـــار, فإن وديان أفغانســتان تشــكل قيماً استراتيجية كبيرة.

ولكن ما اكتشـفه السـوفييت بسـرعة هو أنه لم يعد هنالك قوى أفغانية كافية لحماية هذه القيم الاستراتيجية وإن الجيش السوفييتي قد اجتمع لحماية جزء بسيط ومهم جداً.

كان على العديد من قوافل المواد الغذائية والوقود والذخيرة وجنود الإحتياط في عدة اماكن أن يســـافروا عبر طرق طويلة جدا و محفوفة بهذه الوديان المفتوحة. ولذلك، فقد وجد الســوفيت انفســهم مضــطرين لأن يقوموا بعمليات خارج ثكناتهم وذلك فقط لتخفيف الضغط على الجيش الأفغاني وحماية خطوط التواصل الخاصة بهم. كانت محاولتهم الأولى في عملية وادي "كونار" في شهر آذار/مارس من عام ١٩٨٠ ولكنها أثبتت فشلاً ذريعاً. بدأ الهجوم بقصف جوي مستمر الأمر الذي حذر المجاهدين قتل المدنين والحيوانات وهدم الحقول والمنازل ومرافق الري مما قاد إلى إخلاء الوادي من الســـكان. ومن حهة أخرى، قامت المدرعات الأخرى بإثقال الوادي بحيث تعرضت إلى الكثير من الاماكن، فقد

استطاعت المدرعات أن تخفف من الضغط على الثكنات في إقليم "أسد آباد" ومن ثم لتعيد بناء السلطة في إقليم "أسمر" بعد عودتها إلى القاعدة. وبعد أيام، عاد المجاهدون من الكهوف في الجبال حيث كانو يختبئون بينما قام السوفييت بتهدئة الوادي, وعادت الحالة الاستراتيجية لما كانت عليه في السابق وهي حالة الهجوم [١٣].

ازداد القتال عنفاً وكثافة في شهري حزيران / يونيو و تموز / يوليو بشكل خاص في مقاطعات الحدود الثلاث الرئيسية من "كونار" و" نانجرهار" و "باكتيا"[١٤]. لقد أثبت الهجوم السوفييتي في "باكتيا"بأنه كان كارثياً بالنسبة للسوفييت حيث تمخض عن ذلك ثلاث مشكلات رئيسية :

- المشكلة الأولى: لم تكن قوات الإحتياط مدربة تدريباً جيداً , كما أن نظام الأقدمية عند الجنود السوفييت قد دمر فعالية شروط الخدمة [١٥].
- المشكلة الثانية : قدم المعدات السوفيتية وخاصة الموجودة على جبهة الجنوب العسكرية.

فقد كان عمر ناقلات الجنود المدرعة من ١٠ إلى ١٥ سنة , كما كان عمر الدبابات "تي ٥٥ T-٥٥ " أكثر من ٢٠ سنة في حين لم تكن أي من الناقلات تحمل أية أسلحة مضادة للجنود الأمر الذي قد يخفض – بشكل كاف – نسبة الوصول إلى الأهداف في منطقة جبلية شديدة الانحدار.

---

(١٣)- من أجل المقارنة بين السوفيت والقوات الامريكية في افغانستان, كانت القوات الامريكية في حرب فيتنام تسعى لتأمين تغطية للجنود تصل إلى ٧,٣ جندي لكل ميل مربع بينما لم تستطيع القوات السوفيتيه تأمين تغطية تصل إلى ٠,٧ جندي لكل ميل مربع (كوردسمان و وانجر, ١٩٩٠: ٩٦). حتى تقييد الجنود فقط في الطرق الرئيسية و ومستودعات المؤونة وحرب مدن لم تكن أبدا كافية لحمايتهم بطريقة كافية. (اوربان, ١٩٨٨: ١١٩- ١٢٠).

(١٤)- هذه المقاطعات كانت رئيسية وذلك لأنها كانت تحد باكستنان والتي كانت طيلة فترة الحرب القناة اللوجستية الأولية لدعم للمجاهدين (عتاد عسكري, ذخيرة وما إلى ذلك)

(١٥)- تستمر شروط الخدمة لمدة يومين وبالنسبة للجنود الذين يخدمون لسنتهم الثانية يحق للجنود القدامي إهانة ومضايقة المنافسين الجدد(انظر اوربان, ١٩٨٨: ١٢٧ – ١٢٨). هذا الشق في قيادة الوحدة الصغيرة يعني بان الضباط المبتدئين كان يتعين عليهم غالبا تحمل مسؤليات هذه الوحدات.

- المشـــكلة الثالثة : تكمن في كون التكتيكات المســـتخدمة غير كافية للعمليات العسكرية والتي تتطلب وحدات مشاة مكثفة ومدربة وبأن تتصرف باستقلالية كما يجب أن تكون مدعمة بمروحيات جوية. وفي صيف عام ١٩٨٠ كان لا يزال هنالك مايقدر ب "٤٥ – ٤٦ " طائرة مروحية في جميع الأماكن.وفي هجوم "باكتيا" تمت هزيمة الكتيبة المسـلحة بكاملها عن طريق كمين محكم حيث تم شـلّ حركة المركبة الأولى عن طريق لغم أو قنبلة يدوية بحيث تم تعطيل جميع ما تبقى من القافلة. وحالما بدأ إطلاق النار، سارعت القوات بالرد بتهور، واســـتمرو بإطلاق النار من داخل مركباتهم حتى نفذت كافة الذخائر التي كانت بحوزتهم ومن ثم هزموا.

إن الهزيمة في "باكتيا" - إضافة إلى العديد من النكسات في ذلك الصيف – قد أدت إلى إعادة تنظيم سـوفيتي كبير: " من شـهر حزيران / يونيو من عام ١٩٨٠ إلى منتصـف عام ١٩٨١ حدثت إعادة هيكلة للجيش الأربعين لتكوّن قوى مؤلفة من ســبع كتائب إلى واحدة من ثلاث كتائب اثنتان منها مســـتقلتين بقوى البنادق والأخريين قوتي لواء" (اوربان, ١٩٨٨: ٦٧).

تم اخراج الدبابات من افغانســتان وارســال المروحيات إليها حيث انتقل الوضــع من ٦٠ طائرة مروحية في عام ١٩٨٠ لمنتصـــف عام ١٩٨١ إلى ثلاثة قوى مروحية تألفت كل واحدة من ٤٠ – ٥٠ مروحية.

وفي النهاية, فإن هشــاشــة عمل قوافل إمداد الوقود كان قد دفع إلى بناء خط أنابيب من "تيرميز" إلى"بول الخومري" في مقاطعة "باجلان" (شمال كابول بمحاذاة طريق سالانغ).

وقد اكتمل هذا الخط في شهر آب / اغسطس من عام ١٩٨٠ (اوربان, ١٩٨٨: ٦٨).

استمرت العمليات الهجومية أثناء فترة إعادة التنظيم، وفي حلول شهر ايلول / سبتمبر، بدأ السوفييت

أول ما يمكن أن يكون نقطة المحور في الصراع بين السوفييت والمجاهدين: هجوم التهدئة التاسع في وادي "بانجشير".[١٦] يطل وادي "بانجشير" على منطقة رئيسية من طريق "سالانج" السريع جنوب النفق المشهور الذي يربط شمال وجنوب أفغانستان عبر جبال "هيندو كوش". وبذلك تطل نهاية وادي "بانجشير" على الطريق الأساسي للإمدادات من اتحاد الجمهوريات السوفيتية الإشتراكية إلى العاصمة "كابول"[١٧]. كان المجاهدون تحت قيادة "أحمد شاه مسعود" يُلحقون الخراب والدمار على طول هذا الطريق لشهور. وفي شهر ايلول/ سبتمبر, أعد السوفييت العدة والعتاد لتلقين "مسعود" درساً لكنه لم ينجح على الرغم من أن الهجوم السوفييتي كان يتضمن عمليات إنزال جوي ولكن النتيجة كانت شبيهة بتلك التي حدثت في وادي "كونار" عدا عن أن في هذه المرة خسر السوفيت العديد من المروحيات .

كان هنالك هجوم مشابه في بانجشير في شهر أيلول/سبتمبر وكان له الشكل والنتيجة نفسها. وفي الوقت نفسه تحرك السوفيت باتجاه معاقل المجاهدين في وادي "لوجار" الأمر الذي فتح الإمتداد الحيوي للطريق السريع من "كابول" إلى جنوب "جلال اباد".

---

(١٦)- يدعي المجاهدين بأنهم استطاعو إصابة ١٠ طائرات (اوربان, ١٩٨٨: ٧٠).

(١٧)- كانت تعمل التكتيكات بهذه الطريقة. إذا تم الإشتباه بأن احد القرى تحوي مجاهدين يتم اختياراها للهجوم. وبعد غارة جوية اولية يتم إنزال كتيبة جوية إلى موقع بين القرية وبين الطريق الاكثر ملائمة للتراجع. يتم وضع الألغاء لتسكير طرق اخرى بينما تكوم كتيبة بندقية بالتحرك ببطء إلى داخل القرية بحيث تكون مدعمة بمروحيات قريبة (ايزباي, ١٩٨٩: ٥٠). لاحظ بان الاستراتيجية السوفيتية هنا ليست بربرية بعد, على الرغم من أن لها هذا الأثر بشكل واضح. وعوضا عن ذلك كان السوفيت يحاولون أن " يفل" افغانستان (من خلال الطرق العقدية وبطرق جذرية و حيث كان يرى السوفيت المجاهدين على أنهم طفيللات غير ادمية). ولكن عملية التفلية تحتاج إلى ملقط وما كان لدى السوفيت فقط بندقية ضعيفة. إن نتائج " هجماتهم العقابية" (هو مصطلح يستخدمه اوربان وصف كل من محركات و اثار العمليات السوفيتية – انظر اوربان, ١٩٨٨: ٨٨) حيث كان السوفيت اقرب إلى محاولة فل حلفائم من الأفغان ببندقية لعبة.

وهنا قام الســـوفييت بعملية إنزال جديدة وبتكتيك " تطويق وتفتيش" . وهذا التكتيك الجديد وعمليات الإنزال الأكثر تطورا قد أدى إلى عمليات أكثر نجاحاً في هذه الســـنة (اوربان, ١٩٨٨: ٧٢). ولكن لا تزال النتائج ضـــعيفة جدا. حيث لايزال المجاهدين يسيطرون على أغلب المناطق الريفية.

وفي عام ١٩٨١ خفف السوفييت من عمليات التمشيط واعتمدو أكثر على القوة الجوية فحين كانت معظم الهجمات البرية على نســق عملية "كونار" و"بانجشــير" مما أدى إلى عمليات هروب متفرقة, واختفاء للمعدات, وخسائر بشرية ضئيلة في صفوف السوفييت, في حين قتل الكثير من المدنيين وغير المسلحين وتهديم البنى التحتية الأفغانية [١٨] في حين لم يصب المجاهدين بأذى كبير.

في عام ١٩٨٢ أعاد الســوفييت شــنّ عمليات تمشــيط هادئة وعلى نطاق واســع، وقد حققت نجاحاً بســيطاً. وفي شــهري نيســان/ إبريل وأيار / مايو بدأ الســوفيت بالهجوم الخامس من نوعه على إقليم "بانجشر", وفي شهر ايلول/ سبتمبر شن السوفييت هجومهم الســادس على نفس الإقليم ولكن أياً من تلك الهجمات لم تكن حاسمة على الرغم من أن تكتيكات الســوفييت (وخاصــة الجوية منها) والتطور التقني الذي جعلها أكثر فعالية من حملة "بانجشـير" الســابقة. ولكن اســتمرار المجاهدين وقوات "مســعود" كانت غير ملموســة بينما أُضطر السوفييت إلى التراجع لثكناتهم.

وقد قدر "أوربان" اعداد الإصابات البشرية بالنسبة للهجوم السادس على "بانجشير" بألفي قتيل من الجيش الســوفييتي ومثلها من الجيش الأفغاني, ومائة وثمانين قتيلاً من المجاهدين و ألف ومئتين من المدنيين بين قتيل وجريح (اوربان ١٩٨٨: ١٠٩).

وفي مناطق أخرى، كان السوفييت قد اصبحوا مهزومين بوضوح، وفي شهر نيسان/ أبريل اضُطرت القوات الأفغانية إلى التراجع من "جلال آباد" إلى الحدود الباكستانية بحيث كادت أن تبيد.

إن ما ميز حملة "بانجشير" السادسة هو التحول في الاستراتيجية السوفييتية من الهجمات المباشرة ضد قواعد المجاهدين إلى تدمير معتمد ومنظم للأبنية وأنظمة الري والبساتين (رايس, ١٩٩٤: ١٠٢) إضافة إلى الإستهداف المتعمد لغير المسلحين لزرع الإرهاب و" تطهير" الوديان المتنازع عليها:

وبما لأنهم لايستطيعون التفريق بين المجاهدين والسكان المحليين وبما انهم لا يستطيعون أن يشركو المجاهدين في القتال، فقد حاول الغزاة إبعادهم عن قومهم الأصليين "محاولين تدمير دعم الثوار ضمن السكان المدنيين, كما انهم انقلبوا ضد غير المسلحين والمدنيين مدمرين قراهم محاصيلهم وانظمة الري الخاصة بهم وأيضا قتلهم. حيث اصبح التدمير الذي ينفذ من غير تفريق ميزة العمليات العسكرية السوفييتية. وفي هذه الحالات قام الغزاة بارتكاب مجازر. وبسبب الظروف على الأرض، فقد وجد الغزاة انفسهم أمام وضع ماساوي بالغ القسوة حيث قتلوا المئات والالاف من الذين تعهدو حمايتهم. (كاركار, ١٩٩٥: ١٢٩)

واذا صح قول "كاركار"و"رايس" فإن السوفييت جسدوا التعريف الفعلي للهمجية: وهو عبارة عن استهداف منظم للمدنيين وغير المسلحين وذلك سعياً وراء هدف عسكري وسياسي. وأشار"اوربان" نفسه بأن عملية "بانجشير" السادسة كان لها أثر مدمر على قوات "مسعود":

بالنسبة لمسعود هذه كانت التكلفة الأكثر شدة في حملة "بانجشير" السادسة. وبحلول شهر تشـــرين الأول/ اكتوبر كان مجبرا على ان يطلب الطعام من أجل رجاله. ولكن على الرغم من أن مسـعوداً كان حياً، ولم يمس العديد من رجاله إلاّ أن حملة "بانجشـير" السـادسـة قد سببت ضرراً مستمراً للبنية التحتية لحرب العصابات في الوادي, مدمرة سنين من العمل من قبل المجاهدين.

وقد قام الزائرين بتقدير الإنخفاض في تعداد السكان في الوادي من ٨٠,٠٠٠ إلى ٤٥,٠٠٠ (اوربان, ١٩٨٨: ١٠٩)

وفي المختصر, فقد بدت الهمجية السوفيتية أقرب لتكون فعالة عسكرياً. ولكن هل كانت الاستراتيجية السوفيتية همجية ؟ أو أنها كانت هجوماً استراتيجياً مباشراً ووقحاً أدى من حيث النتيجة إلى ضرر جانبي كبير؟.

التفاعل الثاني: الهمجية

هنالك دليل لتأييد كل من الأضرار الجانبية والتفسيرات الهمجية، ولكن حجم الدليل يدعم الحجة الهمجية.ولكن من جهة أخرى، فإنه من الصعب المحافظة على حجة الأضرار الجانبية وذلك لثلاثة أسباب تالية :

- السـبب الأول : وكما أُشـير في سـابق السـياق أعلاه ,فإنه، وبحلول عام ١٩٨٧ انخفضـت نسـبة عدد السـكان في أفغانسـتان من ١٥ مليون إلى مايقارب ١٠ % من مجموع السكان

(سليوينسكي, ١٩٨٩: ٣٩). وهذا يعني بأن الأفغان كانوا يعانون من حصيلة قتل تزيد على ما عاناه الاتحاد السوفيتي في الحرب العالمية الثانية. وإضافة إلى ذلك، فقد عززت الحرب أكبر نسبة هجرة في التاريخ: حوالي نصف عدد السكان أي أكثر من ستة ملايين أفغاني هربو إلى إيران وباكستان خلال الحرب (كوردسمان و وانجر, ١٩٩٠: ١٠) وهذه الأعداد نفسها لا يمكن أن تدعم فكرة الهمجية وذلك لوجود أسباب أخرى يمكن أن تؤدي إلى الإصابات البشرية واللاجئين (مثل النقص الكامل في المؤن الطبية,الأمراض أو العمر، أو ربما سكان شديدي الخوف). ولكن لاتزال هذه الأرقام إشارة إلى معدلات خراب كبيرة حتى ضمن المدنيين .

- السبب الثاني : هنالك اتفاق منتشر حول التهديم المتعمد للبنى التحتية الأفغانية – خصوصا الأبنيةو الحقول, وانظمة الري – والتي لايمكن ان تعزى لضرر جانبي وذلك لأن هذا التهديد يلحق العمليات العسكرية:

بقيت القوات السوفيتية/ الأفغانية في "بانجشير" حتى العاشر من شهر ايلول/سبتمبر عندما تراجعت إلى "روكا" مرة اخرى. ولكن قبل ان يقوموا بذلك , كانو قد هدموا المنازل, وانظمة الري والمحاصيل. الامر الذي أدى إلى عمليات لجوء كبيرة. (اوربان, ١٩٨٨: ١٠٩)

ومن ناحية أخرى، فإنه من الصعب مع ذلك الاخذ بعين الإعتبار الضرر الجانبي, وذلك لأن هذا المصطلح مستخدم دائماً للإشارة إلى أن الضرر :

(أ) – لم يكن مقصودا من قبل المعتدين الغزاة.

(ب)   – كان هجوماً عرضياً ضد هدف مشروع (الأمر الذي يسمح لتعريف كلمة "شرعي" أن تختلف بعض الأحيان في الصراع).

- السبب الثالث : هنالك ثمة سؤال يتمحور حول استخدام الألغام, والأسلحة الكيميائية, ومعاملة الأسرى. وكما هو مشار مسبقاً, قام السوفيت بتوزيع عدد كبير من الألغام كجزء من تكتيك التطويق والتفتيش. وكان اللغم الأكثر شيوعاً هو لغم صغير مضاد للأفراد ١- PFM والذي تشير إليه المصادر الغربية بلغم" الفراشة". ولكن هذا اللغم لم يستعمل فقط لدعم العمليات المباشرة ولكن تم وضع كميات كبيرة منه في أماكن متفرقة ضمن طرق نقل الإمدادات الخاصة بالمقاتلين المشتبه بهم بما يتضمن الحقول و المراعي. ومن غير أية مفاجئة، فإن معظم الضحايا كانوا من المدنيين . اما بالنسبة لاستخدام الأسلحة الكيميائية – و هنالك دليل قوي بأن السوفيت قامو بتجارب كيميائية مع عدد المواد المختلفة في افغانستان (ايسباي, ١٩٨٩: ٧٦, كوردسمان و وانجر, ١٩٩٠: ٢١٤ – ٢١٨, كاركار, ١٩٩٥: ٢١٥)- ولكن لاتزال القضية ذات طابع سيايسي بارز وعلى الرغم من عدم الحصول على أي دليل ثابت ليؤكد استخدام المواد الكيميائية (اوربان, ١٩٨٨: رايس, ١٩٩٤: ١٠٦ – ١٠٨) فإن الدليل المتوازن يقترح بأنه تم استخدام الاسلحة الكيميائية كمضاد للأسلحة النووية ضد نقاد قوة المجاهدين المنعزلين

وفي نهاية الأمر, لم تكن القوات الروسية تنظر إلى الأسرى (كاكار, ١٩٩٥: ٢٤٦).

وفي المختصر, فإن معظم الفظائع قد تم تأكيدها من قبل الشاهدين والصحفين و المؤرخين

الذين استطاعوا استعراض أحداث الحرب وإن حجم الدليل يقترح أن الاسباب الرئيسية خلف الخسائر البشرية يرجع إلى استهداف المدنيين وإلى استهداف طعامهم , ومائهم و ومأواهم.

كانت هذه الهجمات تهدف لإضـــعاف المجاهدين وذلك من خلال تعطيل قاعدتهم العسكرية واللوجستية وايضا قاعدة الإستخبارات الخاصة بهم على الحدود المتاخمة الممتلئة بالسكان.

شهدت سنة ١٩٨٣ هدوءا نسبيا في القتال في افغانسان،حيث قام "مسعود" بتوقيع هدنة مع السوفييت في شهر كانون الثاني / يناير. وقد قام الروس بعمليات تمشيط قليلة جدا في تلك السنه لكنهم عوضاً عن ذلك، فقد صّعدو من استعمال السلاح الجوي (مرة اخرى تاثر بهذه العمليات المدنين وليس المجاهدين). كما انهم قاموا ايضــا بتناوب الجيوش وإعادة تدريبها تزويدها بقاذفات من عيار ٣٠ ملم وقاذفات قنابل يدوية من طراز (AGS-١٧) و مركبات قتال للمشاة مطورة من طراز (BMP-٢) والتي تستطيع مدفعيتها أن تصل إلى مســـافات بعيدة و صـــواريخ من طراز (RBG-١٨). وهكذا، فبعد انتهاء وقف إطلاق النار مع "مسـعود" في عام ١٩٨٤, قام السـوفيت بالبدء بعملية الهجوم السـابعة على "بانجشـير"وذلك في شـــهري نيســـان / ابريل وأيار / مايو. وكحذر من الهجوم قام "مسـعود" بضـربة احترازية لقوافل الدعم المتجهة عبر طريق "سـالانج" حيث قام مجاهديه بتدمير العديد من المركبات، لكن الســـوفييت تمكنوا من القبض عليهم حيث تم تطويق العديد منهم وقتلهم عن طريق القوى الجوية.

لكن مسعود لم يرعو، بل قام بعملية احترازية اخرى في ٢٠ نيسان / أبريل، ولكنه – وفي نفس اليوم– بدأ السوفيت بعملية قصف شديدة في الوادي والجبال. وفي المقابل، وبدون أيما جزع, طلب "مسعود" من قواته المتبقية الانسحاب إلى الأخاديد الجانبية وتجنب الإتصال بالقوات الميكانيكية التي تتقدم على محاذاة الوادي.

ولكن في المقابل، فقد تضمنت هجمات السوفيت هذه المرة عمليات منسقة في الأخاديد، حيث تم توزيع هذه القوات خصيصاً من الجوانب المعاكسة لهذه الأخاديد على أنها كمين للمجاهدين بين قوتين جويتين مدججتين. وهكذا، استطاعت هذه الخطة – إضافة إلى التكتيكات السوفيتيه الحديثة– أن تحقق خسائر أكثر من المعتاد (اوربان, ١٩٨٨: ١٤٧). وبعد المعركة, ادعى كلا الطرفين النصر على الرغم من ان السوفيت كان لهم النصيب الأكبر من ذلك النصر: حيث كانوا قد القوا القبض على قائد مهم من المجاهدين كما قاموا بإعادة بناء سلسلة مناطق المحصنة على محاذاة المناطق الرئيسية في الوادي. وفي هذه المرة استطاعوا قتل عدد اكبر من المجاهدين كما استطاعو ان يدعوا بأن المدنيين يمكن لهم العودة إلى " حياتهم الطبيعية" (اوربان, ١٩٨٨: ١٤٨). ومن ناحية اخرى, يمكن للمجاهدين ادعاء النصر وذلك بسبب:

(أ) – استطاعو إخلاء مناطق غير المسلحين قبل التفجيرات.

(ب) – لم يتم تدميرهم كقوة قتالية واستطاعوا تدمير العديد من المروحيات السوفيتية والتي كانت تحاول دعم عملية تطهير الأخاديد الجانبية.

(ج) – إن قرار السوفييت ببناء مناطق محصنة يعني أن عمل المجاهدين سوف يصبح قريبا اسهل مع وجود اهداف قريبة منهم.

وقد أثبتت هذه النقطة الاخيرة أهمية بالغة, وذلك أنه، بالرغم من ان الســــوفييت (١٩) قد رأؤوا بأن هذه المناطق المحصـــنة تشـــكل تهديدا للمجاهدين، ولكنها ســـرعان ما أثبتت العكس (٢٠). فحالما تم بناءها,كان يتوجب تزويدها بالرجال وتزويدها بالعتاد والمؤن بشكل مستمر(٢١).

ولكن هذا الامر عنى مســـافة قليلة جدا للمقاتلين لكي يتنقلو من أجل اعداد الكمائن لقوافل الإمدادات

---

(١٩)– لدى كاكار الأرقام ذاته للتشابه بين كوفي والاخرين من حيث الاستخدام الإيطالي لغاز الخردل خلال غزوها على اثيوبيا في عام ١٩٣٥ (انظر الفصل الخامس): " استعمل السوفيت مواد كيميائية في اماكن لا يمكن الوصول إليها , ولهذا السبب دمر السوفيت بواسطة المروحيات المزودة بالأسلحة الأماكن التي يشتبه وجود الغرباء فيها. بعيدا عن أي اعتبارات كان السوفيت يخافون من التواجد الأجنبي وذلك من أن يخبروا العالم لاستعمالهم اسلحة كيميائية في افغانستان. كان بتفجير مراخ الصحة القليلة الموجودة والمؤسسة في مناطق محددة من قبل الفرنسيين وغيرهم. كان رمز الصليب الأحمر لعنه بالنسبة للسوفيت" (كاكار, ١٩٩٥: ٢٤٦).

(٢٠)– إذا قرأ السوفيت كتب التاريخ الخاصة بهم لكانو فهمو لماذا . لقد حاول الفرنسيون نفس التكتيك في الجزائر سنة ١٨٣٠ ضد عبد القادر (اسبري , ١٩٩٤: ٩٧) وبعد ذلك في فيتنام سنه١٩٥٠ . كانت النتيجة كارثة في كلتا المرتين. استطاع البريطانيون الإستفادة منها فقط خلال حرب جنوب افريقيا لأنهم استطاعو استخدام جميع السكان السود كمورد استراتيجي. لايوجد امثلة اخرى لاستخدام استراتيجية الخط المحصن أو المعقل.

(٢١)– في كتاب الدعائم السبع للحكمة, وصف تي أي لورانس فائدة ابقاء الأتراك في المدينة:"في إحدى الأيام استيقظت من الحر الشديد وانا اتصبب عرقا والحشرات تلسعني واستغربت ما فائدة المدينة بالنسبة لنا؟ إنها شديدة الإيذاء لقد كانت جديدة بالنسبة لنا عندما كنا في ينبع وكان الترك متوجهين الى مكة: ولكننا غبرنا كل ذلك بحركتنا الى وجيه. اليوم نحن نقوم بســـد طريق الســـكك الحديدية وهم فقط يقومون بحمايته. لقد تحولت المواقع العســـكرية في المدينة الى مهاجمة صغيرة الحجم , جالسين في الخنادق يقومون بتهديم قوتهم الخاصة للتحرك من خلال التنقل بحيث لم يعودو قادرين على اطعامها. لقد اخذنا كل قوتهم, كما اردنا اخذ مدينتهم .... ولكن لاي ســبب اردناها؟ (لورانس, ١٨٩:١٩٢٦).وفي الجوهر, مافعله الســوفيت هو بناء عدد من "مدينة" على محاذاة وادي بانجشير.

كان الجنود داخل هذه المواقع غير قادرين على بذل أي شـــي عدا التاثير الســلبي على المدنيين المتبقين في الوادي:

كانت مواقع الميليشيا غير قادرة ايضا على التاثير في الأحياء التي كانو يتمركزون بها حيث كان مكانهم بين الســكان الريفيين المعادين لرمز النظام البغيض . وعندما قام المجاهدون بمهاجمة الرمز, لعبت أسلحة رجال الميليشيا وأعاثوا الخراب بين القرى إلى الحد الذي اضطر فيه أهل القرى للتوسّــل لدى المجاهدين لترك قراهم ووقف إطلاق النار على هذه المناطق الأمر الذي خلق صدعاً بين المجاهدين وبين أهل القرى وكان هذا يُعدّ بمثابة نصر بالنسبة للنظام. ومن ناحية أخرى، فإن شبكة من المناطق العسكرية عبر البلاد قد تؤدي إلى تهدئة على الأرض, ولكن لم تستطع الحكومة حتماً بناء نظام كهذا .

ولكن يجب أن نلاحظ هنا بإن هذه الشــبكة تلك هي مااســتطاع البريطانيون بناءه, والمحافظة عليه والتوسـع إلى شمال افريقيا. ولكن لم يكن لدى السـوفيت المهمة (أو الموارد اللازمة لها) لبناء مثل هذه الشبكة.

ومرة أخرى فإن تفكير" تي أي لورانس" بهذا الامر يعتبر توضـيحاً مناســباً. وهنا يقوم بحســاب ما يمكن ان يفعلة الأتراك للســيطرة على ١٠٠,٠٠٠ ميل مربع من الأراضــي الممتدة من الحجاز إلى سوريا.

وبعد ذلك اكتشف كم من الرجال سيحتاجون لكي يحرقوا كل هذه الأرض ولحمايتها من هجومنا في العمق. لقد عرفوا الجيش التركي جيدا، ومن ناحية أخرى يجب الســماح لامتداد حقل مرمى اسـلحتهم حيث لايزال يبدو انهم يحتاجون إلى مناطق محصـنة كل ٤ أميال مربعة وفي كل منطقة ليس اقل من ٢٠ رجلا. واذا كان الأمر كذلك فهم

ســـيحتاجون إلى ٦٠٠,٠٠٠ رجل لكي يواجهو النوايا الســـيئة للعرب, مع عداء بعض المتعصبين. (لورانس, ١٩٢٦: ١٩٢)

بيد أن هذا الأمر يختلف بنا في المهمة المحدودة للوحدات المحدودة على انه عمل توضـــيح اساسي في استراتيجية السوفيت المتبعة [٢٢].

تبلغ أراضـــي افغانســـتان ما مســـاحته ٢٤٥,٠٠٠ ميلاً مربعاً ولا بد من الاعتراف بأن السوفيت يحتاجون فقط للسيطرة على جزء بسيط منها،ولكن لم يكن لديهم جيوشاً كافية للقيام بذلك (اوربان, ١٩٨٨: ١١٩). وفي الواقع, كان الســـوفييت منتشـــرين بشـــكل بســـيط في أفغانســـتان حيث كان "مســـعود" قادرا على اســـتخدام التهديد لهذه المناطق وكذلك للتلاعب بخطى العمليات في أقاليم أخرى. بيد أن القليل كان يمكن تغييره من عام ١٩٨٥ حتى التراجع السوفيتي في عام ١٩٨٩.

في عام ١٩٨٥, اســتلم "ميخائيل جورباتشــيف" الســلطة في شـــهر أيار/مايو, كما تم استبدال "بارباك كارمال" "بمحمد نجيب الله" والذي كان يترأس البوليس السري في الجيش الأفغاني تحت قيادة "كارمال". على الرغم من ان "جورباتشيف" لم يكن يشارك من سبقه نفس النظرة وذلك فيما يتعلق بالتكاليف وفوائد المغامرة الافغانية, فقد اعطى قائد الجبهة الشمالية المعين حديثا, "ميخائيل زايتسيف" سنة كاملة ليُهندس حلاً عسكرياً للمشكلة الافغانية.في حين صـــعدت العمليات في عام ١٩٨٥ من الهمجية الســـوفيتيه حيث أن: المدفعية السوفيتيه وقاذفات الصواريخ قد استكملت مهامها بالتعاون مع قصف الطائرات لتحقيق الإجلاء الســـكاني من خلال القوة النارية وتلك طريقة ظلت مســـتمرة بســـبب صعوبة

---

(٢٢)- يذهب كاكار لاقتراح بان صلة مباشرة بين استراتيجية الهمج والعدد المحدود من الجيوش السوفيتية في المسرح (انظر الأسفل)

قوى النظام مما أدى إلى إلحاق الدمار التام بالمناطق الريفية التي كانت الهدف الرئيسي وعلى الأخص الهجمات على إقليم "لانجهام" في وادي "هيلمند" (ايسباي, ١٩٨٩: ٣٤).

ولكن بعد ثلاث سنوات بدأ السوفيت - بشكل واضح- عمليات مكثفة من ناحية فعالية

استراتيجة الإجلاء. فقد كثف "زايتسيف" استعمال القوة الجوية وخاصة العمليات المدعمة من المروحيات, ولكن المجاهدين رفضو الكشف. لماذا؟

وفي عام ١٩٨٦ ركزت العمليات السوفيتية على حرمان المجاهدين من المؤن والإمدادات وذلك بعد ان دمرو معظم البنى التحتية للمؤن الخاصة بالمجاهدين خلال المحاولات الهمجية التي استمرت لأربع سنوات, لكن المجاهدين في هذه المرة كانوا معتمدين لوجستياً على دعم إيران والسعودية و أيضاً من الولايات المتحدة الامريكية (رايس, ١٩٩٤: ١١٢-١١٣). وكان هذا الدعم يصل في معظمه "لكراتشي" ومن ثم يطير من هناك عن طريق "بيشاور" على "كيتا" ومن ثم إلى قوات المجاهدين عبر افغاننستان.

وفي عام ١٩٨٥ كان المجاهدون قد أصبحوا قادرين على استخدام قذائف أرض – جو من طراز SA-٧ و قذائف صاروخية من طراز SAM التي استعملت من قبل المجاهدين ولكن مع الأثر البسيط الذي حققته قذائف SAM المصنعة في بريطانيا. وفي عام ١٩٦٨بدأ المجاهدين بتلقي قذائف SAM الأكثر تأثيراً، والمصنعة أميريكياً، وقد أدى هذا الأمر إلى تكثيف الضغط من قبل السوفييت على باكستان، وقد قامو بذلك عن طريق هجمات خفيفة على المجاهدين في باكستان, ومن خلال رشوة القبائل "الغير بوشتانية" على محاذاة الجانب الباكستاني من الحدود.

ولكن هذه المحاولة اثبت انها فاشـــلة ومكلفة جداً، ولكن المشـــكلة الكبرى كانت في عام ١٩٨٦ مع قذائف SAM الأميريكية والتي استخدمت بشكل قوي ضمن هجوم كبير في إقليم "ناجرهار" حيث تم تدمير ثلاثة من أصل أربع مروحيات سوفيتية وبسرعة كبيرة عن طريق قذائف SAM أمريكية الصنع" (ايسباي, ١٩٨٩: ٣٨).

وهكذا، فقد كان لزيادة اللستنزاف في خسارة المروحيات الروسية أثر غير متناسب مع أثرها العسكري, وذلك لأن السنوات الست السابقة كانت قد اعتمدت بشكل كبير على تكتيكات القوى الجوية [٢٣]. وفي عام ١٩٨٧ اصبحت الأمور بحال أسوأ :

كانت قذائف SAM أكثر الأســلحة فعالية تلقاها المجاهدين, "فلقد اصــبحت نقطة تحول في الحملة." ووفقا لتقديرات الإســتخبارات الأفغانية " فخلال صــيف ١٩٨٧ كان المجاهدين قد ضـــربوا ما يعادل مجموعه مائة وخمس طائرات ذات موصـــفات مختلفة كل يوم."

وبنهاية عام ١٩٨٧ كانت الحالة العسكرية قد تراجعت لدرجة أن "نجيب الله" قد اعترف بأن " ٨٠ % من المناطق الريفية و ٤٠ % من المدن كانو خارج ســيطرة حكومته." (كاركار, ٩٩٥: ٢٦٠).

ومن جهة أخرى، فقد كان "زايتسيف" قد حصل على قوة جوية مستقلة في عام ١٩٨٥, وكان وصـول الأسـلحة الامريكية الصـنع في الكم الامر الذي جعله من الصـعب عليه ان يهندس النصــر العســكري معتمدا على هذه القوى ذات التخصــص العالي. وهنا دعى "جورباتشيف" إلى التوقف, ومن ثم بدأ السوفييت انسحاباً متتابعاً لقواتهم، والتي انتهت

عندما عبرت أخر وحدة سوفيتيه نهر "أوكسوس" إلى اتحاد الجمهوريات السوفيتية وذلك في شهر كانون الثاني / يناير من عام ١٩٨٩. وكانت النتيجة : انتصار المجاهدين.

---

٢٣ هذا ليس كقول بأن التقنية ربحت الحرب لصـــالح المجاهدين. إن ما فعلته هو جعل الامر غير ممكنا ل زايتســيف ان يلبي مهلة ســنه واحدة. فإذا كان قد اعطى وقت أكثرو كان من الممكن بالنسبة للسوفيت أن يطورو وينشرو اجراءات مضادة من دون أي تصعيد.

على الرغم من أن كتاب "اوربان" قد تم نشره قبيل نهاية الحرب، ولكنه وضع بعض ظروف النصر المفيدة:

يمكن أن يُعرّف النصر في حرب افغانستان على الظروف الراهنة على الأرض وخلف ترك الجيش السوفيتي. فإذا نجا نظام الحزب الديموقراطي الشعبي الافغاني واستمر في بخطى بطيئة, عندها يمكن للسوفييت أن ينجحوا، أما إذا انهار النظام حتى ضمن سنة أو اثنتين من الإنسحاب، فإنه يمكن الحكم على اتحاد الجمهوريات الإشتراتيكية السوفيتية بأنها جربت طعم الإذلال مقارنة مع ما جرى للأمريكيين في فييتنام.

لكن النظام الأفغاني كان قد انهار بعد ثلاث سنوات من مغادرة السوفيت, ووفقاً لمتغيرات" اوربان" فإنه يمكن الحكم على التدخلي السوفيتي إما على أنه نجاح أو إذلال أكثر شدة منه مما حدث في فيتنام.

في شهر آذار / مارس من عام ١٩٨٩, بدأ المجاهدون سلسلة من الهجمات بين الحدود الباكستانية و "جلال آباد" التي كانت تحت الحصار. وفي شهر نيسان / ابريل بدأ المجاهدون بتشكيل وحدات جيش منظمة للتحضير من أجل الدفاع على" كابول" وقد قضوا معظم سنة ١٩٩٠ في التنظيم وتدعيم أنفسهم. وفي شهر آذار /مارس من عام ١٩٩١ احتلوا إقليم "كوست" حيث أسروا أكثر ٢٢٠٠ من الجنود، وفي شهر تموز/يوليو وقع ممر "واكهان" فاتحاً الطريق لنقل العتاد من باكستان إلى "بنغلادش" . وفي أيلول / سبتمبر وافقت الولايات المتحدة الامريكية ان توقف جميع المساعدات العسكرية في نهاية السنة، وفي تشرين الثاني/ نوفمبير بدأ السوفيت بسحب أكثر من ٣٠٠ بطارية قذائف صاروخية من نوع "سكود SCUD " من افغانستان.

وفي الثامن من شهر كانون الأول /ديسمبر لم يعد الاتحاد السوفيتي موجوداً حيث انتهت المساعدة السوفييتية لنجيب الله. وفي شهر نيسان /ابريل من عام ١٩٩٢ ناشد "نجيب الله" الولايات المتحدة الأمريكية للمساعدة، وذلك لإيقاف انتشار الإسلام المتطرف في آسيا الوسطى، وفي الثاني عشر من شهر نيسان/ ابريل وقع طريق "سالانج" الحيوي في ايدي المجاهدين. وبعد عامين استطاع "مسعود" ومساعديه السيطرة على قاعدة "باجرام" الجوية. وفي الثامن عشر من نيسان/ابريل وقعت كل من مدينة "هيرات كوندوز" وقاعدة "شينداد" الجوية. وبعد يومين تم توقيف "نجيب الله" في مطار "كابول" بينما كان يحاول الفرار واللحاق بعائلته في "دلهي"والذي لجأ لمقر الأمم المتحدة طالباً الحماية (٢٤).

استمر المجاهدين بتطويق "كابول" والتي احتلوها في السابع والعشرين من شهر نيسان/ابريل من عام ١٩٩٢, وكان الإحتفال الرابع عشر للإنقلاب الذي أطاح "بداوود".

لم تكن الخسائر البشرية لكل جانب واضحة. حيث يقدر "كوردسمان ووانجر" (كوردسمان ووانجر, ١٩٩٠: ١٠ , انظر ايضا ايسباي, ١٩٨٨: ٦٢) بأن السوفيت لم يخسرو أكثر من خمسة عشر ألفاً من رجالهم وثلاثة أضعاف عددهم كانوا من الجرحى (٢٥).

بينما خسـر الجيش الأفغاني ما بين أربعة وثلاثين ألفاً واثنين وأربعين ألفاً بين قتيل وجريح و حوالي ما مجموعه من اثنين وخمسين ألفاً إلى ستين ألف حالة فرار. وقد خسر المجاهدين مابين مائة وأربعين ألفاً إلى مئتي الف بين قتيل وجريح. بينما وقع نصـــف عدد ســـكان أفغانستان بين قتيل أولاجئ أي حوالي مليون ونصف قتيل وأكثر من ستة ملايين لاجئ . لم يحقق السوفييت اهدافهم السياسية في أفغانستان، كما لم يستطيعوا حماية حلفائهم من الجيش الأفغاني

(٢٤)- بقي نجيب الله في مقر الأمم المتحدة حتى وقت طالبان – وهي مجموعة من المســـلمين الســـنة المحافظين دربتهم ودعمتهم باكستان – حيث احتلو كابول في أيلول/سبتمبير من عام ١٩٩٦ وعندما اخذ من المقر وتم شنقه.

(٢٥) – لقد اورد بوروفيك بأن هذا الأمر يعتبر قلة تقدير : فوفقا للأبحاث , كان هنالك ما يقارب ٢٠,٠٠٠خسارة بشرية سوفيتية في عام ١٩٨١ وحده (بوروفيك, ١٩٩٠: ٢٨١).

من الهجمات حتى في "كابول" في حين لم يستطع الجيش الأفغاني أن يحصل على الشرعية التامة ضمن

الشعب الافغاني وذلك لرفع التحدي السياسي لسلطة المجاهدين.وحتى بشكل أكثر أهمية و خلال عام , أصبحت جماعة "طالبان" (مجموعة من المتشددين الإسلاميين وهي من النوع الذي يهابه السوفييت كثيراً

وقد استلمت السلطة في افغانستان وكانت الحكومة الفعلية لكل المناطق عدا جزء بسيط يسيطر عليه تحالف الشمال).

تحليل: شرح متنافس لنتيجة الحرب الاهلية الأفغانية

مصالح الممثل

في الحرب الاهلية الافغانية،لم تكن مصالح السوفييت موضحة من خلال تفوق قوتها المادية بالنسبة لتلك الموجودة لدى المجاهدين. فقد غزا السوفييت أفغانستان دون وجود حتى هدف ضئيل في بناء وحماية النظام الماركسي في "كابول"حيث كان هنالك توقعاً أنه في حال تم فرض تلك الحالة من الاستقرار, فسوف يكون النظام "الكارمالي" قادراً وبنجاح من أن يوسع نطاق الدعم (من خلال زج المتطرفين في السجون والبدء بعمليات الإصلاح والتطوير) حتى يصبح الوجود العسكري السوفييتي غير ضروري. ولكن وجودهم حفز المعارضة وبنفس الوقت لم يشرع وجود النظام "الكارمالي" مع تلافي أي أمل في الخلاص. وهكذا، و لما استمرو في التواجد بعد ان برز ان مزاعمهم الأصلية كانت خاطئة؟ وبشكل أكثر اهمية, لماذا لم يصعدو تواجدهم كما فعلت الولايات المتحدة في فيتنام؟ لقد

استمروا في البقاء ذلك لأنهم غالوا في تقدير حجم القوة العسكرية الخاصة بهم. كما انهم غالوا في تقدير إلى أي مدى يستطيع حلفاءهم من الافغان التصرف باستقلال عن الدعم السوفيتي, وإلى أي درجة يمكن ان يعتبر الشعب الأفغاني نفسه الجيش قادراً على الاستقلال في العمليات العسكرية.

لقد استمرو في البقاء ليس فقط لأنهم كانوا يخافون أن يتعرضوا للإذلال على يد النظام الماركسي الصديق على حدودهم (٢٦) ولكن لأنهم خافوا أن يتم استبداله بالمتطرفين الإسلاميين في كابول (٢٧).

لم يصعد السوفييت من قوتهم لأنهم كانوا واثقين من قدرتهم على التجدد استراتيجياً – تكتيكياً – تقنياً و سياسياً – وبطرق جديدة لتحديث فعاليتهم العسكرية من دون زيادة التكاليف من ناحية الدم والوقت. إن استراتيجة الإجلاء الخاصة بهم, تكتيكات التطويق والتفتيش, المساعدة الجوية, المعدات الحديثة وإعادة تنظيم وتدريب وإمداد الوحدات الافغانية هي جميعها تشكل دليل واضح لهذا الأمر .كما إن قرارهم في البقاء يدل على أن المصالح السوفيتية في افغانستان كانت اعلى من حجة مصلحة عدم التناظر المقترحة, ويبقى رفضهم للتصعيد مجرد اقتراح بأن مصالحهم في افغانستان كانت في الواقع محدودة – الأمر الذي ينطبق على قوتهم العسكرية واهدافهم في افغانستان . ومن ناحية أخرى، فإن أياً منهم لا يستطيع تقديم جواب محدد لهذا السؤال, ولكن الدليل الأكثر دعماً للحجة هو أنه مهما كانت اهدافهم الأولية, فإن حقيقة الحرب ومقاومة المجاهدين قد زادت من اهمية النتيجة بالنسبة للسوفييت بما يتعدى حجة مصلحة التناظر .

لم يغادر السوفيت إلا عندما قتلوا وشردوا نصف الافغان المدنيين وحصلو على وعد في الحد من الدعم الخارجي للمجاهدين. وفي نفس الوقت استمروا في تدفق ملايين الروبلات للتطوير والمساعدة العسكرية للأفغان, حيث استطاع نظام "نجيب الله" البقاء حتى انهيار الاتحاد السوفيتي نفسه سنة ١٩٩١.

(٢٦)- مسألة ذات وضع سلبي سابق: إذا استطاع اتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفيتية ان يدافع عن النظام الماركسي الصديق من خلال رعاع متعصبين , كيف يمكن للحلفاء الأكثر بعدا الإعتماد عليه؟

(٢٧)- إن الأحداث المصاحبة لمغادرتهم تحمل الوضع القلق: بعد يومين من انهيار نظام نجيب الله في كابول, اندلعت الحرب الاهلية في طاجكستنان.

ولكن بصراحة أكثر, يكمن السبب الحقيقي وراء عدم التصعيد هو أن السوفيت كانوا قد أمنوا بأنهم قد حققوا اهدافهم المحدودة في افغانستان.

لكن المجاهدين اســـتمروا في القتال على الرغم من كون قدرتهم على البقاء كانت على المحك. فحالما انسحب السوفيت, بدأ المجاهدون بالقتال بين بعضهم البعض !. وقد بدأ هذا الأمر حالما انهارت الحكومة الأفغانية المفروضة من قبل الإتحاد السوفيتي سنة ١٩٩٢.

أنواع الأنظمة : الاستراتيجة,والضعف .

في عام ١٩٧٩ كان الإتحاد السوفيتي خاضعاً لنظام سلطوي تحت لواء "ليونارد بريجينيف" وحتى بعد صعود "ميخائيل جورباتشيف"إلى السلطة عام ١٩٨٥لم تطبق سياسة المصالحة الخاصة به على الحرب الأفغانية:

إن أكثر ما نحاول إخفائه هو كون الأمريكان أفضل من السوفييت. فإذا حاولت أن أنشر بعض المعلومات التي نعتبرها ذات ســـرية تامة, والتي كانت قد ظهرت في الصـــفوف الأمريكية منذ وقت طويل,أو سوف تستمر الرقابة في إخفائها. وهنا يفرض سؤال واضح نفسه: طالما يعرف الأمريكان شيئاً عن الجيش السوفيتي, فلماذا لا يحق للشعب السوفيتي أن يعرفه أيضاً؟(بوروفيك,٩٩٠: ١٢٧).

كانت السلطة تسيطر على الصحافة السوفيتية بشكل شديد , حيث تتم مراقبة حتى رسائل الجنود كما لم يكن لدى الشعب الحق بإعطاء رأيه في السياسة الخارجية [٢٨].

لقد كانت اســـتراتيجية الهجوم التقليدي في أفغانســـتان معتمدة على المهمة, وعلى هيكلة القوة العسكرية وعلى مزاعمهم حول كمّ ونوع المقاومة المتوقع مواجهتها.

لم تتوقع الكتيبة الثالثة التي اجتاحت أفغانســـتان في ٢٧ كانون الأول/ديســـمبر من عام ١٩٧٩ أن تلاقي أية مقاومة حيث واجهت مقاومة بســـيطة حتى بعد اســـتقرارها في الثكنات. كانت هجماتهم التمهيدية الأولى في الوادي الأفغاني أكثر من مجرد عرض للقوة والذي كان يهدف لإخافة"الفلاحين الرجعيين المتخلفين" الذين اعترضـــو لمحاولات حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني بأن يدفع بالإشتراكية نحو الأمام .

ولكن لم يكن الأفغان فزعين بل كانو ســـاخطين. فحالما اختلفت اســـتراتيجية الهجوم التقليدية التي اعتبرت في الســابق بأنها اســتراتيجية مرعبة بالنســبة للأفغان إلى حملة منظمة يمكن فهمها تماماً من خلال كتب التاريخ السوفيتية:

في حالة أفغانستان,لا يمكن استبعاد استراتيجية مركزية التنظيم تستهدف ما وصفه "لويس دوبري" إبادة جماعية" في حين أن جلاء السكان كان جزءاً من عقيدة السوفيت المكافحة والتي تمت ممارستها في وقت سابق في حرب آسيا الوسطى. كما إن حرب المكافحة الفعالة لا يمكن استعمالها ضد الميليشيات التي تسبح في بحر من الدعم الشعبي. في حين إن عدم قدرة نظام "كابول" الفوز بعقول وقلوب الأفغان, تظافر مع الســـوفيت من أجل إخلاء مناطق المقاومة العنيفة. (رايس, ١٩٩٤: ١٠٢-١٠٣).

وهذه كانت طريقة أخرى من اجل القول بأن هذه الهمجية هي اســـتراتيجية تقليدية في عقيدة الحرب الســوفيتية. ولأن نظام الاتحاد الســوفيتي لم يتغير منذ عام ١٩١٧ حتى انهياره في عـام ١٩٩١ حيث يكون من الصـــعب تقدير أثر نوع النظام على قرار التحول إلى استراتيجية بربرية في حالة السوفييت.

قد يكون من الصـعب، ولكن غير مسـتحيل, إيجاد طريقتين لفهم العلاقة بين نوع النظام والإستراتيجية في الحرب الأهلية الأفغانية : (٢٨)

- الطريقة الأولى: البعد الداخلي الذي كان يشكل حالة قلق حتى بالنسبة "لبريجينيف" حيث

(٢٨) –كانت معظم رسـائل الجنود مراقبة ذاتيا: حيث يعلم الجنود أن عائلاتهم سـتكون قلقة , فغالبا ماكانوا يكتبون رسـائل تشـجيعية لتخفيف قلق اهلهم عليهم (تاماروف, ١٩٩٢)

تستطيع بيانات الاستخبارات وبيانات الأقمار الصناعية ان تكشف للعالم بناء ونشر القوات في افغانستان. ولكن "بريجينيف" حسب ان الحالة ستكون كما كانت عليه في "هنغاريا" عام ١٩٥٦ وفي "تشيكوسلوفاكيا" عام ١٩٦٨ حيث سرعان ما " سيختفي" الرأي العام العالمي:

ولكن هذا التوقع السوفيتي تلاشى تدريجياً حالما أصبح من الضروري أن يلعب السوفييت دوراً قيادياً في القتال وذلك لأن الفعالية في الجيش الأفغاني كانت قد تضائلت بسبب عمليات الفرار والصراع الداخلي بين أكثرية "خلقي" والنظام "البارشامي" الحديث.

وفي نفس الوقت، كانت الحرب قد تحولت من نزاع داخلي إلى نزاع خارجي الأمر الذي دفع بالشعب الأفغاني لزيادة المقاومة, والتي حصدت دعماً فعالاً على المستوى العالمي. ومن جهة أخرى فقد رمزت حقيقة الحرب للعالم بأسره من خلال الإرتفاع الدرامي لأعداد الاجئين, الأمر الذي جعله صعباً للغاية بالنسبة للسوفيت لأن يمارسوا "سيطرة الضرر" سياسياً. (ماجنوس ونابي, ١٩٩٨: ١٢٩)

كان "بريجينيف" مخطئاً حين ترك أتباعه يدفعون الثمن, وحيث لم يكن هذا الثمن باهظاً في بادئ الأمر. ومن هنا قادت الولايات المتحدة الأمريكية حملة مقاطعة الألعاب الأولمبية في "موسكو" كما حظرت قيادة الرئيس الأمريكي "جيمي كارتر" تصدير القمح عن اتحاد الجمهوريات الإشتراكية. ولكن مع استلام "ميخائيل جورباتشيف" للسلطة, فقد كان أقرب ما يكون لإجراء تغيير في نظام اتحاد الجمهوريات الاشتراكية وذلك منذ استبعاد "كروشكيف" لسالتين" والذي طالما جعل المغامرة الافغانية باهظة الثمن.

صحيح أنه لم يكن للشعب السوفيتي أي رأي في الشؤون الخارجيةو ولم يتم اطلاعهم على الخسائر البشرية أبداً في افغانستان, ولكن بالنسبة للقيادة الجديدة، فقد كانت تحاول أن تجلب الإتحاد السوفيتي إلى القرن الحادي والعشرين من دون أن خسائر وهنا غدت أفغانستان مثل طائر القطرس:

لم تناسب الحرب في افغانستان سياسة "جورباتشيف" لقد شعر بأنها تحولت لكارثة مفاجئة للإتحاد السوفيتي كما انه كان متصلاً بشكل كبير بسياسات "بريجينيف" والحرب الباردة المتجددة. كانت إحدى سياساته تعني انه لم يعد ممكنا إبقاء ثمن الحرب سراً .(ماجنوس ونابي , ١٩٩٨: ١٣٢).

كان "جورباتشيف" يحاول ان يتناغم مع ما أوجده أسلافه دائماً ومع الأهداف ذات العلاقة المتبادلة: القومية, الليبرالية, والشيوعية. كما كان "محمد بيغ تارزي" بالنسبة للأفغان, فقد كان "جورباتشيف" المفكر الليبرالي الأفضل" في بلاده.

وفي المختصر, فإن التاريخ الطويل لأنواع النظام السلطوي في الإتحاد السوفيتي, جعل الاستراتيجية الهمجية ممكنة من دون المحافظة على تكاليف سياسية محلية (٢٩).

لقد غدت البربرية استراتيجيتها المقياسية, ولكن الإتصالات وتقنية الاستخبارات العسكرية وانضمام السكرتير العام صاحب العقل المصلح, للسلطة قد غير هذا الامر. وعلى الأخص حين بدأت استراتيجية السوفيت البربرية تفرض تكاليف سياسية عالمية تقريبا منذ البداية.

لقد جربت الدول الإشتراكية السوفييتية التكاليف الداخلية، وذلك لأن معظم أفراد الجيش كانوا قد عادو إلى منازلهم بنعوش من الزنك, بينما عاد البقيه مقطعي الأوصال إما من خلال انفجار لغم أو جراء

---

(٢٩)– إن التدخل العسكري بين الدول مثل الناتو في كوسوفو في عام ١٩٩٩ كان مثل الأن من غير أي مسائلة: لاتزال روسيا دولة كبيرة مدججة بأسلحة ثيرمونووية.

القتال في المعارك. ولكن من ناحية أخرى، لم يجر الشعب السوفييتي حساباً لهذه التكاليف إلا بعد عام ١٩٨٦, وذلك عندما جعلت كإحدى سياسات جورباتشيف وهي المصالحة على أن يكون ممكناً مشاركة قصص الحرب في الحملة الأفغانية وتكاليف هذه الحملة (٣٠). أما بالنسبة لنوع النظام وضعفه من الناحية السياسية, فلم يعان النظام السوفيتي في أي مرحلة من أي نوع من التكاليف السياسية والتي كانت متوقعة من قبل حجة مصلحة التناظر. فإذا كانت الية المفاضلة - والتي اقترحت من قبل حجة "ماكس" تعمل, لكنا توقعنا أن نرى خسارات شديدة على أرض المعركة، والتي تؤدي إلى الإنسحاب أو التصعيد. لكنه رغم ذلك، فقد استمر الإلتزام السوفيتي من حيث الرجال والعتاد بالثبات مع مرور الوقت. إضافة إلى ذلك, فحتى سياسات "جورباتشيف" لم تستطع خلق ظروف تسمح بضجة في أوساط الرأي العام عن الحرب – على الأقل لم تكن كافية لأن تجبر النظام على إعادة التفكير في سياسته الخارجية

(٣٠)- ومع ذلك فمن أجل الإنصاف صعوبة الكبرياء والدعاية التي تحيط بالنصر السوفيتي اثناء لحرب العالمية الثانية (ما سماها الروس " الحرب الوطنية العظمى", ومحصلة الخسائر البشرية الرسمية المصدرة للعديد من المواطنين السوفيت العادين أن يقدرو تضحيات المحاربين في افغانستان. ذكر فلاديسلاف تاماروف, وهو ناج روسي من الحرب الأفغانية بأن " في الولايات المتحدة الأمريكية يوجد حوالي ١٨٦ مركزا لإعادة تأهيل الجنود العائدين من حرب الفيتنام" ولكن أين نذهب في الإتحاد السوفيتي للمساعدة؟ لا يوجد لدينا مركزا واحدا من تلك. لذلك نحن نبحث عن مثل هذا النوع من المساعدة من الناس. ذلك عندما نعارض سوء الفهم. من هذا الفهم السيء ظهرت معدلات طلاق مرتفعة بين المحاربين القدماء في افغانستان, من هذه التقديرات الخاطئة ظهر الإنغلاق على الذات؟ (تاماروف, ١٩٩٢:٧)

في هذه الحالة، تلاقي حجة نشــر الأســلحة دعمها الأكبر. فقد حصــل المجاهدون على ميزات متزايدة من خلال الأســـلحة التي تلقوها عبر إيران وباكســـتان, الأمر الذي زاد تكاليف المعركة والإحتلال بالنســبة للإتحاد الســوفيتي واتباعهم. ولكن مع ذلك فإن الأمر الاكثر أهمية هو انه كان لمســـرح الحرب العلاقة الحاسمة بين التقنية, التكتيكات, المناخ, والأرض التي اصبحت اكثر وضوحا من افغانستان.

كانت جنود المشـــاة الســـوفييت والجيوش المدرعة غالباً يواجهون الإعاقات تلو الأخرى وذلك بسـبب التقنيات التي كان المجاهدون يسـتخدمونها حيث كان يتم وببســاطة تعطيل القدرة على متابعة ســـير قوافل المدرعات على الطريق الوعرة وذلك بقذف خليط قنابل "المولوتوف" على محركات المركبات المعطلة, ومن ثم تؤدي المدافع الرشــاشــة – تقنية تعود للحرب العالمية الأولى – إلى دمار قافلة كاملة. وببســاطة فقد اســتخدم المجاهدين تقنيات بسيطة وذلك لاستغلال الضعف في تكتيكات السوفييت.

استمرت تلك الحالة حتى عام ١٩٨٦ وذلك عندما وصلت القذائف الصاروخية من طراز SAMs المصنعة أمريكياً والتي غيرت وحوّلت توازن القوة في افغانستان.

وكما أُشـير سـابقاً، فإن تلك القذائف المتطورة لم تكن فقط الآلية الامريكية المسـؤلة ولكن السـياق ككل: لقد اسـتعمل السـوفييت المروحيات الجوية وذلك لاسـتغلال الضـعف في تكتيكات المجاهدين, ولكن كانت تلك المروحيات تســـقط كفريســـة على يد القذائف الامريكية. ومن ناحية أخرى، لم يكن هنالك أي تساؤل حول كون اتحاد الجمهوريات

السوفيتيه محكومة من قبل "سالتين" و "بريجينيف" وإلا لكانوا قد ابتكروا شيئا حول هذا الضـــعف. ولكن "جورباتشـــيف" اكتفى بالدعوة لإيقاف الحرب, وبحجة أنه ادرك بأنه لتحقيق الفوز فسوف يكسب السوفييت القليل وربما يستدعي الأمر لغزو باكستان.

التفاعل الاستراتيجي

كانت للحرب الأفغانية الأهلية تفاعلين استراتيجيين :

- فخلال التفاعل الأول : تابع السوفيت الهجوم التقليدي الصريح ضد المجاهدين. ولم يكن لدى كلا الطرفين قيادة مناســبة, أو التدريب والعتاد،ولكن الســـوفيت كانو غير مناســبين أبدا لمثل هذا النوع من الاســـتراتيجيات القتالية،الامر الذي جعل خســـارتهم واضحة بسبب هذا النوع من التفاعل الإستراتيجي.

لقد كان هجومهم مباشراً بينما قام المجاهدين بطعنهم في القدم بعصا حادة ولذلك،كانت الاستراتيجيتان مختلفتين تماماً حيث أُجبر السوفيت على إعادة تنظيم استراتيجياتهم.

- ولكن انقلب التفاعل الثاني بشــكل أكثر فتكاً على المجاهدين. حيث اســتهدف السوفييت المدنيين بشكل متعمد وكذلك بنيتهم التحتية. ووفقاً لاستراتيجية التفاعل, فقد كانت الهمجية هي الاســـتراتيجية المثلى المضـــاددة لاســـتراتيجية الطعن والاختباء عند المجاهدين وسرعان ما استطاعوا هدم القوة القتالية لدى المجاهدين.

لقد أثّر الدمار الشـــديد في البنى التحتية – وكذلك القتل الجماعي وتهجير الفلاحين– على المجاهدين بشــكل كبير, ولكن مقاتلي "مسـعود" اسـتطاعوا إعادة تنظيم أنفسـهم من أجل التعويض. وبعد سنة ١٩٨٣ بدكانوا قد بدؤوا بالإعتماد – بشكل أكبر – على

الاســتخبارات أو المتعاطفين ضــمن الجيش الأفغاني الحليف, وبشــكل أكبر على الدعم اللوجســتي من المتعاطفين الخارجيين [٣١]. فقد كانوا لايزالو قادرين على القيام بعمليات هجومية, حيث كان "مسعود" قادراً على أن يعمل أكثر من ذلك من

(٣١)- كانو ايضا قادرين على الإعتماد على الإستخبارات العسكرية الباكستانية ISI.

خلال قواعد الدعم الموجودة في مقراتهم (هذا يدل على أنهم لم يكونوا يكترثون إذا ما اقتربت الحرب من معاقلهم). ولكن هذا الامر جعلهم اكثر اعتمادا على الدعم الخارجي. وقد ظهرت درجة اعتماد المجاهدين على الدعم الخارجي ظهرت في حدة انهيار قدراتهم القتالية بعد الإجلاء السوفييتي عام ١٩٨٩ (كوردسمان وواجنر, ١٩٩٠: ٩٧, ماجنوس ونابي, ١٩٩٨: ١٣٤, ١٥٩): فهم لم ينحدرو فقط لزيادة القتال بين بعضهم البعض ولكن إمدادات السلاح سرعان ماجفت.

وفي المختصر, توضح الحرب الاهلية الافغانية انه كلما زاد اعتماد الميليشيات على الدعم الخارجي, كلما زادت اهانتهم من الأثار المدمرة للهمجية , على افتراض انهم قادرين على الحصول على *معلومات استخباراتية جيدة*, ولكن يطرح الدعم الخارجي مخاطره أيضاً وذلك :

- أولاً : قد يكون لدى المليشات القدرة لأن تقوم بإلحاق الهزيمة باللاعب الأساسي بمشاركة حاسمة, (كما حدث في هجوم "تيت" عام ١٩٦٨, والذي اثبت انه كارثه عسكرية) .
- ثانياً : إذا كانت الحرب تدور على اساس قومي, كما كان الوضع في افغانستان, فإن المساعدة الخارجية – خاصة المستشارين الحربيين – يمكن استعمالهم لتلوين المتسلم منهم على انهم اذناب القوى الأجنبية المزودين بالسلاح والدعم الاخر. ولكن فشل كل من "كارمال" ومن ثم "نجيب الله" من اتهام المجاهدين بأنهم اذناب القوى الخارجية وذلك لأن الولايات المتحدة الأمريكية لم ترسل مستشارين عسكريين لأفغانستان . كما لم يكن

يصعب على المجاهدين أن يقنعوا الافغان والجهمور الخارجي بأن حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني هم مجرد دمى بأيدي السوفيت.

وأيضاً, لا يمكن الإستهانة بأثر العمليات السوفيتية لاستراتيجيتهم البربرية. حيث أن هذا الأمر قد جرح المجاهدين, وبينما يستطيع القادة الناجحين أقلمة انفسهم للتغير, في حين لم يستطع البعض فعل ذلك, حيث قتلت قواتهم, واسرت أو حتى فرقت.

الخاتمة

كانت الحرب الاهلية الأفغانية عبارة عن نزاع متناظر بين القوات الأفغانية مع أسيادهم السوفييت(اللاعب الأقوى) والمجاهدين الأفغان(اللاعبين الأضعف).

كان لدى السوفيت عدد من المصالح في أفغانستان,حيث كانت المصلحتين الأكثر أهمية بالنسبة للسوفييت هما مصلحتان سلبيتان:

١- حماية نظام ماركسي صديق.

٢- منع لحاق نظام إسلامي متطرف بالسلطة في الحدود الجنوبية.

فبالنسبة لهذه الأهداف - التي تبدو محدودة- كان السوفيت مستعدين للإلتزام بالتدخل وذلك من من خلال أربع كتائب و قوة هجوم جوية واحدة ونصف إضافة إلى مساعدة إقتصادية ضخمة. لكنهم لم يتصرفوا وكأن نجاتهم كانت على المحك, ولكن لا يمكن لمستوى المصلحة في افغانستان أن يفسر من خلال قوتها النسبية, كما اشارت حجة مصلحة التناظر.

وفي المقابل، فقد كانت مصالح المجاهدين هي في إخراج السوفييت من افغانستان, ومن أجل هذا الهدف قاتلو وكأن بقائهم كان على المحك.

وفي المختصر, فإن الفرضية الثامنة : "القوة المادية النسبية تفسر الإهتمام النسبي بالنتيجة بالنسبة لأي نزاع متناظر "تستقبل دعماً بسيطاً. في حين لا يمكن إخراجها ولكن لا يمكن تقبّلها على أنها تفسير للمصالح السوفيتيه.

إذاً، هل استطاعت القوة النسبية او نوع النظام تفسير الهشاشة السياسية؟

وهكذا، ووفقاً لفرضية "مصلحة التناظر" فإن النكسة العسكرية الشديدة كان عليها ان تجعلهم يعيدو النظر باحتلاهم وذلك بغض النظر عن نوع النظام. ولكن هذا الأمر لم يحصل. فمع حلول كل سنة جديدة من الصراع المتبادل كانت تجلب معها مزيجاً من النجاح والفشل, بحيث كان النجاح قصيرا والفشل كارثي. ولكن لايوجد اي دليل يؤكد ان الفشل كان قد حفز ذلك النوع من المقايضة والتي توقعتها حجة المصلحة المتناظرة.

وهكذا، فحتى القادة لم يتم مقايضتهم بعد مثل هذا الفشل. وعوضاً عن الإنسحاب, حاول الروس اللعب حول هزيمتهم والتجديد. وكانوا في غالب الأحيان يحققون النجاح, ولكن ليس بطريقة تعويضهم عن اعدادهم القليلة نسبياً.

وباختصار فإن عدم تماثل السلطة لم تؤد إلى الضعف السياسي. ولكن إهانتهم لسلطة نظام الإتحاد السوفيتي على هذا الضعف حيث استطاع نوع النظام من أن يمكّن السوفيت من تجنب اكثر العيوب الناتجة عن الاستراتيجية البربرية.

ومن وجهة أخرى، فإنه :

١- في بادئ الامر، يحق للأنظمة السلطوية ان تشكل الجيش بأي طريقة تراها مناسبة.

٢- والأكثر أهمية، إن عدم قدرة الشعب الوصول إلى المعلومات الحقيقية عن تكاليف

النزاع قد أدت إلى خلق حالة من القلق المحلي، ونتيجة لذلك إلى ضعف سياسي.

٣- لا تحتوي الأنظمة السلطوية على ميكانيكية تترجم بها الشعبية على سياسة خارجية. وهذه كلها وصف مثالي ولكن في حالة الروس خلال الحرب الأهلية الأفغانية هكذا كانت تجري الامور. لم يكن لدى المجاهدين نوع نظام , كما لا يمكن اعتبارهم كلاعب بعيد موحد. ولكن على العكس, فقد علق البعض بأن عدم وجود الوحدة اثبت كونها قيمة اساسية, وذلك لأنها لم تجعل قطع رأس القائد أمراً ممكناً لدى السوفييت:

كان الامر البارز في حياة "البوشتان" هو ممارسة تعاليم الدين الإسلامي, وخاصة السُّنة ضمن معظم "البوشتان" في حين إن الهيكلية غير هرمية عند الجماعات القبلية , والكود البوشتاني كان يعرف "ببوشتونوالي" وكانوا يشاركون جميعم في المقاومة ضد السوفييت في بادئ الامر, ولعناد "البوشتان" انفسهم إما للموافقة أو عدم الموافقة على كيف ستكون الحكومة المقبلة أو للعمل ضمن مثل هذه العقول المتشددة لإنهاء الحرب الاهلية (ماجنوس ونابي, ١٩٩٨: ١٤) في حين كان الاخرون يؤكدون على مشاكل نقص الوحدة والتدرج الهرمي:

"قال بعض المحللين أن هذا الخلل في النظام هو قوة بحد ذاته, وذلك لأنه يعني بأن المقاومة لا يمكن قطع رأسها. ولكنه ليس من هذا القبيل: فمن دون الوحدة والتنظيم لا يمكن لهم اخذ المبادة. وإذا اخذوا المبادرة فإن النصر سيكون غير ممكن. (اوربان, ١٩٨٨: ٢١٦-٢١٧)

وفي ســـياق اســـتراتيجية الطعن والهرب، فإن "اوربان" مخطئ ببســـاطة. حيث يمكن للمجاهدين أن ينجحوا فقط بمجرد أن لا يخســـروا, كما ان عدم وجود الهيكل الهرمي ضمنهم يجعل الامر أصعب بالنسبة للروس لهزيمتهم [٣٢]. وفي المقابل، يتلقى نشر الأسلحة بعض الدعم في هذه الحالة. ولكن بنظرة متمعنة لكيفية تفاعل التقنية مع التكتيكات والاستراتيجيات توضح بأن منطق نشر السلاح الحجة (كلما كان اللاعب الأضعف مسلحاً بشكل أفضل, كلما كان هنالك احتمال لأن يخسر اللاعب الأقوى النزاع المتناظر), إنما هي مدعومة بضعف هنا.

يوضح التفاعل الإستراتيجي لماذا خسر السوفييت التفاعل الأول للحرب, ولكنه لا يوضح الثاني. فمنذ

(٣٢)- هذا الأمر هو عكس المقاومة الجزائرية للفرنسين من سنة ١٩٥٨ حتى عام ١٩٦٢. كان لحزب جبهة التحرير الوطني تركيب هرمي وكان الفرنسين قادرين على استغلال ذلك من خلال عدة اساليب ومنها التعذيب.

عام ١٩٨٠ حتى عام ١٩٨٢ قام السـوفيت باتباع اسـتراتيجية الهجوم التقليدي ضـد اسـتراتيجية المجاهدين "الطعن والهرب" (الطريقة المعاكسـة). ولذلك، فقد فشـلت تلك الاستراتيجية على جميع الأصعدة. وانسحبوا من افغانستان تماماً ولكن لماذا؟ .

لكن بعد التحول إلى الاسـتراتيجية الهمجية عام ١٩٨٣ لم ينجح السـوفيت, وفي عام ١٩٨٩ للتكاليف السياسية الداخلية او بين الدول ذات العلاقة بمحاكمتهم (٣٣).

كانت الهمجية يجب ان تكون الاسـتراتيجية العملية المثالية ذلك لأن السـوفيت لم يكونوا عرضة لها

ولكن إضـافة إلى ذلك، كان يتوجب عليها تدمير القدرة الإسـتخباراتية واللوجسـتية عند المجاهدين. وعوضـا عن ذلك, كانت تكتفي فقط بتزويد المجاهدين بالمنشـقين والموظفين. كما أن الهمجية لم تكن حاسمة في أفغانسـتان وذلك لأن المجاهدين كانو قادرين من الإعتماد على الدعم الإستخباراتي واللوجستي من قوى أجنبية مثل إيران وباكستان.لقد أصـبح المجاهدين في الواقع معتمدين على هذه المسـاعدات بحيث انه عندما توقفت في عامي ١٩٨٩ و ١٩٩٠ فقد مزقت قدرتهم على إسقاط حكومة نجيب الله الغير شرعية. وحتى عادت هذه المساعدات لكنها كانت هذه المرة لجماعة "الطالبان".

في حين تسلط افغانستان على حالة واحدة تكون فيها الهمجية أقل فاعلية: عندما يكون لدى الميليشـات القدرة على الولوج إلى مصـادر اسـتخباراتية معينة إضـافة إلى أن البعد اللوجستي هو خارج عن سيطرة

---

(٣٣)- هذا الأمر يناقض الحالة الإيطالية في الفصل الخامس, وذلك لأن إيطاليا كانت قوة قاصرة فحتى العقوبات الصغيرة من بريطانيا (إغلاق قناة السويس للنقل الإيطالي) أو فرنسا ممكن أن يشكل قوة كافية قادرة على إجبار إيطاليا على الإنسحاب.

اللاعب الأقوى, وخارج حدود قدرته على الإعتراض [٣٤].

وفي المختصر, يشرح التفاعل الاستراتيجي نتيجة التدخل السوفيتي في حرب افغانستان الأهلية. فحالما يظهر أن النزاع في افغانستان هو عبارة عن نزاع العملة, كان لدى الروس ثلاثة خيارات استراتيجية تتلخص في :

- الخيار الأول : الاستمرار في التحول إلى استراتيجة الهمجية حيث اختار السوفيت الخيار الثالث ونجحت استراتيجيتهم في تكبيد المجاهدين خسائر جسيمة وفي قتل وتشريد نصف السكان. ولذلك، فقد واجه المجاهدون خياراً أقصى بعد تحول السوفييت في استراتيجياتهم، وكان عليهم إما التنازل أو الإستمرار في استراتيجية تجبرهم لأن يعتمدو أكثر على قوى الدعم الخارجي.وبالاستراتيجية الحالية, فربما كان إرسال المزيد من القوات والمعدات إلى ساحة المعركة.
- ثانياً : الإنسحاب، وهو الأمر الذي قد يحفظ ماء الوجه وينهي الحرب .

---

(٣٤)- وينطبق نفس الشيء على التجربة الأمريكية في فيتنام, لاوس و كومباديا مضيفين غير راغبين بنقل الإمدادات لفيتنام. على عكس اتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفياتية, كانت الولايات المتحدة الأمريكية في بادئ الأمر أقل حذرا حول اختراق حيادية لاوس و كومبوديا وفي محاولاتها لاغتراض الامدادات القادمة من فيتنام الى VC في الجنوب. ولكن لم تكن لاوس ولا كومبوديا قوتين نوويتين ولا حليفتين للولايات المتحدة الأمريكية, ولكن من سنة ١٩٧٩ إلى ١٩٨٩ باكستان كانت كلا الأمرين. يمكن لجيش جيش كوسوفو التحريري في عام ١٩٩٩أن يكون مثال مناسب لهذه المشكلة. سرعان ما فرغت البربرية الصربية كوسوفو من عرق الألبان, ومن ثم انتزعت مقاومة جيش تحرير كوسوفو التي كانت غير كفء نسبيا (رغم كونها متحمسة). ولكن, مالم يكونو على استعداد لغزو البانيا, لم يكن الصرب قادرين من القضاء على جيش تحرير كوسوفو, وفي هذا الحدث خدمت الهمجية الصربية فقط كدفع لتدخل الناتو ومعاقبة ميلوزوفيك. وفي العلاقة بين الصرب والبربرية التي دعمها الصرب في كوسوفو وتدخل الناتو, انظر مثال دالدير و أو هانلون (٢٠٠٠).

- ثالثاً : في نهاية المطاف ,لم يربح أحد الحرب. وخرج السوفيت في عام ١٩٨٩وسقط الجيش الأفغاني عام ١٩٩٢. كما ان المجاهدين غلبوا من قبل جماعات "الطالبان". وافغانستان نفسها كانت قد دمرت على نطاق لم يشهد له مثيل منذ دمار ألمانيا والإتحاد السوفيتي في الحرب العالمية الثانية.

النهاية

إن الغالبية العظمى من الحروب لا تأتي ضمن نطاق الثقل ولكن يتم تمييزها من خلال الفترة و المرارة وليس الأسلحة بحيث تكون أكثر قابلية للتدخل الغربي عندما تتطور إلى اشتباكات واضحة بين القوى النظامية. في حين أن الحروب الأهلية, تتضمن مقاتلين غير نظامين ومناوشات في الطرق, وانتشار الإرتباك السياسي و الاستخبارات جيدة, و مناشدة الغرباء. ولذلك، فإن النصر الحاسم يندر هنا.وحتى النجاح يمكن أن يعني التزاماً طويل الأمد للجيوش من أن اجل المحافظة على السلام الصعب.

يبدأ هذا الكتاب بلغز وهو كيف يربح الضعيف الحرب؟ . ومن خلال مجموعة من الإحصاءات ومتابعات للمنطق عبر الدراسات التاريخية, فقد وجدنا بأن اللاعبين الضعفاء – في هذه الحالة الدول – تربح الحرب ضد الخصوم الأقوى وذلك عندما يكون هؤلاء اللاعبين قادرين على التكيّف والمحافظة على استراتيجية المجابهة المثلى. في حين أن الاستراتيجية من جهة اخرى, يمكن ان تضاعف او تقسم القوة المستخدمة. يأتي اللاعبون الأقوياء للقتال من أجل مجموعة من المصالح المركبة و القوى, العقيدة, التقنية العسكرية, والاهداف السياسية, ولكن ولأنهم يعتقدون بأن القوى المسلحة ستكون مطلقة في

توظيف العمليات وستكون الفصل من حيث النتيجة، ولكــن اللاعبين الأقوياء هم أقوياء نســبيا وليس تماماً, حيث يكون لدى اللاعبين الأقوياء الخيارات في الاســتراتيجيات التي يستخدمونها ولكن الاستراتيجية أبداً لا تكون ذاتية .

الفصل الثامن
الخاتمة

على الرغم من أن الأغلبية العظمى للحروب لم تأت على نتائج مجموعة الأوزان الثقيلة, لكنها كانت قد تطرقت لها بشـــكل أو بآخر، وعلى الأخص فيما يتعلق بفترات تلك الحروب و مرارتها والأسـلحة المسـتخدمة فيها وتطور عمليات الاشـتباكات البسـيطة بين القوات المنظمـة بمـا في ذلـك الحروب المـدنيـة والتي تضـــمنت المقـاتلين غير النظـاميين والمناوشات المختلفة، والتشويش السياسي المتفشي و المخابرات التي قدمت فرصة مروعة للغرباء , حيث كانت الانتصـــارات الحاسمة قليلة و بعيدة , وحتى النجاح، يمكن أن يعني التزاماً طويل الأجل من القوات للحفاظ على سلام هش .

لقد بدأ الكتاب بالعنوان اللغز" كيف يمكن للضعيف أن يربح الحرب "؟ وذلك من خلال الاختبار الإحصائي، واقتفاء المنطق السببي خلال دراسات السيرة التاريخية للحروب،وإنني أرى بأن الأطراف الأضعف – وهنا يمكن ذكر الكثير من الحالات – حيث يكون الفوز بالحروب ضـــد الخصـــوم الأقوى عندما تكون قادرة على تبني إســـتراتيجية المجابهة المثالية. فالإستراتيجية, بكلمة أخرى, تستطيع أن تضاعف أو تقسم القوى التطبيقية.

تأتي الأطراف القوية للقتال وفق مجموعات معقدة لمصالحها, وللقوى , والمذاهب , وتقنية الجيوش والأهداف السياسية , على اعتقاد أن القوات المسلحة ستكون متعددة الاستعمال , ولكن ليس بشـــكل مطلق , وقوي , فالأطراف القوية كانت على الدوام تمتلك خياراتها بالاسـتراتيجيات المسـتعملة , وبنفس الطريقة , فإن الأطراف الضـعيفة تواجه دائماً قيوداً في خياراتها الإستراتيجية, ولكن الإستراتيجية بصدد التطور الدائم .

تقود نظرية العلاقات الدولية للولايات المتحدة لتوقع بضعة نزعات غير متناظرة لأن فجوات التفاوت في القوة النسبية تدل على النتائج الواضحة للنزاع فكلما ازدادت قوتك, نقص معها احتمال أن أتحداك.

وكلما كنت اضعف استطعت أن استغلك أكثر لأني اعرف انك لن تستطيع ان تعترض . والأكثر أهمية من ذلك أنه كلما كان هناك فارقاً بالقوة كلما كانت هزيمة الفئة الضعيفة أسرع . وفي هذا الكتاب, قمت بتفحص ثلاث قصص كانت قادرة على تفسير مبدأ تغلب الفئة الضعيفة على الفئة القوية وهذا هو اللغز الذي يفسر خسارة الفئة القوية على مر العصور وهو الذي يؤكد أيضاً على صحة هذه القصص.

كانت أول وأقوى هذه التفسيرات هي فكرة "اندروماك" وطبيعة الكاتب(مع قصة "ميروم" التي تخص ضعف الديمقراطية الاجتماعية) وقصة اختلاف الاتجاهات كانت أيضا دليلاً قد قدم وتم فحصه .

تفسيرات المتنافسين حول الصراعات متفاوتة النتائج:

- القصة الأولى والتي تعتبر أفضل التفسيرات القائمة على مر العصور هي التي عبر عنها "اندروماك" وقد كان تفسيره يقوم على تبسيط الفكرة فقد كان يقول : إن الهيكلية هي التي تفسر مصلحة الجهة التي تقوم بدورها بالتقاط نقاط الضعف الاجتماعية التي تفسر النهاية . في حين أن الحياة التي تخص الجهة القوية لن تتعرض لخطر, ولهذا السبب تعتبر المصالح التي تهمها – مفهومها لكي تكون الرغبة لتسوية الحسابات– ستكون قليلة وضعيفة .

ولكن من جهة ثانية، فإن هذا الضعف يجعل المسالة أكثر توقعاً بأن الجهة القوية ستكون مضغوطة من الجهة المنافسة، لذلك لابد أن تنسحب من الخلاف لأنها ستلاقي الضرر من حيث المصاريف الزائدة، أو من خسارة عدد من جنودها وهذا يفسر لماذا (البلاد الكبيرة تخسر في الحروب الصغيرة).

- القصة الثانية : وهي التي كانت تعتبر أن الجهة القوية مع الحكومة الديمقراطية تخسر إمام الصراعات المتفاوتة لأنها كانت لا تملك القدرة القوية الكافية للمواجهة، أو لأنها لا تريد خسارة الكثير من الجنود، كما وأنها لا تريد أن تتعرض لحالة صراع وكراهية مع الشعب . "تصاعد مستوى العنف والوحشية الضرورية" من أجل الفوز (ميروم، ٢٠٠٣ : ١٥).

- والقصة الثالثة : هي أن نشراً متقدماً نسبيا للأسلحة الصغيرة وغيرها من التكنولوجيا العسكرية إلى العالم النامي في حد ذاته قد جعل الغزو والاحتلال يصاب بضعف في الفعاليات وبشكل أكثر صعوبة في الأساس، لأن مثل هذه الاستراتيجية، والتكنولوجيا، كما يمكن أن تكون قوة متعددة في طياتها،وان ضعف الفعاليات ليست في الحقيقة ضعفاً كما كان متوقعا.

الاستراتيجية والتفاعل الاستراتيجي

كان "ماك" أفضل من أوضح مشكلة الضعف، وكانت حجته تقوم على التركيز في العلاقة بين القوة النسبية وبين المصالح، وعدم تحديد شرط رئيسي من التساهل في هذا الظل هذا الضعف ,ولكن التركيز على حجته كان يقوم على العلاقة بين السلطة والمصالح النسبية

التي فشلت في تحديد الشرط رئيسي من التساهل في ظل هذا الضعف في العمل: كبير وغير متوقع من التأخير بين التزام القوات المسلحة وتحقيق لأهداف ما قبل الحرب من الناحيةالعسكرية أو السياسية. ولكن إذا كان الصراع قد انتهى سريعا – وهذا ما نتوقعه في نزاعات غير متناسقة الاطراف– فكيف تعمل في ظل الضعف السياسي؟ ولكن هذا يؤدي بدوره إلى التساؤل عن السبب في بعض الصراعات غير المتماثلة – وذلك كما حدث مع الاتحاد السوفياتي حين قام بغزو المجر في عام ١٩٥٦، أو العمليات التي قادتها الولايات المتحدة في الخليج في التحالف على العراق في عام ١٩٩١ حيث كان – سريعا وحاسما – في حين أن البعض الآخر من لعمليات – مثل التدخل الأميركي في فيتنام في عام ١٩٦٥ أو الاتحاد السوفياتي في أفغانستان في عام ١٩٧٩ — فكانت تستمر؟ [١] .

(١)– وهي ليست القوة الوحيدة التي تطبق الأسباب في هذا الشأن، فإن الأهم من القوة المتاحة لتطبيق ما يهم أكثر من غيرها. ولهذا السبب فإنه من المنطقي أن نقول إن القوى المحركة للصراع غير متكافئ رغم تطبيق ما يسمى قوى الفاعلة في كثير من الأحيان لا ساحقة قوية داخل أي صراع المسرح. للقوى الفاعلة خيارات عن غيرها من الالتزامات والأولويات النسبية للمصالحهم. في حين أن ضعف الفعاليات تحت هذا الموقف لا يمكن أبدا الاعتماد على وجود التزامات أخرى باعتباره ضمانة ضد قوية في المستقبل بين الفاعل التصعيد. حول هذه النقطة انظر شيلينج (١٩٦٦ : ٢–٦).

يشير هذا الكتاب إلى أن التفاعل بين الاستراتيجيات التي توظف الجهات المختلفة وتتوقع مدة النزاع وهذا يؤدي إلى تفادي الكثير من الخسـائر و المفقودين والذي يعتبر شـرطا ضـروريا للعملية السـياسـية . ومن جهة أخرى فإنه من الأهمية بمكان اعتبار الأهمية الاسـتراتيجية متغيرا رئيسـيا معيناً بين التدخل الفاعل للموارد المادية والنتائج الأمر الذي يتطلب منا النظر في كل مجموعة من الاسـتراتيجيات المتاحة للفاعلين والتفاعل بين هذه الخيارات في الصراعات نفسها.

الاستراتيجية

من أجل تحقيق أهداف هذا التحليل الأول فقد خفضت مجموعة واسعة محددة لكل من المهاجم والمدافع إلى أربع استراتيجيات : اثنين من المهاجمين واثنين من المدافعين. المهاجم (الفاعل القوي) استراتيجيات الهجوم التقليدي وذو المذهب البربري. المدافع (الفاعل الضعيف) الاستراتيجيات التقليدية الدفاع وإستراتيجية حرب العصابات ثم تبسيط كل

جهة لنطاق الخيارات الاستراتيجية المزيد من قسمين التحليلية متميزة النهج الاستراتيجية : المباشرة وغير المباشرة. النهج التقليدي المباشر الهجوم والدفاع - استهداف العدو مع القوات المسلحة بهدف تدمير أو الاستيلاء على قدرة العدو على القتال. النهج غير المباشرة - والهمجية إستراتيجية حرب العصابات- تهدف إلى تدمير إرادة العدو على القتال [٢].

(٢) – يشرح "ماك وميروم" في كل الحالات التي تتضمن التركيز على عكس نهج التفاعلات القوية الفاعلة (الدول الصناعية المتقدمة) والهجوم التقليدي باستخدام استراتيجية الهجمات الضعيفة الفاعلة (المتخلفة اقتصاديا فى السلاح) أو باستخدام إستراتيجية حرب العصابات الارهاب. أطروحة التفاعل الاستراتيجي يفسر عدم القوة الفاعلة في هذه الحالات هو اكثر من مصمم. ماك توفر أفضل تفسير للعام الثاني، زيادة في المخطئين فقط في الدرجة التي الفاعل لنظام الحوافز ويؤثر نوع النتائج، والامتناع من المتغيرات الرئيسية (التفاعل الاستراتيجي) الذي يحدد المدة التي سوف يستمر صراع غير متكافئ. ميروم توفر معلومات أكثر تفصيلا عن كيفية ديمقراطية قوية تفقد الجهات، ولكن يخطئ في المبالغة في الفائدة من وحشية في كسب الحروب الصغيرة في ما بعد فترة الحرب العالمية الثانية. الديمقراطيات، على سبيل المثال، وفاز الفريق في مباراتين والحروب الصغيرة في نصف القرن الماضي من دون اللجوء الى الهمجية. ونجحت بريطانيا في الملايا الطوارئ لعام ١٩٤٨، وتحت قيادة "ماج ساى ساى ان رامون" والفلبين (بدعم من الولايات المتحدة) ضد هوكبالاهاب Hukbalahap ونجح في عام ١٩٥٢.

هذه التبسيطات والتي تعتبر تسليط الضوء على ما هو أكثر أهمية عن دور استراتيجية الخام في التوسط بين السلطة والموارد والصراع الغير متكافئ في النتائج : التفاعل الاستراتيجي.

التفاعل الاستراتيجي

إن أول الاستراتيجيات التي يقع عليها الاختيار، هي أفضل استراتيجية في ظل ظروف المواقف وهو في هذا السياق "الظروف" بالنظر إلى وسائل أخرى لاستراتيجية فاعلة .

ولذلك، فإن كل استراتيجية مثالية تكون بالضرورة مواجهة لاستراتيجيات أخرى، ويمكن للجهات الفاعلة في الدراماتيكية زيادة فعالية استراتيجيتها (الاساسية التي تدعم قواتها) وكذلك التخمين الصحيح عن استراتيجية الخصم، ثم اختيار وتنفيذ هذا المثل الأعلى لمواجهة الاستراتيجيات على وجه التحديد، على غرار (النهج المباشر- مباشر، مباشر – غير مباشر) والذي تعني هزيمة الضعيف والعنصر الفاعل سيكون انتصارا للقوي. وستكون هذه الحروب بسرعة، مما يجعل من الضعف السياسي (سواء بسبب مصالح غير متناسقة، كما يقول "ماك" بها، أو عن طريق نوع النظام، كما قيل من قبل "ميروم") غير ذي صلة. (٣)

ولكن على النقيض من ذلك، فعكس النهج (مباشر – غير مباشر، غير مباشر – مباشر) سيكون

---

(٣)- هذه الاستراتيجيات ذكرت بالتفصيل في الفصل ٢. فهي مثالية ونوع البناء لا يستنفد نهجها ممثلي الفئات (على سبيل المثال، "التوفيق" آخر غير المباشرة بين النهج الاستراتيجية المتاحة للقوى الفاعلة). كل من هذه الاستراتيجيات الأربع (ربما باستثناء البربرية) يمثله الأدب الواسع وليس من الضروري أن يعاد النظر هنا. تكون الفكرة مبسطة ومحددة بدلا من معاني أهم الخيارات الاستراتيجية، والجهات التي يمكن أن تقوم بها بشكل مستقل، وتسلسلها، أو في وقت واحد.

لصالح الجهات الفاعلة الضعيفةعلى حساب جهات القوي الفاعلة. وسوف تستمر، مما يضطر الجهات

القوية – والخاصة، والديمقراطية القوية والفاعلين – لجعل القرارات صعبة ومكلفة من أجل مواصلة أي احتمال للنجاح.

حجتي

بما القوة النسبية، ونوع النظام، والضعف السياسي كلها تعتبر عناصر ضرورية ولكنها غير كافية لتفسير التباين في صراع غير متكافئ النتائج. فالاستراتيجيات الفاعلة على سبيل المثال تعتبر هامة الاستخدام (وكذلك القيود التي تواجه الجهات المتنافسة عند تقييم الاستراتيجيات الهجومية والدفاعية)، ولكن الأهم من ذلك هو كيف تتفاعل الاستراتيجيات المتعارضة؟؟.(٤) وفي هذه الحالة يُنظر إلى حجم تفاعلات نفس النهج الاستراتيجي وذلك يفضل المهاجمين وبما يتناسب مع مصلحتها في الموارد المادية. على عكس النهج الاستراتيجي للتفاعلات التي تفضل المدافعين، بغض النظر عن وضع المهاجمين المادي الغالب. على افتراض وجود فاعل قوي في كل حالة، فإن الضعف الفاعل هو المهاجم والمدافع، ويتوقع أن تكون

(٣) – في حين أن تنفيذ استراتيجية مثالية قد تكون من الصعب لسببين على الأقل :

أولاً : نظرا للقوات الفاعلة التي قد تكون المساعد في تدريبها وتسليحها، وعلى استعداد لاستراتيجية مختلفة على اختلاف العدو. استراتيجيات التحول – لا سيما في وسط القتال– وبالتالي يمكن أن تكون محفوفة بالمخاطر.و تساوي الأمور الأخرى، سيكون من الأسهل على التحول الى استراتيجية مختلفة في النهج ذاته (أي من غير عنف المقاومةو الإرهاب أو إستراتيجية حرب العصابات) من استراتيجية مختلفة في النهج المعاكس (أي من وزارة الدفاع لإستراتيجية حرب العصابات التقليدية).

وثانياً : لأن بعض الاستراتيجيات نفسها لا يمكن أن تنفذ بسرعة وعندما تكون حرب العصابات كأسلوب ليس مدعوم في الفترة السابقة للتنظيم الاجتماعي حيث تميل إلى الفشل،وكانت هذه التجربة،على سبيل المثال،لتشي غيفارا في بوليفيا.

علاقة التفاعل الاستراتيجي لنتائج الصراع متباينة ويمكن ملاحظة ذلك فيما سبق حيث يفوز في نفس نهج التفاعل القوي الفاعل لأنه لا يوجد صرف أو توسط من استخدام المزايا المادية في الموارد والثروات، من بينها الجنود. ولكن في عكس نهج التفاعلات القوية الفاعلةفي الموارد يكون (ضعف الفعاليات محاولة لتجنب مواجهة مفتوحة على اتصال مع الجهات القوية في القوات المسلحة)، أو بالنسبةللقيم التي لا تؤثر بالضرورة على قدرة ضعف الخصم على المواصلةالتي تفرض تكاليف على القوي الفاعل (على سبيل المثال، اجتياح المدن والبلدات).

أدلة و إحصائية

ان جوهر المطالبة من التفاعل الاستراتيجي من الناحية النظرية — النظرية الخامسة — هي في كون القوى الفاعلة على الأرجح تسعى لكسب نفس النهج والتفاعل الذي يفقد النهج المعاكس للتفاعلات – حيث تلقى دعما قويا للإحصائية : فمن الواضح، أن الضعف ليس أفضل العناصر الفاعلة فيه من ناحية الاستراتيجيات العكسية وذلك عندما تكون متشابهة. فالقوى الفاعلة بالاستخدام المباشر

(أو الحرب الخاطفة التي تستخدم معيار الحملة الهجومية من المشاة والمدفعية والمدرعات والمشاة الميكانيكية) فإنه من المرجح أن يخسر الطرف القوي أمام الفئة الضعيفة التي تستخدم إستراتيجية حرب العصابات الفاعل، ولكن من المرجح أن يفوز بسرعة أمام أساليب الفاعل المعاكس التي تستخدم وسائل الدفاع القياسية (مثل قوات طالبان في أفغانستان في عام ٢٠٠١). حيث كانت الجهات المقاتلة تقريبا أضعف ثلاثة أضعاف ما

يرجح فوز نظرية عكس نهج التفاعلات (٦٣,٦ ٪) من نفس نهج التفاعلات (٢٣,٢ ٪). أما النتائج الثلاث الأخرى الهامة في المواقف المؤيدة للاختبار فهي :

- أولاً : إن اختبار ما إذا كانت - وإلى أي درجة — يكون التاثر بالمظهر الخارجي القائم على الاساليب الغير قتالية لدعم الفعاليات الضعيفة والتي قد تجعل من انتصارهم أكثر أو أقل احتمالا. على الرغم من عدم توفر البيانات المتاحة التي تجعل من المستحيل إيجاد تقييم لقيمة إيجابية لهذه العلاقة، وكانت قادرة على تحديد ما إذاكان ضعف الفعاليات - حتى اذا لم يتلق أي دعم خارجي- وانها لا تزال أعلى من ضعفي مثيلاتها لدى استراتيجياتها للفوز عندما كان العكس مماثلاً.

- ثانياً : أود القول هنا بأن السبب الرئيسي في عكس نهج التفاعلات يفضل ضعف الجهات الفاعلة لأن الوقت لايكون ضرورياً بالنسبة للقوة الفاعلة، وعكس نهج التفاعل يحتاج وقتاً أطول أمام المقاتلين لحلها بأنفسهم. ويؤكد عرض إحصائي لجميع النزاعات غير المتماثلة منذ ١٨١٦ بشدة هذا الاقتراح وأكدت على أن : عكس نهج التفاعل سيأخذ وقتا أطول بالمقارنة مع نفس نهج التفاعلات.

وأخيرا، أود أن أوضح أن الاتجاه نحو زيادة القوة الفاعلة كانت قد فشلت مع مرور الوقت من خلال اللجوء إلى حجة الدولة في المجتمع : من الجهات الفاعلة - سواء الدول أو المقاتلين، والإرهابيين، أو الشركات - وتقليد الممارسات الناجحة الأخرى كحد أدنى ومن ثم، فإن عدد "النهج المعاكس" الغير متماثل في الصراعات ينبغي أن يزيد بمرور الوقت بما يتناسب مع عدد من الحروب التي حصلت .

وهكذا فإن هذا الكتاب الإحصائي للاختبارات من التفاعل الاستراتيجي يعتبر أطروحة دعم بقوة المنطق.

أدلة من الحالات

كانت السببية ومنطق الحجج المتنافسة قد اختبرت في خمس دراسات من الحالات التاريخية. وكان الهدف من إنشاء الأثر النسبي ذا مصالح معينة لكل جهة، ونوع النظام، والأسلحة، وعلى نتائج هذه الاستراتيجية.

حرب الموريد ١٨٣٠-١٨٥٩

كانت رحى حرب "الموريد" تدور في الامبراطورية الروسية (القوي الفاعل) ضد تحالف قبائل القوقاز تحت رايةالموريد (الفاعل الضعيف). وكانت روسيا تركز على مصالح حماية اتصالاتها مع جورجيا.

أما في "الموريد " فقد كانت المصالح تكمن في وضع معتقداتهم السياسية والدينية وفي السعي للاستقلال عن روسيا.

من حيث النوع، وضعف النظام، فإن روسيا ليست ضعيفة سياسيا مع عدم وجود تهديد أمني خطير من القوقاز، بل كانت روسيا تعاني من الاستبدادية الحساسة للموارد المفاضلة، وضعفا سياسيا في هذا المعنى. ومع ذلك فخلال حرب مريد، واجهت روسيا اثنين من النزاعات الخطيرة المحتملة، والتي تسببت لها بضعف السياسي في حين أن نوع النظام لم يؤثر على الاستراتيجيات التي يستخدمها كل من الجانبين.

ولذلك فقد غيرت روسيا من استراتيجيتها واتبعت استراتيجية جديدة لتلائم كل التفضيلات : في بعض الأحيان على سبيل المثال تجنبت بدقة استخدام الهمجية،ولكنها في أحيان أخرى كانت تتعامل بقوة في استهداف المدنيين وغير المقاتلين. وهو تماماً ما يعتبر استراتيجية استبدادية وقد استطاع التدريب أن يتعارض مع مصالح الجنود والتوجهات في أمر التحول إلى الهجوم على "كاربارديا" التقليدية. كانت خطة نشر الأسلحة حجة غير موضوعة عن حرب "الموريد".

ولذلك فهم لم يحصلوا على أسلحة أو ذخائر من الخارج، وكانت فعالية كل جانب من الأسلحة والتكنولوجيا تعتمد على استخدامه من قبل النظام الذي يتوقف بدوره على الاختلافات في التضاريس والمناخ. أما المدفعية الثقيلة فقد أثبتت أهمية حيوية بالنسبة للجهود الروسية لقهر "الموريد"، ولكنها كانت سارية المفعول في ظل الظروف التي تكون فيها القوات الروسية على استعداد لتجاهل مذهل في حصيلة الخسائر البشرية اللازمة للمناورة في موقف المدافع.

كانت القوات الروسية آنذاك قريبة من القبض على مدفعية "الموريديين" ولكن ثبت أنه – على عكس التوقعات – قد تسبب في كارثة عسكرية .

ومن الناحية الاستراتيجية، فإن الحرب في حد ذاتها لعبت ثلاث تفاعلات الاستراتيجية :

١- فاز الروس أولاً في التفاعل الاستراتيجي : واستخدام الوحشية ضد قوات "الموريد".في حين خسروا في التفاعل الثاني :حيث قامت القوات الروسية التقليدية

٢- باستخدام استراتيجية الهجوم في حرب "الموريد" الذين استخدموا استراتيجية حرب العصابات (مقابل النهج).

٣- أما التفاعل النهائي مرة أخرى من نفس النهج : فإن التوفيق الاستراتيجي الروسي حيث عارض به حرب "الموريد" إستراتيجية حرب العصابات. وقد فاز الروس على قوات "شامل" الذي هرب الى المنفى.

إن نتائج حرب "الموريد" تحددها روسيا – تاريخيا تقريبا — بما فيها التكلفة[٥]. وهذا يدعو لعدم الحساسية نظرا لنوع النظام وإلى حقيقة أن روسيابشكل عام كانت تعاني تقريبا من ازمات اخرى . ولذلك كانت الخسائر – نصف مليون من الضحايا خلال تسعة وعشرين عاما – هي أفضل تفسير لأطروحة التفاعل الاستراتيجي. إستراتيجية حرب العصابات [٦].

---

(٥) – وهو هام من حيث التكلفة بالنسبة لكل من الجهات الفاعلة، ولكن نظرا لقوتها المميزة التي تؤدي الى توقع انتصار سريع، فإن تكلفة التأخير بفعالية قوية تضرب الفاعلين.

(٦) – الفالز سبق وذكر في هذا الصدد.

كانت حرب جنوب افريقيا قد منحت طابع العظمة لبريطانية - اعطتها لقب القوة العظمى مع انها ثاني اصغر دول العالم -كأورانج الحرة والترانسفال (الفاعل الضعيف). وهكذا، فقد أصبحت النخبة السياسية البريطانية - التي تسيطر على حسابها من أورانج الحرة والترانسفال- صاحبة أمر حيوي وذلك لثلاثة أسباب :

- أولاً : لأنها تعتقد أن السيطرة على مدينة "كيب تاون" كان عاملا رئيسيا فى الحفاظ على الاتصالات البحرية مع الهند وغيرها من الممتلكات الاستعمارية. [٧]
- ثانياً: ما سبق يتيح لجمهوريات البوير "إملاء" الأحكام البريطانية والذي قد يشجع غالبية سكان رأس المستعمرة - البيض — للسيطرة على الرأس.
- ثالثاً وأخيراً : فإنه يمكن أيضاً جعل بريطانيا تبدو ضعيفة الارادة بالنسبة إلى الأوروبيين وبشكل كبير بين المتنافسين على السلطة، مما يشجع على التدخل أو بؤجج فكرة التدخل من منافسيها. ولذلك، تستخدم "الدومينو" شبه المنطق في جميع أنحاء البريطانية، ومن ثم تحسب أن إخضاع "أورانج" الحرة و"الترانسفال" كانت للمصالح الحيوية [٨]. كما وأن "البوير" تعتبر

(٧)- وكان الهدف من الغزو هو الاستعباد، وبدلا من الفناء، والنصر. لكنه سيكون بعيد المنال. من الناحية النظرية، في حين كانت روسيا اكثر استعدادا وقدرة على اللجوء إلى وحشية وينبغي أن يكون رادعا لاحقا فيما يتعلق بالموريد والمقاومة. لكنهم لم يفعلوا ذلك. وبدلا من ذلك فقط حفزت المقاومة وتكثفت. إذا كانت الديمقراطيات تخسر الحروب الصغيرة لأنها لا يمكن أن تتصاعد إلى مستوى الوحشية اللازمة للفوز، ثم واجه "ميروم" صعوبة في أطروحته في ايجاد تفسير لماذا تكسب الاستبدادية الحروب الصغيرة وأكثر من ذلك.

(٨)- التذكير، مع ذلك، أنه لا يوافق على همجية الاكسندر باعتبارها الاستراتيجية العسكرية الروسية، ولكن فعالة. هذا امر يبعث على القلق لنموذج "ميروم" الذي يرى أن الأنظمة الاستبدادية بشكل عام ستكون قادرة على كسب الحروب الصغيرة لأنها تؤدي الى تصعيد مستوى العنف الى البربرية : تبين حرب الموريد أنه حتى في النظام الاستبدادي "المعيارية الفرق" بين الدولة و يمكن أن توجد في المجتمع وتؤثر على الاستراتيجية، وبالتالي على التكاليف والنتائج.

المهتمة الرئيسية في المحافظة على استقلالهم وطريقتهم في الحياة (وخاصة مؤسسة الرق).

يفسر اثنان من العوامل الضعف السياسي البريطاني في الحرب في جنوب أفريقيا :

١- نوع النظام .

٢- والوقت والهدف.

فزعماء الدول الديمقراطية، وصناع السياسة البريطانية لا يمكنهم جعل السياسة تأخذ مجراها من دون الأخذ برد فعل الجمهور وآراءه في الاعتبار. أما في جنوب أفريقيا خلال فترة الحرب، فقد كان هناك عاملان سببا الضعف لبريطانيا وهما :

١- قانون الحرب – بعدالة بريطانيا اللجوء الى القوة في جنوب افريقيا.

٢- قانون الحرب –بعدالة سلوكها في تلك الحرب.

وفي هذا يبرر "كروغر" الإنذار المتخذ الذي يدخر النخبة البريطانية من الصعوبات في قانون الحرب: الرأي العام البريطاني يعترف بشرعيته باعتباره دفاعاً عن النفس لتبرير اللجوء إلى السلاح(٩). ولكن ليس من أخلاقية الحرب نفسها؟(١٠)

---

(٩) –كما قد يمثل سابقة خطيرة فيما يتعلق بإنشاء الاستعماريون إمبراطورية أخرى، والذين يمكن بعد ذلك التفكير في ارتفاع يصل الى تحدي الحكم الاستعماري البريطاني.

(١٠) –كانت حرب جنوب افريقيا تعتبر بالنسبة "لميروم"مشكلة وعلى الأخص بالنسبة لأطروحته، لأن بريطانيا هي دولة ديمقراطية، ومع ذلك لا يجد صعوبة متصاعدة على مستوى الوحشية (ناهيك عن التكاليف الخاصة بها من حيث الدم والمال) اللازمة لكسب الحرب . ميروم وخاصة الأخذ في الاعتبار طبيعة وآثار العملية البريطانية استراتيجية (وخصوصا في ظل كيتشينر) مضللة في هذا الصدد. ويقترح أن يتم تقييد سياسة كيتشينر الهمجية في وايتهول، ولكن لا أحد أخذ تاريخ الحرب على انه ادعاءخطير يمكن أن تدعم هذا الادعاء، ربما باستثناء أضعف شكل الحجة، كما في وحشية كيتشينر الزراعية والحرق وتركيز السياسات" كان بالامكان ان يكون الامر أسوأ "(انظر ميروم، ٢٠٠٣، ص ٦١-٦٢).

فإن تركيز المعسكر اضطر ما يقرب من بريطانيا الانسحاب من الحرب دون تحقيق أهدافها السياسية لكن الحرب كانت قد انتهت في وقت قريب و كما كان متوقعا من قبل النخبة البريطانية والعامة البريطانية حيث لا يهم أيا كانت، و لذلك يكون من المنطقي أن نسأل عن سبب التأخير في الحرب فقد كانت بريطانيا لديها قوة عظيمة قياساً للهولنديين وذلك بنسبة ١/٥ .

كان تأخير الحرب بسبب بأن الهولنديين امتلكوا بنادق حديثة و كان لديهم مهارة عالية باستخدامها في حين أن الأنكليز لم يكونوا قد حاربوا ضد عدو بتلك الجهوزية لذلك طلبوا وقتا أطول للتدرب على تكييفات تناسب ذاك الوضع .

و لكن السبب الحقيقي لتأخير الحرب إلى ما بعد عيد الميلاد هو التقليل من شأن الهولنديين و بما أن الهولنديين كانوا أكثر تحركا، وكان لديهم قوات استخبارية أفضل من التي كانت عند البريطانيين.

لكن الحروب خلال عام ١٩٠٠ قد وضحت لأنه حتى امتلاك البنادق الافضل و قدرة القوات على المناورة بشكل أفضل بحيث مكّن من تفويض التفوق العددي للبريطانيين في جنوب إفريقيا .

وهكذا قامت القوات البريطانية ببساطة بتدمير الهولنديين الذين كانوا يتحركون بخطوط مستقيمة من مستعمرة "كيب " إلى مستعمرة "بريتوريا" .

ومن جهة أخرى، فإن مناقشة إبطال مفعول الصراع جاءت كنتيجة جزئية لشرح نتائج الحرب الجنوبية الإفريقية . والسبب الحقيقي للتأجيل هو التحول إلى إستراتيجية حرب

العصابات عن طريق بوير في آذار / مارس ١٩٠٠. وفاز البريطانيون في أول تفاعل الحرب (نفس النهج) بعد التغلب على الصدمة الأولى وبعد نشر قوات كافية في المسرح. بحلول شباط / فبراير ١٩٠٠ من الحرب التقليدية قد انتهت وفقدت "البوير". ولكن بعد سقوط "بلومفونتين " في البوير وخسرانه زمام القيادة فقد اختار التحول إلى إستراتيجية حرب العصابات.

يعتبر التفاعل الاستراتيجي أفضل تفسير لنتيجة الحرب في جنوب افريقيا. فبعد أن أصبح واضحا أن اعتقال العواصم لن تجبر "البوير" للتسليم لبريطانيا، وكان هناك ثلاثة خيارات استراتيجية:

- أولاً : مع الاستمرار في الاستراتيجية الحالية، وربما ارسال المزيد من القوات والمعدات، والخيول إلى مسرح الحرب .
- ثانياً : من حيث العرض في "البوير" : ما الذي يمكن عمله للحفاظ على ماء الوجه بعد نهاية الحرب.
- ثالثاً : التحول إلى استراتيجية الهمجية : اتخاذ قبالة القفازات وملاحقة البوير لغير المقاتلين، سواء من جانب الرهائن أو قتلهم على الفور في الانتقام لاستمرار المقاومة.

لكن البريطانيين اختارو الخيار الثالث، وانتهت الحرب بعد فترة وجيزة.

الحرب الايطالية الاثيوبية ١٩٣٥-١٩٤٠

تدور احداث الحرب الايطالية الاثيوبية حول ايطاليا الفاشية (الفاعل القوي) ضد اثيوبيا (الفاعل الضعيف).

كانت المصالح الايطاليةتسعى الى الثأر لهزيمتها في "أدوا" عام ١٨٩٦، ومسؤولية إحلال تحضر الهمجية في افريقيا السوداء في القرن الأفريقي، والموارد اللازمة لتحسين معدل الفقر والمشاكل السكانية.

كانت مصالح ايطاليا في الغزو أعلى مما كان متوقعا من قبل مصلحة أطروحة عدم التكافؤ، ولأن جزءا كبيرا من شرعية الفاشية تكمن في الرجولة المزعومة الماثلة في خط التفوق العسكري، ولذلك، فإن أي هزيمة في أثيوبيا يجب ان تعتبر تهديدا لبقاء النظام.

كان من مصلحة اثيوبيا (البقاء على قيد الحياة) وكانت تلك رغبة عالية أيضاً، لكن الاثيوبيين كانوا أكثر دقة وأكثر خطورة في المتابعة على حد سواء : تكرار الهزيمة في مجد الغطرسة الايطالية الغازية، حيث يؤثر نوع النظام في إيطالياعلى الخيارات الاستراتيجية، مما ادى الى لجوء ايطاليا الى البربرية (الأولى في وقت لاحق من استخدام غاز الخردل والقتل، والقتل الجماعي) حيث تفترض الإدارة والتحكم في المعلومات عن سير أعمال حملة عسكرية سياسية (١١) من حيث ضعفها في ذلك الحين، في الوقت الذي ظلت فيه حكومة "موسوليني" كانت آمنة طوال فترة الصراع.

أما على الجانب الإثيوبي، فقد كان "هيلا سيلاسي " يعتبر وإن كان شكلياً– امبراطور اثيوبيا ولم يكن لديه سيطرة كاملة على الأمراء والجنرالات.

جعل نوع النظام الإقطاعي في اثيوبيا من المســـتحيل على الامبراطور المفضـــل فرض اســتراتيجية دفاعية وأثر ثابت فقد قام بتخريب[١٢] نوع النظام بشــكل أكبر من الاهتمام الذي اقترحته أطروحة عدم التكافؤ. في حين أن انتشـار الأسـلحة قد لعب دوراً ذا شـأن في الحرب الاثيوبية الايطالية،لأنه لا يوجد تكافؤ فيما يتعلق بالأســـلحة على الجانب الإثيوبي، ولـذلـك عملـت القيـادة على زيادة تكـاليف الغزو أو الاحتلال من جـانـب الايطاليين، في حين أن انتشـار الأسـلحة الفرضـية ليسـت على المحك. ومن ناحية أخرى، فمع وجود استثناء واحد، فإن كل التفاعل الاستراتيجي للحرب كان لتحقيق نصر ايطاليا عسكريا.

---

(١١) – راجع. الملاحظة أعلاه الفاشية الشرعية (ص ١١٦). حتى لو كان الشعب الايطالي قد لا توجد لديه آلية لتحويل الاستياء الى تحول في السياسة الخارجية أو العسكرية، والحفاظ على النظام حيث ما زالت المصلحة الحيوية في السيطرة على الرأي العام والتصورات للحرب.

(١٢)– تبرز هذه الحالة في حدود مفهوم الخيار الاستراتيجي في الحرب من الناحية النظرية، ويشكل تهديدا للبقاء وينبغي أن يعلو للسوية التنظيمية البسيطة، والثقافية، أو غيرها من أشكال التحيز في اختيار الاستراتيجية. كما لم يوضح هذه الحالة، حيث يفضل الإثيوبيين خطر الهزيمة بدلا من اعتماد "معيب" لاستراتيجية الدفاع على ضرب العدو فيها ضعيفة، ثم "الهروب".

كان أول تفاعل بين الطرفين قد أظهر الهجوم التقليدي، ضد تقليدية الدفاع (نفس النهج)، في إيطاليا، ولكنه كان يبدو بأنه على وشك خسارة هذه المعركة بسبب سوء البراعة.

ومن هنا، فإننا نستنتج مما سبق، بالنسبة للحرب الايطالية، أنه كان من المدهش بالنسبة لإيطاليا مواجهة فعالية المضادات الاثيوبية، والتي أدت إلى تحول في الاستراتيجية الايطالية، حيث كانت ايطاليا تستكمل الهجوم التقليدي ضمن استراتيجية عظمى وهي استراتيجيةالسلاح ضد وزارة الدفاع الاثيوبية التقليدية.

كانت اثيوبيا تعتبر المنظمة المقاومة السرية التي انهارت في غضون بضعة أشهر. لكن الهمجية الايطالية جددت المقاومة. وقد حصلت ايطاليا على هذا التفاعل الثالث للصراع وفق نفس النهج : الهمجية ضد إستراتيجية حرب العصابات، ولكن قبل أن تتمكن من تسجيل القوةالعسكرية كانت قد ألغت تأثير موسوليني. في حين كانت العملية التفاعلية بالرابعة "تفاعل الحرب" قد عادت إلى اتباع طريقة الهجوم التقليدي ضد أي تنظيم للمقاومة (عكس النهج). إلا إذا سعت القوات الاثيوبية إلى الدخول مباشرة في الحرب مع ايطاليا في إقليم "جوجام" وهي التي ساعدت الايطاليين على الفوز.

أما في بقية البلاد، فقد قامت الاستراتيجية الايطالية التقليدية بشن الهجمات عن طريق أحدى استراتيجيات حرب العصابات، حيث خسر بذلك الطرف الايطالي.

كانت خسارة الايطاليين في هذه العمليات مذهلة، وكان الجمع بين هذه التكاليف والحاجة الأمنية لتصبح مكتفية ذاتيا في حال وقوع حرب في أوروبا، وأدى ذلك إلى تحول آخر في هذه الاستراتيجية الايطالية.

هذا التفاعل الخامس للحرب قد عرض توفيق استراتيجية لايطاليا التي تعارضها اثيوبية وفق استراتيجية حرب العصابات (نفس النهج).

كان التوافق قد اثبت للجميع أن اســتراتيجيات الايطاليين كانت قد حاولت التســيير في "أديس أبابا" في شــهر أيار / مايو من عام ١٩٣٦. كان زعيم واحد فقط هو الذي يقود المتمردين، ويبدو من المحتمل أن كون اندلاع الحرب العالمية الثانية كان ســبباً في التغيير الشــامل،حتى أن "ابيبي اراجاي" كان يبذل كل جهوده في تهريب أثيوبيا او إبعادها. ولــذلــك، فقــد كــان من شــبــه المؤكــد أن الايطــاليين قــد كســبوا الحرب. ولكن الحرب العالمية الثانية غيرت كل هذا. فالســباق في اثيوبيا توقف عن أن يكون بين الايطاليين والمقاومة لاحتلال اثيوبيا، وتحول لتصــبح المعركة بين البريطانيين والايطاليين وقتالهم عبر اثيوبيا، والســودان، والصــومال البريطاني، وكينيا(كما يعد مجرد صــراع غير متكافئ وفقا للتعريف الوارد هنا). في غضون بضعة أشهر، والقوات البريطانية الغازية من الجنوب قامت بهزيمة الايطاليين ودخلت "أديس أبابا".

القيادة

في الحرب الاثيوبية الايطالية، كانت مشــكلة ضــعف القيادة الايطالية ذات تحليل هام لنتيجة الحرب. في أول تفاعل، كان الايطاليون يهددون – ولو بخجل- بتهديد الغزو، والذي قام مرة أخرى لأسباب سياسية (١٣) ولذلك فإن فعاليةالتكنولوجيا العسكرية يمكن أن تتفاوت تفاوتا كبيرا تبعا للســياق. ففي أوروبا خلال الحرب العالمية الاولى، لم يدل استخدام الأسلحة الكيميائية بين أي من الطرفين على وجود ميزة استراتيجية في إثيوبيا،

إلا أن استخدام مثل هذه الأسلحة يمكن أن يكون (وكان) بمثابة استراتيجية تقليدية حاسمة خلال المرحلة الاولى من الحرب.

كانت الأسباب الإيديولوجية ومطالب النصر سريعة وحاسمة. وهذا هو الذي سمح للاثيوبيين من الاستيلاء على هذه المبادرة، وكذلك فإن عدم الكفاءة قد أدت إلى سلسلة من الهزائم التي تهدد

---

(١٣) – سبق شرح ذلك .

القوةالايطالية للقذف بهما الى اريتريا. وهكذا أصبحت ضعف القيادة الايطالية السبب المباشر في ايطاليا للجوء الى غاز الخردل.

وخلاصة القول، فإن نتائج الحرب الاثيوبية قدمت أفضل تفسير للتفاعل الاستراتيجي، ولضعف القيادة العسكرية الايطالية. فبعد أن أصبح واضحا أن احتلال العاصمة الإثيوبية"أديس أبابا" لن تجبر الاثيوبيين على الاستسلام، كانت ايطاليا بذلك قد وقعت أمام ثلاثة خيارات استراتيجية:

- أولاً: الاستمرار في الاستراتيجية الحالية، وربما ارسال المزيد من القوات والمعدات الى المسرح.
- ثانياً : من حيث عرض الاثيوبيين : ما الذي يمكن فعله لحفظ ماء الوجه بعد نهاية الحرب.
- ثالثاً : التحول إلى استراتيجية الهمجية : اتخاذ عمليات مداهمة في الأقاليم الاثيوبية الساخنة وملاحقة "المتمردين" وأسرهم.

وعموماً، فقد تم اختيار الخيار الثالث، على الرغم من أنها كانت قد تحولت لاستراتيجيات همجية وابتكار عدد من الممرات، ولكن ببطء وبصعوبة حيث قامت بتحسين تلك الميزة حتى الحرب العالمية الثانية في افريقيا، والاجتياح للتخلص منها. لم تتدخل ايطاليا في حرب اثيوبيا، والتي كانت خلال الحرب العالمية الثانية، وقد ربحت الحرب. ولكن بعد بضع سنوات على الأكثر، كانت إيطاليا قد فقدت اثيوبيا حتى بدون التدخل البريطاني في شمال أفريقيا، لأن العملية الاستراتيجية كانت مثالية- التوفيق-

الاقتصادي الذي كان غير قادر على المحافظة. وقد اضطرت ايطاليا في وقت سابق إلى اللجوء إلى الهمجية - على حد سواء باستخدام غاز الخردل والقتل الجماعي — وهذا مأأثار تكاليف سياسة ما وراءالرشوة وهي القادرة على الدفع.

الولايات المتحدة في فيتنام (١٩٦٥-١٩٧٣)

وهي تدور حول تدخل الولايات المتحدة في الحرب الأهلية الفيتنامية وGVN حكومة فيتنام (قوة فاعلة ضد DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية والرأسمالية (فاعل ضعيف).

وكانت مصالح الولايات المتحدةتقوم باحتواء الدفاع عن GVN حكومة فيتنام من استيلاء الشيوعيين، وتعزيز استراتيجيتها السوفياتية.

كانت مصالح DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية تتوقف على انخفاض الاستثمار الرأسمالي في البقاء على قيد الحياة، ولكن تم توسيعه ليشمل طرد جميع الأجانب،و"التأثيرات" من فيتنام. ولذلك فإن DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية وGVN حكومة فيتنام سواء كان النظام الاستبدادي متعدد التنوع بينما الولايات المتحدة لديها نظام ديمقراطي النوع.

ولكن في فيتنام،كان النظام يعتمد على الضعف السياسي كنوع أقل أو أكثر على أرض الواقع. وقد كانت المعركة الحقيقية في فيتنام على ارض الواقع بين اثنتين من أكثر الحكومات المحلية التي يمكن أن تعرف بمصداقية تمثل التطلعات الوطنية الفيتنامية. وهكذا، فإن كانتDRV جمهورية فيتنام الديمقراطية تعتبر صاحبة السبق بسبب تنظيمها، والشجاعة والتضحية ضد اليابانيين في الحرب العالمية الثانية وضد الفرنسيين بعد عام ١٩٤٥. وقد بدت GVN حكومة فيتنام ذات مصداقية وطنية، ولكن "ديم" كما يعرف في خطاب نقله التلفزيون - لا يرى مصلحة في فيتنام منفصلة عن بلده.

وهكذا، فبإعادة هيكلة GVN حكومة فيتنام فإن القوة العســـكرية كانت لخدمة هدف واحد على حســـاب الآخرين وهو : لإبقائه في الســـلطة. وقد عرض في وقت لاحق الاغتيالات اليومية للقوات الامريكية في العراق والتي كانت لا تمتلك أية إمكانية في حكومة فيتنام كسب المعركة من أجل الشرعية القومية.

كان وضـــع الديمقراطية في الولايات المتحدة ضـــعيفاً، وذلك نظرا لنوع النظام لكونه في وضـــع يمكنه من الاطلاع على دعم غير مشـــروع وتقوية الفســـاد في حكومة فيتنام. لم يلعب انتشار الأسلحة دورا قوياً في فيتنام، ولكن الزيادة في التكاليف بالنسبة للولايات المتحدة

وحكومة فيتنام السوفياتية والصينية (ناهيك عن غير قصد حكومة فيتنام) في تقديم الدعم وهو ليس ما دفع الولايات المتحدة للخروج من فيتنام. فمعظم القتلى الامريكيين خلال الحرب لم يكن بسبب عمل معاد مباشرة، سواء من حيث الدفاع الجوى أو هجمات المسلحين. لأن معظمهم قد تعرضوا للضرر الأكبر من العبوات الناسفة البدائية نسبيا وكذلك الشراك الخداعية المرتجلة . يوضح التفاعل الاستراتيجي أفضل تكاليف الصراع لكل جانب، وخاصة من حيث الوقت. ونادرا ما كان اول ما يحدث مع قوات الجيش الامريكي في أية معارك حربية يشارك في اتخاذها.

وبدلاً من ذلك، فإن قوة الجيش الأمريكي كانت تكمن في قدرته على التعلم بسرعة والتكيف مع طائفة واسعة من ظروف القتال.وكانت فيتنام اكبر مثال على ذلك.

بدأ الجيش الاميركي أعماله بالتقليل من قوة الإرادة والقدرة على القتال. وقد تجاهل خبرة

فرنسا الكبيرة وإن إلى حد أقل، وكذلك بريطانيا العظمى. ولكن انتهى به الأمر إلى ابتكار عدد من الاستراتيجيات القادرة على تحييد ونزع أحشاء المد الرأسمالي في عا م ١٩٦٩ .

على الرغم من الفوز الذي حققه الجيش، وهو كان أكثر ما قامت به في الولايات المتحدة الأمريكية. لكن النتيجة السياسية قد انتهت بهزيمة الولايات المتحدة، وهذا مايفسر التفاعل الاستراتيجي. كانت الحرب في القرن العشرين أكثر تعقيدا من حرب فيتنام وقد ظهرت – على الأقل- في خمسة من الخصوم (DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية، والاستثمار الرأسمالي، والصين، وGVN حكومة فيتنام ضد الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية)، وكان التداخل الملتف في ذلك أكثر من التفاعلات الاستراتيجية. وقد خسرت الولايات المتحدة في تلك التفاعلات، والتي تظهر الوحشية التي مارستها الولايات المتحدة ضد قوات NVAجيش فيتنام الشمالي التقليدية تنظيميا (مقابل النهج). ولكن الولايات المتحدة فازت في الحرب ضمن وحدات القوة الرئيسية : NVA وحدات جيش فيتنام الشمالي التقليدية ضد الهجوم الأمريكي ضمن الاشتراكات التقليدية الدفاعية (نفس النهج).

لكن الولايات المتحدة خسرت حرب العصابات الرئيسية في الجنوب، والتي تضمنت هجوم الوحدات الامريكية التقليدية (هجوم الرأسمالي كإستراتيجية حرب العصابات (مقابل النهج)، ولكنه حصل على الجانب "الآخر" حرب عصابات عندما شرع برنامج فينيكس (البربرية) ضد إستراتيجية حرب العصابات جيم (نفس النهج). وكانت الحركة الأهم من مشاة البحرية الامريكية – المؤسسة العسكرية الامريكية مع التجربة التاريخية

الأكثر قوة في القتال والحروب الصغيرة – حيث ابتكرت استراتيجية قادرة على هزيمة الرأسمالية دون اللجوء الى الهمجية. وكانت السياسة الزراعية المشتركة هي البرنامج الذي أثبت المسؤولية عن التكلفة من حيث الوقت.

وخلاصة القول، في معظم الحروب، ولتحقيق تحويل النصر العسكري إلى نصر سياسي، ومدة ونوعية هذا الانتصار السياسي التي تحمل معنى العلاقة بين بعض الوسائل المستخدمة للتغلب على مقاومة الجيش. إذ أن الهمجية تعمل على تحقيق انتصار عسكري فقط، ولذلك، فإن السلام سيكون التالي، وسيكون مكلفاً في أفضل الأحوال.

ومن الواضح أن قوات الولايات المتحدة ووحدات GVN حكومة فيتنام الجنوبية لم تستخدم الهمجية ولم تتغلب على وحدات DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية الرأسمالية والعسكرية.

وهكذا، فإن التفاعل الاستراتيجي يفسر الحرب ما دام الأمر كذلك، وكيف ان الولايات المتحدة كانت قادرة على هزيمة DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية والاستثمار الرأسمالي، ولماذا، وبعد ذلك، اضطرت الى التخلي عن GVN حكومة فيتنام. ولكن، في الحرب الأهلية الفيتنامية، فقد أثبتت أن التفوق العسكري كان لا معنى له مقارنة مع النتائج السياسية من اجل فيتنام وكان ما يهم بالفعل كان قد تحقق من قبل قوات المارينز الامريكية التي جاءت الى الشاطئ في "دا نانغ".

حتى في الولايات المتحدة، كانت القوات قد اعتمدت على مواجهة الاستراتيجية مقاومة مثالية والتي كانت تواجهها ضد كل من الجيشين على الرغم من أن المهمة ليست سهلة

و لا يزال لا يمكن كسب الحرب سياسيا (أي سياسة الإكراه فإن DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية قبلت تقسميم فيتنام).

وفي أحســـن الأحوال، فإن الولايات المتحدة ســوف تدفع باعدائها في كل من "لاوس وكمبوديا، والصين، ثم اضطرت لقضاء عقود محاولة – تحت الإكراه، رغم أن الأمل ضعيف في النجاح – لهندسة وطنية بديلة قابلة للتطبيق في DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية .

الحرب الأهلية الأفغانية ١٩٧٩– ١٩٨٩

كانت الحرب الاهلية الافغانية تدورحول DRA الجيش السوفياتي وحلفائه (فاعل قوي) ضــد المجاهدين الأفغان (فاعل ضـعيف).لم تكن نتائج الحرب الأهلية الأفغانيةللمصــالح السوفياتية ترقى إلى مستوى البقاء على قيد الحياة، لكنها أصبحت فيما بعد أكثر حدة مما كان متوقعا من قبل م يسمى (مصلحة اللاتماثل) . فقد انخفضت إلى :

(١) – ودياً للدفاع عن النظام الماركسي.

(٢) – وهو ما يحول دون انضمام جمهورية اسلامية متطرفة على حدودها الجنوبية.

وكانت مصـلحة المجاهدين تكمن في طرد السـوفيات من أفغانسـتان، حيث كانت طائفية نظام كابول التي يسـيطر عليها لا تختلف في حقيقتها عن السـوفيات. وتحقيقا لهذه الغاية، فقد بدا المشـــهد كما لو أنهم كانوا يقاتلوا من اجل بقاءها على المحك. وهكذا، فوفقاً لمصـــلحة فرضـــية (عدم التكافؤ) بالإضـــافة إلى النكســـات العســـكرية كبيرة التي ألمت بالســوفيات، فقد أدت في نهاية المطاف إلى دفع الســوفيات لإعادة تقييم احتلالها بغض النظر عن نوع النظام. ولكن تنفيذ ذلك لم يحدث. وبدلاً من أن تفكر في انسحاب قوات

السوفيات، فقد حاولت ببسالة التعلم من الفشل والابتكار مما حولهم. وغالبا ما كانت ستنجح، ولكن في شكل لا يمكن أن تعوض فيه عن الانخفاض النسبي (١٤) . وباختصار، فإن الاتحاد السوفياتي كان يُنظَر إليه كنظام استبدادي في ظل نوع من الضعف السياسي. ومن جهة أخرى، فإن ما مكّن نوع النظام السوفييتي من الإدارة السياسية الداخلية (١٥) في مقاومة الأنظمة الاستبدادية هو أولا وقبل كل شيء بناء مجتمع حر ولكن على النحو الذي يراه مناسبا (الأنظمة الديمقراطية التي تمكنها من القيام بنفس الشيء ولكن أقل بكثير من الحرية). كان الاتحاد السوفييتي قد أظهر في الحروب السابقة قدرة ملحوظة في السيطرة على الجمهور المدني من أجل الحصول على معلومات موثوق بها عن تكاليف الحرب الداخلية، وخصوصا الخسائر البشرية والعلاقات بين البلدين. ولكن في هذه الحرب، فقد كانت الجهود الرامية إلى السيطرة السوفياتية على هذه المعلومات آخذة في الحسبان الجمع بين الوطن ورسائل الجنود – التي لم يسبق لها مثيل – إلى أمهاتهم معا لتجعل من الواضح – بشكل متزايد– كيف أن الجنود السوفيات الذين قتلوا كانوا أكثر بكثير من مما قدرته الحكومة(١٦).

ومع ذلك، لم تكن هناك أية آلية للإنذار الأمر الذي ادى إلى تصاعد السخط العام والذي كان يمكن

---

(١٤)- أرقام ليست مؤشرا يعتد به. كما في حالة التدخل الاميركي في فيتنام، وكان السوفيات أعلى مما كان متوقعا المصالح (بما في ذلك مشكلةالمؤهلات)، ولكنها كانت مقيدة لمراقبة الحدود في عدد القوات التي تم نشرها خوفا من تصعيد الصراع إلى حرب عالمية أخرى.

(١٥) – المعارضة السياسية الداخلية هي واحد من اثنين من مخاطر اعتماد استراتيجية الهمجية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ؛ الآخر التدخل العسكري الأجنبي. هنا نوع النظام ليس لها دور على الإطلاق. كما في وقت لاحق بغارات الشيشان (١٩٩٤ و ١٩٩٩)، وروسيا النووي يستبعد التدخل العسكري الأجنبي. ميلوسيفيتش وصربيا، والطالبان في أفغانستان، وصدام حسين في العراق ليست محمية بشكل جيد، وبالتالي تخضع لغزوات مبررة إلى حد كبير من خلال تقارير دقيقة من الهمجية.

(١٦) – التدخل السوفياتي في أفغانستان يدعم بقوة نموذج (ميروم) المؤلف من مزايا النظام في الحروب الصغيرة، ولكن المشكلة التي تعرض السوفيات ويعملون معا مع الجيش الفغاني DRA في استراتيجية تتجاوز وحشية لا تزال حتى الآن وخسرت الحرب. أو الوحشية البربرية ولذلك قد لا تكون فعالة وكفؤة كما تقترح ميروم نموذج (انظر ميروم، ٢٠٠٣ : ص ٤٢-٤٦).

أن يؤدي إلى تحول في السياسة السوفياتية أو الاستراتجية في أي حالة أخرى لا تحصل على الأسلحة ونشر حجة أقوى مما كانت عليه في دعم الحرب الأهلية الأفغانية وذلك خلال الفترة الواقعة من عام ١٩٧٩ حتى عام ١٩٨٦، ولكن على الرغم من أن الاتحاد السوفياتي وقوات الحلفاء كانوا أفضل تجهيزا وتسليحاً من المجاهدين، فيما عدا طائرات الهليكوبتر القتالية، وأكثر من ذلك فإن أفضل التكنولوجيا المستخدمة كان مشكوكاً بنجاعتها في الجبال الوعرة في أفغانستان. كما أن DRA القوات

السوفياتية كانت قد ابتكرت أفضل الأساليب التي جاءت بها والتي كانت تعتمد بشكل كبير على طائرات الهليكوبتر القتالية.

ولكن مع حلول عام ١٩٨٦ فإن أساليبهم تلك - بما في ذلك استخدام قوات العمليات الخاصة "الهليبورن" التي كانت تمنع قوات الاحتلالات من خلال "كانيون"- جعلها غير متناسبة على حد سواء القوية منها والضعيفة.

أما دور الولايات المتحدة في إضعاف القوات السوفياتية فقد تأكد من خلال تزويد الولايات المتحدة لقوات المجاهدين لقذائف صاروخية تطلق من الكتف ومضادة للطائرات من طراز"ستينغر". وهكذا، تغير الوضع بين عشية وضحاها تقريبا عما كانت المعارضة كميزة تكتيكية تحولت إلى إخفاء التكتيك المسؤول.

في عام ١٩٨٥ أدى انضمام "ميخائيل غورباتشوف" للحكم إلى حسابات جديدة في أفغانستان والتي بدورها كانت ذات أهمية سياسية. وقد كان "غورباتشوف" قد وضع حداً زمنياً للوجود السوفياتي بدعم من DRA جمهورية أفغانستان الديمقراطية في مواجهة

المجاهدين لاستخدام الإبر والذي يعني الحفاظ على الفعالية القتالية، فقد كان السوفيات قادرين على الابتكار أو زيادة كبيرة في أعدادهم.

أدرك "غورباتشيف" بأن الطريق مسدود النهاية وأن زيادة القوات يعني أنه لن يكون هناك أي وقت للقيام بابتكار طرق جديدة، مع عدم وجود زيادة في عدد القوات.

وفي المقابل، فإن نشر الأسلحة كان حجة إضافية لذلك وهو الأمر الذي قدم دعما قويا في الحرب الأهلية الأفغانية. وقد اقترن هذا التحول في القيادة السوفياتية مع ما يزيد من تكاليف احتلال السوفيات والتي تجاوزت ما يمكن تحمله. ولذلك انسحب السوفيات .

يفسر التفاعل الاستراتيجي الحرب السوفياتية (التفاعل خسر الحرب الأولى) ولكنه لا يفسر الحرب الثانية من ١٩٨٠ إلى ١٩٨٢، حيث انتهج السوفيات استراتيجية الهجوم التقليدي ضد المجاهدين إستراتيجية حرب العصابات (مقابل النهج) والتي فشلت بكل المقاييس.ومع ذلك، فبعد التحول الى الهمجية في عام ١٩٨٣ (من نفس النهج، لم يربح السوفيات، في عام ١٩٨٩ انسحبوا من أفغانستان تماماً). لماذا؟

الدعم الخارجي للأطراف الضعيفة: *الملاذ*

وفقاً لاستراتيجية التفاعل فإن أطروحة السوفيات يجب ان تفوز بها. فالهمجية التي كان ينبغي أن تكون بمثابة استراتيجية مثالية لأن السوفيات ليسوا عرضة لتكاليف محلية أو مشتركة بين التكاليف السياسية المرتبطة الملاحقة.وعلاوة على ذلك، فإنه ينبغي أن يكون قد دمر الاستخبارات والقدرات اللوجستية للمجاهدين وإلى حد كبير، فإن(١٧) الأثر الرئيسي، مع ذلك، هو تعاضد المجاهدين مع المنشقين.

---

(١٧) – استخبارات المجاهدين تضاءل كثيرا نتيجة التصرف السوفياتي الهمجي. ولكن بالنسبة لقوات الجيش الفغاني DRA والسوفيات، والمحافظة على كل واحد منهم في المناطق الحضرية، وآلية محددة القوة، فإنها لا تزال متفوقة والولايات المتحدة استفادت من الدعم التقني الاستخبارات.

لم تنجح اســـتراتيجية الهمجية في أفغانســـتان لأن المجاهدين تمكنوا من الاعتماد على الاســتخبارات الخارجية والدعم اللوجســتي، وكانت وحداتهم تعمل انطلاقا من ملاذات في باكســتان وإيران.، فلذلك أصـبح المجاهدين يعتمدون على هذه المســاعدات التي توقفت فيها في عامي ١٩٨٩ و ١٩٩٠، والتي أدت قدرتها إلى إســقاط حكومة "نجيب الله" غير الشــرعية. ولذلك تبرز أفغانســتان تحت شــرط واحد، والتي لا يكون نافذ المفعول، على اســاس النظر إلى الهمجية باعتبارها اســتراتيجية مكافحة التمرد : عندما تمكن رجال حرب العصـابات من الحصـول على مصـدر هام للملاذ بذكاء، والدعم اللوجسـتي خارج سيطرة الفاعل القوي. وخلاصـــة القول، إذا ماكنا نريد أن نوضـــح الســـبب في فشـــل الاتحاد الســـوفياتي في أفغانســـتان، فإن ما يهم أكثر هو التفاعل الاســـتراتيجي. فبعد أن أصـــبح واضـحا أن الحرب في أفغانسـتان هي مكافحة النضـال السـوفياتي، فثمة وثيقة ثلاثية أدت إلى ملاحقة المجاهدين غير المقاتلين. ولكن الاستراتيجية التي ساعدت المجاهدين، كانت في تقوية البنية التحتية واللوجسـتية والاسـتخبارات، ولكن اغلاق الحدود مع باكسـتان كان على الدوام يعتبر شيء مستحيل.

على الرغم من أن الروس كانوا قد نجحوا في قتل أو تشـريد ما يقرب من نصـف اللاجئين من أفغانســتان قبل الحرب على الســكان المدنيين، وحيث كان المجاهدون يواجهون خيارا واضحاً بعد تغلغل السوفيات البربري حيث انتقل ذلك الخيار الى :

إما أن تتخلى، أو أن تواصل مع استراتيجية من شأنها المزيد والمزيد من الاعتماد على قوى خارجية للحصول على الدعم. وفي النهاية، لم يكسب أحد الحرب، وغادر السوفيات في عام ١٩٨٩ وانخفضت قوات الجيش الأفغاني DRA في عام ١٩٩٢.

في حين أصبح المجاهدون – فيما بعد – ينتشرون فوق كامل الجغرافيا الأفغانية تقريباً ، متأهبين لصد أي هجوم يأتي من جانب حركة "طالبان"– والتي كانت مجموعة من الاسلاميين المحافظين للغاية والممولة من باكستان، وكذلك من جانب المملكة العربية السعودية. وفي نهاية المطاف، دمرت أفغانستان نفسها على نطاق لم يشهد له مثيل منذ تدمير ألمانيا في الحرب العالمية الثانية.

أطروحة التفاعل : النتائج الرئيسية

إن جمع و تنظيم التحليل الإحصائي ، وتركيز المقارنة التاريخية لدراسات الحالة تؤيد بقوة التفاعل الاستراتيجي على أطروحة التفسيرات التي قدمها منافسيها. كما ان كتاب تحليل التفاعل الاستراتيجي يرتبط ارتباطا وثيقا بنتائج صراع غير متكافئ. وهذه العلاقة مهمة احصائيا، وبلادي تدعم الادعاء بأن نفس النهج تفاعلات قوية لصالح الجهات الفاعلة، في حين (عكس النهج) ضمن التفاعلات الضعيفة لصالح الجهات الفاعلة. [١٨]وبالاضافة الى اختبار منطق التنافس يعتبر تعليلا لنتائج صراع غير متكافئ، فإن دراسة خمس

حالات تاريخية مؤيدة ضمن ستة عشر تجربة منفصلة من التفاعل الاستراتيجي[١٩]. تدعم اطروحةنتائج هذه الاختبارات الصـعبة بقوة منطق الاســتراتيجية رغم أنه في حرب موريد، هالي الأثيوبية، والأفغانية والحروب الأهلية، والنتيجة الفعلية للصــراع قد تأثرت بشــدة لحســاســية التكلفة البالغة، وغير كفء والقيادة والدعم الخارجي لضــعف الفاعل على التوالي. والنتائج المتوقعة الفعلية للتفاعلات الاســتراتيجية في حالة خمس دراســات تاريخية موجزة في الجدول التالي [٢٠]

---

(١٨) – باكستان استضافت أفضل من المجاهدين والمقاومة وكان كل من باكستان دولة نووية، وحليفا للولايات المتحدة.

(١٩)–كما ذكر في الفصل ٢، وهذه الحالات الشاذة في هذا المعنى: ٧٧,٥ في المئة من الصراعات غير المتماثلة ميزة التفاعل الاستراتيجي واحد من البداية إلى النهاية.

(٢٠) الجدول(٣) السمات وملخصات عشر تفاعلات في الاستراتيجية. وأنا أعول انه على الرغم من وجود أحد عشر تفاعل بسبب الاستراتيجية غير المباشرة(التي تستهدف إرادة الخصم بدلا من القدرة على القتال) "فالتوفيق" هو في استراتيجية إنهاء الحرب وليس الفوز في استراتيجية الحرب.

فرضيات بديلة

تقيّم الفرضيات الخامسة والسادسة والثامنة دراسات الحالات الفردية. فالفرضية الخامسة تناقش في الأطراف الفاعلة القوية على الأرجح لكسب نفس النهج - حيث يفقد التفاعل وعكس النهج التفاعلات المؤيدة في جميع الحالات. ولكن في كل حالة،فإن تفاعلات نفس النهج تجعل من الممكن قيام القوى الفاعلة في تطبيق الثقل الكامل من المزايا المادية في السلطة وتحويلها إلى قتال،ولكن هذه ستفرض تكاليف باهظة على ضعف الجهات (حيث تتحول الاستراتيجيات أحياناً، وأحيانا ما تتخلى).

أما تفاعلات عكس النهج فتمكن الجهات الضعيفة تجنب الهزيمة، وبالتالي جعل الصراعات تطول. ونتيجة لذلك، فإن ضعف أفضل العناصر الفاعلة في تفاعلات عكس النهج، وتجنب التكاليف في الوقت ذاته سيؤدي إلى أن تسبب لهم خسائر ضمن صفوف أقوى الخصوم.

تناقش الفرضية السادسة موضوع التسليح الأفضل في حين يكون التسليح الضعيف هو الفاعل، والأرجح فإن هذه القوى الفاعلة ستخسر أي صراع غير متكافئ، أو غير مدعوم. وهكذا، ففي كل حالة، بما في ذلك حتى الحرب الأهلية الأفغانية،فإن أثر التكنولوجيا يعتمد على الاستراتيجية والتكتيك في سياق المناخ والتضاريس، وذلك عندما تكون الجهات المسؤولة تكنولوجيا أفضل، ولكن من الخطأ تطبيق الاستراتيجية - كما هو الحال في السنة الأولى من الحرب في جنوب أفريقيا — حيث خسر بشكل سريع وحاسم.

أما الفرضية الثامنة — الاستخدام النسبي للقوة المادية — والتي تشرح النسبية في نتائج أي صراع غير متكافئ — فقد تم دحضها.

ولكن على أي حال من الأحوال، فإن نتائج المعركة هو الاهتمام الفاعل في تفسير النسبي. ومن ناحية أخرى، فإن الفرضيتين السابعة والتاسعة لا يمكن أن تكون إلا عبر تقييم الحالات.

فالفرضية السابعة – التي تناقش الموضوع السلطوي القوي الفاعل في قتال أفضل من الحروب غير المتماثلة ولا ديمقراطية قوية ضمن الأطراف الفاعلة – فهي غير مدعومة.

ولكن في الواقع، قد يكون صحيحا أن الديمقراطية والسلطوية لا تلتقيا ضمن الجهات المسؤولة في مكافحة الحروب غير المتماثلة بنفس الطريقة ؛ فكل من بريطانيا والاتحاد السوفياتي بدأت مباشرة في استخدام الاستراتيجيات، وعندما لجأت الى الهمجية، كانت فظة وتدميرية ووحشية .

وعلى الجانب الآخر، فإن الفرضية السابعة – الفاعل السلطوي القوي في مكافحة الحروب غير المتماثلة التي تستخدم الفاعل الضعيف الضعف المباشر كاستراتيجية افضل من قيام ديمقراطية قوية في الأطراف الفاعلة – وقد أيدت هذه النظرية ردود فعل الجمهور .

لجأت بريطانيا إلى الهمجية عندما اقتربت من خسارة الحرب، إلا أنه لم يرد أي لجوء لدى الاتحاد السوفياتي لأي تصرف همجي، على الرغم من أنه كان يهدد للقيام بذلك.

وهكذا، فالبنسبة إلى درجة أن النظام الاستبدادي يعزل النوع الفاعل من التكاليف والمخاطر للبدء في استراتيجية الهمجية، وبقدر ما هي الهمجية عملية استراتيجية فعالة عسكريا، ولذلك فإن هذا الدعم للفرضية السابعة ينبغي ألا يفاجأ أحداً.

وأخيراً، فإن الفرضية التاسعة – الفاعل السلطوي الديمقراطي القوي، والفعاليات السياسية والحصة المتساوية تقريبا في الضعف الطويل في صراع غير متكافئ – كان حاسما في دحض تلك المفاهيم هنا.

فقد كانت بريطانيا في خطر الاضـــطرار لخوض الحرب بعد ماحدث في "اميلي هوب هوس " والذي جعل موضوع معسكرات الاعتقال يغوص في جدل عنيف .

ولكن الإمبراطورية الروسية، والفاشية الايطالية، واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية لم تكن عرضـــة لمشـــاكل مماثلة. ففد كانت إيطاليا تدير المخاطر في عام ١٩٣٥ إلى أن زميلاتها من الدول الاوروبية ستطالب انسحابها من اثيوبيا أو وقف استخدام غاز الخردل، ولكن في حالة ضعف القوى العظمى في أوروبا فإن ذلك كان سيؤدي إلى القيام بهجوم وحشي عميق .

فشل شرح القوة الفاعلة

تفقد القوى الفاعلة في ظل الحروب الصغيرة عدداً من الشروط :

أولاً : عندما تكون القوى الفاعلة هي القوى العظمى، كما أنها قوية الخصوم. وهي تخصص موارد كبيرة لبناء القوات لتأمين مصالحها ضد التهديدات من الخصوم. وحيث لا يتم بناء وتجهيز القوات لاستخدامها ضد غيرها من القوى الكبرى، لكنها تكون مدربة على القتال والرد بشكل معين، وحيث تكون المعدات، والتدريب، كلها متشابكة بإحكام ومبنية مع مختلف القوى الجديدة والمهارات [٢١].

ففي حرب موريد، كان على القوات الروسية الأولى الخروج ضد "المورديين " الذين كانوا مدربين ومجهزين لقتال الأعداء على النمط الأوروبي على التلال،وفي الغابات الكثيفة، أو فوق أرض مفتوحة. أما الضباط فقد تم تدريبهم على أمثال سائرة، وغيرهم من الجنرالات الذين كانوا يتمتعون بالشهرة الروسية التي كانت قد دبرت مجموع هزيمة نابليون في "آرمي غراندي".

---

(٢١)- بل والأدهى من الضباط والجنود المدربين في سياق واحد غالبا ما تكون غير مفيدة في بلد آخر. عدم الفعالية العسكرية البريطانية في الحرب العالمية الاولى وغالبا ما يقال إنه يرجع إلى أن الكثير من الضباط كانوا ذوي خبرة قتالية "استعمارية". العكس أيضا كان صحيحا : فالقادة الذين يتفوقون في العمليات التقليدية، نادرا ما يفعل وكذلك في العمليات العملية. عن الاختلافات في القيادة التقليدية وغير التقليدية في الضبط، انظر على سبيل المثال، بودين (٢٠٠٠ : ١٧٢-٤٧٤)، وسجل ماركيز (١٩٩٧ : ٤، ٨).

كان أول اشتباك مع "الموريديين" هو الأكثر نشاطا في المضائق الجبلية شديدة الانحدار كجبال القوقاز وكان ذلك التضارب بمثابة الصدمة، وهذا ما تطلب ما يقرب من ثلاثين عاما من النضال، والابتكار، وإعادة التدريب، والتكنولوجيا الجديدة من أجل هزيمة "الموريديين".

جاء البريطانيون بعد ذلك إلى جنوب إفريقيا مدعومين بسنوات من النجاح في الحروب ضد الدول الصغيرة والقبائل والممالك التي جعلت من بريطانيا امبراطورية شاسعة.

جاءت القوات البريطانية مجزأة، وغير مجهزة، مع سوء في التدريب لمكافحة تصاعد مقاطعة"بوير" الساخنة والواحة الجبلية. ولذلك فقد تكرر الهجوم مرارا وتكرارا من قبل القوات البريطانية التي اصطفت ضد "بوير" بعد التدريبات : إعداد مدفعية العدو ضمن خط المشاة والتي وضعت في المقدمة، وتجهيز الحراب للهجوم، وكذلك الفرسان للقضاء على العدو. ولكن ما وجدوه كان مختلفاً، وكان بنيران المدفعية المضادة، وجدار من الرصاص قد شكل جيداً من البنادق سريعة الطلقات، والذي دمر بشكل وثيق صفوف المشاة . ثم، بعد تعرض القوات للحريق المدمر هذا، والهجوم على مواقع العدو المتبقية، فقد عثروا على عدد قليل من القتلى بين صفوف مقاتلي "بوير" في حين عانى بقية أفراد الكوماندوز المقابل على الخيول، والذين ولوّا الأدبار على عجل . ولذلك، فقد كانت بريطانيا في حاجة الى جيش جديد، وتدريبات جديدة، وكذلك تجهيز قوات جديدة لها، مع الكثير من الخيول، والعديد من الرجال لإخضاع "بوير" وصولاً إلى الخليج.

اما اكتساح الايطاليين لإثيوبيا على وجه التحديد مع كمية ونوعية القوات المطلوبة من

أجل التغلب على القبائل التي كانت تحت إمرة الإمبراطور الاثيوبي "هيلا سيلاسي".

وبكل المقاييس فإن الجنود - باستثناء أصحاب القمصان السود الذين ايدوا الانقسامات في ايطاليا — قد قاتلوا بشكل جيد. ولكن القائد العسكري الايطالي كان شديد السوء، وكأنه كان تقريبا سبب هزيمة ايطاليا ضد المقاتيلن الذين كانوا في معظمهم حفاة، مع ضعف شديد في التسليح الاثيوبي والذي يفوق عدد المحاربين.

من جهة أخرى، كانت الولايات المتحدة قد وصلت الى فيتنام مع قناعتها بأنها لا مثيل لها من حيث القوة والتكنولوجيا، والتاريخ الطويل من تحقيق الانتصارات العسكرية، وكانت على يقين بأن انتصارها في فييتنام سيكون حاسماً.

صحيح أن القوات الامريكية كانت قد تعرضت لهزيمة قريبة في الأشهر الأولى من النزاع الكوري، لكن الجنرال الاميركي "ماثيو ريدجويس" تمكن من إعادة تطبيق المنطلقات الأساسية في تجنيد الانضباط حيث استعادت القوات الامريكية مكافحة الفعالية، وعكس الاتجاه حيث دفعت التوجه نحو كوريا الشمالية.

ونتيجة لذلك، فقد عبر العديد من الجنرالات الامريكيين في فيتنام عن اعتقادهم بأن الحديث عن شيء "جديد" أو "غير مألوف" في الحرب هو ستار لعدم وجود حسن الانضباط والعدوانية. لكنهم كانوا

على خطأ. فكما هو الحال في كل هذه الصراعات التي تكون أقل من المستوى المتوسط بالنسبة لضباط المكاتب (برتبة لفتنانت كولونيل ومن خلال مساعدين) لكنهم كانوا في معظمهم سريعي التعلم والتكيف، في حين حاول كبار الضباط تطبيق سياسة الوزن

الخاص بهم، وكثيرا ما تكون هامشـــية غير ذات صـــلة، وكذلك الخبرة على حل المشـــاكل الصـــعبة التي تواجه الولايات المتحدة في فييتنام [٢٢] حيث ألحقت قوات الجيش الامريكي الهزيمة بقوات جيش فيتنام الشـــمالي، ولكن في الســـنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية كانت الأمور قد اصبحت منتظمة حيث التهمت قدرات العمليات على الأرض.

---

(٢٢) – وحتى في الحالات التي يكون فيها الهدف ســـياســـي لمهاجمة قوات الإبادة الجماعية، والمتطلبات التقنية لتحقيق عمليات الإبادة الجماعية، ولحســـن الحظ، هي بعيد المنال، حتى بالنســـبة للدول الأكثر تقدما. ســـيكون هناك دائما من الناجين والشـــهود، وهـــذا يؤدي إلى احتمـــال وقوع هجمـــات انتقـــامية على درجـــات مختلفـــة من الخطورة بعـــد ارتكـــاب الهمجيـــة.

ماكانت تحتاج إليه القوات في فيتنام كان حيث يتصادم الجيشين، ولكن لم يكن أي منهما يحاول جاهداً للتكيف مع اثنين من الأنظمة العسكرية لتلك العوالم المختلفة. دخل السوفيات أفغانستان في عام ١٩٧٩ مع اربعة فرق وباستخدام البنادق الآلية التي تعتبر ثلثي القوة. وهذه كان قد عفا عليها الزمن ضمن تجهيز الاحتياطات اليها، ولكنهم كانوا قد تلقوا تدريبا على استخدام هذه المعدات في عمليات واسعة النطاق على الأراضي المفتوحة على الرغم من أنها غير ملائمة في كل طريقة يمكن تصورها لمحاكمة الحرب في منطقة جبلية. أثناء صراع دام عشر سنوات على هزيمة المجاهدين، ابتكر السوفيات تكتيكاً شبه جديد تماماً للجيش : العقيدة الجديدة، والتكنولوجيا الجديدة وتدريب جديد، ومختلف للقوات. كل هذا يدل على أن الجهات الفاعلة القوية – وخاصة الدول الكبرى – والذي لم تخض الحروب مؤخراً خاضت حروباً صغيرة كانت تميل للدخول فيها لكنها كانت غير مستعدة لمحاربتهم سواء من حيث النظرية أو المعدات. وحتى أولئك الذين قاتلوا في الآونة الأخيرة في مثل هذه الحروب، فقد تجد الخبرةفي مسرح العمليات الواحد ضد عدو واحد،وأيضا لنقل مختلف المسارح ومختلف الخصوم. ولكن هذا لا

يعني أن القوى الفاعلة يجب أن تفقد النزاعات غير المتماثلة، وإنما لأن التكاليف الأولية ستكون أعلى مما كان متوقعاً من الناحية النظرية دون الاجراءات التقليدية، وتجنب النخب السياسية من تهمة ارتكاب القوات المسلحة للمكافحة والانضمام بعد القتال، ويمكن أن تفقد هذا القوى الفاعلة في حال اعتماد استراتيجية خاطئة وذلك نظراً لاستراتيجية الخصم إذا كان الخصم ضعيفاً في اختيار العناصر الفاعلة في استراتيجية الخداع التقليدي وفي مواجهة استراتيجية دفاعية قوية يمكن أن تفقد الجهات إذا كانت محاولة لاستخدام القوة

الجوية الاســـتراتيجية (النهج غير المباشـــر) للفوز بها. لكن التكاليف من حيث الوقت والأضرار الجانبية – التي لا بد بعد هذه الهجمات –كانت تثير غضبا دوليا ومحليا في كثير من الأحيان أيضا.

أما نوع الغضــب الذي يمكن أن يخلق ضــغوطاً لوقف العمليات الحربية القصــيرة للقوى الفاعلة في تحقيق الأهداف الســياســية. فإذا كان ضــعف الجهات غير مباشــر في اختيار اســـتراتيجية دفاعية قوية يمكن أن تفقد الجهات إذا حاولت اســـتخدام اتفاقية تنظيمية الهجوم الاســتراتيجية (النهج المباشــر) للفوز بها. ومن جهة أخرى، فإن إســتراتيجية حرب العصــابات المصــممة خصــيصــا لتجارة الوقت للأراضــي وذلك مالم يكن قويا من الجهات الفاعلة وعلى استعداد لزج ملايين الجنود ولعقود من الزمن فليس من المرجح أن يفوز على العــدو وان يتجنــب الاتصـــــال والضـــربات ومتى وأين تكون أقــل من المتوقع. أما الجهات القوية فيمكن اســـتخدامها لهزيمة الهمجية وضـــعف الفعاليات باســـتخدام إستراتيجية حرب العصابات المقاومة عسكريا أو غير العنيفة. ولكن سواء كانت استبدادية أو بتكاليف ديمقراطية قوية من الجهات الفاعلة في تحقيق هذا الفوز – حتى في ضـــيق من الناحية العســـكرية — فإن الأمر يبدو أنه قد ارتفع بشـــكل مطرد منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

والأهم من ذلك، فإن الجهات الفاعلة القوية لم تعد قادرة على الفوز اللاحق ضـد السـلام الضعيف أمام الجهات وتصويرها على أنها من نتاج الهمجية ووسائل التغلب عليها. ويمكن أيضا أن يتسبب ذلك أن القوى الفاعلة ستخسر إذا حاولت استخدام استراتيجية محفوفة بالمخاطر البربرية مقابل استراتيجية أخرى للتغلب على المدافعين المتمردين الذين

يستخدمون استراتيجية حرب العصابات بصورة متزايدة، ويبدو أن الهمجية العسكرية قد تحفز المقاومة بدلاً من الردع.

تعتبر الهمجية ذات مخاطر أكبر في النظم الديمقراطية وبشكل أكثر لدى الأنظمة الاستبدادية، ولكن قد تواجه مشكلة الجزاء الدولية. فأصحاب القوى الفاعلة هم الدول الكبرى أو القوى العظمى وتكاليف الجزاء الدولية قد تكون تافهة، ولكنها لدى قوى الفاعلين الطفيفة – مثل ايطاليا في عام ١٩٣٥، أو صربيا في عام ١٩٩٩، وخطر فرض عقوبات دولية حيث يمكن أن تكون الديمقراطية شيئاً محرماً كما قد تواجه القوى الفاعلة المحلية مخاطر جمة عند محاكمة الاستراتيجية البربرية : آثار بريطانيا ومعسكرات الاعتقال السياسية في الحرب في جنوب أفريقيا، على سبيل المثال، حيث في حكم المؤكد انها اضطرت للانسحاب من الحرب، لم يكن هناك مثل هذا التأخير الطويل بينه وبين الآثار المترتبة وتأثيرها السياسي في بريطانيا.

ولكن في العصر الرقمي، فإن هذا التأخير قد تقلص بشكل كبير، وحيث البربرية هي أصعب بكثير مما كان عليه في مطلع القرن. وباختصار، فإن المشكلة في القوى الفاعلة هي كونها ضعيفة للفاعلين الذين اتبعوا استراتيجية الدفاع غير المباشر، مثل إستراتيجية حرب العصابات والإرهاب. وهذا يعرض مقدار القوى مع الجهات الفاعلة على أنه غير مستساغ ضمن ثلاثة خيارات :

- حرب الاستنزاف الدائم وربما يستمر لعقود .
- كلفة الرشوة أو التنازلات السياسية، وربما اضطر الأمر اللجوء لتنفيذ الإصلاحات

- السياسية والاقتصادية القمعية على الحلفاء وكذلك في المقدمة؛ وكذلك إلحاق الضرر بشكل متعمد أو الضرر في طبقات المدنيين وفي ذلك مخاطرة في محاولة لكسب السباق العسكري بشكل سريع وحاسم.

قيود التفاعل الاستراتيجي من الناحية النظرية

في هذه المرحلة من التحليل الاستراتيجي لتفاعل الأطروحة حيث يمكن إنشائه كعنصر كامل لنظرية صراع غير متكافئ النتائج. وقد ينتج عن ذلك أمرين مختلفين من الاختبارات الصعبة، وتتبين هناك تفسيرات متنافسة، مثل عدم تماثل المصالح وطبيعة نطاق الفاعل، وانتشار الأسلحة ؛ نظرية التفاعل الاستراتيجي حيث تتكون ظروف كل من هذه العوامل الهامة التي يعمل بها.

وأخيرا، فإن نظرية التفاعل الاستراتيجي يفسر حقيقة الفاعل القوي الذي فشل في شكل يتسق مع ملاحظة اتجاه زيادة القوي الفاعل والفشل مع مرور الوقت. وبصفة عامة، من الناحية النظرية، سيكون أقل إرضاء نسبيا لأي نتيجة صراع غير متكافئ، ولكن العلاقةالحقيقية ستزيد الارتياح لشرح كل صراع غير متكافئ يأتي بها، وعلى وجه الخصوص أن يكون دليلا لاستراتيجية وسياسة ما . فقد طلب، على سبيل المثال، لمكافحة الارهاب وكذلك استراتيجية العملة (اريجومانت - توفت، ٢٠٠٢)، وكلاهما سوف يثبت موضوعات حيوية لصانعي السياسة في الولايات المتحدة في العقود المقبلة.

ولكن كما هو الحال بالنسبة لأي نظرية عامة فإنه لا يخلو من قيود :

- أولاً : على الرغم من التفاعل الاستراتيجي من الناحية النظرية،تبرز محدودية نار الخلاف أو مواد تعاريف "السلطة" لا لحل شامل لهذه القيود كالنظر في التفاعل الاستراتيجي في الحرب (٢٣) الروسية اليابانية في ١٩٠٥، على سبيل المثال. كانت الامبراطورية الروسية ذات استراتيجية القوي الفاعل في حين كان اليابان في الصف الضعيف. وكان التفاعل الاستراتيجي بنفس النهج ولكن روسيا خسرت . لماذا؟ ورغم أن التحليل الإحصائي في الفصل الثاني وتقارير الصراع على

هذا النحو، فإن من الواضح أنه من الضروري إجراء تعديل طفيف آخر للسلطة حيث يجب أن يكون

في السلطة البحرية / القارية بامتياز(٢٤).

---

(٢٣) – ايطاليا لا تعاني من هذه العقوبات، لان بريطانيا وفرنسا قد غض الطرف عنهم.

(٢٤) – وتشمل الأمثلة الأخرى الناجحة في بريطانيا مقاومة نابليون فرنسا في القرن التاسع عشر لهتلر والرايخ الثالث في عام ١٩٤١.

وكانت روســـيا قوة قارية، واليابان قوة بحرية، وفازت اليابان لان المعارك الرئيســـية كانت تخاض في عرض البحر (حتى المعركة الدموية من أجل بورت آرثر التي تحددها قدرة أعلى من اليابانيين لنشـــر تعزيزات من القوات البرية وبحرا).(٢٥).وفي الفعالية العســكرية مما يدل على أن كل من يعتمد على الموارد الخام و التفاعل بين الخطط لاســـتخدام هذه الموارد، ونتيجة هذا التحليل لا يرقى إليه الشـــك أن الســـلطة أكثر دقة(٢٦) من الناحية النظرية الواقعية في العلاقات الدولية قد سمحت حتى الآن (٢٧) وبعد ٢٧ عاما على تعريف حقيقي للسلطة لا تزال خارجة عن نطاقه.

- ثانياً : لا يوجد في هذا التحليل تفصيل لآثار الاستعمار، ومناهضة القومية من تلك الاستراتيجية والتفاعل – على الأقل ليس في اتجاه الجانب من الجدل. ومن الواضح، نجاح "ماو تســي تونغ " في الصــين من مقاومة اليابان، وكان من المقرر ان الكومينتانغ : التفاعل الاســتراتيجي. ولكن يمكن أن يكون "ماو" قد اســتفاد من التلاحم الجماهيري في التحرك حيث قام بالثورة دون وجود للقومية الصـــينية؟ والواقع أن الانتماء القومي : الديني أو العرقي – يمكن اعتباره شرطا للسماح لأحد استراتيجية حرب العصابات القدرة على أن يتطور إلى هجوم متواصـل ضـمن الاسـتراتيجية التقليدية. ولذلك فإن من الممكن القول أنه: لا يمكن أن مقاتلي "داغستان" قد نجحوا في شن هجوم منسق ضد الامبراطورية الروسية وحدها.

---

(٢٥) – وهذا لا يختلف عن ذلك الســـماح للنظرية الواقعية الحمراء تعريف الســـلطة هو "رجل القش" من حيث الحجج. هذا تعريف بسيط للغاية السلطة ليست بلدي كما أنها ليست وهمية. وهي ليست وهمية لأنه لا يزال يعتمد عليها صناع القرار في العالم الحقيقي لحسابات احتمالات النجاح والفشل في النزاعات غير المتماثلة.

(٢٦) – سبق شرح تفاصيل ذلك في الفصل السابق .

(٢٧) –كما في بقية النظريات التي تعنى باستراتيجيات الحروب .

شـــيء ما يمكن ذكره فكرة وقائدا : كان التلاحم قوياً، وجعل من القبائل التي كانت متناحرة قوة متماسكة، وذلك قبل الحركة الماهرة في العمليات الهجومية حيث أصبح ذلك ممكنا.

وعلى الجانب الآخر، فإن القومية ممثلة في نفس النهج الاستراتيجي المشترك، لن يكون لها تأثير على نتائج النزاعات غير المتماثلة أو غيرها . ويمكن هنا ذكر ما فعله القوميون البلجيكيون على وجه الســـرعة أمام المد الالماني في عام ١٩١٤. لكن على الجبهة الفرنسية، كانت القومية مفقودة بشكل ملائم على الألمان في عام ١٩٤٠.

أما القومية العربية، فقد كانت أكبر بكثير من عدد الإسرائيليين، ولكن لم يسبق لهم ترجمة كل تلك الحماسة القومية إلى تحقيق نصر عسكري.

وباختصار، فإن أفضل العمليات الإرهابية، وحرب العصابات، والمقاومة غير العنيفة، تعتبر خطوات ستكون ذات مدلولات قومية،ولكن ليس كل القوميين سيعارضون استراتيجية القوى الفاعلة عن طريق الإرهاب .أو المقاومة غير العنيفة.

النظرية والآثار المترتبة على السياسات

تعتبر أدوات السلطة مفيدة لبناء النظرية لأنها قابلة للقياس في شكل الشجاعة، والقيادة والحظ ليست غبية. وقد أظهرت هذه الدراسة أن التجربة النسبية للقوة المادية هو أكثر من مجرد مفهوم المنهجية مفيدة كما يمكن أن تتخذ لوحدها، وهذا ما يفسر معظم نتائج الصراع منذ عام ١٨٠٠. فبدء التفاعل في الأطروحة يمكن أن تُوضَّح، ومع ذلك، فإن القيود المادية بالقوة النسبية تكون من خلال تسليط الضوء على الظروف التي تكون فيها الأمور قد وصلت إلى مرحلة أكثر أو أقل.

ويشـير هذا التحليل إلى الآثار المترتبة على السـياسـات الرئيسـية للضـعفاء والأقوياء على حد سـواء من الجهات الفاعلة. فضـعف الفعاليات الناجحة للدفاع القوي ضـد الفاعل يعتمد على استراتيجية غير مباشرة ذلك لأن الاستراتيجيات غير المباشرة – مثل إستراتيجية حرب العصـــابات في مقاومة غير عنيفة وقوية تعتمد على الدعم الاجتماعي، وضـــعف الفعـاليـات – ويجـب إمـا للحصـــول على العمـل دون كلـل والحفـاظ على المقـدرات والمكتسبات (التعاطف أو السكوت) من غالبية السكان في هذه المسألة، أو أن يصبحوا معتمدين على المخاطر الخارجية للجهات المانحة من دعم لوجســـتي وذلك نظرا للمخاطر التي ينطوي عليها مع أي مسـاعدة أو المشـاركة في المقاومة المسـلحة، والحصـول على دعم اجتماعي قوي في حد ذاته ليس عملاً عادياً. وبالإضافة إلى ذلك، يجب أن يكون الطرف الأخر ضـعيفاً أو الجهات الفاعلة في الوصـول إلى الملاذ المادية أو السـياسـية اللازمة لجعل هذه الاستراتيجية غير مباشرة وقابل لتطبيق الاختيار. فخيار القوي من الجهات الفاعلة،

والتفاعل الاستراتيجي من الناحية النظرية تشير إلى أن ضعف الخصوم في توظيف مباشر للدفاع وبذلك سيكون من الصعب هزيمته. وبطبيعة الحال، ليست كلها غير متناسقة، أو حتى معظم الصراعات التي ترى ضرورة اتباع هذا النمط ولكن عندما تفعل، وعند اللجوء الى السلاح يبدو أنه الخيار الوحيد القابل للتطبيق، وكيف ينبغي ان تكون الآليات القوية فاعلة مثل الولايات المتحدة كرد واحد قد يكون اللجوء إلى الهمجية التي يبدو أنها فعالة لهزيمة استراتيجية عسكرية غير مباشرة ولكن [٢٨] نظرة سريعة على صراعات ما بعد الحرب في أفضل الأحوال يمكنها أن

---

(٢٨) – وهذا هو جوهر حجة ميروم : الديمقراطيات تخسر الحروب الصغيرة لانهم عموما مترددة جدا وتعاني من إصابات وحشية الضرورية للفوز بها. بعد تحليل الحالات، ولكن هناك الكثير من لا تناسب هذا النمط. سلطوية قوية مع الجهات الفاعلة لا حدود على استعدادها لاستخدام وحشية أو إصابات أو من فقدوا في حروب صغيرة وديمقراطية الفاعلين فاز الحروب الصغيرة وحتى في الوقت الذي يرفض اللجوء إلى البربرية (على سبيل المثال، في بريطانيا والملايا و الطوارئ لعام ١٩٤٨). وبنفس المنطق – أن يدفع مذهب الهمجية – ويبدو أنه سيكون الأمر صحيحاً في الأول و سيكون ذلك صحيحا لمكافحة الإرهاب، والإرهاب أيضا.

لورا ك دونوهوى يحلل أثر تشريعات مكافحة الارهاب البريطانية في ايرلندا الشمالية، ويخلص إلى أن العديد من بريطانيا "مؤقت" و "حالة الطوارئ" بما فيها التدابير – التي لم تكن مؤقتة، والتي تنتهك الحريات المدنية وأصول المحاكمات – أثبتت فعالية كبيرة في الأجل القصير. ويشير التحليل لها، مع ذلك، أن المتمردين وجدت دائما وسيلة للالتفاف حول هذه التدابير، في نهاية المطاف دفع جولة أخرى من "الطوارئ" القيود (انظر دونوهوى، ٢٠٠١ : ٣٢٢–٣٢٣).

تكشف عن وحشية لا يمكن أن تكون فعالة إلا كاستراتيجية عسكرية : إذا كان الهدف المنشود على المدى الطويل هو السيطرة السياسية – على سبيل المثال، وبناء الأمة، و"السلام"، أو غيرها من الاتفاقات أو انتقال البعثات – دائما ما تراجع في هذا المجال الهمجية الفرنسية، على سبيل المثال، حيث أُستخدم التعذيب على وجه السرعة لهزيمة المسلحين الجزائريين في معركة الجزائر عام ١٩٥٧.

ولكن عندما أصبحت الفرنسية العسكرية وحشية في تصرفاتها، تحفّزت معرفة الجمهور التي بدورها ساهمت في تحفيز المعارضة السياسية الداخلية للحرب في فرنسا، وتحفزت على تجديد وتكثيف المقاومة الفرنسية حتى على غير سكان الجزائر (ماك، ١٩٧٥ : ١٨٠ ؛ اسبري، ١٩٩٤ : ٦٦٩-٦٧١).

وفي غضون الأربع سنوات التالية في فرنسا، تخلت عن مطالبها في الجزائر على الرغم من أنها كانت قد "انتصرت " في الحرب البربرية وبالتالي كان الانتصار في السلام من التضحيات الواجبة لتحقيق النصر في الحرب — على الرغم من سوء السياسة في أحسن الأحوال (هارت ليدل، ١٩٦٧ : ٣٧٠). والتي يجب أن يكون الاسلوب نفسه في مكافحة الارهاب البربري : كالاغتيال، والتعذيب، والانتقام العشوائي.

وفي المقابل، كانت استراتيجيات مكافحة الارهاب هذه عنيدة بالخبرة والسعي لأكثر من أربعين سنة من جانب الإسرائيليين في فلسطين المحتلة، ولكنها جلبت الاسرائيليين إلى كثير من الويلات والمآسي بدلاً

من تقربها إلى السلام. ويجدر هنا ذكر المثال الاستراتيجي للولايات المتحدة وذلك استجابة لمطالب رئيسية ثلاثة :

(١) – إعـداد التوقعـات العـامـة لفترة طويلـة على الرغم من الحروب الامريكيـة والمزايا التكنولوجية والمادية .

(٢) – تطوير ونشر قوات مسلحة مدربة ومجهزة خصيصا لتنفيذ العمليات الخاصة .

(٣) – التوعية والإعداد للحرب السـياسـية المترتبة على انتصـار عسـكري من دون توافق وطني وتوقعات واقعية، والولايات المتحدة ستكون سياسيا الطرف الضعيف في صراع غير متكافئ. فدون مزيد من قوات العمليات الخاصـــة – على الاعتماد على الذات، وتميز القوات المســلحة اللازمة لتنفيذ اســتراتيجية مثالية – وما تبدأ العمليات العســكرية ضــد الأقليات المعزولة العنيفة فإن تطور وتيرة الأحداث سوف تميل إلى أن تتصاعد الى الحروب على مجتمع بأكمله (الزير، ٢٠٠٠ : ١٨٧). ومن الأهمية بمكان أن أضيف أنه من أجل أن يكون ذلك فعالا لهذه القوات فســتكون بحاجة إلى دعم من جانب شــبكة الحقوق التي يمكن أن تتخذ دولة مثل الولايات المتحدة لسنوات حلا جيدا شاملا لخطة ما بعد الحرب مؤكداً الايكولوجية الاقتصـــادية للانتعاش في ظل الادارة المختصـــة وغير الفاسدة، وحتى الانتصارات العسكرية السريعة يمكن أن تتحول إلى تمرد مشتت .

وكما قال الخبير "إليوت كوهين" منذ عشــرين عاما، يجب على الولايات المتحدة أن تكون مستعدة لخوض الحرب وتحقيق النصر التقليدي والحروب غير المتماثلة.

ومن ناحية أخرى، فإن نظرية التفاعل الاستراتيجي توضح سبب طلب البعثتين لنوعين من القوات المسلحة :

١- واحدة للدفاع عن مصالح الولايات المتحدة في الحروب التقليدية.

٢- واحدة للدفاع عنها في حروب صغيرة أو ضد الارهابيين.

كما يسلط الضوء على الأهمية السياسة والدبلوماسية في مكافحة التمرد والإرهابيين، مصممة على أن المسلحين والارهابيين من الصعب هزيمتهم. ولكن حيث نجحت القوى الفاعلة، فإنها تفعل ذلك بشكل كبير من قبل معظم الهجمات العسكرية السابقة التي تتميز بكونها مجدية مع اصلاحات سياسية واقتصادية – الإصلاحات في هذا الشأن إنما تكمن في عزل المتمردين او الارهابيين عن بنية القاعدة الاجتماعية وقد كان هذا هو نمط النجاح في "مالايا" البريطانية في عام ١٩٤٨، وكذلك نجاح الولايات المتحدة والحكومة الفلبينية في الفلبين في عام ١٩٥٢. (٢٩)

ولكن على النقيض من ذلك، فإن نظم الدعم العسكري والاقتصادي للقمع، والفساد، وعدم الكفاءة أدى إلى هزائم عظمى في فيتنام وأفغانستان. وهكذا، يفسر التفاعل الاستراتيجي من الناحية النظرية، ليس فقط في كيفية كسب الضعيف للحروب، ولكن كيف يمكن للقوي أن يخسر السلام. وخلافا لأطروحة "ميروم" عقب الحرب العالمية الثانية، فإن تطبيق القوة الغاشمة غير مقيد، ونادرا ما يفوز في الحروب لا يمكن أبداً تحقيق السلام وهذا صحيح لسببين "

- أولاً : لقد ثبت تماما من الناحية الفنية على أنه من المستحيل تدمير شعب أو تدمير بنيته بما يكفي لاستبعاد احتمال وجود رد فعل عكسي في المستقبل (كما حدث في قبائل الهوتو ضد قبائل التوتسي في رواندا والقتل الأكثر كفاءة مما كان قد فعله الالمان في قتل اليهود في الحرب العالمية الثانية، ولكن قبيلة "التوتسي" في الحكم في رواندا اليوم، وبنى اليهود دولة خاصة بهم).

- وثانياً : مبدأ تقرير المصير الوطني قد جعل الناس أكثر فأكثر رشداً واستعداداً للتضحية بحياتهم من أجل قضيتهم ؛ ولكن آثار القتل ضد هذه المجموعة المتنافرة من الناس لا علاقة لها، بل وتختلف بشكل كبير من الآثار المترتبة على القتل ضد الوطنيين .[٣٠]

وفي هذا السياق، فإن المقارنة بين القومية التي تكون بوسائل أصعب بكثير للضغط على الشخص

(٢٩) و (٣٠) – انظر، على سبيل المثال، أيار / مايو، في هوفمان وآخرون. (١٩٨١ : ٨، ٩) ؛ هوفمان (المرجع نفسه : ١٠) ؛ كوهين (١٩٨٤ : ١٦٦–١٦٧)، وجونسون (٢٠٠١ : ١٨١–١٨٢).

الذي يفضـــل الموت على الانضـــمام، وبين البربرية التي تكون مدعاة لإثارة الخوف، كما يحتمل أن تؤدي إلى مقاومة عنيفة للتخويف والإخضـــاع . وهكذا، فإذا كانت الولايات المتحدة تريد الحصول على الحروب، فإنه يجب عليها بناء الجيوش بشكل مختلف :

- فإذا كانت تريد كسـب السـلام – وهو الأكثر طموحاً وهدفاً مفيداً – يجب دعم اللجوء الى السـلاح من خلال القضـاء على ازدواجية المعايير في السياسـة الخارجية، وزيادة قدرتها واستعدادها لاستخدام وسـائل أخرى غير العنف للحسـم أو ردع الصـراعات حول العالم .[٣١]

ولكن من جهة أخرى، فما دامت الولايات المتحدة مســـتمرة في دعم الأنظمة القمعية والفساد في أمريكا اللاتينية وأفريقيا، والشرق الأوسط، وآسيا، والارهابيين والمسلحين، فإن كل قوى المقاومة في تلك المناطق ســوف تســتمر لإحباط المصــالح الاميركية في الســلام والرخاء العالميين المزعومين .

وهنا، قد تخلط الحكومة الاميركية الحالية بين السـلطة كمفهوم مع سـلطة الدولة، والإفراط في تطبيق ما سـبق قد قوض بالفعل مصـالحها.[٣٢] ولذلك، فإذا كانت هذه السـياسـة ما زالت سـتتبع النمط التاريخي لكل محاولة سـابقة لتحقيق هذه الغايات ذاتها (السـلام) من قبل نفس الوســائل (الاســتخدام الســاحق للقوة العســكرية غير المدعومة والســياســية والاقتصادية والإدارية)، فإن النتيجة ستكون مكلفة بعد الوقوع

---

(٣١) – القوات الامريكية التقليدية بالفعل تقدم أنواع فنية – الأقمار الصناعية والإلكترونية الطيف والمخابرات – اللازمة لتحقيق الفوز على مدى التغطية.

(٣٢) – وهذا لن يتوقف الارهاب ولكن كل هذا لن تنجو من الإرهاب لكونها:

(أ) – أقل فتكا.

(ب) – من المرجح أن ينظر إلى الجمهور المستهدف من قبل ما يزيد على جنائية الموضوع أو كسلوك غير عقلاني.

في مثل هذه المستنقعات كما حدث في فيتنام، وأفغانستان (١٩٧٩ و ٢٠٠٢)، والعراق (٢٠٠٣) كما أن إمكانية وقوع الهجوم في المســـتقبل على الولايات المتحدة وحلفائها يجعل من هجمات الحادي عشـــر من أيلول الارهابية التي حدثت عام ٢٠٠١ مجرد مقارنة شاحبة.

التفاعلات الاستراتيجية

الجدول التطبيقي (١) قائمة القضايا والمتغيرات الرئيسية

اسم الحرب	البداية	النهاية	النتائج	النهج
أسبانيا وبيرو	١٨٠٩	١٨١٦	فوز	نفس النهج
روسية الجورجية	١٨١٦	١٨٢٥	فوز	نفس النهج
حرب بينداري	١٨١٧	١٨١٨	فوز	نفس النهج
تمرد الكندي	١٨١٧	١٨١٨	فوز	نفس النهج
حرب الاستقلال اليونانية	١٨٢١	١٨٢٨	خسارة\تعادل	نفس النهج
البريطانية البورمية الاولى	١٨٢٣	١٨٢٦	فوز	نفس النهج
أشانتي الاولى	١٨٢٤	١٨٢٦	فوز	نفس النهج
الجاوية	١٨٢٥	١٨٣٠	فوز	نفس النهج
باراتبوران	١٨٢٥	١٨٢٦	فوز	نفس النهج
الروسية الشركسية	١٨٢٩	١٨٤٠	فوز	نفس النهج
الالبانية	١٨٣٠	١٨٣١	فوز	نفس النهج
استقلال بلجيكيا	١٨٣٠	١٨٣١	فوز	نفس النهج
حرب المنحدر من العريش	١٨٣٠	١٨٥٩	فوز	نفس النهج
البولندية الاولى	١٨٣١	١٨٣١	فوز	نفس النهج

نفس النهج	خسارة\تعادل	١٨٣٢	١٨٣١	السورية الاولى
نفس النهج	خسارة\تعادل	١٨٣٦	١٨٣٥	تكساس
نفس النهج	فوز	١٨٤٢	١٨٣٥	سيمتول الحرب الثانية
نفس النهج	فوز	١٨٤٠	١٨٣٨	زولو الاولى
نفس النهج	خسارة\تعادل	١٨٤٢	١٨٣٨	البريطانية الافغانية الاولى
نفس النهج	فوز	١٨٤٧	١٨٣٩	فرنسا- والجزائر
نفس النهج	فوز	١٨٤١	١٨٤١	البوسنة-التركية
نفس النهج	فوز	١٨٤٣	١٨٤٣	البولشية البريطانية
نفس النهج	فوز	١٨٤٨	١٨٤٣	اول الماورية
نفس النهج	فوز	١٨٤٤	١٨٤٤	بين فرنسا و المغرب
نفس النهج	فوز	١٨٤٦	١٨٤٥	ابريطانيا والسيخ الاولى
نفس النهج	فوز	١٨٤٧	١٨٤٦	حرب الكفير الاولى

الجدول التطبيقي (٢) قائمة المتغيرات في نتائج الحروب

النهج	النتائج		البداية	اسم الحرب
	النهاية	القوة الفاعلة		
نفس النهج	١٨٨١	فوز	١٨٧٨	روسيا وتركمان
نفس النهج	١٨٨٠	فوز	١٨٧٨	البريطانية لافغانية الثانية
نفس النهج	١٨٧٩	فوز	١٨٧٩	برطانيا زولو
نفس النهج	١٨٨١	فوز	١٨٨٠	حرب البندقية
نفس النهج	١٨٨٠		١٨٨٠	حرب البوير الاولى
نفس النهج	١٨٨٢	فوز	١٨٨١	تونس
نفس النهج	١٨٨٤	فوز	١٨٨٢	الهند الصينية الفرنسية
نفس النهج	١٨٨٥		١٨٨٢	مانديست
نفس النهج	١٨٨٥	فوز	١٨٨٣	الاولى بين فرنسا ومدغشقر
نفس النهج	١٨٨٥		١٨٨٤	الصين وفرنسا
نفس النهج	١٨٨٥	فوز	١٨٨٥	الروسية الافغانية
نفس النهج	١٨٨٦	فوز	١٨٨٥	الثالثة البريطانية البورمية
نفس النهج	١٨٨٥	فوز	١٨٨٥	حرب سانتيكو الفرنسية الاولى
نفس النهج	١٨٨٧		١٨٨٧	الاثيوبية الايطاليا الاولى
	١٨٨٩	فوز	١٨٨٨	كريتي الثانية
نفس النهج	١٨٩٢	فوز	١٨٨٩	داهومي
نفس النهج	١٨٩١	فوز	١٨٩٠	السنغال الثانية
نفس النهج	١٨٩١	فوز	١٨٩٠	حرب المسيح

نفس النهج	١٨٩٢	فوز	١٨٩٢	الكونغو العرب
نفس النهج	١٨٩٣	فوز	١٨٩٣	فرنسا وتايلاند
نفس النهج	١٨٩٤	فوز	١٨٩٣	أشانتي الثالثة
نفس النهج	١٨٩٣	فوز	١٨٩٣	ماتابيلي الحرب البريطانية
نفس النهج	١٨٩٥		١٨٩٤	العلاقات الصينية اليابانية
نفس النهج	١٨٩٥	فوز	١٨٩٤	بين فرنسا ومدغشقر
نفس النهج	١٨٩٤	فوز	١٨٩٤	باليان
نفس النهج	١٨٩٨	فوز	١٨٩٥	الكوبي
نفس النهج	١٨٩٦		١٨٩٥	الايطالية الاثيوبية
نفس النهج	١٨٩٦	فوز	١٨٩٥	أشانتي الرابعة
نفس النهج	١٨٩٧		١٨٩٦	كريتي الثالثة
نفس النهج	١٨٩٦	فوز	١٨٩٦	الدرزية التركية
عكس النهج	١٨٩٨		١٨٩٦	الفلبينية الاولى
نفس النهج	١٨٩٩	فوز	١٨٩٦	الحرب السودانية
نفس النهج	١٨٩٧	فوز	١٨٩٧	اليونانية التركية
نفس النهج	١٨٩٨	فوز	١٨٩٧	الهنود لاسلام
نفس النهج	١٨٩٧	فوز	١٨٩٧	النيجيرية
نفس النهج	١٨٩٨	فوز	١٨٩٨	الكوخ الضرائب
نفس النهج	١٩٠٢	فوز	١٨٩٩	الفلبينية الثانية
نفس النهج	١٩٠٢	فوز	١٨٩٩	حرب البوير الثانية
نفس النهج	١٩٠٥	فوز	١٨٩٩	التمرد الصومالي
نفس النهج	١٩٠٠		١٩٠٠	مانشوريا الروسية
نفس النهج	١٩٠٣	فوز	١٩٠٣	يليندين

نفس النهج	١٩٠٥	١٩٠٤	الحرب الروسية اليابانية
نفس النهج	١٩٠٥ فوز	١٩٠٤	ثورة جنوب افريقيا
عكس النهج	١٩٠٦ فوز	١٩٠٥	ثورة ماجي ماجي
نفس النهج	١٩٠٦ فوز	١٩٠٦	حرب زولو الثانية

الجدول التطبيقي (٢) تابع

النهج	النتائج		البداية	اسم الحرب
	النهاية	القوة الفاعلة		
نفس النهج	١٩٥٦	فوز	١٩٥٦	الروسية الهنجارية
نفس النهج	١٩٥٦	فوز	١٩٥٦	سيناي
عكس النهج	١٩٥٩	فوز	١٩٥٦	تيبت
عكس النهج	١٩٥٩	تعادل/خسارة	١٩٥٨	كوبا
عكس النهج	١٩٦٥	تعادل/خسارة	١٩٦٠	جنوب الفيتنام
نفس النهج	١٩٦٥	فوز	١٩٦٠	الكونغو
نفس النهج	١٩٦٣	فوز	١٩٦١	كوردستان
نفس النهج	١٩٧٥	تعادل/خسارة	١٩٦١	انغولى البرتغال
نفس النهج	١٩٦٢	فوز	١٩٦٢	الصين والهند
عكس النهج	١٩٧٤	تعادل/خسارة	١٩٦٢	غينياوالبيساو
عكس النهج	١٩٧٥	تعادل/خسارة	١٩٦٤	موزانبيق
عكس النهج	١٩٧٥	تعادل/خسارة	١٩٦٥	فيتنام
نفس النهج	١٩٦٥	تعادل/خسارة	١٩٦٥	كشمير الثانية
نفس النهج	١٩٦٧	تعادل/خسارة	١٩٦٧	حرب الستة ايام

نفس النهج	١٩٧٠	تعادل/خسارة	١٩٦٩	اسرائيل ومصر
نفس النهج	١٩٧١	فوز	١٩٧١	بنجلادش
نفس النهج	١٩٨٠	فوز	١٩٧٢	فلبين والمغرب
نفس النهج	١٩٧٣	تعادل/خسارة	١٩٧٣	حرب يوم الغفران
نفس النهج	١٩٧٤	فوز	١٩٧٤	القبرصية التركية
نفس النهج	١٩٩١	تعادل/خسارة	١٩٧٤	اريتيريا
نفس النهج	١٩٧٥	فوز	١٩٧٤	الحكم الذاتي الكردي
عكس النهج	١٩٧٥	تعادل/خسارة	١٩٧٤	شرق تيمور
نفس النهج	١٩٧٩	فوز	١٩٧٥	فيتناموكمبوديا
نفس النهج	١٩٨٣	فوز	١٩٧٥	الصحراء الغربية
نفس النهج	١٩٨٨	فوز	١٩٧٥	حرب الاهلية في التشاد
نفس النهج	١٩٧٨	فوز	١٩٧٧	حرب الاثيوبيا الصومالية
نفس النهج	١٩٨٩	تعادل/خسارة	١٩٧٨	أفغانستان
نفس النهج	١٩٧٩	فوز	١٩٧٩	الصين وفيتنام
نفس النهج	١٩٩٢	فوز	١٩٨٢	حرب الاهلية بالبيرو
عكس النهج	١٩٩٠	تعادل/خسارة	١٩٨٣	تمرد التانلية
نفس النهج	١٩٨٧	تعادل/خسارة	١٩٨٥	الصين وفيتنام
نفس النهج	١٩٩١	فوز	١٩٩٠	حرب الخليج
نفس النهج	١٩٩٠	فوز	١٩٩٠	العراق والكويت
نفس النهج	١٩٩٩	فوز	١٩٩١	التمرد الكردي
عكس النهج	١٩٩٦	تعادل/خسارة	١٩٩١	التمرد الصيربي
نفس النهج	١٩٩٦	تعادل/خسارة	١٩٩٤	الروسية والشيشان
نفس النهج	١٩٩٩	فوز	١٩٩٨	كوسوفو ١

نفس النهج	١٩٩٩ فوز	١٩٩٩	كوسوفو٢
نفس النهج	–	١٩٩٩	روسيا والشيشان
نفس النهج	٢٠٠٢ فوز	٢٠٠٢	المناهض لطالبان
نفس النهج	٢٠٠٣ فوز	٢٠٠٣	حرب الخليج
			عدد الحالات ٢٠٢

جدول الاحصاءات المرتبطة بها والخسائر والفوز على مر الزمن الحديث .

الجدول التطبيقي (٣)

معاملات الارتباط الاســـتراتيجي التفاعل (STRATINT) والدعم الخارجي للأطراف الضــعيفة (WASUPP) وما يرتبط بها من إحصـــاءات ذات علاقة بين الاســـتراتيجية والتفــاعــل والصــــراع خلال المــدة الزمنيــة الواقعــة بين عــامي ١٨٠٠- ٢٠٠٣ التفاعل الاســـتراتيجي (STRATINT) انهاء مدة الحرب (WARDUR٢) وحيث ترتبط احصـــائيات التفاعل فيما بينها خلال المدة الزمنية الوقاعة بين عامي ١٨٠٠- ٢٠٠٣

STRATINT	السنوات	السنوات	السنوات السنوات	السنوات
(١-٠) ١		(٥ -٢) ٢	(٩-٦) ٣	-١٠) ٤
(١٤			(١٥-٥٠) ٥	
نفس الاستراتيجية	٩٣	٣٨	١٤ ٢	٤
العدد المتوقع	٨٤,٧	٤١,٩	١٧,٥ ١,٧	٥,٢

في المئة على التوالي	٦١,٦ ١,٣	٢٥,٢	٩,٣	٢,٦
عكس الاستراتيجية	٤ ٠	١٠	٦	٢
العدد المتوقع	١٢,٣ ٣.	٦,١	٢,٥	٨.
السحب المئوي	١٨,٢ ٠	٤٥,٥	٢٧,٣	٩,١
العمود (٣,٥	٩٧ (٥٦,١ ٢ (١,٢)	٤٨ (٢٧,٧	٢٠ (١١,٦	٦

الجدول التطبيقي (٤) التفاعل المرحلي نوع (INTPTYPE) التوزيعي خلال المدة الزمنية الوقاعة بين عامي ١٨٠٠-٢٠٠٣ .

التسمية الصحيحة	القيمة	تردد النسبة	النسبة	النسبة
		النسبة		
واحدة من التفاعل	٠ ٧٨,٧	١٤٠	٦٩,٧	٧٨,٧
تفاعل متسلسل١		٢٨ ٩٤,٤	١٣,٩	١٥,٧
تفاعل متسلسل ١٠٠,٠	٢	١٠	٥,٠	٥,٦
المجموع		٢٠١	١٠٠,٠	١٠٠,٠

الحالات الصحيحة ١٧٨ المحالات المفقودة ٢٣

المراجع

البابا أندرسون، ١٩٩١. تصور المجتمعات : تأملات في أصل وانتشار القومية.

اندريسكي، ستانيسلاف، ١٩٦٨. منظمة الجيش والمجتمع.

بيركلي : مطبعة جامعة كاليفورنيا.

– توفت اوريجين ايفان ٢٠٠١. "كيف نكسب الحرب الضعيفة : نظرية صراع غير متكافئ،" الأمن الدولي، المجلد. ٢٦، لا. ١ : ٩٣–١٢٨.

٢٠٠٢. "في نهاية نفق من النور : انتقاد الولايات المتحدة مكافحة الإرهاب الاستراتيجية الكبرى" كامبريدج للشؤون الدولية، المجلد. ١٥، لا. ٣ : ٥٤٩–٥٦٣.

٢٠٠٣. "والفائدة من البربرية : تقييم أثر الضرر المنهجي من غير المقاتلين كاستراتيجية في الحرب،" ورقة قدمت في الاجتماع السنوي للجمعية الأميركية للعلوم السياسية.

اسبري، روبرت ب، ١٩٩٤. حرب في الظل : كلاسيك التاريخ من حرب العصابات من بلاد فارس القديمة لهذا.

نيويورك : ليتل، براون وشركة.

بادلي، جون ف، ١٩٠٨. الفتح الروسية من القوقاز. لندن : لونجمانز، الأخضر وشركاه

بارتوف، عمر، ١٩٩٢.

جيش هتلر : الجنود، والنازية، والحرب في الرايخ الثالث.

نيويورك : مطبعة جامعة أوكسفورد.

بينيت، D. سكوت وألان C. ستام الثالث، ١٩٩٨. "وانخفضت مزايا الديمقراطية : المجمعة النموذجي نتائج الحرب والمدة"، مجلة حل النزاعات، المجلد. ٤٢، لا. ٣ : ٣٤٤-٣٦٦.

بليني جيفري، ١٩٨٨. أسباب الحرب، rd٣ الطبعة نيويورك : الصحافة الحرة. بيض، ليزلي، ١٩٦٠. فإن الجنة السيوف.

نيويورك : الفايكنغ للصحافة. بلوفارب دوغلاس س، وجورج ك. تاتهام،١٩٨٩. من يكسب؟ السبيل إلى لغز الحرب الثورية. نيويورك : كرين روساك.

بوروفيك، ارتيوم، ١٩٩٠. الحرب الخفية : الروسية الصحفي للحساب

الحرب السوفيتية في أفغانستان. نيويورك : الأطلسي الشهرية الصحافة. بوسيروب، آندرس، واندرو ماك R .J.، ١٩٧٥. حرب بدون أسلحة : عدم العنف فى الدفاع الوطنى. نيويورك : شوكن الكتب.

براون، فريدريك .Z، ١٩٨٠. "التعليق على مولر : أمريكا المفاهيم المغلوطة" الفصلية للدراسات الدولية، المجلد. ٢٤، لا. ٤ : ٥٢٥-٥٢٩

كول ويل، .C.E، ١٩٩٦. الحروب الصغيرة : تلك المبادئ والممارسة، الطبعة الثالثة لينكولن : جامعة نبراسكا للصحافة.

كابوتو، فيليب، ١٩٩٦. اشاعة الحرب.

نيويورك : هنري هولت والشركة. شالياند، جيرار، الطبعة، ١٩٨٢. استراتيجيات حرب العصابات : مقاربة تاريخية مختارات من المسيرة الطويلة في أفغانستان.

بيركلي : مطبعة جامعة كاليفورنيا. شاربي، J. P.، ١٩٩٤. "الاستراتيجية"، وأندريه كورفليزر جون شيلدز، محرران، كريس تيرنر، والعابر، وهناك قاموس التاريخ العسكري، وفنون الحرب. كامبريدج،

الكتلة : بلاكويل، ص. ٧٦٨-٧٧٤.

كلودفيلتر مارك، ١٩٨٩. حدود القوة الجوية : القصف الاميركي من فيتنام الشمالية. نيويورك : الصحافة الحرة.

كوفي توماس.M، ١٩٧٤. أسد له الذيل:قصة من الحرب الايطالية والاثيوبية. لندن : هاميش هاميلتون.

كوهين ايليوت، ١٩٨٤. "القيود المفروضة على السلوك الأميركي في الحروب الصغيرة،" الأمن الدولي، المجلد. ٩، لا. ٢ : ١٥١-١٨١.

كونور، ووكر، ١٩٦٩. "الاثنولوجيا والسلام في جنوب آسيا"، عالم السياسة، المجلد. ٢٢، لا. ١ : ٥١-٨٦.

كوردسمان، انتوني H.، وابراهام لفاجنر، ١٩٩٠. دروس في الحرب الحديثة والمجلد الثالث : الأفغاني والنزاعات على جزر فوكلاند. بولدر : وست. كورفيزر، أندريه، وجون شيلدز، ١٩٩٤. "الحرب غير المباشرة" في وكورفيزلر شايلد، وهناك قاموس التاريخ العسكري، وفنون الحرب. كامبريدج (ماساتشوستس) : بلاكويل، صفحة ٣٧٨.

كورفيزر، أندريه، وباري باسكنز، ١٩٩٤. "قوانين الحرب" وكورفيزر شايلد، وهناك قاموس التاريخ العسكري، وفنون الحرب.

كامبريدج (ماساتشوستس) : بلاكويل، ص. ٤٤٣-٤٥٣.

الحرب، قاصادي، ١٩٩٩. الأسلحة من أجل السلام، وأسلحة الحرب : آثار الأسلحة نقل عن اندلاع الحرب، والمشاركة، والنتائج. نيويورك : روتلدج. دالدر، ولا حاء، ومايكل أوهانلون .E، ٢٠٠٠. فوز القبيحة : منظمة حلف شمال الأطلسي إلى حرب إنقاذ كوسوفو. واشنطن، العاصمة : مطبعة معهد بروكنغز.

ديل بوكا انجيلو، ١٩٦٩. الحرب الاثيوبية، ١٩٣٥-١٩٤١.

شيكاغو : جامعة شيكاغو الصحافة.

دي ويت، كريستيان، ١٩٠٢. ثلاث سنوات من حرب. نيويورك : تشارلز سكربنر أبناء. دوبريه ريجيس، ١٩٦٨. ثورة في الثورة. نيويورك : البطريق.

مايكل ديش .C، ٢٠٠٢. "الديمقراطية والنصر : لماذا يكاد نوع نظام مسائل "الأمن الدولي" المجلد ٢٧، رقم ٢ : ٥-٤٧.

دونوهوى ورا ٢٠٠١. مكافحة الإرهاب وقانون سلطات الطوارئ في المملكة المتحدة، ١٩٢٢-٢٠٠٠. بورتلاند، أو : الأيرلندية الأكاديمية للصحافة.

دوهيت، جوليو، [١٩٢٧] ١٩٧٢. القيادة للطيران.

نيويورك : ارنو الصحافة. ١٩٩٩. "القيادة للطيران" في جابلونسكاي ديفيد، الطبعة، جذور الاستراتيجية : الكتاب الرابع. Mechanicsburg، والسلطة الفلسطينية: Stackpole الكتب، ص. ٢٦٣-٤٠٨.

داونز، الكسندر، ٢٠٠٣. "استهداف المدنيين في الحرب : تحويع الحصارات في الحرب

العالمية الأولى". ورقة قدمت في الاجتماع السنوي رقم ١٠٥ للجمعية الأميركية للعلوم السياسية، وأيلول / سبتمبر، وفيلادلفيا في بنسلفانيا.

اليس جون، ١٩٧٦. التاريخ القصير للحرب العصابات. نيويورك : سانت مارتن برس صف.

١٩٩٥. من فوهة البندقية : تاريخ حرب العصابات، والثوري ومكافحة حروب المتمردين، من الرومان لهذا. لندن : Greenhill الكتب.

علمان، ومريم فيندويس، ١٩٩٥. "إن السياسات الخارجية للدول الصغيرة : تحدي Neorealism في ساحتها الخلفية،" المجلة البريطانية للعلوم السياسية، المجلد. ٢٥ : ١٧١-٢١٧.

فريمونت - بارنز، جريجوري، ٢٠٠٣. حرب البوير : ١٨٩٩-١٩٠٢ (أوكسفورد : طير الشماط والنشر).

غالتونغ ، يوهان، ١٩٧٦. ان "اثنين من المفاهيم وزير الدفاع" في السلام والحرب، وزير الدفاع : مقالات في بحوث السلام، المجلد. الثاني.

أوسلو : المعهد الدولي لبحوث السلام، ص. ٣٢٨-٣٤٠.

غامير موشي، ١٩٩٤. المقاومة الإسلامية إلى القيصر : شامل والفتح في الشيشان وداغستان. لندن : فرانك كاس وشركاه

غاست، ليون، ١٩٩٦. عندما كنا ملوك.

بوليجرامى للإنتاج السينمائي.

جورج الكسندر ل ديفيد ك قاعة وليم ر. سيمونز، محرران، ١٩٧١،
حدود الدبلوماسية القسرية : لاوس، وكوبا، وفيتنام. بوسطن : شركة ليتل براون
غيفارا، تشي، ١٩٦١. حرب العصابات. نيويورك : استعراض الصحافة الشهرية.
هامر، .W. S، ١٩٧٠. الجيش البريطاني : العلاقات المدنية العسكرية، ١٨٨٥-١٩٠٥. أوكسفورد : كلارندون للصحافة.
هاملتون، دونالد ووكر، ١٩٩٨. فن التمرد : السياسة الأمريكية العسكرية وفشل الاستراتيجية في جنوب شرق آسيا. يستبورت، ط م : بريغير.
رأس بول نون، ١٩٧٩. الألماني اليوغوسلافي النضال ضد حزب الله .
في الحرب العالمية الثانية : الألمانية مكافحة التخريب في يوغوسلافيا، ١٩٤١-١٩٤٣.
بولدر : أوروبا الشرقية فصلية.
الرنجة جورج .C، ١٩٨٦. أطول حرب في أميركا : الولايات المتحدة وفيتنام، ١٩٥٠-١٩٧٥، نيويورك : مكجراو هيل.
هوبسون، J. A.، ١٩٠٠. الحرب في جنوب افريقيا : أسبابه وآثاره. لندن : جيمس نسبيت .
هوفمان، ستانلي، وآخرون، ١٩٨١. "فيتنام مقدر ثانية" الأمن الدولي، المجلد. (٦) ١ : ٣-٢٦.
هوارد، مايكل لعام ١٩٦١. الفرنسية البروسية الحرب. نيويورك : ميثيون Methuen.
فريد تشارلز عام ١٩٩١. كل حرب يجب أن ينتهي، ومنقحة. نيويورك : مطبعة جامعة كولومبيا.

اللجنة الدولية المستقلة لكوسوفو، عام ٢٠٠٠. كوسوفو تقرير : الصراع، والاستجابة الدولية، والدروس المستفادة. نيويورك : مطبعة جامعة أوكسفورد.

ديفيد ليسبي .C،١٩٨٩. الحرب في بلد ناء، أفغانستان : الغزو والمقاومة. لندن : والأسلحة آرمور .

جيمس انتوني، ١٩٩٦. حرب العصابات : التاريخية، والسيرة الذاتية، ومصادر ببليوغرافي. يستبورت، ط م : غرينوود برس.

جونسون، تشالمرز، ١٩٦٨. "الجيل الثالث من حرب العصابات،" دراسة الحالة الآسيوية، المجلد. ١٢ : ٤٣٥-٤٤٧.

١٩٧٣. تشريح الحرب على الشعوب. بيركلي : مطبعة جامعة كاليفورنيا. جونسون، .Wray R، ٢٠٠١ فيتنام وأمريكا لعقيدة الحروب الصغيرة. بانكوك : أبيض لوتس للصحافة.

المراجع

كاكار، محمد حسن، ١٩٩٥. أفغانستان : الغزو السوفيتي لأفغانستان، والاستجابة، ١٩٧٩-١٩٨٢. بيركلي : مطبعة جامعة كاليفورنيا.

كارنو، ستانلي، ١٩٨٣. فيتنام : التاريخ. نيويورك : الفايكنك الصحافة.

Katzenbach، .E. L، ١٩٦٢"الوقت، والفضاء : السياسية والعسكرية والاستراتيجية

ماو زيدونغ، "في Ltc. طنا غرين، الطبعة، وحرب العصابات وكيفية محاربة الله نيويورك : برايجر، ص. ١١-٢١.

كادزينغ باخ ادوارد ولام، والجينات هانراهان .Z، ١٩٥٥. "الاستراتيجية الثورية لماو تسي تونغ" العلوم السياسية الفصلية، المجلد. ٧٠، لا. ٣ : ٣٢١-٣٤٠.
كون جورج .C، ١٩٨٦. قاموس الحروب. نيويورك : حقائق عن الملف المنشورات.
كريبز، بولا ١٩٩٢. "وقال آخر من سادة الحروب : المرأة في حرب البوير. يدور جدل في معسكرات الاعتقال "ان التاريخ ورشة عمل يومية، المجلد ٣٣ : ٣٨-٥٦.
كريبن فيتش اندرو الابن .F، ١٩٨٦. الجيش وفيتنام. بالتيمور : جون مطبعة جامعة هوبكنز. البحيرة، وديفيد أ، ١٩٩٢. "قوية المتسالمون : الدول الديمقراطية والحرب" الاميركية للعلوم السياسية الاستعراضي، المجلد. ٨٦، لا. ١ : ٢٤-٢٧.
لاكور، والتر، ١٩٧٦. حرب العصابات : دراسة تاريخية ونقدية. بوسطن : ليتل، شركة براون . لورانس، .T. E ١٩٢٦ أعمدة الحكمة السبعة : انتصارا. نيويورك : دوبليداي.
ليا هنري تشارلز، ١٩٦٨. الخرافات وقوة : مقالات عن القانون فاغر، فاغر المعركة، والمحنة، والتعذيب، طبعة ثانية ومنقحة. نيويورك : غرينوود برس.
ليبسون ، مارك، والطبعة، وهيلين هانا فورد ١٩٩٩. ويبستر العالم الجديد قاموس الحرب الفيتنامية. نيويورك : ماكميلان. ليماي، كورتيس مع اللواء دايل سين سميث، ١٩٦٨. أمريكا في خطر. نيويورك : الرائحة الكريهة واغنالز و ليدي هارت، .H. B، ١٩٦٧. استراتيجية، طبعة ثانية منقحة. نيويورك : دار نشر برايجر.، روبرت س، ١٩٩٢. وقال "الاتحاد السوفياتي في أفغانستان،" اريبل eليفيتي . بروس ووكر جنتل سون واري بيرمان، محرران، التدخل العسكري الأجنبي: ديناميكيات الصراع الذي طال أمده. نيويورك

: مطبعة جامعة كولومبيا، ص. ٦٥-٩٤. ماك اندرو J. .R، ١٩٧٥"لماذا الحروب الكبرى والحروب الصغيرة أفقدت الولايات المتحدة : سياسة للصراع غير متكافئ،" عالم السياسة الدولية، المجلد. ٢٧، لا. ٢ : ١٧٥-٢٠٠. ماغنوس رالف، وناباي / عدن، ١٩٩٨. أفغانستان : الملا، وماركس، ومجاهد. بولدر وست. ماو تسي تونغ عام ١٩٦١. على حرب العصابات، وصموئيل ب. جريفث، طن تبريد. نيويورك : دار نشر برايجر. ١٩٦٨. "أول كتاب عن حرب العصابات"، دونالد روبنسون، الطبعة، القذرة الحروب : حرب العصابات الإجراءات وغيرها من الحروب غير التقليدية. نيويورك : ديلاكورت برس. ماركيز، سوزان .L، ١٩٩٧ الحروب غير التقليدية : إعادة بناء القوات الأمريكية الخاصة وقوات العمليات. واشنطن، العاصمة : مطبعة معهد بروكنغز. قد ارنست، ٢٠٠٠. الغريب النصر : هتلر الفتح فرنسا. نيويورك : هيل آند وانغ. مكارثي، رونالد م، وجين شارب، ١٩٩٧. غير العنيفة العمل : دليل البحث. نيويورك : جارلاند.

ميرشيمر جون، ١٩٨٣. الردع التقليدي. إيثاكا، نيويورك : مطبعة جامعة كورنيل. ٢٠٠١. المأساة وسياسات القوة العظمى. نيويورك : W.W. نورتون الشركة.ميراري اربيل، ١٩٩٣. وقال "ان الارهاب باعتباره استراتيجية التمرد،" الإرهاب والعنف السياسي، المجلد. (٥)، لا. ٤ : ٢١٣-٢٥١. ميروم، جيل ٢٠٠٣. كيف الديمقراطيات إفقد الحروب الصغيرة : الدولة والمجتمع، وفشل فرنسا في الجزائر، وإسرائيل في لبنان،

والولايات المتحدة في فيتنام. نيويورك : مطبعة جامعة كامبردج.

١٩٢١. قواتنا الجوية، وحجر الزاوية في الدفاع الوطني. نيويورك : E. P. دوتون

الشركة. "وزير الدفاع المجنح " في جابلونسكاي ديفيد، الطبعة، جذور الاستراتيجية :

الكتاب الرابع. Mechanicsburg، والسلطة الفلسطينية: Stackpole الكتب،

ص. ٤٠٩-٥١٦. موكلر نتوني، ١٩٨٤. هيلا سيلاسي حرب : الايطالية والاثيوبية

حملة ١٩٣٥-١٩٤١. نيويورك : راندوم هاوس.

مويسي ادوين، .E، ١٩٩٦. خليج تونكين وتصعيد حرب فيتنام. كنيسة صغيرة هيل

(نورث كارولاينا) : في جامعة كارولينا الشمالية الصحافة.

مولر، وجون، ١٩٨٠. "البحث عن" نقطة الانهيار "في فيتنام : إحصاءات قاتل

الشجار" الفصلية للدراسات الدولية، المجلد. ٢٤، لا. ٤ : ٤٩٧-٥١٩.

موريس اريك، ١٩٦٤. L مقدمة في التاريخ العسكري. باريس : تشارلز — لافوزيل .

موسوليني، بنيتو، ١٩٩٥. "الحاجة الماسة للامبراطورية" في روجر غريفين، الطبعة،

والفاشية.نيويورك : مطبعة جامعة أوكسفورد، ص. ٧٤-٧٥.

ناسون بيل، ١٩٩٩. الحرب في جنوب أفريقيا، ١٨٩٩-١٩٠٢.

نيويورك : مطبعة جامعة أوكسفورد.

نوتر جون جاكوب، ١٩٩٤. "التهديد الفتح : المفاهيمية والتحليل الرسمي" نورمان

ألف غراهام الطبعة، والبحث عن الأمن والتنمية : تأثير الإنفاق العسكري وتحويلات

الأسلحة. بولدر : لين رينيه الناشرين، ص. ٢٩-٤٩.

ناي، جوزيف س. الابن، ٢٠٠٤. القوة الناعمة : السبيل إلى النجاح في عالم السياسة. نيويورك : الشؤون العامة.

باكينهام توماس، ١٩٧٩. حرب البوير. نيويورك : راندوم هاوس.

بيب، روبرت انتوني ١٩٩٠. "القسرية القوة الجوية في حرب فيتنام" والأمن الدولي، المجلد. ١٥، لا. ٢ : ١٠٣-١٤٦.

١٩٩٦. قصف للفوز بها. إيثاكا : مطبعة جامعة كورنيل.

١٩٩٧. "لماذا العقوبات الاقتصادية لا تعمل،" الأمن الدولي، المجلد. ٢٢، لا. ٢ : ٩٠-١٣٦.

٢٠٠٣. وقال "الاستراتيجية منطق الإرهاب الانتحاري" الاميركية للعلوم السياسية الاستعراضي، المجلد. ٩٧، لا. ٣ : ٣٤٣-٣٦١.

بريت، وبيتر وجون خجول، ١٩٦٢. رجال حرب العصابات في ١٩٦٠ . نيويورك : دار نشر برايجر.

باركر، وكريستوفر س، ١٩٩٩. "أسلحة جديدة لمشاكل قديمة : انتشار الأسلحة التقليدية والفعالية العسكرية للدول النامية في" الأمن الدولي، المجلد. ٢٣، لا. ٤ : ١١٩-١٤٧.

باركر، جوفري، ١٩٩٤. "في وقت مبكر من أوروبا الحديثة"، مايكل هوارد، جورج وجيه أندروبولس ، ومارك ر شلمان، محرران، قوانين الحرب : القيود المفروضة على الحروب في العالم الغربي. نيو هيفن، ط م : مطبعة جامعة ييل، ص. ٤٠-٥٨.

بول، .T.V، ١٩٩٤. والصراعات غير المتماثلة : بدء حرب من قبل القوى الاضعف. كامبريدج : مطبعة جامعة كامبردج.

بيري، مارك، وإد مايلز، ١٩٩٩. "الحرب البيئية"، وروي غوتمان ديفيد رييف، جرائم الحرب : ما على الملأ. نيويورك : W.W. نورتون، ص. ١٣٢-١٣٥.

بوميروي، وليم ج، ١٩٦٤. & مكافحة عصابات حرب العصابات : والتحرير القمع في الفترة الحالية. نيويورك : الناشرين الدوليين. بوسين باري .R، ٢٠٠٣. "القيادة من مجلس العموم : إن المؤسسة العسكرية الهيمنة الامريكية "والأمن الدولي، المجلد ٢٨، رقم ١ : ٥-٤٦.

باول كولين ل، ١٩٩٢. ان "القوات الاميركية : التحديات المقبلة". خارجية، المجلد. ٧١، لا. ٥ : ٣٢-٥١.

الصحافة داريل، ٢٠٠١. "أسطورة القوة الجوية في حرب الخليج ومستقبل الحرب،" والأمن الدولي، المجلد. ٢٦، لا. ٢ : ٥-٤٤.

رايس، رسول بخش، ١٩٩٤. حرب من غير فائزون : افغانستان غير مؤكد الانتقال بعد انتهاء الحرب الباردة. كراتشي : مطبعة جامعة أوكسفورد. راماك ريميشان، كومار، ٢٠٠٢. "الرشو يفربول للتخلي عن' : المكافآت في السياسة الملايا الطوارئ، ان "الحرب في التاريخ، المجلد ٩، رقم ٣ : ٣٣٢-٣٥٣.

رايتر، وددان، وألان C. ستام الثالث، ١٩٩٨. "الديمقراطية وساحة المعركة العسكرية فعالية "مجلة حل النزاعات، المجلد ٤٢، رقم ٣ : ٢٥٩-٢٧٧.

٢٠٠٢. الديمقراطيات في الحرب.

برينستون (نيوجيرسي) : مطبعة جامعة برينستون.

٢٠٠٣. "فهم النصر : لماذا مسألة المؤسسات السياسية".

الأمن الدولي، المجلد. ٢٨، لا. ١ : ١٦٨-١٧٩.

رودس، وريتشارد عام ٢٠٠٢. سادة الموت : اس. اس Einsatzgruppen

واختراعات للمحرقة. نيويورك : ألفريد كانوف.

روبرتس، وآدم، ١٩٩٤. "حرب البرية : من نورمبرغ الى لاهاي"، مايكل هوارد، جورج

وجيه اندروبولس، ومارك ر شلمان، محرران، قوانين الحرب : القيود المفروضة على

الحروب في العالم الغربي. نيو هيفن، ط م : مطبعة جامعة ييل، ص. ١١٦-١٣٩.

روزين، ستيفن ب، ١٩٨٢. "فيتنام وأمريكا نظرية الحرب المحدودة"، الأمن الدولي،

المجلد. ٧، لا. ٢ ٨٣-١١٣.

١٩٩٥. "الفعالية العسكرية : لماذا مجتمع مسائل" الأمن الدولي، المجلد. ١٩، لا. ٤ :

٥-٣١.

روزين، ستيفن، ١٩٧٢. "حرب السلطة والاستعداد لمعاناة" بروس روزيت م، والطبعة،

والسلام والحرب وأرقام. بيفرلي هيلز : منشورات سيج، ص. ١٦٧-١٨٤.

رودولف ويد الأول، ١٩٨٥. "اللعبة الكبرى في آسيا : مراجعة وإعادة النظر في" مفترق

الطرق، لا. ١٦ : ١-٤٦.

روسيت بروس .M، ١٩٧٢. ليس واضحا وماثلا : شكاك اعرض من دخول

الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية. نيويورك : هاربر و رو.

سباكشي البرتو، ١٩٨٥. وفي ظل موسوليني اثيوبيا : الفاشية والتجربة الاستعمارية. نيويورك : كتب زيد.

١٩٩٧. تركة من المرارة والألم : إثيوبيا وإيطاليا الفاشية، ١٩٣٥-١٩٤١. نيو جيرسي : اضغط على البحر الاحمر.

رونالد شيفر، ١٩٨٥. أجنحة الحكم : القصف الاميركي في الحرب العالمية ايل نيويورك : مطبعة جامعة أوكسفورد.

شيلينج توماس .C، ١٩٦٦. السلاح والنفوذ. نيو هيفن، ط م : مطبعة جامعة ييل.

الحادة، والجينات، ٢٠٠٣. وهناك بدائل واقعية. بوسطن، ماجستير : مؤسسة ألبرت أينشتاين .

شو جيفري د. ت، ٢٠٠٠. "رجال الشرطة في مقابل الجنود، مما أدى إلى مناقشة MAAG الاعتراضات والرفض من واشنطن الأساسية للالبريطاني مكافحة التخريب في تقديم المشورة" التمرد والحروب الصغيرة، المجلد. ١٢، لا. ٢ : ٥١-٥٨.

شيهان، نيل، ١٩٨٩. مشرق الساطع تكذب : يوحنا بولس فان وأميركا في فيتنام. نيويورك : محصول العنب.

ماريك سلوينسكي ، ١٩٨٩. "أفغانستان : إهلاك الناس" أوربس، المجلد. ٣٣، لا. ١ : ٣٩-٥٦.

صغيرة، ملفين، وديفيد سنجر .J، ١٩٨٣. اللجوء إلى الأسلحة الدولية والحروب الأهلية، ١٨١٦-١٩٨٠. بيفيرلي هيلز : سيج المطبوعات.

سميث، ايان .R، ١٩٩٦جذور الحرب في جنوب أفريقيا، ١٨٩٩-١٩٠٢. نيويورك .Longman

سنايدر، غلين .H، وبول دسنغ ١٩٧٧. صراع بين المتحدة : التفاوض وصنع القرار، وهيكل النظام الدولي في الأزمة. برينستون : مطبعة جامعة برينستون.

سنايدر، خالد، ١٩٩١. أساطير من الإمبراطورية : السياسة الداخلية والدولية الطموح. إيثاكا : مطبعة جامعة كورنيل.

لويس سلوري ، ١٩٩٩. أفضل الحرب : انتصارا غير مفحوص والنهائي مأساة أميركا في فيتنام خلال السنوات الماضية. نيويورك : هاركورت الدعامة الشركة عام ١٩٩٩.

ستيغلر اندرو عام ٢٠٠٣. "انتصارا واضحا للقوة الجوية : الحلف تهديدا فارغا لغزو كوسوفو،" الأمن الدولي، المجلد. ٢٧، لا. ٣ : ١٢٤-١٥٧.

ستابس، ريتشارد، ١٩٨٩. القلوب والعقول في حرب العصابات : الملايا الطوارئ ١٩٤٨-١٩٦٠. نيويورك : مطبعة جامعة أوكسفورد.

في الصيف، وهاري الابن .G، ١٩٩٥. الأطلس التاريخي للحرب فيتنام. بوسطن، ماجستير : هاوتون موفلين .

روبرت، تابر ١٩٦٥. الحرب من البرغوث : دراسة من حرب العصابات بين النظرية والتطبيق. نيويورك : لايل ستيوارت.

تاماروف ، فلاديسلاف، ١٩٩٢. أفغانستان : فيتنام السوفياتي، نعومي ماركوس، ماريان تراغوين كلارك، وفلاديسلاف تاماروف . سان فرانسيسكو : دار الزئبق.

توماس، وارد، ٢٠٠١. أخلاقيات تدمير : القواعد والقوة في العلاقات الدولية. إيثاكا، نيويورك : مطبعة جامعة كورنيل.

ثومبسون وجيمس كلاي عام ١٩٨٠. المتداول الرعد : فهم الفشل في السياسات والبرامج. كنيسة صغيرة هيل (نورث كارولاينا) : في جامعة كارولينا الشمالية الصحافة.

طومسون،روبرت،١٩٦٦. هزيمة تمرد شيوعي : تجارب من ماليزيا وفيتنام. لندن : Windus & Chatto.

بوي، ٢٠٠٢. من العدو الى صديق : الفيتنامية الشمالية بشأن الحرب. أنابوليس، ماريلاند : البحرية معهد الصحافة. مونيكا دوفي تافت ، ٢٠٠٣. الجغرافيا العنف العرقي : الهوية والمصالح، و تجزئة الإقليم. برينستون نيوجيرسي : مطبعة جامعة برينستون. قمرية طائر هاري، ٢٠٠١. "المادة الماضية" هاري قمرية طائر مع مارتن كرست غرينبرغ، محرران، افضل الخيال العلمي العسكري من القرن العشرين . جديد يورك : ديل ري الكتب، ص. ٢٣١-٢٦٢.تزو، الاحد، ١٩٨٨. فن الحرب، وتوماس كليري، طن تبريد. بوسطن : منشورات شامبالا . في المناطق الحضرية، ومارك ل، ١٩٨٨. الحرب في أفغانستان. نيويورك : سانت مارتن برس. والت، وستيفن س، ١٩٨٧. أصول التحالفات. إيثاكا : مطبعة جامعة كورنيل. ٢٠٠٢. "أولوية أمريكية : آفاقها والمزالق" كلية الحرب البحرية الاستعراض، المجلد. ٥٥، لا. ٢ : ٩- والتون، C. دايل، ٢٠٠٢. اسطورة حتمي الهزيمة الاميركية في فيتنام. بورتلاند، أو فرانك كاس. الفالس كينيث ن، ١٩٦٧. السياسة الخارجية والسياسة الديمقراطية :

التجربة الاميركية والبريطانية. بوسطن : ليتل براون اند الشركة. ١٩٧٩. نظرية في السياسة الدولية. يويورك : مكجراو هيل.

والزير، مايكل، ٢٠٠٠. حروب عادلة وحروب ظالمة : أخلاقية مع أمثلة تاريخية، الطبعة الثالثة، نيويورك : الكتب الأساسية.

واتسون،بروس ألن، ١٩٩٧.عندما تغادر القوات:دراسة في تفكك العسكرية. يستبورت، ط م : بريغير.

ويغلي ، فرانك راسل، ١٩٩٧. الأسلوب الأميركي في الحرب : تاريخ الولايات المتحدة السياسة والاستراتيجية العسكرية. بلومينغتون، في : مطبعة جامعة إنديانا.

الذئب إريك ر، ١٩٧٣. الفلاحين من حروب القرن ٢٠. نيويورك : هاربر.

أدهم وهيب مطر

أديب ومترجم من القطر العربي السوري, السويداء – القريّا.

- ❖ **له عدة أعمال أدبية وفكرية :**
- ❖ **الشعر :**
- **صدر له عدة مجموعات شعرية :**
- **اعترافات ناقصة.**
- **تراتيل في محراب العشق.**
- **مراثي النورس الأبيض .**
- **ترانيم على وتر الهجرة.**

مجموعة في ديوان بعنوان "تقاسيم على ناي مكسور"

- **ديوان شعر بعنوان "فوق خط الموت تحت خط العشق "**
- ❖ **القصة :**
- **صدر له مجموعتين قصصيتين وهما بعنوان :**
- **الميت الذي عاد (فازت بجائزة المزرعة للإبداع الأدبي).**
- **صحوة ضمير .**
- ❖ **الكتب المترجمة :**
- **صدر له العشرات من الكتب المترجمة ومنها :**
- **تاريخ الشرق الأوسط .**
- **جنس العقل .**
- **الوعي الكوني.**
- **التلقين .**

- **منطق الحرب .**
- **حين ينتصر الضعفاء في الحروب .**
- **بذور الدمار .**
- **دماء متناثرة (رواية مترجمة إلى اللغة الانكليزية).**
- **راقص التانغو المنفرد (قصة حياة أنطوني كوين).**
- **فهم الشخصية البشرية .**
- **النظام الغذائي وفقاً لنمط الشخصية .**

❖ **الدراسات والمقالات:**

- **دراسات حول الترجمة والحركة الثقافية والفكرية للفكر المُتَرجَم .**
- **مقالات منوعة ومقالات مترجمة في الصحف المحلية والعربية والدولية) .**

❖ **تحت الطبع:**

- **مجموعة شعرية.**
- **مجموعة قصصية.**
- **رواية مترجمة.**

adhammr@yahoo.com

adhammr@gmail.com

الغلاف الخلفي

هذا كتاب عن القوة, وعن كيفية الفهم المشترك للقوة التي قد تؤدي إلى كارثة.

تُرى، كيف ينتصر الضعفاء في الحروب؟ وحيث تعتمد احتمالية النصر و الهزيمة في النزالات على التفاعل بين الإستراتيجيات المستخدمة عند كل من الطرفين القوي و الضعيف.

كما أن مصطلح " النزاعات غير المتكافئة " يقصد به في هذا السياق حصر الموضوع الواسع للتساؤلات المتعددة حوله و ذلك بأقل الكلمات الممكنة – و مع هذا، فهذا المصطلح سيبقى يعاني من نفحة التكبّر الأكاديمي و انفصاله في البرج العاجي.

وفي الحقيقة، فإن الموضوع الحقيقي المتناول هنا هو الوحشية السافرة في الحروب, حيث أن المتلقي الأولي لهذه الوحشية في العادة يكون الجنود، فهم مدربون لتجهيزها, وإن بحدود معينة.

ومن المتوقع أنهم قد يصابوا أو يقتلوا من قبل جنود آخرين مثلهم خلال أداء واجبهم. و لكن في أيامنا هذه, فقد أصبحت الحروب أقل حصراً بالجنود (لكن البعض قد يقول على أن ذلك مجرد أسطورة أكثر من أي وقت مضى) وربما هي تبعات غير مقصودة لمحاولة استخدام اتفاقيات "جنيف"

(والوسائل اللاحقة للقانون الدولي الإنساني) لحماية الأطفال, والمصابين, والمرضى, والمرضى العقليين, والمعاقين, والأطفال الصغار, والنساء اللواتي لا يوجد لديهن تحمّل للأسلحة، وكبار السن, ذلك لكون هؤلاء هم مجرد بشر ضعفاء و ليسوا جنودا, ولكنهم أصبحوا ضحايا بشكل متزايد للهجوم بالسكاكين, وبالبنادق, واللهب, و المعدن

الطائر، وكلهم كانوا عبارة عن أهداف لأن المقاتلين اليائســـين يجدون أنه من المفيد الاختباء بينهم , والتغلغل في أماكن إقامتهم، بينما كان أعدائهم يفتقرون إما إلى الإرادة أو القدرة على ضربهم من دون رأي واضح، وبذلك يكون الأطفال الصغار أول الضحايا التي تتكور جانباً.

الفهرس